

شَرْحُ

أُصُولُ الْعُقَاةِ

تَأْلِيفُ: الشَّيْخِ عَبْدِ الْجَلِيلِ عَالِي الْأَمِيرِ

تَقْرِيطُ

آيَةَ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْفَقِيهِ الرَّبَّانِيِّ
الْمِيرْزَا عَبْدِ اللَّهِ الْإِصْحَاقِيِّ دَامَ عَزُّهُ

الْجُزْءُ الثَّلَاثُ

مَنْشُورَاتُ

دَارُ الْوَعَاظِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بَيْرُوتُ - لُبْنَانُ



شرح
أصول العقائد
(ج ٣)

شرح أصول العقائد

تأليف

الشيخ عبد الجليل علي الأمير

تقريظ

آية الله الحكيم الإلهي و الفقيه الرباني

الميرزا عبد الله الإحقاقي دام عزه

الجزء الثالث

منشورات

دار الوعظ الإسلامي

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الباب الثالث في النبوة

وفيه فصول اثنا عشر

الفصل الأول [الله سبحانه لم يخلق الخلق عبثاً]

أثبتنا بالأدلة القاطعة العقلية والفطرة السليمة الخلقية، أن الله سبحانه لم يخلق الخلايق عبثاً، ولم يدعهم جهلاء، كما قال سبحانه وتعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١) وقال في الحديث القدسي ((كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف))^(٢) وأثبتنا أيضاً بالفطرة السليمة المستقيمة، أن الله سبحانه لا يدرك بوجه من الوجوه، ولا يرى ولا يلمس ولا يشاهد، عجزت العقول عن الوصول إلى سماء معرفته، والبلوغ إلى درك صفة من صفاته، والخلق كلهم عاجزون جاهلون لا يعلمون أمور دينهم، ولا يعرفون صلاح دنياهم، ولا يميزون بين الحق والباطل، والصالح والفساد، ولا يتمكنون من أخذ أحكام الشرايع بلا واسطة منه سبحانه، بل هو محال لهم وممتنع، فلذا خلق بينه وبين خلقه وسائط، هم بطيب الطينة وطهرها معروفون، وصفاء الطوية وحسنها موصوفون، الذين قبلوا التكليف قبل كل الموجودات في عالم الدر، وسبقوها فيه بقول بلى، معتدلوا القابلية، مستقيموا الفطرة،

(١) سورة الذاريات آية (٥٦).

(٢) رسائل الكركي للمحقق الكركي ٣ / ١٥٩، شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ١ / ٢٢، عوالي الآلي لابن أبي جمهور الإحساني ١ / ٥٥.

عظيموا المسارعة إلى طاعة ربهم، الذين مرايا قابلياتهم أكثر استقامة من مرايا القوابل الإمكانية، وجعلهم وسائط فيضه، وبلغ بهم أوامره ونواهيه إلى خلقه، وهم المؤيدون من عند الله، حفظهم الله من الخطأ، وعصمهم من الزلل، حتى يؤدوا من جانب الحق سبحانه إلى الخلق ما أمر الخلق به، حتى ينالوا الغايات والنهايات، فلا بد لهم أن لا يروا لأنفسهم تحققاً ولا أنية، ويسارعون إلى أمر الله سبحانه بالمال واللسان والنفس والجنان، فلولا هم لبقى الناس في التيه والضلالة، ولم يجدوا سبيلاً إلى طريق الحق والهداية، وفقدت ثمرة الإيجاد، وصار خلق الخلايق عبثاً.

وقد أثبتنا أن الحكيم وفعله لا يصدر منه العبث، فوجب وجود الرسل والسفراء، الذين هم الوسائط بين الله وبين خلقه، حتى لا يلزم الفساد الكلي، في العالم العلوي والسفلي، ومضمون ما ذكرناه هو صريح ما بين أئمتنا في طي احتجاجاتهم مع الزنادقة وغيرهم.

منها ما ذكره الصدوق عليه السلام في علل الشرايع بإسناده إلى هشام بن الحكم: عن الصادق عليه السلام لما سأله الزنديق عن الدليل لإثبات إرسال الرسل وإنزال الكتب عن الله سبحانه قال عليه السلام: (لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ويلامسوه، ويباشرهم ويباشروه، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمور والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبرون عنه عز وجل، وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبون بالحكمة مبعوثون بها، غير مشاركين للناس في شيء من أحوالهم، مؤيدون من عند الله الحكيم العليم

بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء، من الدلائل والبراهين لكي لا تخلو أرض الله من حجة، يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته^(١) الخ.

وفيه أيضا عن أبي بصير عن الصادق: لما سأله رجل عن سبب بعث الأنبياء والرسل قال ﷺ ((لثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ولثلا يقولوا ما جاءنا من بشير ونذير، وليكون حجة الله عليهم، ألا تسمع الله عز وجل يقول حكاية عن خزنة جهنم واحتجاجهم على أهل النار بالأنبياء والرسل ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (٩)^(٢) وأمثال هذين الخبرين كثيرة

(١) حدثنا حمزة بن محمد العلوي قال: أخبرني علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن العباس بن عمرو الفقيمي، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال للزنديق الذي سأله من أين أثبت الرسل والأنبياء فقال: أنا لما أثبتنا ان لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا لم يجز أن يشاهده خلقه ويلا مسوه ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه، ثبت ان له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم فثبت الأمور والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه عز وجل وهم الأنبياء وصفوته من خلقه حكماء مؤدبون بالحكمة مبعوثون بها غير مشاركين للناس في شيء من أحوالهم، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان ما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم على صدق مقالته وجواز عدالته) علل الشرائع - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ١٢٠، الكافي للبخ الكليني ١ / ١٦٨، التوحيد للشيخ الصدوق ٢٤٩.

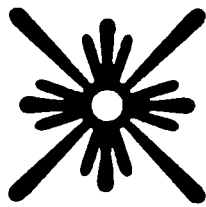
(٢) حدثنا علي بن أحمد ﷺ قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي عن موسى بن عمران، عن عمه الحسين بن يزيد، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ أنه سأله رجل فقال: لأي شيء بعث الله الأنبياء والرسل إلى الناس فقال لثلا يكون للناس على الله حجة من بعد الرسل ولثلا يقولوا ما جائنا من بشير ولا نذير وليكون حجة الله عليهم ألا تسمع الله عز وجل يقول: حكاية عن خزنة جهنم واحتجاجهم على أهل النار بالأنبياء والرسل (ألم=

فأطلبها من مضانها ❁ .

❁ علة بعثة الأنبياء

لما ثبت أن الله تعالى لم يخلق الخلق إلا للعبادة والمعرفة، وثبت أن جميع الخلق ليس عندهم القدرة والقابلية على تلقي الأحكام الشرعية، من الواجب والحرام والمكروه والمستحب والمباح وما يجوز وما لا يجوز، فوجب في الحكمة أن يختار الله عزَّ وجلَّ بنفسه من الخلق من يقوم بإيصال التكليف إلى المكلفين، والموصل التكليف من الخالق إلى المخلوق هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وهؤلاء الأنبياء والأوصياء عليهم السلام اختيروا من قبل الله تعالى، لكونهم من أوائل المجيبين ببلى في عالم الذر، ولكونهم أقرب وأفضل الناس، وأحسنهم سيرة وخلقاً قبل البعثة وبعدها.

فلولا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لبقى الناس في التيه والضلال، ولم يتمكنوا من أخذ الأحكام الشرعية، وإذا لم يتمكنوا من أخذ الأحكام، ولم يعرفوا أمور دينهم ودنياهم، فقدت الثمرة من الإيجاد والخلق وهي المعرفة والعبادة، وهما متوقفان على الرسول والنبي عن الله عزَّ وجلَّ.



الفصل الثاني [ليس بين الله تعالى وبين الأنبياء نسبة]

إياك ثم إياك أن تظن أن للأنبياء نسبة مع الله ومع الخلق، ولذا من جهة النسبة مع الله يأخذون منه، (و) جهة النسبة مع الخلق يوصلون ما أمرهم الله إليهم، كما أن بعض الجهلاء والسفهاء اعتقدوا ذلك، وقالوا بربط الحادث مع القديم، والمناسبة بين الواجب والممكن، حتى أنني سمعت من بعضهم مشافهة وهو كفر وزندقة نعوذ بالله منه.

فليس بين الواجب والممكن مناسبة بوجه، إذ الواجب مخالف للممكن في كل جهة، فذاك مستغني بالذات وهذا محتاج بالذات، وصفات ذاك صفات الغنى والقدرة والكمال، وصفات هذا صفات الفقر والاحتياج والعجز والنقصان، فلا يكون هذا شبيهاً لذاك أبداً، وإلا لزم أن يكون له سبحانه شبيهاً، وقد نفى عن نفسه وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) وفي الحديث: (لا يشابهه شيء ولا يدانيه شيء

(١) سورة الشورى آية (١١).

❁ لا نسبة بين الله سبحانه والأنبياء

ذكر أن الأنبياء ﷺ هم الواسطة بين الله تعالى وبين الخلق في إيصال التكاليف، ولكن لا يعني ذلك أن بينهم وبين الله نسبة، أي جهة مشابهة حتى يتمكنوا من الأخذ عن الله تعالى، بل الله يظهر لهم ويوصل إليهم بهم بفعله لا بذاته، مثل قيام علي الظاهر في المرأة، فإن صورة شبح القائم في المرأة ليس هو ذات علي داخلاً في المرأة بل بفعله، وأما ذات علي فلا يمكن لها الدخول في ذات المرأة لا عقلاً ولا عرفاً ولا شرعاً، فالله سبحانه يوصل إليهم بهم لا بذاته المقدسة.

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من شبه الله بخلقه فهو مشرك، إن الله تبارك وتعالى لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه) التوحيد للشيخ الصدوق ٨٠، البحار للشيخ المجلسي ٣ / ٢٩٠.

وقال الرضا عليه السلام : (فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إياه وحده من اكتننه، ولا حقيقته أصاب من مثله)^(١). وقال أيضا في هذه الخطبة (كنهه تفریق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه)^(٢) وحقيقة هذه المسألة مع بعض شقوقاته مبينة في ساير رسائلنا ومصنفاتنا.

الحاصل فالمناسبة والمشابهة بين الحق والخلق بجميع أنحاءهما ووجوهها متفية ومنفية ❁.

❁ شرح حديث الإمام الرضا عليه السلام

قوله : ((فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته)).

أي من عرف الله عزَّ وجلَّ بالشبيه مثلاً كقول القائل واستغفر الله من التشبيه، الله سبحانه مثل النور، أو وجوده أو سمعه مثل وجودنا وسمعنا، فهذا العارف لم يعرف الذات عزَّ وجلَّ، بل عرف غيره من المخلوقات، لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير سبحانه.

وقوله : ((ولا إياه وحده من اكتننه)).

أي من عرف كنهه أي حقيقته وذاته فهو غير موحد له، لأن من عرف حقيقته فقد أدركه، ومن أدركه فقد أحاط به، ومن أحاط به فقد حيزه في جهة، ومن حيزه في جهة فقد أدخل منه الجهات الأخرى، ومن كان كذلك فهو مخلوق، كما قال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : ((ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عدّه، ومن قال فيم فقد ضمنه))^(٣).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ٢ / ١٣٦، التوحيد للشيخ الصدوق ٣٥، البحار للشيخ المجلسي ١١٠ / ٣٤، تحف القبول لأبن شعبة البحراني ٦١، الإحتجاج الطبرسي ٢ / ١٧٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نهج البلاغة ١ / ١٥.

أي من أشار إليه في جهة فقد حدده في تلك الجهة وأخلى منه الجهات الأخرى، ومن حده فقد عده، أي قال هذا واحد أو اثنين أو أكثر، ومن عده فقد أبطل ربوبيته لأن المعدود مركب من المادة والصورة، وكل مركب محتاج وكل محتاج مخلوق، ومن قال فيم، أي في أي مكان فقد ضمنه في مكان، ومن كان في مكان فهو مخلوق محتاج، لأنه المخلوق محتاج إلى مكان وزمان، وكل محتاج مخلوق فقير.

وقوله ﷺ: ((ولا حقيقته أصاب من مثله)).

أي من قال والعياذ بالله تعالى الخالق مثل الهواء أو مثل النور أو علمه القديم مثل علمنا، فما أصاب حقيقة التوحيد لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) فكل شيء من المخلوقات فهو غير الله عز وجل من كل جهة، لأنه قديم وغيره حادث.

قوله ﷺ: ((كنهه تفريق بينه وبين غيره)).

أي حقيقة ذات الجليل عز وجل غير المخلوق في كل شيء، فلا توجد نسبة ومثابته بين الخالق والمخلوق، فهو تعالى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢) فهو تعالى غير خلقه وخلقته مطلقاً، فهو ليس له كفو ومماثل من غيره أبداً.

قوله ﷺ: ((غيره تحديد لما سواه)).

أي لما نقول الخلق غير الله تعالى في كل شيء، قد يتوهم متوهم أن الغيرية تقع على الذات وتحدها، وإذا حددت الذات حيزت، وإذا حيزت يشار إليها، وإذا أشير إليها تكون محدثة، فالغيرية لما نقول الله عز وجل غير الخلق، تقع الغيرية على سواه وهم الخلق، ولا تقع عليه سبحانه، وقد شرح هذه الخطبة المباركة كاملة، المسماة بخطبة التوحيد آية الله العظمى المولى الميرزا حسن كوهر قدس الله نفسه المباركة صاحب كتاب المخازن واللمعان فراجع.

(١) سورة الشورى آية (١١).

(٢) سورة التوحيد آية (٥).

وإياك أن تتوهم أيضاً أن الأنبياء الذين هم أصحاب هذا المقام العظيم، والمنصب الرفيع، خلقهم الله سبحانه كذلك، بلا مقتضى فيهم يكون سبباً لقبولهم، وأنهم وسائر الخلق مساوون في هذه المرتبة، يعني لو أعطي مقام الأنبياء لغيرهم من سائر الناس أيضاً لكانوا أنبياء، لأنه كفر وزندقة والحاد.

إذ الله سبحانه أجل من أن يظلم أحداً ويرجح أحداً بلا مرجح فيه، أو يمنع فيضه من المستحقين، كيف وهو الفياض على الإطلاق؟ وأكرم الأكرمين تعالى ربي وتقدس، بل كما بينا سابقاً خلق الخلق بكمال عدله وحكمته، بمقتضى قابلياتهم وحسب استعداداتهم، ولم يظلم ولم يجبر أحداً، أعطى كل أحد ما يستحقه، وسأله بلسان استعداده، كما أخبر عنه سبحانه في كلامه المجيد بقوله: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧١) ^(١) وإنما وقع الاختلاف بين الخلايق في العوالم الثلاثة وهي الذرات الثلاثة، وإلا قبل كان الناس أمة واحدة فأختلفوا.

الإختلاف الأول في الذر الأول، والعالم الأول، وهو عالم الجبروت بالمعنى، كاختلاف الحروف في المداد، والتكليف في هذا العالم جنسي مبهم.

والاختلاف الثاني بالرقائق، في العالم الثاني، الذي هو الذر الثاني، أسفل من الجبروت وأعلى من الملكوت وبرزخ بينهما، والتكليف فيه نوعي مبين.

والاختلاف الثالث بالصورة في العالم الثالث، الذي هو الذر الثالث، وهو عالم الملكوت، والتكليف فيه شخصي مميز، فمن أجاب أولاً أمر ربه في العوالم الثلاثة، وسبق كل الموجودات كان أقربهم إليه سبحانه، ولما كانت الطفرة باطلة، فأجرى الله سبحانه فيوضاته إلى ساير الموجودات بواسطة من أجابه أولاً فصار هو باباً لله، ورسوله إلى ساير الموجودات، وإلا فنسبته إلى جميع الموجودات على السواء، ليست إلى بعض أقرب من الآخر، تعالى ربي وتقدس عن ذلك ❀.

❀ اختيار الأنبياء ﷺ بمرجح

قد البعض يتصور أن مقام الأنبياء ﷺ أعطوا هكذا، بلا سبب ومرجح لكونهم أنبياء، حيث يظن البعض أن مقام الأنبياء يمكن أن يعطى لغيرهم فيكونون أنبياء، فهذا التصور باطل إذا الأنبياء نالوا ما نالوا بسبب سبقهم للإجابة في عالم الذر الأول والثاني والثالث يبلى على غيرهم من المخلوقات، فلما كان الأنبياء ﷺ هم السابقون إلى الإجابة يبلى في العوالم الثلاثة صاروا باباً لغيرهم في إيصال التكليف لهم، وأيضاً صاروا علة لما تحتهم من الرعايا والأمم، فلو وصل التكليف بدون الأنبياء، أي بدون الوساطة لحصلت الطفرة الباطلة وهي.

معنى الطفرة:

حدوث شيء بدون سبب وعلة له، مثل سقوط المطر بلا سحب، أو تولد الولد بدون أب وأم وهكذا، فلما كان الأنبياء ﷺ هم السابقون في الإجابة أصبحوا أنبياء ومرسلين باختيار من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١) فالجليل سبحانه جعل الأنبياء أنبياء لمرجح وهو سبقهم للتوحيد والعبادة، وأما لو

يترك للناس وحريرتهم في اختيار الأنبياء والأوصياء لأدعى النبوة والإمامة الكل، وهذا الأمر واضح بعد وفاة رسول الله ﷺ لما قال المهاجرون منا أمير والأنصار منا أمير، فلو كان كذلك أي الخلافة بالأهواء واختيار الناس لفسدت السماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧١) (١).

فالخلافة والولاية هي الإمتداد الطبيعي للنبوة، والنبوة من الله تعالى، لأنها الإنبياء عن أوامر الله تعالى للمكلفين، فهي الوساطة والسفارة بين الحق تعالى والخلق، لا تتسنى لكل أحد، فو أعطيت الخلافة لكل أحد كما ادعت لحصل التلاعب في الحلال والحرام، والتصرف في أمور العباد بالظلم والجور والقتل والزنا والسرقة كما عليه أغلب حكام الجور والظلم إلى وقتنا الحالي.

بيد أن الرسالة والولاية هي الناموس الإلهي في الكون في التشريع والتكوين، وهذا لا يكون باختيار الناس مطلقاً.

وهذه الآية المذكورة آنفاً (ولو اتبع الحق لفسدت... أهواءهم) أيضاً هي عامة في كل شيء، بمعنى أنه لو يخير البعض في الدنيا لاختار البعض الظلم والغشم والتسلط على الآخرين على حسب رغبته، يريد البعض أن يزني ولا يعاقب، ويسرق ويملك كل الكرة الأرضية، والآخر يريد نفس الرغبة، وذاك الثالث والرابع إلى ما شاء الله كل يريد ويتمنى ما تمنى الأول، فتعم الفوضى في الكون.

قال شيخ المتألهين الشيخ أحمد الأحسائي رضوان الله عليه في معنى هذه الآية المباركة: ((يعني لو جرى فعل الله على شهوة كل أحد، لأراد شخص دوران الفلك سريعاً، ليذهب الليل والنهار على حسب شؤونه، وأراد شخص أن يلبث ليلتي الليل والنهار على حسب شؤونه، وأراد آخر أن يكون الأطول هو الليل، والأقصر هو النهار، أو لا يكون نهار أصلاً، وأراد آخر بالعكس، وأراد شخص أن يمطر على الأرض في الليل، وينبت في النهار، وأراد عدوه العكس وهكذا، فتفسد السماوات

(١) سورة المؤمنون آية (٧١).

والأرض، ولو أراد شخص أن يضعف ضده وعدوه، أو يهلكان، وأراد أن يضعف هو أو يهلك، فيفسد من فيهن، لأنه إن اتبع التكوين وما يتوقف عليه من الحق عليه إرادة واحد دون آخر، لزم الترجيح بلا مرجح، وإن اتبع إرادات جميع الخلق، وهي مختلفة لزم ما ذكرنا وأمثاله، فرد سبحانه عليهم بما فيه الحق الذي به قوامهم وقوام نظامهم، فقال: ﴿بَلْ أَيْنَبْتُهُمْ بِيَدِهِمْ﴾^(١).

أي بما ذكرناهم، أو بما ذكرنا به من السؤال قوابلهم من كونهم مذكورين بما هم عليه، أو ذاكرين لما هم عليه، يعني آتيناهم بما هم عليه من التكوينات الوجودية وتشريعاتها، ومن التشريعات الكونية ووجوداتها ﴿فَهَمَّ عَنْ ذِكْرِهِمْ﴾.

أي عن ذكرنا إياهم بما هم عليه، وما يقتضي من التكاليفات، وعن ذكرهم إيانا بسؤالهم بقوابلهم لما هم عليه، وما يقتضي ذلك من التكاليف، وعن شرفهم وتشريفنا إياهم بما فيه نجاتهم مما يكرهون، وفوزهم بما يريدون ويطلبون، ولكنهم لا يعلمون ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

يعني عن ذكرنا لهم بما هم عليه، مما فيه فوزهم بما يحبون، وعن ذكرهم أنفسهم بما يشتهون، وهم لا يعلمون، لأنهم يشتهون ما تشتهيه أنفسهم، والذي ما تشتهيه أنفسهم على الحقيقة هو ما آتيناهم به، وذكرناهم به، وأما ما يشتهون الآن ليس شهوة لأنفسهم في نفس الأمر، وإنما زين لهم بإغواء الشيطان، حتى توهموا أنه مطلوب حسن وهو قبيح.

انظر مثلاً إلى الزنا، فإنه في نفس الأمر ليس حسناً، بل هو قبيح، وكيف زينه إبليس عند الزاني، وإذا أردت أن تعرف قبحه، فافرض وقوعه من الأجنبي بأحد محارمك لتعرف قبحه^(٢).

شرح كلام الشيخ أحمد في السفارة

معنى كلامه رضوان الله عليه أن الله عز وجل خلق الخلق على حسب طلبهم في

(١) سورة المؤمنون آية (٧١).

(٢) شرح الفوائد للشيخ أحمد الأحساني ١٧١ / ٢.

الشرع الوجودي، من مراتب السلسلة الطولية كل على حسب إجابته، أولهم الأنبياء ثم المؤمنون ثم الملك ثم الجن ثم الحيوان والنبات والجماد، ثم خلق عكوسات السلسلة الطولية من الكفار من الإنس والجن إلى آخرها.

وخلق بالخلق الثاني حقائقيهم بالوجود الشرعي، فما قبل التكليف خلق من عليين، ومن أنكر التكليف بقوله بنعم خلق من سجين، ففي أصل تكون المخلوقات، كل خلق على حسب طلبه وذكره من الله تعالى، أن يخلق بالكيفية التي يريدتها ويختارها من الخير والشر.

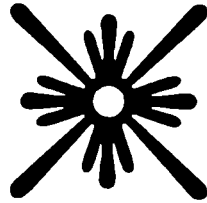
ولما نزلوا إلى عالم الجماد البرودة واليبوسة، نسوا ما اختاروا من المقام الذي طلبوه من الله تعالى وأعطاه إياهم بطلبهم، والله سبحانه وتعالى خلق الكون بالنظام الطبيعي، والعدل الإلهي الذي لا خلل فيه، والحكمة المتناهية في الدقة كل على حسب طلبه من الله تعالى، فلو يؤخر ما شأنه التقديم، أو يقدم ما شأنه التأخير، تفسد السماوات والأرض، هذا يريد أن يكون ليلاً دائماً، وذاك يريد نهائياً دائماً كل على حسب مصالحه، فالخلائق في الدنيا عما اختاروا في بداية خلقهم معرضون غافلون عنه، ناسون له، قال مولانا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ((ثبتت المعرفة في قلوبهم، ونسوا الموقف، وسيذكرونه يوماً ما))^(١).

لذا لو يكشف عن أبصارهم عما اختاروا وذكره من الله تعالى وذكرهم به، أي خلقهم على حسب ذكرهم لما اختاروا في الدنيا إلا ما اختاروه من قبل بلا زيادة ونقص، فالذي اختار السرقة هناك يختارها هنا، وكذا الطاعة، والشيخ أحمد الأحسائي أتى بمثال للاختيار في بدء الخلقة ثم الإعراض عنه في الدنيا بمثال الزنا، فإنه قبيح في نفس الأمر، ولكن الزاني حينما يريد الزنا الشيطان يزين له الزنا ويغفل عن قبحه، ولكن إذا التفت أن يزني أجني بمحارمه علم قبحه وإساءته.

كذلك اختيار البعض لأمر النبوة، إذا التفت إلى حب الرياسة والوجاهة

(١) المحاسن لأحمد بن محمد البرقي ١ / ٢٤١، علل الشرائع للشيخ الصدوق ١ / ١١٨ مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلبي ١٦١، البحار ٣ / ٢٨٠.

والأموال والشهوات يقتتل عليها، وإذا نظر بعين البصيرة أن الولاية هي سفارة الله تعالى وهي الإنباء عن أوامره والإنتهاء عن نواهيه، وهي اختيار من الله عزَّ وجلَّ يتردد فيها، ويعلم حقارته وجهله لأتفه المسائل، ولكن حب الرياسة والدنيا تمنعه عن الاعتراف بغيره من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام مثل الزاني حينما يلتفت إلى هتك محارمه من الأجنبي والعياذ بالله تعالى.



فالأنبياء سلام الله عليهم هم أول من أجابوا، وأممهم آخر من أجاب، فلا يمكن أن يصل المدد والفيض إلى الأمم بغير توسط أنبيائهم، ومحال أن يكون مرتبة النبي لأحد من أمته، وأن يصلح غيره عليه السلام من أفراد أمته لهذا الأمر العظيم، والشأن الجليل، والرياسة الكبرى، وإلا لزم أن يتجاوز الشيء الإمكان الذي هو حده، وعدم صحة قوله تعالى في التأويل: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) ﴿١﴾.

ولزم أيضاً الطفرة في الوجود، وتقديم المؤخر وتأخير المقدم، ولزم أيضاً أن يكون للسافل حكم على العالي، ولزم أيضاً تقديم المفضول على الفاضل، وهو ﴿مِن﴾ أشنع الأقوال، وأقبح الاعتقاد، والله سبحانه لهذه الجهة رد قول جماعة من أهل الضلال الذين قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (٢).

يعني: لن نؤمن بالله ولن نقر بالوحدانية والألوهية، حتى نؤتى من العلوم والمعارف وخوارق العادات، مثل ما أوتي رسول الله ﷺ من الولاية العظمى، والرياسة الكبرى، فرد الله قولهم بقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (٣). وأخبر سبحانه أيضاً عن حال جماعة ادعوا هذا المنصب الجليل، بقوله في سورة الأنفال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٤).

(١) سورة الصافات آية (١٦٤).

(٢) سورة الأنعام آية (١٢٤).

(٣) نفس المصدر.

(٤) سورة الأنفال آية (٢٣).

الحاصل كيف يكون ويحصل رتبة النبوة لكل أحد من آحاد الخلق؟
ومن اطلع على حقيقة الأمر، علم أنه من جملة الممتنعات التي لا يمكن
تصورها، بل ليس لأحد رتبة الآخر، وإلا لكان ذلك، وفي تمام الوجود
لم يكن اثنان متساويين كظاهريهم، إما مقدم أو مؤخر، والتساوي لا يمكن
كما لا يخفى لأولي الإبصار ❁.

❁ كل له مقام معلوم

كما تقدم الكلام أن النبوة لا تصلح لغير النبي بل باختيار من الله تعالى، فلو
فرض أن يكون العامي نبياً لزم تجاوز حد الشيء من المعلول إلى العلة، والأثر إلى
المؤثر، لأن الأنبياء هم علة لما تحتهم من الرعية وأممهم، فلو كان العامي نبياً لزم
إنقلاب الحقائق من كون المؤثر أثراً والمعلول علة وهذا خلف.

مع العلم أنه تبارك وتعالى يقول بقول عام لكل مخلوق من المخلوقات ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا
لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) ❁^(١) فالعقل والنقل يمنع تقدم المعلول على علته والأثر على مؤثره.

وثانياً: يلزم الطفرة في الكون، وهو كون الأثر بلا مؤثر، والمعلول بلا علة
وهذا باطل أيضاً.

وثالثاً: يلزم تقدم المؤخر وهو المعلول على المقدم وهو العلة، كتقدم الأشعة
على السراج.

رابعاً: يلزم أن يكون السافل له حكم على العالي، مثل أن يحكم النور الأثر
على مؤثره وهو السراج بالإنطفاء، أي تأمر الأشعة السراج بالإنطفاء فينطفى، وهذا
باطل أيضاً عقلاً و عرفاً.

خامساً: يلزم تقدم المفضول على الفاضل كما تقوله المعتزلة، وهذا باطل عقلاً
و عرفاً قبل الشرع، فدليلة التعصب والعناد لا غير.

لذا بعض المنافقين قالوا لن نؤمن برسول الله ﷺ حتى يعطينا الله تعالى ما أعطى رسوله ﷺ من العلوم والوحي والمعاجز بقوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾^(١) فرد عليهم سبحانه بأن هذا الأمر راجع إليه ومن اختياره تعالى، لأنه أعلم بالخلائق من غيره، لأنه خالقهم فهو أعرف بهم بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٢) وأخبر أيضاً سبحانه أن النبوة ليست لكل أحد، لأن الكل ليست عندهم القابلية للوحي، فلو أوحى إلى بعض عوام الناس وخالف الوحي هواه وشهواته تولى واعرض عن وحي وأمر الله عز وجل، بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٣).

وهذا واضح تجد الأكثر إذا رأى الحق يخالف مصالحه وشهواته يعرض عنه، بل يحارب الحق وينصر الباطل، فليست النبوة وحدها لا تصلح لغير نبي، بل كل مخلوق لا يصلح لمخلوق آخر في طبيعته وعقيدته وقابليته وفكره وعلمه، وهذا معروف أن كل فرد من البشر له بصمات غير الآخر وصفات ظاهرية وباطنية غير الآخر.

(١) سورة الأنعام آية (١٢٤).

(٢) نفس المص.

(٣) سورة الأنفال آية (٢٣).

ولا تعتنى بما تسمع من بعض الصوفية حيث يقولون: إن الأنبياء لن يصلوا هذا المقام إلا بالرياضات الصعبة، والمجاهدات النفسانية، والأعمال الصالحة، والاعتزال من الخلق بالمرة، والتوجه إلى الحق بالكلية، ففعلوا ما ذكر حتى قويت فيهم جهة الرب، وزالت واضمحلت جهة النفس ❁.

❁ زخرفة الصوفية في النبوة

الصوفية من مذاهب العامة، وسموا الصوفية لأنهم كانوا يلبسون الصوف في الصيف والشتاء، لذا بنى مذهبهم على التقشف وترك ملذات الدنيا التي أحلها الله عز وجل، لذا ورد النهي عن التصوف والتقشف وترك الحلال والسعة، كما روى عن أبي ذر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ((يا أبا ذر يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم، يرون أن لهم الفضل بذلك على غيرهم، أولئك يلعنهم ملائكة السماوات والأرض))^(١).

لذا لما ولى المأمون الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ((قال له الصوفية: إن المأمون قد رد هذا الأمر إليك، وأنت أحق الناس به، إلا أنه تحتاج أن يتقدم منك تقدمك إلى لبس الصوف، وما يحسن لبسه، فقال: ((ويحكم إنما يراد من الإمام قسطه وعدله، إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾))^(٢).

إن يوسف عليه السلام لبس الديباج المنسوج بالذهب، وجلس على متكآت آل فرعون))^(٣).

(١) أمالي الشيخ محمد الطوسي ٥٣٩، البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ٧٤ / ٩١.

(٢) سورة الأعراف آية (٣٢).

(٣) البحار لشيخ المجلسي ٦٧ / ١١٨.

ففي اعتقادهم أن لبس الصوف، وأكل الجشب ولبس الخشن، هو الدين والإيمان، فأخبرهم الإمام عليه السلام أن الإمامة غير ما تتصورون من توافه الأمور، فالصوفية من جانب يظهرون العبادة والأذكار ولبس الصوف والزهد في الدنيا، ومن جانب آخر يعملون عمل الفاسقين الماجنين من الرقص والغناء واللهو.

يروى الشيخ الكراجكي قدس الله روحه في كنز الفوائد قال: ((لقد اضطرت يوماً إلى الحضور مع قوم من المتصوفين، فلما ضمنهم المجلس أخذوا فيما جرت به عادتهم من الغناء والرقص، فاعتزلتهم إلى إحدى الجهات، وانضاف إليّ رجل من أهل الفضل والديانات، فتحدثنا ذم الصوفية على ما يصنعون، وفساد أغراضهم فيما يتناولون، وقبح ما يفعلون من الحركة والقيام، وما يدخلون على أنفسهم في الرقص من الآلام، فكان الرجل لقولي مصوباً، وللقوم في فعلهم مخطئاً، ولم نزل كذلك إلى أن غنى مغني القوم هذه الأبيات:

وما أم مكحول المدامع ترتعي	تري الأنس وحشاً وهي تأنس بالوحش
غدت فارتعت ثم انتشت لرضاعه	فلم تلف شيئاً من قوائمه الخمش
فطافت بذاك القاع ولها فصادمت	سباع الفلا ينهشنه أيما نهش
بأوجع مني يوم ظلت أنامل	تودعني بالدر من شبك النقش

فلما سمع صاحبي ذلك نهض مسرعاً مبادراً، ففعل من القفز والرقص والبكاء واللطم ما يزيد على ما فعله من قبله، ممن كان يخطئه ويستجهله، وأخذ يستعيد من الشعر ما لا يحسن استعادته، ولا جرت عادتهم بالطرب على مثله، وهو قوله:

فطافت بذاك القاع ولها فصادفت	سباع الفلا ينهشنه أيما نهش
------------------------------	----------------------------

ويفعل بنفسه ما حكيت ولا يستعيد غير هذا البيت حتى بلغ من نفسه المجهود، ووقع كالمغشي عليه من الموت، فحيرني ما رأيت من حاله، وأخذت أفكر في أفعاله المضادة، لما سمعت من أقواله، فلما أفاق من غشيته لم أملك الصبر دون سؤاله عن أمره، وسبب ما صنعه بنفسه مع تجهيله من قبل لفاعله، وعن وجه استعادته من الشعر ما لم تجر عادتهم باستعادة مثله، فقال لي: لست أجهل ما ذكرت، ولي عذر واضح

فيما صنعت، أعلمك أن أبي كان كاتباً، وكان بي برأ وعلي شقيقاً، فسخط السلطان عليه فقتله، فخرجت إلى الصحراء لشدة ما لحقني من الحزن عليه، فوجدته ملقى والكلاب ينهشون لحمه، فلما سمعت المغني يقول:

فطافت بذاك القاع ولها فصادمت سباع الفلا ينهشنه أيما نهش
ذكرت ما لحق أبي، وتصور شخصه بين عيني، وتجدد حزنه علي، ففعلت الذي
رأيت بنفسي. فندمت حينئذ على سوء ظني به، وتغممت له غماً لحقه واتعظت
بقصته))^(١).

انظر إلى مذهبهم في الإفراط والتفريط، والعجب العجاب أن البعض من يعتقد بعقائدهم فلا حول ولا قوة إلا بالله، عصمنا الله تعالى وإياكم من مهاوي الفتن، وزلل الأقدام، وخطر الأوهام، وثبتنا الله تعالى بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة بمحمد وآله الأطهار عليهم صلوات الملك الجبار أمين رب العالمين.

النبوة عند الصوفية بالرياضات

فلا عجب أن يعتقد الصوفية من أن الأنبياء ﷺ لا يكونون أنبياء إلا بالرياضة النفسية والعبادة، ولبس الصوف والتكشف عن الدنيا، بعدما ذكرنا من أعمالهم القبيحة من الرقص والغناء، وما ذلك إلا ليمنون أنفسهم بالنبوة والخلافة، فيقولون أن النبي يصل درجة النبوة بالأعمال الصالحة والرياضة النفسية، والتوجه إلى الله تعالى إلى غير ذلك، إلى أن يصلوا من العبادة إلى الفناء في الله عز وجل، ومعنى الفناء أن لا يكون لوجودهم أثر إلا الله، وعلى ذلك اعتقدوا بوحدة الوجود، أي وجودهم هو عين وجود الباري عز وجل والعياذ بالله، كما تقدم الكلام عليه من قبل.

ثم بعد حالة الفناء تحصل لهم حالة البقاء بالله، أي يفعلون من خوارق العادات بالله تعالى، ويسمون هذه المرحلة مرحلة الصحو بعد السكر، والبقاء بعد الفناء،

(١) الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٧ - ص ١١٩ - ١٢١، كنز الفوائد لأبي الفتح الكراجكي

الفصل الثاني [ليس بين الله تعالى وبين الأنبياء نسبة] ٢٧

والوجود بعد العدم، ثم بعد ذلك يسافرون من الحق إلى الخلق لتعليم الناس وإرشادهم مثل وظيفة الأنبياء ﷺ ففي هذه المرحلة والسفر كل أعمالهم بالحق من السمع والبصر والحركة، فيرون في الخلق بالحق، فالسفر من الحق إلى الخلق هي النبوة عندهم، والسفر في الخلق بالحق أنهم يفعلون بالله عزَّ وجلَّ.

وأيضاً قوا جهة الرب بالإعمال الصالحة المرضية، والتوجهات الحقيقية، وأزالوا بها جهة النفس بالكلية، حتى اندكت جبال الأنية، وانهدمت بنيان الماهية، فلم يروا أنفسهم بالكلية، ولما لم يروا أنفسهم رأوا الحق بأنفسهم، وأعترتهم حالة الفناء في الله، والسفر بالحق في الحق، وبقوا في هذا المقام ما شاء الله، فحصلت لهم حالة البقاء بالله، الذي هو مقام الصحو بعد السكر، والبقاء بعد الفناء، والوجود بعد العدم، فيسافرون لإكمال الناقصين، وإتمام القاصرين، من الحق إلى الخلق، فيرون في الخلق بالحق، ويسمعون بالحق، ويعلمون بالحق، وهو سفر من الخلق إلى الحق، وسفر في الخلق بالحق.

وهذه المراتب الأربعة يسمونها بالأسفار الأربعة^(١) وقوسي الصعود والنزول أيضاً، ويقولون: إن الشخص إذا طوى هذه المراتب الأربع كان رسولاً، وبعد الانتفاع من الرسالة كان ولياً، يقولون: إن الرسالة أدنى مرتبة من الولاية، وحتى أنني سمعت من بعض، نقل أنه سمع من رجل من

(١) حول الأسفار الأربعة المعنوية اعلم أن للإنسان غير هذه السفرة المادية، سفرة معنوية، وهذه السفرة في لحاظ واعتبار تنقسم إلى أربعة: الأولى: من الخلق إلى الحق، وبدايته من النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين، وهو نهاية مقام القلب ومبدأ التجليات الأسماوية. الثانية: هو السير في الله - بالاتصاف بصفاته والتحقق بأسمائه - إلى الأفق الأعلى ونهاية الحضرة الواحدية. الثالثة: هو الترقى والسير إلى عالم الجمع والحضرة الأحدية، وهو مقام «قاب قوسين»، فلا تبقى الاثنينية، فإذا يطلع مقام «أو أدنى»، وهي نهاية الولاية. الرابعة: هو السير بالله من الله إلى الخلق للتكميل، وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع. . . . تفسير القرآن للسيد مصطفى الخميني ٢ / ٤٩ .

الصوفية ﴿يَقُولُ﴾ : إن الرسالة حيض الرجال •

• الأسفار الأربعة

الأسفار الأربعة هي :

((أن السفر من الخلق إلى الحق .

السفر من الحق إلى الحق مع الحق .

السفر من الحق إلى الخلق مع الحق .

السفر من الخلق إلى الخلق مع الحق))^(١) .

وهذه الأسفار الأربعة ليست مروية عن المعصومين عليهم السلام بالخصوص والتسمية، نعم معانيها ومضمونها مروية عن أئمة الهدى عليهم السلام لذا حصل الخلط والغلط والانحراف عن الصراط المستقيم، فيها من مصيب ومن مخطئ، وما أكثر المخطئ من المصيب، فلأجل إيضاح الأمر جلياً للقارئ الكريم من المصيب والمخطئ، في معنى الأسفار الأربعة، لكونها غير منصوطة بالخصوص، ولكن جرت عليها الفلاسفة، ويجدر بنا أن نذكر الطرفين ما قال آية الله العظمى المؤلف السيد كاظم الرشتي المؤلف، وما قاله غيره في الأسفار الأربعة والحاكم الكتاب والسنة .

لذا قال السيد المؤلف في المتن : ((الحاصل ما قالوه بإجماله صحيح)) أي إن معنى الأسفار الأربعة بالإجمال صحيح، ولكن تفصيل هذا الإجمال على حسب معتقدات البعض، وتأويل الشرع على حسب آرائهم هو الخطأ .

الأسفار الأربعة عند القوم

فأولاً نبداً بما ذكر القوم في معنى الأسفار الأربعة، كما أوجزها آية الله الشيخ منتظري، قال : ((الأسفار الروحية والمعنوية الأربعة لدى الإنسان الكامل ذكر أهل

(١) من المبدأ إلى المعاد في حوار بين طالبين للشيخ المنتظري ٩٠ .

المعرفة للإنسان الذي له قابلية السلوك المعنوي الاختياري، بفعل توفر شروط التكامل في بنيته الوجودية، أسفاراً روحية ومعنوية أربعة:

١ - ((السفر من الخلق إلى الحق))

حيث يبادر إلى إزاحة جميع الحجب المانعة عن رؤية الحق سبحانه واحداً بعد واحد، سواء كانت الحجب ظلمانية، كالتعلقات الحيوانية، من قبيل الشهوة والغضب والوهم، أو نورانية كالعلوم المكتسبة الرسمية والوسائط الغيبية من الملائكة، فيشاهد حضرة القدس والوجود اللا متناهي للحق بتمام وجوده، ويفنى في ذات الحق ويفضل عن جميع ما سواه حتى عن نفسه، ويقع في مقام ((المحو الكلي))، فيكون وجوده في هذه المرحلة حقانياً، ويكون الله كل شيء بالنسبة إليه. وعلى أثر اتصاله بالحق يقوم بإنجاز جميع الأعمال بواسطته، ويغدو مستجاب الدعوة.

٢ - ((السفر من الحق إلى الحق مع الحق))

حيث يخرج بتوفيق الله من حالة ((المحو)) و((الغفلة)) إلى مقام ((الصحو)) النسبي، فيحاول الاتصاف بما شاهده من صفات الحق الكمالية، ويجعل خلقه خلقاً ربانياً، فإن نجح في التحلي بجميع صفات الله وأسمائه سوى الاسم المستأثر والمختص بالحق، غدا هو اسم الله الأعظم ومظهر اسم الله الجامع، وفي هذا السفر يصل الارتباط بالله والقرب الذي لم يكن ناضجاً في السفر الأول، إلى حد الكمال.

٣ - ((السفر من الحق إلى الخلق مع الحق))

حيث يتجه بأمر الله نحو عالم المادة مع محافظته على ما حصل عليه من الكمالات في سفرته الأولى والثانية، ويخرج من حالتي ((المحو)) و((الصحو الناقص)) ويعود إلى حالة ((الصحو التام والكمال)) ويلتفت إلى جميع نظام الوجود، وينال في هذه المرحلة شيئاً من ((النبوة)) إلا أنها ليست نبوة تشريعية، وإنما هي مجرد إخبار عن عالم العيب وتسمى نبوه تعريبيه.

٤ - ((السفر من الخلق إلى الخلق مع الحق))

حيث يسير بين الخلق وعالم المادة، مع الحفاظ على المراتب السابقة، فينظر في مصالح الأشياء وأفعال الإنسان ومفاسدها، ومنافعها وأضرارها، فيغدو بإمكانه إستلام الأوامر الإلهية عن طريق الوحي، فيأمر وينهى على أساس تلك المصالح والمفاسد، وهذا هو ما يسمى بـ ((النبوة التشريعية)) أو ((الرسالة)). ولا يخفى أن الأفراد يختلفون في هذه الأسفار من حيث السرعة والبطء، والتحلي بالصفات الكمالية الإلهية، فمنهم من يصل إلى الحد الأعلى، بينما يرزح الآخر في مرتبة أدنى. والأنبياء ﷺ - بفعل قابليتهم واستعدادهم الخاص ورعاية الله بعد إكمال هذه الأسفار المعنوية - يتلقون بالوحي المنهج الضروري لتنظيم حياة الناس الاجتماعية وتكاملهم الروحي من مصدر علم الله اللا متناهي، ويقومون بتبليغها^(١).

انظر إلى قوله: ((ويفنى في ذات الحق)) وهذا من وحدة الوجود والعياذ بالله تعالى، بمعنى يكون الخلق حقاً والعياذ بالله تعالى، وقوله: ((وهذا هو ما يسمى بـ ((النبوة التشريعية)) أو ((الرسالة)).

(١) من المبدأ إلى المعاد في حوار بين طالبين للشيخ المتظري ٩٠.

الحاصل ما قالوه بإجماله صحيح، لكن لم يعلموا أن هذه الأسفار الأربعة، تكمل الإنسان وتوصله إلى كمال وحد، يتصور في حقه بالنسبة إلى الرتبة ﴿الَّتِي﴾ هي له، ولا تجعله كاملاً مطلقاً، لأننا ذكرنا في رسائلنا، وأثبتنا أن الوجود صاحب مراتب وأوضاع، والحق سبحانه يتجلى له بحسب تلك المرتبة، فرتبة فناء في الله، وبقاء بالله في الأشخاص متفاوتة، حتى للنملة أيضاً هذه المراتب، ولذا ترقى وصعدت إلى مقام نفسها، عرفت أن لله زبانتين، نعم الذي قطع هذه المراحل كان أكمل ممن لم يقطعها، لكن لم يكن كاملاً مطلقاً.

أما ترى أن الحيوان لم يكن نبياً على الإنسان، وكذا الحشرات على الحيوانات، والنباتات على الحشرات، والجمادات على النباتات، والحال أنه لكل واحدة منها [لها هذه] المراتب الأربعة المذكورة، وهكذا أيضاً بعينه حال الإنسان بالنسبة إلى الأنبياء، إذ سائر الناس كلاً خلقوا من شعاعهم، ونسبة ساير الناس إليهم ﷺ مثل الشمس إلى شعاعها، والشعاع إلى ظله وهكذا، فمن حصل له قطع المسافة الباطنية لا يصل إلى رتبة الأنبياء أبداً، وإن صفى قلبه منتهى الصفاء.

إذ النبي ﷺ هو من كان في المرتبة الأولى من الوجود، وقطع الأسفار الأربعة، وإن كانوا في قطع المسافة متساويين، لكن الأنبياء في المرتبة أعلى ❀.

❀ رأي المؤلف في الأسفار الأربعة

قال المؤلف آية الله العظمى السيد كاظم الرشتي في المتن، أو في بعض رسائلنا ذكرنا بعض هذه المراتب، وشرائط السفر بالإجمال.

فذكر بيان الأسفار الأربعة في كتابه شرح القصيدة لعبد الباقي العمري رحمته الله ، حيث قال : ((اعلم أن الخلق بأجمعهم سائرون ومسافرون إلى المبدأ ، وسيره منحصر في أربعة أسفار :

السفر الأول

من الخلق إلى الحق ، وهو سفر كثير الأخطار ، بعيد المنال ، صعب المراحل ، وكليات منازل ألف ألف ، وهو السير بقدم التوجه والإقبال ، للصعود إلى العوالم الإلهية التي قد نزل منها ، من عالم الأعراض ، إلى عالم الأجسام الثانوية ؛ إلى الأجسام الأولية ، إلى قطر كان ضالع الدنيا فيه سرطان ، والكواكب في إشرافها إلى وقت الظهير في بدو كون الجسماني عند تقدم النهار على الليل ، قبل حصول الآفاق المائلة ، وتحقق المشارق والمغارب ، والمغربين والمشرقين ، إلى وراء جبل قاف ، ومشاهدة الأربعين الشمس والقمر ، وأفلاكها وحواملها وتداويرها وألوانها وطبائعها وأنظار كواكبها ، واختلاط أمزجتها ، وأقطابها ودوائرها وأكوارها إلى عالم جابلقا وجابرصا وهورقليبا ، بعد السير في أطوار الجزيرة الخضراء ، إلى الجنتين المدهامتين ، ومشاهدة تلك العوالم ، والمقامات بالأثر والعين ، إلى عالم المثال ، ومبدأ الخيال ، البرزخ بين الغيب والشهادة ، والظهور والكمون ، والخفاء والبروز ، وهو قوله تعالى : ﴿وَمِمَّا يَرِثُونَ﴾^(١) إلى عالم المواد ، وينبوع الأجسام ، والأجسام إلى عالم الطبيعة مثال الحقيقة إلى عالم النفوس إلى عالم الأرواح إلى عالم العقل المنخفض ، والعقل المستوي ، والعقل المرتفع ، إلى الوجود المنبسط ، إلى الوجود المطلق ، إلى الآيات والعلامات من قوله تعالى : ﴿سَرُّيَهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٢) إلى الأسماء والصفات ، وظهور التجليات ، إلى الاسم الأعظم الأعظم الأعظم ، إلى الذكر الأعلى الأعلى الأعلى وهنا منتهى السفر الأول .

(١) سورة النحل آية (٦٨) .

(٢) سورة فصلت آية (٥٤) .

السفر الثاني

السفر في الحق بالحق، وهو الفناء والبقاء، والسكر والصحو، وكشف سبحات الجلال من غير إشارة، ومحو الموهوم وضحو المعلوم، وهتك الستر لغلبة السر، وجذب الأحدية لصفة التوحيد، والأحدية المحضة، والغيب المطلق، مقام القدس، وسر الأنس، وأصل المحبة بك مقام المحبوب وحجب المحبة.

وهنا مقام محو ذكر الغير بالمرة، والدخول في لجة بحر الأحدية، وطمطمم يم الواحدية، بلا اسم ولا رسم ولا إشارة ولا عبارة وهو الموطن الأصلي، وغاية قصد الطالبين، ومتهى رغبة الراغبين.

السفر الثالث

من الحق إلى الخلق، وهو الصحو بعد السكر، والسكر بعد الصحو، والبقا بعد الفناء، والوجود بعد العدم، والوجدان بعد الفقدان، أو العدم بعد الوجود، والفقدان بعد الوجدان، وفي هذا السفر تمر بالعوالم التي مر عنها ويشاهدها، وينظر إليها، من حيث إشراف المبدأ عليها، وإحاطته في سيره فيها وإليها، وهو في كل عالم ناظر إلى أطواره وأكواره وأدواره وأوطاره، بجميع مالها ومنها وإليها، وفيها، وبها وعنها، وعليها وعندها، كل ذلك على جهة المشاهدة والإحاطة حسب مقامه ومرتبته.

السفر الرابع

السفر في الخلق بالحق وهو في الخلق بعين الحق، وهو قطب الوجود، والناظر في الغيب والشهود، وهو الذي قال تعالى فيه في الحديث القدسي: ((وكنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبتة، وإن سألتني أعطيتة، وإن سكت ابتدأته))^(١).

وهو القرية الظاهرة للسير إلى القرى المباركة التي أمر الناس بالسير فيها ليالي

(١) الكافي للشيخ الكليني ٢ / ٣٥٢، المحاسن ١ / ٢٩١، الوسائل للحر العاملي ٤ / ٧٢.

وأياماً آمنين، وهذا السائر في هذا السفر عين الله الناظرة، ويده الباسطة، وهو الإنسان الكامل، والولي الذي يرجع إليه المفضل والفاضل^(١).

فمفاد هذه الأسفار كله مروى عن المعصومين عليهم السلام وكتاب الله عز وجل، فما تجد فيها ما يخالف الكتاب والسنة من حيث المضمون، أي لا ترى فيها رأي فاسد كوحدة الوجود كما عليه الأكثر، أو مخالف لضرورات الإسلام والإيمان.

فالسفر الأول عبارة عن إكمال قوس الصعود من عالم الجسم المادة إلى مقام قاب قوسين، ومقام قاب قوسين لكل أحد على حسب رتبته، حتى يصل إلى معرفة نفسه أي النفس الناطقة القدسية، التي قال عنها أمير المؤمنين عليه السلام: ((من عرف نفسه فقد عرف ربه))^(٢) أي عرف ربه بظهوراته وبآياته في نفس العبد، لا رأى ربه العياذ بالله الذات المقدسة تعالى ربي عن ذلك علواً كبيراً، هذه المرتبة هي رتبة اليقين الذي أشار إليه الباري جل جلاله: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٣).

وأما بعض الاصطلاحات التي ذكرها فتحتاج إلى المشاهدة والوصول إلى تلك الرتبة.

والسفر الثاني بيان حديث كميل بن زياد النخعي، عن أمير المؤمنين عليه السلام لما سأله عن الحقيقة.

حيث قال كميل: ((يا أمير المؤمنين ما الحقيقة؟).

فقال: مالك والحقيقة؟.

فقال: أولست بصاحب شرك يا أمير المؤمنين؟.

فقال: بلى أخاف أن يطفح عليك ما يرشح مني.

فقال: أو مثلك من يخيب سائلاً.

(١) شرح القصيدة لعبد الباقي العمري ٥.

(٢) شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام للشيخ ميثم البحراني ٧٥، البحا للشيخ المجلسي ٩١ / ٥٨.

(٣) سورة الحجر آية (٩٩).

فقال : الحقيقة كشف: سبحات الجلال من غير إشارة .

فقال : زدني فيه بياناً يا أمير المؤمنين .

فقال : نفي الموهوم مع صحة المعلوم .

فقال : زدني فيه بياناً .

فقال : هتك الستر لغلبة السر .

فقال : زدني فيه بياناً .

فقال : جذب الأحدية لصفة التوحيد .

فقال : زدني بياناً .

فقال : نور يلمع من صبح الأزل، فيظهر على هياكل التوحيد آثاره .

فقال : زدني فيه بياناً .

فقال : أطفئ المصباح، فقد أضاء المصباح))^(١) .

في رواية أخرى ((محو الموهوم وصحو المعلوم، ونور أشرق من صبح الأزل، أطفئ السراج فقد أضاء الصبح))، فهذه المراحل مروية عن الإمام عليه السلام، وكل مرحلة يحس بها السائر إلى الله عز وجل .

وأما السفر الثالث فهو عبارة عن البقاء بعد الفناء، يعني بعد فناء الغير والآنية وكل شيء ما سوى الله عنه بعدم الالتفات، بحيث لا يلتفت إلا إلى الله سبحانه وتعالى حينذاك كما قال تعالى : ﴿ كَرَّابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْتَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(٢) وإذا وصل هناك يرى أن بقاءه بيد الله تعالى وحده وكل ما سواه لا يجده شيئاً كما لبيد بن ربيعة .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

(١) نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري /١ - ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢) سورة النور آية (٣٩) .

وأما السفر الرابع

بعد إكمال الأسفار الثلاثة والتخلق بأخلاق الله تعالى، تظهر عليه آثار القرب من الله تعالى، كما في الحديث يكون سمعه وبصره ويده، أي يسمع بالله تعالى ما لم يسمع غيره، ويبصر ما لم يبصر غيره، ويقوي ما لم يقو غيره، ويكون مظهراً للكرامات والآيات كما عليه الكملون كسلمان وأبي ذر ورشيد الهجري وغيرهم، نفعنا الله بحبهم في الدنيا، وشفاعتهم في الآخرة آمين يا رب العالمين.

قول المؤلف السيد كاظم أعلى الله مقامه ((وهو الإنسان الكامل)) في رتبته خاصة لا مطلقاً، أي لا يكون نبياً أو رسولاً أو وصياً، بل يكون كاملاً في رتبته لا كاملاً مطلقاً، لأن الإنسان الكامل المطلق كما قال مولانا آية الله الإمام الصلح والعبد الصالح المولى الميرزا حسن الأحقائي قدس الله نفسه: ((الإنسان الكامل الحقيقي المطلق هو مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والصديقة فاطمة الزهراء والأئمة من ذريتهما عليهما السلام))^(١) بمعنى أنه لم يحقق الإنسان الكامل المطلق إلا محمد وآل محمد عليهم السلام لا غير لأن الإنسانية صفة التوحيد.

كما روي عن مولانا الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((إن الصورة الإنسانية أكبر حجة على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كل غائب، وهي الحجة على كل جاحد، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار))^(٢).

فهذه الصفات لا تصلح إلا لمحمد وآل محمد عليهم السلام، فالناس الحقيقيون هم عليهم السلام كما روي عن الإمام الباقر عليه السلام ((نحن الناس)).

(١) من خطب الإمام المصلح آية الميرزا حسن الأحقائي.

(٢) جامع السعادات للشيخ محمد مهدي النراقي / ١ / ١٨٠، شرح الأسماء الحسنى للملا هادي السبزواري / ١ / ٦٢، مجموعة الرسائل للشيخ لطف الله الصافي / ١ / ٥٠، التعليقة على الفوائد الرضوية للقاضي سعيد القمي ٥٣.

فكل شيء من الموجودات له كمال على حسب مقامه ورتبته، له فناء في الله تعالى، وبقاء بالله تعالى، كما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام ((ولعل النمل الصغار تتوهم أن لله زبانيتين فإن ذلك كمالها، ويتوهم أن عدمهما نقصان لمن لا يتصف بهما))^(١).

فكل رتبة دنيا لا يمكن أن تكون لها ولاية على التي أعلى منها، فالجماد لا يكون نبياً ولا والياً على النبات، وكذا النبات على الحيوان وكذا الحيوان على الجن، والجن على الملك، والملك على الإنسان، والإنسان على الأنبياء، والأنبياء عليهم السلام على نبينا محمد وأهل بيته عليهم السلام.

فكل رتبة من هذه المراتب في السلسلة الطولية لها هذه الأسفار الأربعة، أي لها تطور في معرفة ربها على حسب مقامها ورتبتها، فالنبي عليه السلام له مراتب في الرقي وقوس الصعود، والأسفار الأربعة لكن على حسب مقامه.

ولتقريب المعنى مثل صلاة الفريضة، فكما يصلّيها النبي صلى الله عليه وآله يصلّيها غيره من عوام الناس، كصلاة الصبح ركعتان، فالنبي صلى الله عليه وآله يصلّي صلاة الصبح ركعتين، والعامي يصلّيها أيضاً ركعتين، ولكن انظر الفرق إن كان هناك نسبة بين الصلاتين، لذا آية الله العظمى خادم الشريعة الميرزا عبد الرسول الأحقافي قدس الله نفسه المباركة سئل عن الفرق بين بشرية المعصومين عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ وبشرية سائر الناس؟ ((قال الفرق كالفرق بين كتاب الله القرآن الكريم وسائر الكتب في نفس المكتبة))^(٢) فقس إن كان هناك قياس.

(١) البحار للشيخ المجلسي ٦٦ / ٢٩٣، نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري ١ / ٩٣، اللعة

اليضاء للتبريزي الأنصاري ١٦٩.

(٢) من خطب آية الله خادم الشريعة الميرزا عبد الرسول الأحقافي.

وإن أردت أن تنكشف لك حقيقة هذه المسألة، اجعل مرأتين قبال السراج، أحدهما في قربه، والأخرى بعيدة عنه، وانظر إلى انطباع نور السراج في أحدهما بالنسبة إلى الأخرى، وإلى تفاوت النور في المرآة البعيدة من السراج، بالنسبة إلى النور الموجود في الأرض الخالية من السراج، وتفاوت ذلك النور بالنسبة إلى الأظلة، ويكون نظرك بعين البصيرة، حتى تظهر لك حقيقة الأمر، ويرتفع القناع عن وجه المسألة.

ولولا العجلة وضيق الوقت، لبينا لك حقيقة هذه المسألة مع ساير المراتب الأربعة، وما يقع للمسافر في كل سفر من الأسفار الأربعة، وفي بعض رسائلنا ذكرنا بعض هذه المراتب، وشرائط السفر بالإجمال، إن أردت فراجع. ❁

❁ مثال لتفاوت درجة النبي بغيره

المؤلف رضوان الله عليه ضرب مثال السراج مع انعكاس نوره، في أربعة أمور وهي:

الأول: مرآة قريبة للسراج.

الثاني: مرآة بعيدة عن السراج.

الثالث: انعكاس النور على وجه الأرض.

الرابع: ظل النور وهو في آخر الأشعة، والظل فيه شيء من النور، لكن الغالب الظلمة على النور.

بيان الأمور الأربعة هي:

فالأول: المرآة القريبة مثال الأنبياء، فالنور فيها في أشد الظهور.

والثاني: المرآة البعيدة مثال المؤمنين.

والثالث: الأقل من الثاني بقية المخلوقات.

الرابع: في الظل وهم البعيدون عن النور المخالفون لهم، وهو مثال الكفار والمنكرين والمنافقين.

والخلاصة أن كلاً من الموجودات له أسفار وقوس صعود، لكن كل على حسب مقامه.

الفصل الثالث [الأنبياء من نوع الإنسان]

اعلم أن الأنبياء لا بد أن يكونوا من نوع الإنسان لا من الملائكة لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن سبب بعثة الأنبياء هو أن الخلق كانوا في نهاية التعلق، والتدنس والاختلاط بعالم الأجسام والشهود، الذي هو أسفل العوالم وأدنى المراتب وأقل المقامات، وليس عندهم خبر من العوالم العلوية المعنوية الغيبية المجردة من المواد العنصرية الدنيوية، لعدم صعودهم إلى تلك المدارج والكمالات، لفقدانهم الشروط المقررة لمسافري السفر الباطني.

ففي أول دفعة ليس لهم أنس بأهل العالم العلوي، والأنوار المجردة، لعدم المناسبة بينهم، فأحتاجوا إلى وسائط بينهم وبين العالم العلوي، أولى جهتين وذوات وجهين، وجه إلى العالم العلوي المعنوي الغيبي، الذي به يتلقى الفيض، ووجه إلى العالم السفلي الجسمي، الذي به يوصل الفيض إلى المستحقين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيى عن بينة*.

✻ المكلف محتاج إلى الأنبياء في الدنيا

تقدم الكلام أن الخلائق أول خلقهم في عالم العقول، ثم نزلوا إلى عالم

الأرواح إلى عالم النفوس إلى الطبيعة إلى المثال، إلى أن وصلوا إلى عالم الدنيا عالم الأجسام، وهو أكثف وأغلظ العوالم التي خلقها الله عز وجل.

فأصابهم البرودة واليبوسة، المولدة للنسيان، مع تعلقهم بمغريات الدنيا وزخرفها، والنفس الأمارة، والشهوات والغضب والحسد والحقد وصفات رذائل الأخلاق المكتسبة من البعد عن المبدأ، فالخلائق لما نزلوا إلى الدنيا نسوا ما رأوا في تلك العوالم، من العلوم والآثار وأخذ الميثاق، في الذر الأول والثاني والثالث إلى آخر العوالم.

فلو ترك الخلائق هكذا بدون تذكيرهم بالعهود والمواثيق، التي أخذت عليهم بالطاعة لله تعالى ولرسوله ولأمير المؤمنين والصديقة فاطمة الزهراء ولأبنائهما المعصومين عليهم السلام وبتكاليفهم بالحرام والواجب والمكروه والمستحب والمباح، والمعاملات من النكاح والطلاق والبيع وغيرها، لانتفت علة الخلق، وهي العبادة والمعرفة كما تقدم في باب التوحيد.

فأكثر الخلائق ليس عندهم المؤهلات والاستعداد والصفاء، لتذكرهم ما أخذ عليهم بدون مذكر ومرشد يرشدهم إلى ذلك.

وثانياً: عالم الأجسام عالم الدنيا من أغلظ وأكثف العوالم التي خلقها الله تعالى، عكس العوالم العلوية المجردة التي نزل منها، فلا توجد نسبة بين العالم الكثيف واللطيف المجرد، مثل الحجر والحرارة، فالحجر غليظ كثيف، والحرارة لطيفة مجردة، فاقتضت المصلحة وجود مذكر وهو الرسول، ليكون له جهتان هما:

جهة علوية معنوية: يستطلع بها الغيب ويوصله إلى هؤلاء المكلفين.

وجهة سفلية غليظة: كثيفة مثل عالمهم أي عالم المكلفين في الدنيا، حتى يروه ويسمعوه ويلمسوه، ويدركوه بحواسهم ومداركهم ويأخذون منه التكاليف.

ولا يوجد في الخلائق من تكون عندهم الجهتان الجهة المعنوية الغيبية، والجهة السفلية الناسوتية الغليظة الكثيفة، إلا الإنسان فقط، فالإنسان له جهتان جهة غيبية علوية يستطيع بها اكتشاف الغيب ما وراء عالم الدنيا، وجهة بشرية غليظة كثيفة يدرك

بها ويحس، فالجهة الغيبية العلوية يتلقى الفيض والوحي، والجهة السفلية الكثيفة يوصله إلى المكلفين ويرونه ويسمعونه.

فوجب أن يكون المذكر أي النبي والرسول ﷺ من جنس الإنسان، لاختصاصه بالجهتين المذكورتين، وما عداه من الموجودات لا يصلح لهذه المهمة، لذلك صار النبي ﷺ من جنس الإنسان.

وأما الملائكة فهم أنوار مجردة عن المواد العنصرية الدنيوية، خالية عن القوة والاستعداد، وليس لهم أصلاً وقطعاً تعلق بالعالم السفلي الجسمي الشهودي، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصفهم) صور عارية عن المواد، عالية عن القوة والاستعداد، تجلى لها فأشرق، وطالعتها فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله^(١) الحديث.

والمبتلى بالعلائق الجسمانية ليس له حظ في تلقي الفيض من الأرواح المجردة، عكس الملائكة فتنتفي العلة الغائية للبعثة، والحق سبحانه أجل من أن يصدر عنه فعل عبث تعالى ربي عن ذلك علواً كبيراً، لا جرم تعين كون الواسطة بشراً، ليكون بظاهره مناسباً للناس حتى يأنسوا به، وكل أحد لا ينفر من أبناء جنسه، فيتلقون الفيض من أوامر الله ونواهيته منه، لقربه منهم وأنسهم به ❁.

❁ لا تصلح الملائكة أنبياء للناس

الله عزَّ وجلَّ خلق الملائكة عليهم السلام مجردين عن المادة الجسمانية لا يرون بالعين المجردة، فهم عليهم السلام مثل الهواء، كما روي في الاحتجاج بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام، فيما احتج رسول الله صلى الله عليه وآله به على المشركين: ((والملك لا تشهد حواسكم، لأنه من جنس هذا الهواء، لا عيان منه، ولو شاهدتموه، بأن يزداد في قوى أبصاركم، لقلتم ليس هذا ملكاً بل هذا بشر))^(٢).

كما أن الهواء مجرد عن المادة والصورة الجسمانية لا يرى، كذلك الملائكة عليهم السلام

(١) البحار للشيخ المجلسي ٤٠ / ١٦٥، مستدرک سفینه البحار للشيخ علي النمازي الشهرودي ١ /

٢٣٦، ميزان الحكمة لمحمد الريشهري ١ / ٧٧٥.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٥٦ / ١٧١.

هم مجردون من المادة والصورة الجسمانية لا يرون بالعين المجردة، ولكن هذا لا يعني أنهم لا يرون مطلقاً، بل يرون ويتحدثون، ويفرحون ويحزنون ويكون لمصاب الإمام الحسين عليه السلام ويراهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

صفة جبرائيل عليه السلام

لذا ورد في الكتاب الكريم والسنة عن المعصومين عليهم السلام صفات الملائكة، وعدد أجنحتها وكمها وكيفيتها، كما روى الشيخ المفيد في الإختصاص عن صفة جبرائيل عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، سأله عبد الله بن سلام قال: فأخبرني عن جبرائيل في زي الإناث أم في زي الذكور؟.

قال صلى الله عليه وآله: ((في زي الذكور، قال: فأخبرني ما طعامه؟).

قال: طعامه التسيح، وشرابه التهليل.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما طول جبرائيل؟.

قال: إنه على قدر بين الملائكة، ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني، له ثمانون ذوابة، وقصة جعدة، وهلال بين عينيه، أغر أدعج محجل، ضوؤه بين الملائكة كضوء النهار عند ظلمة الليل، له أربع وعشرون جناحاً خضراء مشبكة بالدر والياقوت، مختمة باللؤلؤ، وعليه وشاح بطانته الرحمة، وأزراره الكرامة، ظهارته الوقار، ريشه الزعفران، واضح الجبين، ألقى الأنف، سائل الخدين، مدور اللحين، حسن القامة، لا يأكل ولا يشرب، ولا يمل ولا يسهو، قام بوحي الله إلى يوم القيامة))^(١).

وفي رواية أخرى أن له ست مائة جناح، فالذي يراجع الروايات كما في البحار للشيخ العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي رضوان الله عليه، في باب الملائكة وصفاتهم في المجلد السادس والخمسين، وبالخصوص الملائكة الشعث الغبر عند قبر الإمام الحسين عليه السلام يكون عند ضريحه المقدس، رزقنا الله في الدنيا زيارته وفي الآخرة

شفاعته، يجد أن الملائكة على أنهم لا يرونهم الناس إلا أنهم أجسام وصور، لكنها مجردة عن مواد هذا العالم، أعني عالم الدنيا، لذا وصفهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لما سئل عن العالم العلوي قال: ((صور عارية عن المواد، عالية عن القوة والاستعداد، تجلى لها فأشرقت، وطالعتها فتلاآت، فألقى في هويتها مثالها، فأظهر عنها أفعالها))^(١) إذن كون الملائكة مجردين هذا لا يعني عدم تجسمهم وتصورهم.

شرح حديث العالم العلوي

قوله عليه السلام: ((صور عارية عن المواد)).

كما قلنا أي هي صور مجسمة لكنها عارية ومجردة عن المواد الجسمانية، فلا ترى بالعين الجسمانية، لأن العين ترى الجسمانيات خاصة، بل الملائكة ترى بالبصيرة الباطنية.

وقوله عليه السلام: ((عالية عن القوة والاستعداد)).

قبل البدء نقدم مقدمة وهي:

عندنا ثلاثة أشياء للشيء وهي: الفعلية، والقوية، والاستعداد.

الفعلية

الفعلية للشيء هي عبارة عن وجود الشيء خارجاً وتحققه، مثل وجود الإنسان، لما اكتملت خلقتة، من النطفة والعلقة والمضغة والعظام وكسو العظام لحماً، ثم تخلق إنساناً كاملاً، فإذا كمل يكون إنساناً بالفعل، لأنه قد تحقق واكتمل، ويقال له هو إنسان بالفعل.

القوية

هي عبارة عن شأن الشيء أن يكون كذا، مثلاً النطفة هي إنسان كامل الأعضاء

(١) البحار للشيخ المجلسي ٤٠ / ١٦٥، مستدرک سفینه البحار للشيخ علي النمازي الشهرودي / ١

بالقوة، لأنه بعد لم تكتمل، وكذا العلقه والعظام الإنسان فيها بالقوة لا بالفعل، ومثل آخر مثل الجلوس بالنسبة للقائم، فإنه يقال للقائم أنت جالس بالقوة قائم بالفعل، أي من شأنك أن تجلس.

الإستعداد

هي أقرب إلى الفعل وأبعد من القوة، وذلك مثل تحول النطفة إلى علقه، يقال للنطفة أنت مستعدة للعلقه، وهكذا كما قال الملا صدرا الشيرازي: ((إن القوة تكون بعيدة، والاستعداد قريباً))^(١).

فالقوة والاستعداد من شأن عالم المواد الجسمانية الناسوتية الدنيوية، أما عالم الملائكة الأعلى عالم الملائكة، فهي عالية وخالية عن القوة والاستعداد، فالله سبحانه وتعالى قال لها كوني فكانت، بدون طور علقه ومضغة وعظام وكسو العظام لحماً حتى ينشأ ملك من الملائكة.

قال مولانا أمير المؤمنين، وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه أفضل صلاة المصلين، من الأولين والآخرين في صفة الملائكة: ((وملائكة خلقتهم وأسكنتهم سماواتك، فليس فيهم فترة، ولا عندهم غفلة، ولا فيهم معصية، هم أعلم خلقك بك، وأخوف خلقك منك، وأقرب خلقك إليك، وأعملهم بطاعتك، ولا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، لم يسكنوا الأصلاب، ولم تضمهم الأرحام، ولم تخلقهم من ماء مهين، أنشأتهم إنشاءً، فأسكنتهم سماواتك، وأكرمتهم بجوارك))^(٢).

فقوله ﷺ: ((عالية عن القوة والاستعداد)) أي ليس للملائكة والعالم العلوي، مرتبة فعلية وقوية واستعدادية مثل عالم الأجسام، مثل النبات بداية من البذر، وكذا الحيوان والجماد وغيره، من عالم المواد الجسمانية، فالإنسان مثلاً له مراحل

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة للملا صدرا الشيرازي ١ / ١٥٢ .

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٥٦ / ١٧٥ .

وأطوار في خلقه من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام إلى كسو العظام لحماً، ثم أنشاؤه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

وكذا مداركه من ضعيف إلى قوي، منذ ولادته تكاد تراه لا يدرك شيئاً غير الرضاع والبكاء، ثم يترقى في مداركه من السمع والبصر واللمس، إلى أن يصل إلى رتبة الإدراك والتميز، إلى مرتبة البلوغ، إلى مرتبة كمال القوة، إلى مرتبة الزيادة في القرب إلى الله تعالى، أو الإنتكاس في الكفر والعياذ بالله تعالى.

لذا قال المولى الأعظم، والأستاذ الأفخم، منار العارفين، وعلم السالكين، وقدوة المهتمدين، شيخ المتألهين، الشيخ أحمد بن زين الدين عليه رحمة رب العالمين، في الفرق بين المؤمن كسلمان والملائكة كجبرائيل عليه السلام قال: ((قد ورد أن الملك ناقص لا يحتمل الكمال، والإنسان متردد بين الكمال والنقصان، أي يحتمل الكمال، والملك لا يحتمل الكمال، لأن الملك [صور عارية عن المواد، عالية عن القوة والاستعداد] كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، بمعنى أن الملائكة ذوات لا تقبل النمو، فلا تقبل الاستعداد، ألا ترى أن جبرائيل عليه السلام الآن لا يكون أفضل منه يوم خلقه، لأنه لا يزيد ولا يترقى، وإنما هو كالسراج تشعله من أول الليل إلى آخره، لا يكون في آخر الليل أنور منه في أول الليل، كذلك جبرائيل عليه السلام منذ خلقه الله إلى آخر الدهر، دائماً في طاعة الله لا يغفل عن خدمة الله طرفة عين، ومع هذا لم يكن الآن أفضل منه في أول ما خلقه الله، وذلك لكون ذاته «عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد» بخلاف الإنسان، فإنه كل حين في زيادة ونمو، إذ لم يكن في نقصان كسلمان عليه السلام.

وأيضاً الملك جزئي في رتبته، وإن كان ذا إحاطة عامة كجبرائيل عليه السلام، فإنه وإن تناول جميع مراتب الخلق، إلا أنه لا يتناول غيرها، بخلاف الإنسان كسلمان صلوات الله عليه، فإنه كل يوم يترقى عن مقامه بأعماله^(١).

فمن الملائكة قائم لا يركع، وراكع لا يسجد، وساجد لا يجلس، فمنهم

مختص بالنبات لا يعمل في الحيوان، ومنهم في الحيوان لا يعمل في الإنسان وهكذا، فكل ملك له وظيفة محدودة لا يتعداها لذا أخبر عنهم عز وجل ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) (١).

لذا جبرائيل عليه السلام لما وصل مع النبي ﷺ إلى مقامه الذي لا يتعداه، قال لرسول الله ﷺ لو تقدمت خطوة لا احترقت، فإذا كان جبرائيل هكذا فكيف بسائر الملائكة؟ لأنه كما روي أن جبرائيل أفضل الملائكة، وهذا خلاف الإنسان، فإنه يصل إلى مقام، يكون سمع الحق تعالى، وبصره ويده ولسانه ويده.

قوله ﷺ: ((تجلى لها فأشرق)).

أي إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق الملائكة والعالم العلوي، تجلى للملائكة بنفس الملائكة، فأشرق بأثاره تعالى، حتى أصبح فعلهم فعل الله عز وجل، والتجلي في رتبة المتجلي له، لا في رتبة المتجلي وهو الله عز وجل، يعني تجلى للملائكة بنفسها لا بذاته سبحانه وتعالى، كما ذهب أكثر الفلاسفة إلى ذلك والعياذ بالله تعالى كما ذكر من قبل.

وذلك مثل تجلي الشاخص القائم للمرأة، فالمتجلي وهو علي مثلاً تجلى للمرأة بفعله، وهو القيام مثلاً، بنفس المرأة لا بذاته، أي ليس علي داخلاً في المرأة، ولا المرأة داخلة في ذات علي، وهذا واضح إن شاء الله تعالى.

قوله ﷺ: ((وطالعتها فتلاآت)).

أي طالعتها باسمه مثل القائم، فتلاآت بذلك الاسم، لأن اسم الحق تعالى هو الذي أشرق به الموجودات بنور ربها، ومعنى تلاآت أي ظهر اسم الله سبحانه الربوبي لهذا الملك المخصوص جلياً واضحاً، يعمل عمل الاسم المشرق، وهذا الاسم تارة يكون للحياة، فيكون هذا الملك يحي الموتى بذلك الاسم، وتارة هذا الاسم المميت، فيكون هذا الملك يميت بأمر الله تعالى كما قال سبحانه ﴿قُلْ يَتُوفَّكُمُ

مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي يُكَلِّمُكُمْ^(١) وتارة يكون الاسم للخلق والرزق والتدبير كما قال عز وجل ﴿فَالْمُدْرِبَاتِ أَمْراً﴾^(٢) أي يدبرون الأفلاك والأماك، من سير الشمس والقمر، والنجوم والحيوانات والنباتات والإنسان وغيرها بإذن الله تعالى.

قوله ﷺ : ((فألقي في هويتها مثاله)).

أي لما تجلى الجليل سبحانه لها، وطالعتها باسمه الأعظم، ظهر فيها اسمه الأعظم، على حسب رتبته من الصفاء والكدورة، والبعد والقرب، وذلك مثل القائم الظاهر في المرآة، لأنه يحكي علي في اسمه القائم في المرآة، وهذا الاسم يكون سر عمل ذلك الملك، كما قال آية الله الإمام المصلح الميرزا حسن الإحقاقي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ((إن كلمة جبرائيل فيها جميع وظائف جبرائيل إلى أن تقوم الساعة))^(٣) والمعلم لجبرائيل وغيره من الملائكة هم محمد وآل محمد ﷺ عن الله تعالى، كما تواترت فيه الروايات الكثيرة، منها كما روي في بستان الكرامة ((أن النبي ﷺ كان جالساً وعنده جبرائيل فدخل علي ﷺ فقام له جبرائيل ﷺ، فقال النبي ﷺ : ((أتقوم لهذا الفتى! فقال له ﷺ : نعم إنه له عليّ حق التعليم. فقال النبي ﷺ كيف ذلك التعليم يا جبرائيل؟ فقال : لما خلقني الله تعالى سألتني من أنت وما اسمك ومن أنا وما اسمي؟ فتحيرت في الجواب وبقيت ساكناً، ثم حضر هذا الشاب في عالم الأنوار وعلمني الجواب، فقال : قل أنت ربي الجليل واسمك الجليل، وأنا العبد الذليل واسمي جبرائيل))^(٤) وهكذا بقية الملائكة بل بقية الموجودات كل ذلك بتعليم باب مدينة علم رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

قوله ﷺ : ((فأظهر عنها أفعاله)).

أي لما ظهر اسمه الأعظم تعالى في تلك القوابل والمرايا، أخذ يظهر أثر فعله

(١) سورة السجدة آية (١١).

(٢) سورة النازعات آية (٥).

(٣) من خطب آية الله الإمام المصلح الميرزا حسن الإحقاقي.

(٤) غاية المرام للسيد هاشم البحراني ٣ / ١٧، الأنوار النعمانية للسيد نعمه الله الجزائري ١ / ١٥.

في نفس تلك القوابل والمرايا، فالله عزَّ وجلَّ هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الخلق، فهذه الصفات كلها لله عزَّ وجلَّ أظهرها للملائكة، فصارت الملائكة تفعل فعل الله عزَّ وجلَّ بأمره وأذنه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(١) قال تعالى: ﴿فَالْمُدْرِبَاتِ أَمْرًا﴾^(٢).

فالمدبر لهذا الكون من الخلق والرزق والحياة والموت، هم الملائكة بإذن الله تعالى وأمره، لأنه سبحانه لا يباشر المخلوقات بذاته المقدسة، فإذا كانت الملائكة ﷺ يتصفون بهذه الصفات، فكيف بالإنسان المؤمن الذي هو أفضل من الملائكة؟، وكيف بمن هو أفضل من الإنسان المؤمن وهم الأنبياء ﷺ؟ وكيف بسيد الأنبياء والمرسلين وأهل بيته محمد وآل محمد ﷺ لا يتصفون بهذه الصفات؟. ولهذا الحديث الشريف معاني عالية، ومقامات سامية، ليس هنا محل ذكرها، إن شاء الله تعالى نذكرها في محلها.

الملائكة أرواح مجردة

أي لما كانت الملائكة أجسام نورانية مجردة كما ذكر من قبل، فلا تصلح لأن تكون أنبياء للناس المغموسين في عالم المادة والكثافة، فأين الملائكة من البشرية المادية، كما بين الثرى والثريا، فلو كانت الملائكة أنبياء للناس للزم بطلان التكليف، والثواب والعقاب، والعبثية في إرسالهم وعدم الحكمة، وذلك لعدم استفادة الخلق منهم، لعدم وجود مناسبة بينهم وبين الناس، وثانياً لا يمكن رؤيتهم لأن الملائكة مثل الهواء كما وصفهم النبي ﷺ في الحديث المتقدم.

فالناس المبتلون بعلائق الدنيا وشهواتها وهمومها ومصائبها، عكس الملائكة ﷺ كما عرفهم أمير المؤمنين ﷺ في الحديث المتقدم ليس عندهم نوم ولا سهو ولا أكل ولا شرب مثلنا، ولا بليات مثلنا، فإذا كان الرسل ملائكة تنتفي العلة

(١) سورة السجدة آية (١١).

(٢) سورة النازعات آية (٥).

من خلق الخلق وهي العبادة والمعرفة، لعدم تمكن البشر من رؤيتهم الاستفادة منهم. إذن كان من الحكمة أن يكون النبي ووصيه من جنس ولباس البشر له خاصيتان: خاصية المادة والكثافة مثل البشر، وخاصية الملائكة من التجريد واللطافة والروحانية.

ففي الخاصية الأولى يكونون مشابهين للبشر، والثانية يكونون مشابهين للعالم العلوي، في تلقي الوحي من الله عز وجل.

قال تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ﴾ (١) أي لو وهي حرف امتناع لامتناع يرسل الله سبحانه ملكاً رسولاً إلى الناس، للبس لباس البشرية بدل لباس الملائكية حتى يكون من جنسهم، ليتمكوا الأخذ منه، فالبشر إذا أرسل إليهم من جنسهم يكونون به أنس وألف، من أن يكون من غير جنسهم.

الوجه الثاني: إن خلق الملائكة بحيث لا يرونهم الخلق إلا في حال الاحتضار، كما أنه سبحانه رد أقوال الذين قالوا: لا يكون بد أن الرسول ملكا بهذا، وأخبر بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ (١).

وقال في مقام آخر: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (٢) يعني: إن اليوم الذي يرون الملائكة ليس للمذنبين فيه البشارة بالتوبة والثواب، إذ ذلك اليوم حالة الموت، وإلا فقبل الموت لكل أحد بشارة بالجنة بتوبته، والسبب أن الملائكة أنوار مجردة، وهم من العوالم العلوية، وأما أهل عالم الناسوت المبتلون بجلباب البشرية، والمقيدون بالعلائق الجسمانية، لا يمكن لهم الملاقاة والمصاحبة مع أهل عوالم الملكوت، إلا بالخلاص عن هذه العلائق والجلباب وبعدها عنهم، وهذا لا يتفق لهم ولا يمكن إلا حال الموت ❁.

❁ الملائكة لا ترى إلا عند الموت

لما ذكر المؤلف أن الملائكة لا يمكن أن يكونوا أنبياءاً للإنس، لعدم الإنس بهم، ولأنهم أجسام نورانية مجردة عن عالم المادة مثل الهواء، فإذا بعث الملائكة للناس مع عدم رؤية الناس لهم وسماعهم، لغلظتهم وكثافتهم، انتفت العلة الغائية من خلق الناس كما ذكر.

وهنا دليل ثاني لعدم إرسال الملائكة إلى الناس بالأحكام الإلهية، وهو أن الملائكة لا يمكن رؤيتهم للبشر إلا في حالة الاحتضار وعند الموت وبعده، أما قبل

(١) سورة الأنعام آية (٨).

(٢) سورة الفرقان آية (٢٢).

الاحتضار والموت فلا يمكن رؤيتهم لجميع الناس، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾^(١).

أي قضي بالموت، فالغالب من الناس لا يرون الملائكة في عالم الدنيا، وذلك لكثافتهم وغلظ عالم المادة، ولم يدك أكثر الناس جبل أنياتهم، بترك المعاصي والغفلات، وعدم الالتفات إلى النفس الأمارة، والعمل بالمستحبات وترك المكروهات، والقيام بالفرائض والابتعاد عن المحرمات، وتصفية النفس والباطن، حتى يشرق عليهم عالم الملكوت فيشاهدون الملائكة.

أما الذي يصفى نفسه من علائق الدنيا، من الشهوات والمحرمات، ويصفى باطنه من رذائل الأخلاق، ويتصف بصفات الروحانيين من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، يكون أفضل من الملائكة، ويраهم وهو في الدنيا، كما روي أن سلمان محدث تحدثه الملائكة، كما روي عن أمالي الشيخ محمد الطوسي رضوان الله عليه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((وكان سلمان محدثاً، قال قلت: فما آية المحدث؟، قال: يأتيه ملك فينكت في قلبه كيت وكيت))^(٢).

وروي عن أمالي الشيخ محمد الصدوق رضوان الله عليه، عن المسيب بن نجيه، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قيل له: قالوا فحدثنا عن سلمان الفارسي، قال: ((أدرك العلم الأول والآخر، وهو بحر لا ينزح، وهو منا أهل البيت))^(٣).

ومعنى أدراك علم الأول والآخر وهو بحر لا ينزح، أنه وصل إلى عالم الملائكة الأعلى عالم الملكوت، وانكشفت له العلوم والرسوم، ومنهم الملائكة عليهم السلام.

لذا المؤلف أعلى الله مقامه أشار إلى أنه يمكن رؤية الملائكة للخواص، وهم في الدنيا، بقضية نبي الله موسى بن عمران على نبينا وآله عليهم السلام مع بني إسرائيل، لما

(١) سورة الأنعام آية (٨).

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٢٢ / ٣٢٧.

(٣) البحار للشيخ المجلسي ٢٢ / ٣١٩، الأمالي للشيخ الصدوق ٢٤٣.

طلبوا أن يروا الله عزَّ وجلَّ جهرَةً فالله سبحانه وتعالى أشرق عليهم من العالم العلوي، بقدر سم الإبرة من حقيقة نبي الله موسى بن عمران عليه السلام، فماتوا جميعاً، لأنهم غير مؤهلين ومستعدين بعالم الملكوت والعالم العلوي، كحال أكثر وأغلب الناس في الدنيا، أما نبي الله تعالى فغشي عليه لما تجلى بقدر سم الإبرة، من حقيقة لجسده الدنياوي، معنى الكلام أن الملائكة عليهم السلام لو يظهرون لعوام الناس لماتوا كما مات بنو إسرائيل، وذلك لعدم تحمل قابلياتهم أنوار الملائكة، خلاف الأنبياء وأهل التوسم، الذين تجردوا عن عالم المادة وهم في الدنيا كسلمان الفارسي وغيره، وذلك لو تقول لعوام الناس إن جنياً يريد أن تعلمه سورة الحمد، فأكثر الناس يقولون عمر الجنى ما تعلم لا سورة حمد ولا غيرها، أو يختارون الهروب في النهار والسهر في الليل من شدة الخوف، وذلك لعدم أنسهم بالجن.

وهذا الغشيان كثيراً ما يحصل لأئمتنا سلام الله عليهم عند توجيههم إلى الله تعالى في حالة الصلاة، بل في حالة الوضوء ترتعد فرائصهم ويصفر لونها ويغشى عليهم، لما يرون من عظمة الباري تعالى، وهم عظمتهم وآلاؤه وآياته سلام الله عليهم أجمعين.

وإلا قضية موسى عليه السلام ، واندكاك الجبل ، وغشوة موسى عليه السلام ، وموت بني إسرائيل ، ولذا قال الإمام عليه السلام (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشف واحد منها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى بصره من خلقه) وفي رواية أخرى : (إن لله سبعين ألف حجاب من نور لو كشف حجاب منها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)^(١) .

فمن كان له ذوق سليم وطبع مستقيم ، لعرف ما ذكرنا ، وإلا فلا ينكر لكي لا يكون في زمرة : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ، وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾^(٢) نعوذ بالله .

فمن كان ذا فهم يشاهد ما قلنا

وإن لم يكن ذا فهم فيأخذه منا ❁

❁ تفسير آية اندكاك الجبل

قال تعالى : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ بُنْتِ اِلٰهِكَ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) .

من المعروف أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان ، بل هو نازل لكل أحد من المكلفين كأنه المخاطب وحده ، فالقرآن الكريم ليس مقصوراً على ما أنزل بسببه ، كما قال علماء الأصول إن المورد لا يخصص الوارد ، بل هو عام إلى أن تقوم الساعة .

(١) الرواية الموجودة في البحار للشخ المجلسي (أن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) ٧٣ / ٣١ .

(٢) سرّة يونس آية (٣٩) .

(٣) سورة الأعراف آية (١٤٣) .

فالمراد من الرب في الآية الكريمة هو السيد، وهو حقيقة الإنسان ومربيه، وهو النور الذي خلق منه، وهي النفس التي من عرفها فقد عرف الرب.

فهذه النفس القدسية أي رب البدن، هي من عالم الملائكة الأعلى، فهي مجردة من المواد العقلية والنفسية والجسمانية، بل هي آية الرب وظهوره، فلو تتجلى لهذا البدن الدنياوي، لفنى واضمححل وتلاشى، وذلك مثال لو يكون تيار كهربائي قوته ترليون فولت، يوجه إلى جسد الإنسان، فإنه سيحرقه من أول لحظة، هذا مع العلم أن كلها من عالم المادة، فكيف عالم الملكوت عالم الملائكة الأعلى، الذي أعلى من هذا العالم بمراتب عديدة.

وأما تفسير الرب في الآية الشريفة من البعض، بأنه الله عزَّ وجلَّ، فهذا مما لم يأخذ عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فالشرع والنقل يبطله، لأن الحق تعالى لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة.

والمراد من الجبل هو جبل الآنية، وهي النفس الأمارة بالسوء، وهذا لا ينافي الظاهر من جبل طور سيناء، فكما أن الجبل يمسك الأرض، جسد الإنسان يمسك حقيقته من الزوال ما دام في الدنيا، فإذا ذك الإنسان نفسه الأمارة، بحيث تلاشت إلى غبار وذر في الفضاء، بمعنى عدم الالتفات إليها وجداناً لا وجوداً، كأنها غير موجودة، والتفت إلى ربه ومربيه وهي النفس القدسية، الآمرة بالمعروف والنهي عن المنكر، وراض نفسه بالطاعات والاجتناب عن المعاصي، وصفي باطنه من رذائل الأخلاق حينذاك يشرق نور ذلك الرب، فلا يرى إلا نوره ولا يسمع إلا صوته ولا يتكلم إلا بلسانه ولا يقوى إلا بقوته.

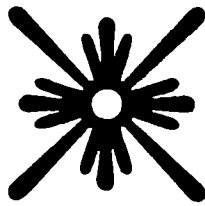
أما القاصرون المذنبون إذا تجلت لهم تلك الأنوار في الدنيا، فإنهم سيموتون كما حدث لبني إسرائيل السبعين رجلاً، لذا روي عن المعصومين عليهم السلام أن الذي تجلى لموسى على نبينا وآله عليهم السلام هو أحد الملائكة الكروبيين، كما روي في بصائر الدرجات، عن أحمد بن محمد السيار، عن عبيد الله بن أبي عبد الله الفارسي وغيره، رفعوه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول، جعلهم الله خلف العرش، لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم

قال: إن موسى ﷺ لما سأل ربه ما سأل أمر واحداً من الكروبيين، فتجلى للجبل فجعله دكاً^(١).

فإنه عز وجل جعل حجباً وأستاراً بين عالم الملكوت والجبروت وعالم الدنيا الناسوت، لعدم تمكن عالم الدنيا بتلك الأنوار والطاقات، فلولا ذلك لاحتقرت الأرض ومن عليها.

ففي العلم الحديث أن الغلاف الغازي الذي حول الأرض، يحمي سكان الأرض من الإشعاعات الفلكية والغازات والأنوار المضرة بالكرة الأرضية، فلولاها لماتت الحياة على كوكب الأرض، لذا روي عن المعصومين ﷺ: ((إن الله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجه ما انتهى إليه بصره من خلقه))^(٢).

فالملائكة لا ترى في الدنيا لعامة الناس إلا عند الموت، وأما من أمات نفسه في الدنيا قبل الآخرة كما روي عن النبي ﷺ: ((موتوا قبل أن تموتوا))^(٣) فالذي أمات نفسه من لذائذ وشهوات الدنيا، وأحياها بذكر الآخرة، وعمل وسعى لها سعيها، فإنه يرى الملأ الأعلى وهو في الدنيا وهم الأنبياء والأوصياء والأمثل فالأمثل من المؤمنين، فللآية الكريمة معاني أخر ليس هنا محل ذكرها، وإذا ذكرناها خرجنا عما نحن بصدده والسلام.



(١) البحار للشيخ المجلسي ٥٦ / ١٨٤.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٧٣ / ٣١.

(٣) التحفة السنية للسيد عبد الله الجزائري، البحار للشيخ المجلسي ٩٦ / ٥٩.

الوجه الثالث: إن الأنبياء عندنا الامامية كما نذكر عن قريب أفضل من الملائكة، فإن كان كذلك، فكيف يقدم المفضول على الفاضل والبعيد على القريب؟ أما ترى أن العلماء جعلوا مرتبة الملائكة أنزل من مرتبة الإنسان، واتفقوا على ذلك إلا شاذ من المخالفين، وقالوا: إن الموجودات على ثلاثة أنواع: كامل ليس للنقصان إليه طريق وهو الواجب سبحانه، وناقص ليس للكمال إليه طريق وهو الملائكة، ومتوسط الحال قابل للكمال والنقصان وهو الإنسان، وليس شك في تفضيل الثالث على الثاني، وأكمل أفراد الإنسان الأنبياء، فكيف يكونون أنزل من الملائكة ومحكومين بحكمهم؟ ولذا قال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ﴾ (١) •

• أفضل الموجودات الإنسان

من المعروف أن مرتبة الإنسان في السلسلة الطولية فوق الملائكة، والملائكة أنزل من رتبة الإنسان، وذكروا أن الموجودات على ثلاثة أنواع:

نوع: الكامل المطلق وهو ذات الحق عز وجل، ليس فيه للنقصان طريق.

نوع: ناقص ليس للكمال إليه طريق، وهم الملائكة لأنهم خلقوا من عقل دون نفس، وعبادتهم عبادة جزئية محدودة، فبعض راع لا يسجد، وساجد لا يركع، وقائم لا يجلس وكذا العكس، فكل واحد له مقام محدود لا يتعداه.

ونوع قابل للكمال والنقصان وهو الإنسان، لأنه خلق من عقل ونفس أمارة، فإن أطاع عقله أصبح أفضل من الملائكة، وإن أطاع نفسه أصبح أخس من الحيوان، فإذا كان الإنسان المتبع عقله أفضل الملائكة، وأفضل أفراد الإنسان هم الأنبياء ﷺ، فكيف يكون الأفضل محكوم بالمفضول الأدنى؟ .

روى الشيخ محمد الصدوق رضوان الله عليه في العلل قال: قال أبي عليه السلام قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟

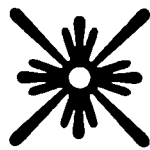
فقال: ((قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ((إن الله عز وجل ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم))^(١).

فهذه الرواية الشريفة واضحة أن بني آدم العوام إذا غلب عقله شهوته يكون أفضل من الملائكة، فكيف بالأنبياء عليهم السلام الذي هم أفضل أفراد الإنسان وبني آدم، وكيف يكون المفضل وهم الملائكة يكون لهم حكم على الفاضل وهم الإنس.

لذا روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن بعض الملائكة بقوله ((إن في الملائكة من باقة بقل خير منه))^(٢).

وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ﴾^(٣).

معنى الآية أن الله تعالى لو أراد أن يبعث ملكاً من الملائكة لهداية الناس وتعليمهم الأحكام، لجعل ذلك الملك من بني آدم وهو الرجل، وللبس على الملك لباس البشرية، لكي يعرفوه ويأنسوا به لكونه من جنسهم، ولكون الإنسان المؤمن أفضل من الملك.



(١) العلل للشيخ محمد الصدوق ١ / ٤، وسائل الشيعة للحر العاملي ١٥ / ٢٠٩، البحار للشيخ المجلسي ٥٧ / ٢٩٩.

(٢) العلل للشيخ محمد الصدوق ١ / ٢٥، البحار للشيخ المجلسي ٥٧ / ٣١٣.

(٣) سورة الأنعام آية (٩).

الفصل الرابع

[الأنبياء أفضل من الملائكة المقربين]

اعلم أن الأنبياء أفضل من الملائكة المقربين إلا الكروبيين، والملائكة العالين حملة العرش الذين لم يسجدوا لآدم حين أمر الله الملائكة للسجود لآدم ﷺ، ويدل على ذلك قول الله سبحانه لإبليس حين امتنع من السجود مع الملائكة لآدم: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(١) وقول الصادق ﷺ في حق الكروبيين ما معناه قال: إن الكروبيين قوم من شيعتنا خلف العرش، من الخلق الأول، جعلهم الله خلف العرش، لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال إن موسى لما سأل ربه ما سأله، أمر واحداً من الكروبيين، ولما أراد موسى على نبينا وآله وﷺ من ربه ما أراد من أمر الرؤية، أمر الله سبحانه لواحد منهم فظهر من نوره لموسى بقدر رأس الإبرة، فدك الجبل وخر موسى صعقاً، وكيف لا يكون الأنبياء^(٢) أفضل وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ﷺ فسجدوا كلهم إلا

(١) سورة ص آية (٧٥).

(٢) قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﷺ ((إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول، جعلهم الله خلف العرش، لو قسم نور واحد منه على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال إن موسى لما سأل ربه ما سأل، أمر واحداً من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكاً)) بصائر الدرجات =

الأربعة حملة العرش ❁؟ .

❁ الملائكة الكروبيون والعالون

تقدم الكلام أن بني آدم من العوام إذا غلب عقله على شهوته، يكون أفضل من الملائكة، فكيف بالأنبياء ﷺ؟ .

فالأنبياء ﷺ جميعهم عدا نبينا محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم أفضل الصلاة والسلام أفضل من جميع الملائكة عدا الملائكة الكروبيين والعالين، وأما محمد وآل محمد ﷺ أفضل الكل في الكل.

معنى الكروبيين

الكروبيون عند اللغة مفرد كروبي، والكروبي مأخوذ من ((كرب الشيء دنا.. . وإنما هو من القرب))^(١).

فكرب بمعنى دنا وقرب ((كربت الشمس: دنت للمغيب))^(٢) أي قربت للمغيب، فالكروبيون لهم معنيان هما:

المعنى الأول

يطلق على الملائكة ((الكروبيون من الملائكة هم سادة الملائكة المقربون منهم، وأحدهم كروبي))^(٣) ((وهم الملائكة المقربون، كجبرئيل وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل))^(٤) وهم الذين يحومون ويطوفون حول العرش بالتسبيح والتقديس،

= للشيخ محمد بن الحسن الصفار ٨٩، مستطرفات السرائر لأبن إدريس الحلبي ٥٦٩، البحار

للشيخ المجلسي ١٣ / ٢٢٤.

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٥ / ١٧٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) مجمع البحرين للطريحي ٢ / ١٧٢.

(٤) شرح دعاء السمات للسيد كاظم الرشتي ١٢١.

فجبرئيل للخلق، وميكائيل للرزق، وإسرافيل للحياة، وعزرائيل للموت لجميع الخلائق بأمر وأذن الله تعالى .

المعنى الثاني

هم حقائق الأنبياء ﷺ عدا محمد وآل محمد ﷺ، ومنهم الذي تجلى لنبي الله موسى على نبينا وآله وﷺ، وهو حقيقة موسى تجلت لجسد موسى على نبينا وآله وﷺ كما قال المؤلف في شرح دعاء السمات: ((فالكروبيون هم شعاع قد تجلى به لموسى، بل هو حقيقة موسى ﷺ لقول أمير المؤمنين ﷺ: ((بل تجلى لها بها))^(١) فلو أنه تعالى تجلى له بحقيقة محمد وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) لاحترق موسى وانعدم، لفناء الأثر عند ظهور المؤثر، كما أن بني إسرائيل فنوا وماتوا وهلكوا عند التجلي لموسى، لأنه كان ظهور العلة، فإن الرعية خلقوا من شعاع الأنبياء .

فلما ظهر نور الله الظاهر من حقيقة موسى - التي هي العلة - مات أولئك وهلكوا، بخلاف موسى فإنه لم يمت، ولكنه خر صعقاً، لأن ذلك من الوجه الأعلى، ولا يظهر إلا بعد قطع الالتفات عن الوجه الأسفل، فلا يبقى حينئذ التماسك فيصعق، كما قال أمير المؤمنين: ((أطفئ السراج فقط طلع الصبح))^(٢) فلو كان التجلي بالحقيقة العليا، لصار على موسى ﷺ ما صار على بني إسرائيل))^(٣) .

أي إن الله تعالى تجلى لجسد نبي الله موسى ﷺ بحقيقته وهي نفسه الناطقة، التي خلقت من شعاع جسد المعصومين ﷺ، وذلك أن المعصومين الأربعة عشر ﷺ، لهم حقيقة وعقل وروح ونفس وطبيعة ومادة ومثال وجسد، فخلقت حقائق الأنبياء عدا نبينا محمد ﷺ التي هي أشرف وأعلى ما في الأنبياء، من إشراق أقل رتبة عند المعصومين محمد وآل محمد ﷺ، وهو جسدهم، لكون المعصومين محمد وآل محمد ﷺ هم وجه الله تعالى في العالمين، وبابه ويده ولسانه ويده، كما في روايات

(١) نهج البلاغة ٢٦٩، الاحتجاج للشيخ الطبرسي ١ / ٢٠٤، البحار للشيخ المجلسي ٤ / ٢٦١ .

(٢) نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري ١ / ٢٢١ .

(٣) شرح دعاء السمات للسيد كاظم الرشتي ١٣٨ - ١٣٩ .

متظافرة عن أهل العصمة عليهم السلام، كما روي في بصائر الدرجات قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد، عن أبي نصر، عن محمد بن حمران، عن أسود بن سعيد، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام، فأنشأ يقول: ابتداءً من غير أن يسأل ((نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاية أمر الله في عباده، يا أسود بن سعيد: إن بيننا وبين كل أرض تراءً مثل تر البناء، فإذا أمرنا بأمر جذبنا ذلك الترفأقبلت إلينا الأرض بأسواقها ودورها، حتى ننفذ فيها ما أمرنا فيها من أمر الله عز وجل))^(١).

لذا قال المؤلف السيد كاظم رضوان الله عليه عند تجلي رب موسى عليه السلام لجسده، وأن الكروبيين هم حقائق الأنبياء قال: ((فلم يتمالك، ولا بد من أن يخر مغشياً عليه... فإنه ظهر لك أن الكروبيين حقائق الأنبياء أي وجههم إلى ربهم في تلقياتهم الفيوضات))^(٢) أي حقيقة موسى التي هي ربه أي سيدته تجلت لجسده معلول حقيقته.

إطلاق لفظ الملك للكروبي

تقدم البيان أن الكروبيين لهم معنيان أحدهما الملائكة المقربون، والآخر حقائق الأنبياء عليهم السلام.

وأطلق على الأنبياء عليهم السلام ملائكة كروبيين، مع أنهم أفضل من الملائكة كما قال المؤلف رضوان الله عليه ((وسموا ملكاً، لتمحضهم في ذكر الله، والوقوف بباب إرادته تعالى، وليسوا من نسخ الملائكة المعروفين، وكل واحد منهم لمعة نور من آل محمد عليهم السلام، مستودعة في حقيقة الأنبياء ليعرفوا بها ربهم، ويبصروا بها أمر معادهم ومعاشهم، ويأخذوا منها أنحاء التلقيات من الوحي، والإلهامات والقذوفات، ويوحد

(١) بصائر الدرجات للشيخ محمد بن الحسن الصفار ٢٢٦، الكافي للشيخ محمد الكليني ١ / ١٤٥، البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ٢٥ / ٣٨٤، الخرائج والجرائح للشيخ قطب الدين الراوندي ١ / ٢٨٨، المحتضر للشيخ الحسن بن سلمان الحلبي ٢٢٦.

(٢) شرح دعاء السمات للسيد كاظم الرشتي ١٣٩.

الله سبحانه بذلك وهي ((لا إله إلا الله)) التكويني، كما أن هذه كلمة ملفوضة حادثة، تدل على الوحدانية، كذلك تلك اللمعة كلمة ذاتية حادثة، تدل على الوحدانية، إلا أن دلالتها مشاهدة الرسم، فافهم إن كنت تفهم، وإلا فسلم تسلم))^(١).

وهذه اللمعة هي المشار إليه من أمير المؤمنين عليه السلام ((من عرف نفسه فقد عرف ربه))^(٢).

فإنها خلقت ليس كمثله شيء، فيعرف بأنه ليس كمثله شيء، وهذه اللمعة هي أيضاً النور الذي خلق منه الأنبياء والمؤمنون الذي ينظر فيه بنور الله تعالى، حتى يكون الحق سبحانه سمعه وبصره ويده كما قال عليه السلام: ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله))^(٣) وفي الحديث القدسي: ((كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها))^(٤).

فحقائق الأنبياء عليهم السلام خلقت من شعاع جسم محمد وآل محمد عليهم السلام، والحقائق هي الخلق الأول لكل شيء، وبالخصوص بالنسبة للأنبياء عليهم السلام لأنه أول ما خلق خلقت حقائقهم، فحقائق الأنبياء السابقين عليهم السلام هم من شيعة محمد وآل محمد عليهم السلام في الخلق الأول، كما ورد في البصائر، عن أحمد بن محمد السيارى، عن عبيد الله بن أبي عبد الله الفارسي، وغيره رفعوه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول، جعلهم الله خلف العرش، لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال: إن موسى عليه السلام لما سأله ما سأله من أمر واحد من الكروبيين، فتجلى للجبل فجعله دكاً))^(٥) معنى قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام (من

(١) شرح دعاء السمات للسيد كاظم الرشتي ٢٤٠.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٥٨ / ٩٩، شرح منه كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ٧٥.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ١ / ٢١٨، العلل للشيخ الصدوق ١ / ١٧٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ١ / ٢١٦.

(٤) المحاسن لأحمد البرقي ١ / ٢٩١، الكافي للشيخ الكليني ٢ / ٣٥٢.

(٥) بصائر الدرجات للشيخ محمد بن الحسن الصفار ٨٩، مستطرفات السرائر لأبن أدريس الحلبي ٥٦٩، البحار للشيخ المجلسي ١٣ / ٢٢٤.

الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش) المراد من العرش هنا المشيئة، لأنها عرش العروش، فكل شيء وجد بالمشيئة.

ومعنى كلامه ﷺ إن الحقائق خلف العرش أي إن الحقائق هي عبارة عن انفعال المشيئة، وهي عالم الفؤاد، وعالم النفس الناطقة، وهي البلد الميت، وأرض الجرز، والماء النازل من سحب المشيئة الذي جعل منه كل شيء حي، وجهة العبد من ربه.

فكونها خلف العرش أي المشيئة أي انفعال فعل الله تعالى بها مثل الكسر والانكسار، وهي النور الذي من عرفه فقد عرف الرب سبحانه، بما ظهر له تعالى للعبد إلى آخرها من المصطلحات لهذا المقام.

فعلى معنى الكروبيين هم حقائق الأنبياء، وحقائق الأنبياء عدا نبينا ﷺ خلقوا جميعاً من فاضل أنوار محمد وآل محمد ﷺ، فإذا كان نبي الله إبراهيم الخليل ﷺ من شيعة نبي الله نوح على نبينا وآله وعليه السلام كما قال تعالى (وإن من شيعة لإبراهيم) فكيف لا يكون من شيعة رسول الله ﷺ الذي هو سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ.

فلو بعث الأنبياء والمرسلون مع أوصيائهم ﷺ جميعاً، لوجب عليهم اتباع رسول الله ﷺ وتطبيق شريعته ويكونون من شيعة.

بين نبي الله إبراهيم الخليل ﷺ ونبي الله نوح ﷺ فترة زمنية طويلة، وكان إبراهيم من شيعة نوح، فكيف لو بعث آدم ونوح وإبراهيم وجميع الأنبياء والمرسلين مع أوصيائهم ﷺ في زمن رسول الله ﷺ لوجب عليهم اتباع رسول الله ﷺ ويكونون من أمته وشيعته بالطريق الأولى.

وإذا كان الأنبياء والمرسلون وأوصيائهم عدا رسول الله ﷺ من أمة رسول الله في حضوره كما كان في الإسراء والمعراج لما اجتمع رسول الله ﷺ مع جميع الأنبياء والمرسلين، وأمر بإقامة الصلاة تقدم رسول الله وصلى بهم جماعة.

ولما كان النبي ﷺ بشر مخلوق يجري عليه الموت، وجب في وصيه ما وجب

له، وبالخصوص إذا كان وصيه عليه السلام هو نفسه كما في آية المباهلة (وأنفسنا وأنفسكم) فيجب عليهم الإلتزام بوصيه، لذا إذا خرج المهدي الحجة بن الحسن عجل الله فرجه من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله الوصي الثاني عشر يصلي خلفه نبي الله عيسى عليه السلام.

لذا روي عن أهل بيت الطهارة عليهم السلام أن إبراهيم من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما ذكر عن كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: محمد بن الحسين، عن محمد بن وهبان، عن محمد بن علي بن وخيم، عن العباس بن محمد، عن أبيه، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن جابر الجعفي أنه سأل جعفر بن محمد عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ (٨٣) ^(١) فقال عليه السلام: ((إن الله سبحانه لما خلق إبراهيم كشف له بصره، فنظر فرأى نوراً إلى جنب العرش، فقال: إلهي ما هذا النور؟، فقال: هذا نور محمد صفوتي من خلقي، ورأى نوراً من جنبه فقال: إلهي ما هذا النور؟، فقال: نور علي بن أبي طالب عليه السلام ناصر ديني، ورأى إلى جنبهما ثلاثة أنوار فقال: إلهي ما هذه الأنوار؟، فقيل له: هذا نور فاطمة فطمت محبيها من النار، ونور ولديها الحسن والحسين، قال: إلهي وأرى تسعة أنوار قد أهدقوا بهم، قيل: يا إبراهيم هؤلاء الأئمة من ولد علي وفاطمة، فقال إبراهيم: إلهي بحق هؤلاء الخمسة إلا عرفتني من التسعة؟، قيل: يا إبراهيم أولهم علي بن الحسين، وابنه محمد، وابنه جعفر، وابنه موسى، وابنه علي، وابنه محمد، وابنه علي، وابنه الحسن، والحجة القائم ابنه، فقال إبراهيم: إلهي وسيدي أرى أنواراً قد أهدقوا بهم لا يحصى عددهم إلا أنت، فقيل: يا إبراهيم شيعتهم شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال إبراهيم: وبما تعرف شيعته؟، قال: بصلاة إحدى وخمسون، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم، والقنوت قبل الركوع، والتختم في اليمين، فعند ذلك قال إبراهيم: اللهم اجعلني من شيعة أمير المؤمنين قال: فأخبر الله تعالى في كتابه فقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ (٨٣) ^(٢).

(١) سورة الصافات آية (٨٣).

(٢) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ٣٦ / ١٥١ - ١٥٢، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ٤ / ٣٩.

الملائكة العالون

وهم الملائكة الذين يحملون العرش كما قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾^(١).

قال آية الله الإمام المصلح الميرزا حسن الإحقاقي، وابنه آية الله خادم الشريعة الميرزا عبد الرسول الأحقائي قدس الله روحيهما في جنان الخلد في رسالتيهما العملية ((وحملة العرش وغيرهم وغيرها من دون استثناء، وسائل وأسباب كما قال الإمام الصادق: عليه السلام ((أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها))^(٢) فقد اقتضت حكمته جلّ وعلا أن يجعل بعضاً من مخلوقاته سبباً للخلق، أو وسيلة للرزق، أو علة للإحياء والإماتة، كما أن حملة العرش وسائل للأفعال الأربعة التي بها قوام الوجود.

فميكائيل للرزق، وإسرافيل للحياة، وعزرائيل للموت، وجبرائيل للخلق، وهم يستمدون الفيض من الملائكة العالين الذين يحملون العرش فوقهم وهم (العقل الكلي، والروح الكلية، والنفس الكلية، والطبيعة الكلية).

وما ظهر من بعض الأنبياء والأولياء من المعاجز والكرامات، كخلق الخفاش، وإحياء الموتى من المسيح وأمثالها من المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

إما لإثباته مقاماتهم المنيعة من النبوة والإمامة، وإما أنهم من حملة الوسائل الوجودية، والأسباب الكونية، بأمر الجليل جلّ وعلا، وهذا لا ينافي التوحيد، فالأسباب العالية والوسائل المتعالية، كالأسباب العادية والمسببات كلها خلقه وعبيده ليس لهم استقلال ولا طرفة عين أبدأ، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾^(٣) لَا يَسْجُدُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَقْمَلُونَ ﴿٢٧﴾^(٤).

(١) سورة الحاقة آية (١٧).

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٢ / ٩٠.

(٣) سورة الأنبياء آية (٢٦ - ٢٧).

(٤) أحكام الشيعة لآية الله الإمام المصلح الميرزا حسن الأحقائي ١ / ١٣، وأحكام الشريعة لآية الله خادم الشريعة الميرزا عبد الرسول الأحقائي ١ / ١٥.

فالملائكة العالون هم الذين لم يسجدوا لآدم على نبينا وآله وعلينا، كما قال تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(١).

فالملائكة العالون وهم العقل الكلي، والروح الكلية، والنفس الكلية، والطبيعة الكلية هم محمد وآل محمد ﷺ، لأنهم أول خلق خلقهم الله عز وجل وكل ما سواهم من العرش إلى ما تحت الثرى خلق من شعاعهم وآثارهم وآثار آثارهم ﷺ كما تقدم البيان من قبل.

كما قال مولانا الإمام الحجة بن الحسن أرواحنا لغبار تراب نعليه المباركتين الفداء ((نحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائعتنا))^(٢).

فالعرش من صنائعهم سلام الله عليهم، بل قوامه وحمله بهم، فالعقل الكلي هو النور الأبيض الذي ابيض منه كل بياض، وهو القائم بركن الرزق والظاهر به ميكائيل، والروح الكلية وهي النور الأصفر الذي أصفرت منها الصفرة، وهو القائم بركن الحياة والظاهر به إسرافيل، والنفس الكلية وهي النور الأخضر الذي أخضرت منه الخضرة، وهو القائم بركن الممات والظاهر به عزرائيل، والطبيعة الكلية وهي النور الأحمر الذي أحمرت منه الحمرة، وهو الحامل لركن الخلق والظاهر به جبرائيل ﷺ.

روى الشيخ محمد الصدوق رضوان الله عليه في التوحيد قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن علي بن إسماعيل، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر، عن علي بن الحسين رضي الله عنه قال: ((إن الله عز وجل خلق العرش أرباعاً، لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء: الهواء والقلم والنور، ثم خلقه من أنوار مختلفة: فمن ذلك النور نور أخضر أخضرت منه الخضرة، ونور أصفر أصفرت منه الصفرة، ونور أحمر أحمرت منه الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النهار، ثم جعله سبعين ألف طبق، غلظ كل طبق كأول العرش إلى أسفل السافلين، ليس من ذلك طبق

(١) سورة ص آية (٧٥).

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي ٢٨٥.

إلا يسبح بحمد ربه ويقدهه بأصوات مختلفة وألسنة غير مشتبهة، ولو أذن للسان منها فأسمع شيئاً مما تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون، ولخسف البحار ولأهلك ما دونه، له ثمانية أركان على كل ركن منها من الملائكة ما لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولو حس شيء مما فوقه ما قام لذلك طرفة عين بينه وبين الإحساس الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة ثم العلم وليس وراء هذا مقال))^(١) قول الإمام علي بن الحسين عليه السلام النور الأبيض نور الأنوار، إشارة إلى أن العقل الكلي مصدر جمع الكائنات كما تقدم الكلام، وكذا قوله في الروح الكلية أصفرت منه الصفرة، والنفس الكلية أخضرت منه الخضرة، والطبيعة أحمرت منه الحمرة، أي كل خلق وحياء ورزق وموت فهو من هذه الأنوار الأربعة، فصاحب النور الأبيض هو رسول الله صلى الله عليه وآله، وصاحب النور الأصفر هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وصاحب النور الأخضر هو الإمام السبط أبو محمد الحسن المجتبي عليه السلام لذا أخضر لونه عند موته، وصاحب النور الأحمر هو الإمام سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام، الذي خضب بدمائه يوم الطف، لعن الله قاتليه والراضين بقتله إلى يوم الدين آمين يا رب العالمين.

وأما الصديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها، هي الحاملة لهذه الأنوار الأربعة وهي أمهم، لذا لقبها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله : ((بأم أبيها)) فالأم هي الحاملة للجنين، وفاطمة الكبرى سلام الله عليها هي الحاملة والحافظة لهذه الأنوار الأربعة.

لماذا سميت فاطمة عليها السلام بالزهراء؟

لذا روي في علة تسميتها بالزهراء سلام الله عليها لأنها تزهر بهذه الأنوار، كما ذكر الشيخ محمد الصدوق رضوان الله عليه قال أبي عليه السلام قال: حدثني جعفر بن سهل الصيقل، عن محمد بن إسماعيل الدارمي عن حدثه، عن محمد بن جعفر الهرماني، عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا بن رسول الله لم سميت

الزهراء عليها السلام زهراء؟، فقال: ((لأنها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرشهم فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة، فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوا فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام، فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع من محرابها من وجهها، فيعلمون أن الذي رأوه كان من نور فاطمة، فإذا نصف النهار وترتبت للصلاة زهر وجهها عليها السلام بالصفرة، فتدخل الصفرة حجرات الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة، فيعلمون أن الذي رأوا كان من نور وجهها، فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس أحمر وجه فاطمة عليها السلام فأشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً لله عز وجل، فكان يدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمر حيطانهم فيعجبون من ذلك، ويأتون النبي صلى الله عليه وآله ويسألونه عن ذلك فيرسلهم إلى منزل فاطمة فيرونها جالسة تسبح الله وتمجده ونور وجهها يزهر بالحمرة، فيعلمون أن الذي رأوا كان من نور وجه فاطمة عليها السلام، فلم يزل ذلك النور في وجهها حتى ولد الحسين عليه السلام فهو يتقلب في جوهنا إلى يوم القيامة، في الأئمة منا أهل البيت إمام بعد إمام))^(١).

نجد في الرواية أن الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها تجلت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأنوار ثلاثة فقط، النور الأبيض والأصفر والأحمر، وأما النور الأخضر لم تتجل به، قال آية الله الإمام المصلح والعبد الصالح الميرزا حسن الأحقائي رضوان الله عليه ((النور الأخضر لركن الموت الظاهر به عزرائيل عليه السلام، فلو تجلت به للناس لماتوا جميعاً))^(٢) إذن الملائكة الكروبيون والعالمون هم الذين لم يسجدوا لآدم على نبينا وآله وعليه السلام، لأنهم أفضل منه كما تقدم.

(١) علل الشرائع - الشيخ الصدوق - ج ١ / ص ١٨٠ - ١٨١، صحيفة الأبرار للميرزا محمد المامقاني ٢ / ١٠٥.

(٢) من خطب آية الله الإمام المصلح الميرزا حسن الأحقائي.

إن قلت: أن السجود لآدم عليه السلام لا يدل على تفضيله عليهم، إذ آدم عليه السلام بنفسه لم يكن مسجوداً للملائكة، بل السجود حقيقة لله سبحانه، لكن آدم وجه يتوجهون به إلى الله بإذنه وأمره، كتوجهنا إلى الكعبة.

قلنا: إن السجود من الملائكة لآدم لم يكن لمطلق الوجه ومجرده، بل كان لتعظيم آدم وتوقيره، إذ لو كان لمجرد الوجه لما كان لعدم سجود العالين الذين هم حقايق نبينا عليه السلام وجه بوجه، ولسجدوا لله سبحانه، والحال أنهم لم يسجدوا بنصر قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(١) إذ تعظيم آدم وإكرامه إنما كان لاحترام العالين، والأنوار المقدسة الطاهرين، الذين هم حقايق نبينا عليه السلام، والأدلة عليه في المقام كثيرة، والكلام فيه طويل الذيل، نسكت عن الكلام، ونكتفي في المقام بخبر جامع لكل ما يرام، وإن كان طويلاً لكن لإشتماله على المطالب العالية، والجواهر الثمينة الغالية، نذكره بطوله.

روى الشيخ الصدوق في كتابه (علل الشرايع) بإسناده عن عبد المسلم بن صالح الهروي، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ما خلق الله عز وجل خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني، قال علي صلوات الله عليه: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على

جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا، يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله، يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه، لأن أول ما خلق الله عزَّ وجلَّ أرواحنا، فأنطقنا بتوحيده وتحميده. ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا، فسبحنا لتعلم الملائكة إنا خلق مخلوقون، وأنه منزه عن صفاتنا. فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته من صفاتنا فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا، لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله، وإنا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا لا إله إلا الله، فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله لنا من العزة والقوة قلنا: لاحول ولا قوة إلا بالله، لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة: الحمد لله. فبنا اهدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده.

ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم عليه السلام فأودعنا في صلبه، أمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزَّ وجلَّ عبودية، ولآدم إكراماً وطاعة، لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون.

وانه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرائيل مثني مثني وأقام مثني مثني

ثم قال لي : تقدم يا محمد فقلت له : يا جبرائيل أتقدم عليك؟ فقال : نعم ، لأن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه على ملائكته أجمعين ، وفضلك خاصة . فتقدمت فصليت بهم ولا فخر . فلما انتهيت إلى حجب النور فقال لي جبرائيل : تقدم يا محمد ، وتخلف عني . فقلت : يا جبرائيل في مثل هذا الموضوع تفارقني؟ فقال : يا محمد إن انتهاء حدي الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان فإن تجاوزته احترقت اجنحتي بتعدي حدود ربي جل جلاله . فزج بي في النور زجة حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علو ملكه فنوديت يا محمد . فقلت : لبيك ربي وسعديك تباركت وتعاليت . فنوديت : يا محمد أنت عبدي وأنا ربك فايأي فأعبد وعلي فتوكل فانك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجتي على بريتي ، لك ولمن اتبعك خلقت جنتي ، ولمن خالفك خلقت ناري ، ولأوصيائك أوجبت كرامتي ولشيعتهم أوجبت ثوابي . فقلت ياربي من أوصيائي؟ فنوديت يا محمد أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي ، فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش فرأيت اثني عشر نوراً في كل نور سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم مهدي أمتي عليه السلام .

فقلت ياربي هؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت يا محمد هؤلاء أوليائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريتي وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك ، وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني ولأعلن بهم كلمتي ولأظهرن الأرض باخرهم من أعدائي ولأملكه مشارق الأرض ومغاربها ولأسخرن له الرياح ولأذلن له السحاب الصعاب ولأرقينه في الأسباب ولأنصرنه بجندي ولأمدنه بملائكتي حتى تعلقو دعوتي ويجمع

الخلق على توحيدي ثم لأديمن ملكه ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة^(١) تم الخبر الشريف، اللهم عجل فرجهم وسهل مخرجهم، وأهلك أعداءهم من الجن والإنس من الأولين والآخرين إلى يوم الدين، اللهم اجعلني ممن يكر في رجعتهم، ويملك في دولتهم، ويشرف في عافيتهم، إنك على كل شيء قدير، قد ذكرنا الخبر بطوله لاشتماله على مطالب غريبة، وأسرار عجيبة ❀.

❀ سجود الملائكة لآدم ﷺ

تقدم الكلام أن مؤمن الإنس أفضل من الملائكة إذا غلب عقله على شهوته، فكيف بالأنبياء ﷺ؟ لذا أسجد الله ملائكته لآدم على نبينا وآله وﷺ لكونه أفضل منهم.

وقد يعترض معترض على ذلك ويقول: إن سجود الملائكة لآدم ﷺ ليس لكونه أفضل منهم، بل لكونه وجهاً كالكعبة.

جواب المؤلف

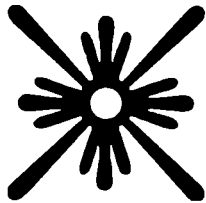
نعم آدم وجه لله تعالى يتوجه إليه، ولكن الوجعية لآدم ﷺ ليست العلة التامة لسجود الملائكة له.

بل لفضله عليهم، فلو كانت الوجعية لله تعالى هي العلة التامة للسجود، لسجد كل الملائكة ومنهم العالون، لأن العالين هم أعبد الخلق وأخشعهم لله عز وجل فهم أولى بالسجود من غيرهم، ولكن هذا خلاف نص القرآن الكريم حينما قال تعالى لإبليس لعنه الله: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(٢).

(١) علل الشرع للشيخ الصدوق ١ / ٥، عيون أخبار الرضا ﷺ للشيخ الصدوق ٢ / ٢٣٧، حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني ١ / ١٠، البحار للشيخ المجلسي ١٨ / ٣٤٥.

(٢) سورة ص آية (٧٥).

ومما لا شك أن السجود لآدم عليه السلام إنما لأجل أنوار محمد وآل محمد عليهم السلام في صلبه، لأنهم أفضل الكل في الكل، فلا يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق إلى يوم الدين، وأنهم عليهم السلام المعلمون لمن سواهم من الخلق مما اتفقت عليه آيات القرآن الكريم، وروايات المعصومين عليهم السلام وعلماء الإمامية وكيف لا يكونون كذلك وأمير المؤمنين جدهم عليه السلام باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثبتنا الله عز وجل على ولايتهم والبراءة من أعدائهم في الدنيا والآخرة آمين رب العالمين.



الفصل الخامس

[لابد للنبي أن يكون جامعاً للكمالات الحسنة]

إن النبي ﷺ لا بد أن يكون جامعاً للكمالات الحسنة، ومتخلقاً باخلاق رضية مرضية، بحيث لا يكون خالياً من صفة كمال يأمر بها رعيته وأمته، ومبرء من قبائح الأعمال وأخلاق السوء، والمعاصي الكبائر والصغائر، وكل ما هو موجب لنفرة الطبائع، كالغلظة والخلق السيء، حتى يميل الناس إليه، ويرغبون فيه، ولا ينفرون منه، ومتمكن من إجراء أوامر الله ونواهيه فيهم على النهج الذي أمر به، ولذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١) كالحسد والبخل، ودناءة الآباء والأمهات، وأن لا يكون أنثى إذ ليس لها ولاية على الرجال، قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢).

وأن لا يكون خنثى وأعمى وأشل ومجدوماً، ولا يكون مبتلى بأمراض موجبة لنفرة الطبائع والنفوس منه، وأن يكون معصوماً من جميع

(١) سورة آل عمران آية (١٥٩).

(٢) سورة النساء آية (٣٤).

المعاصي، الكبيرة والصغيرة عمداً وسهواً، وأصول المعاصي مطلقاً منحصرة في أربعة أشياء: الحرص، والحسد، والغضب، والشهوة، وجميع المعاصي تتشعب من هذه الأربعة، والنبي لا بد أن يكون منزهاً ومبرئاً منها وإلا لما كان نبياً ❁.

❁ النبي جامع للكمالات

هذا واضح من كون النبي ﷺ جامعاً للكمالات، ومتصفاً بأفضل الصفات الحسنة الخلقية بفتح الخاء من استقامة البنية، وعدم الإعاقة وحسن السمات، والصفات الخلقية بضم الخاء من جميع كمالات الأخلاق، والابتعاد من رذائلها مطلقاً في كل الأحوال، في الرضا والغضب في الرخاء والشدة، ولا تطيل الكلام لأنه معروف ومتفق عليه عند أئمتنا ﷺ وعلماؤنا الإمامية، أما أهل الخلاف فشأنهم في ذلك.

أما الحرص يعني كونه منزهاً فلأن جميع أموال الدنيا تحت تصرف النبي، إن شاء تصرف فيها بإذن الله سبحانه كيفما شاء، إن أراد أن يجعل الجبال والحجر والمدر والحصى ذهباً وفضة، لفعل بإذن الله.

والحرص لا يكون إلا على شيء ليس عنده، أو لم يتمكن عليه، أو يخاف زوال ما عنده، فإن كان النبي كما ذكرنا متمكناً من جميع ما أراد بإذن الله تعالى، مما في أيدي الناس وغيره، ولا يخاف زواله، فكيف يحرص على شيء؟ ❁.

وأما كونه منزهاً من الحسد فلأن «الحاسد» ممن تكون مرتبته أنزل ممن يحسده، وليس مرتبة أعلى من النبوة والولاية فكيف يحسده النبي؟ ومن هو أعلى منه حتى يحسده؟ ❁❁.

وأما الغضب فلما ذكرنا، نعم يغضبون في جنب الله والله، في إقامة الحدود وأمثالها. ❁❁❁.

❁ نفي الحرص عن النبي ﷺ

أما كون النبي ﷺ غير حريص على متاع الدنيا لوجود الاسم الأعظم عنده، من تسخير كل شيء تحت تصرفه وإرادته بأمر الله عز وجل، فلا يخاف شيئاً يفوته من متاع الدنيا، فالذي يتركه من متاع الدنيا ليس لعدم قدرته عليه، بل رغبة لما عند الله تعالى، وزهداً في الدنيا، فإذا كان كل شيء تحت تصرفه وعنده فعلى ماذا يحرص؟.

❁❁ نفي الحسد عن النبي ﷺ

الحسد هو تمنى زوال نعمة الغير، لكون الغير عنده ما لم يكن عند الحاسد، أما إذا كان الشخص عنده كل شيء من أموال ومتاع الدنيا كله تحت تصرفه، وعنده

الأعظم النبوة والولاية على رعيته، فعلى ماذا يحسد؟ لأن الحاسد يحسد من هو فوقه، ولا فوق على النبوة والولاية والقرب إلى الله عز وجل.

*** نفي الغضب عن النبي ﷺ ***

لما كان النبي ﷺ دائماً متعلقاً بالملا الأعلى وإلى لقاء الله عز وجل، وعدم التفاته إلى الدنيا كلية، بل الدنيا عند النبي ﷺ أنتن من الجيفة، فلا يعتني بسخط الناس واستهزائهم عليه لنفسه، بل إذا عصي الله تعالى يغضب لله ويرضى الله عز وجل لا غير.

وأما الشهوة يعني شهوة الدنيا وحبها فهم أيضاً منزهون منها ، لأنهم أعرضوا عن الدنيا وما فيها ، وما بعثوا إلا لترغيب الناس إلى الآخرة ، وتحريضهم إلى الإعراض عنها ، فكيف يحذرون الخلق عنها وتكون فيهم؟ .

وأما شهوة الآخرة والموت فهم في الدرجة العليا منها ، بحيث لا يصل إليها أحد غيرهم ، لأنهم لما قتلوا أنفسهم في طاعة الله سبحانه وعبادته ، وجاهدوا في مرضاته ، وجنبوا الأغيار وأخرجوها عن قلوبهم ، وطهروا ظاهرهم كباطنهم بالرياضات الربانية ، والمجاهدات النفسانية تجلى الله سبحانه إليهم لظاهرهم وباطنهم ، وعرفهم الحيث والكم والكيف ، والمفصول والموصول ، ومآل أمرهم من أحوال الآخرة والقيامة ، والجنة والنار ، والحساب والميزان ، والمقامات والعلامات ، قبل أن يفارقوا عالم الأجسام ظاهراً ويخرجوا عنها ، وإن كانوا في الحقيقة خارجين عنها ، إذ الشيء لا يدرك إلا ما هو من سنخه وجنسه ، وهذه الأمور ليست بجسماني ولا من الأجسام .

الحاصل عرفهم تلك الأمور ، بحيث وصلوا إلى مرتبة اليقين ، فلو رفع من البين حجاب الأجسام ، لما زاد لهم يقين على ما عرفوا من تلك الأمور : (لو كشف الغطاء لما ازددت يقينا)^(١) .

الحاصل : فالدنيا وما فيها عندهم كالميتة العفنة ، لو اشم أحد رائحتها لهلك ، ولو رآها الإنسان من بعيد لفر منها فراسخ ، فلا يقرب

(١) التحفة السنية للسيد نعمه الله الجزائري ٧ ، الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي ١٣٧ ، البحار للشيخ المجلسي ٦٤ / ٣٢١ ، شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ٣ / ١٧٣ .

منها، ولا يجتمع عليها إلا الكلاب، وأبناء جنسها ●.

● نفي شهوة الحرام عند النبي ﷺ

أما شهوة الحرام والعياذ بالله، وشهوة حب الدنيا والرياسة والطعام والشراب لنفسه، فما لا شك أنهم منزهون عنها، فإذا كان المؤمن العادي من الرعية عنده الدنيا جيفة، فكيف بالأنبياء ﷺ؟.

أما شهوة الآخرة والاستعداد لها، وإماتة النفس الأمانة، وإحياء النفس القدسية، فهم في أعلى الدرجات، لأنهم أماتوا أنفسهم في الدنيا قبل الآخرة. فليس لهم تعلق بالدنيا أبداً، كما روي عن النبي ﷺ: ((موتوا قبل أن تموتوا))^(١).

أي كما أن الميت لا علاقة له بالدنيا، كذلك من أمات نفسه عن علائق الدنيا وهو في الدنيا هو ميت عنها وعن شهواتها مثل الميت، لذا قال آية الله العظمى خادم الشريعة الميرزا عبد الرسول قدس الله نفسه في معنى هذا الحديث، موتوا قبل أن تموتوا، يمثل بالنظارة التي يلبسها قال: ((مثل نظارتي هاتي، وجودها وعدمها عندي سواء، فلولا ضعف النظر لما لبستها))^(٢).

يعني أنه ليس عنده شهوة وحب لها لأجلها، وإنما بقاؤها لأجل النظر إلى الناس والقراءة والعبادة فقط، فهكذا الأنبياء يأكلون لبقاء أنفسهم من الهلاك، وينكحون لأجل بقاء النسل، وتكثير الموحدين في الأرض.

(١) التحفة السنوية للسيد عبد الله الجزائري ٤٤.

(٢) من خطب آية الله خادم الشريعة الميرزا عبد الرسول الإحقاقي.

الدنيا جيفة وطلابها كلاب، فهل رأيت انساناً يميل إلى هذه الحالة، مع مشاهدته التمتع والتلذذات الأخروية الروحانية والجسمانية، وعلمه بأن الميل بهذه الحالة سبب لزوال هذه النعم الدائمة، ومانع من الوصول إليها، ولذا جمع من الكملين بواسطة مشاهدتهم تلك الحالات والمقامات: نزلوا الدنيا منزلة الجيفة، كما قال سيد العارفين^(١) عليه السلام ولم يرغبوا فيها أبداً، ولولا ضيق الوقت لذكرنا لك بعض التمثيلات في حق الدنيا، التي ذكرها الحكيم العظيم (بلوهر) للشاه زادة يوذاسف^(٢).

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام (الدنيا جيفة، فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ١ / ٣٤٧، كتر العمال للمقتفي الهندي ٣ / ٧١٩.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق حدثنا محمد بن زكريا قال: فقد بلغني أن ملكاً من ملوك الهند كان كثير الجند واسع المملكة مهيباً في أنفس الناس، مظفراً على الأعداء، وكان مع ذلك عظيم النهمة في شهوات الدنيا ولذاتها وملاهيها، مؤثراً لهواه، مطيعاً له، وكان أحب الناس إليه وأنصحهم له في نفسه من زين له حاله وحسن رأيه، وابتغى الناس وأغشهم له في نفسه من أمره بغيرها وترك أمره فيها، وكان قد أصاب الملك فيها في حادثة سنة وعنفوان شبابه وكان له رأي أصيل ولسان بليغ ومعرفة بتدبير الناس، وضبطهم، فعرف الناس ذلك منه فانقادوا له، وخضع له كل صعب وذلول، واجتمع له سكر الشباب وسكر السلطان، والشهوة والعجب، ثم قوى ذلك ما أصاب من الظفر على من ناصبه والقهر لأهل مملكته، وانقياد الناس له، فاستطال على الناس واحتقرهم، ثم ازداد عجباً برأيه ونفسه لما مدحه الناس وزينوا أمره عنده، فكان لا همه إلا الدنيا وكانت الدنيا له مواتية، لا يريد منها شيئاً إلا ناله، غير أنه كان مثنائاً لا يولد له ذكر، وقد كان الدين فشا في أرضه قبل ملكه، وكثر أهله، فزين له الشيطان عداوة الدين وأهله وأضر بأهل الدين فأقصاهم مخافة على ملكه، وقرب أهل الأوثان، وصنع لهم أصناماً من ذهب وفضة، وفضلهم وشرفهم، وسجد لا صناتهم. فلما رأى الناس ذلك منه سارعوا إلى عبادة الأوثان والاستخفاف بأهل الدين، ثم إن الملك سأل يوماً عن رجل من أهل بلاده كانت له منه منزلة حسنة ومكانة رفيعة وكان أراد ليستعين به على بعض أموره ويحبه ويكرمه، فقيل له: أيها الملك أنه قد خلع الدنيا وخلا منها ولحق بالنسك فثقل ذلك على الملك، وشق عليه، ثم إنه أرسل إليه فأتي به، فلما نظر إليه في زي النسك وتخشعهم زبره وشمته وقال له: بينا أنت من عبيدي وعيون أهل مملكتي ووجههم وأشرفهم =

= إذ فضحت نفسك وضيعت أهلك ومالك واتبعت أهل البطالة والخسارة حتى صرت ضحكة ومثلا ، وقد كنت أعددتك لمهم أموري ، والاستعانة بك على ما ينوبني ، فقال له : أيها الملك إنه إن لم يكن لي عليك حق فلعلك عليك حق ، فاستمع قولي بغير غضب ، ثم أمر بما بدا لك بعد الفهم والتبصير ، فإن الغضب عدو العقل ، ولذلك يحول بين صاحبه وبين الفهم ، قال الملك : قل ما بدا لك . قال الناسك : فإني أسألك أيها الملك أفي ذنبي على نفسي عتبت على أم في ذنب مني إليك سالف؟ . قال الملك : إن ذنبك إلى نفسك أعظم الذنوب عندي ، وليس كلما أراد رجل من رعيتي أن يهلك نفسه أخلي بينه وبين ذلك ، ولكنني أعد إهلاكه نفسه كإهلاكه لغيره ممن أنا وليه والحاكم عليه وله ، فأنا أحكم عليك لنفسك وأخذ لها منك إذ ضيعت أنت ذلك ، فقال له الناسك : أراك أيها الملك لا تأخذني إلا بحجة ولإنفاذ لحجة إلا عند قاض ، وليس عليك من الناس قاض ، لكن عندك قضاة وأنت لأحكامهم منفذ ، وأنا ببعضهم راض ، ومن بعضهم مشفق . قال الملك : وما أولئك القضاة؟ قال : أما الذي أَرْضَى قضاة فعقلك ، وأما الذي أنا مشفق منه فهوأك ، قال الملك : قل ما بدا لك وأصدقني خبرك ومتى كان هذا رأيك؟ ومن أغواك؟ قال : أما خبري فإني كنت سمعت كلمة في حادثة سني وقعت في قلبي فصارت كالحبة المزروعة ، ثم لم تزل تنمي حتى صارت شجرة إلى ما ترى ، وذلك؟ أني (كنت) قد سمعت قائلا يقول : يحسب الجاهل الأمر الذي هو لا شيء شيئا والأمر الذي هو ال شيء لا شيء ، ومن لم يرفض الأمر الذي هو لا شيء لم ينل الأمر الذي هو الشيء ، ومن لم يبصر الأمر الذي هو الشيء لم تطب نفسه برفض الأمر الذي هو لا شيء ، والشيء هو الآخرة ، واللاشيء هو الدنيا ، فكان لهذه الكلمة عندي قرار لأنني وجدت الدنيا حياتها موتا وغناها فقرا ، وفرحها ترحا ، وصحتها سقما ، وقوتها ضعفا ، وعزها ذلا ، وكيف لا تكون حياتها موتا ، وإنما يحيى فيما صاحبها ليموت ، وهو من الموت على يقين ، ومن الحياة علي قلعة ، وكيف لا يكون غناؤها فقرا وليس يصيب أحد منها شيئا إلا احتاج لذلك الشيء إلى شيء آخر يصلحه وإلى أشياء لا بد له منها . ومثل ذلك أن الرجل ربما يحتاج إلى دابة فإذا أصابها احتاج إلى علفها وقيمها ومربطها وأدواتها ، ثم احتاج لكل شيء من ذلك إلى شيء آخر يصلحه وإلى أشياء لا بد له منها ، فمتى تنقضي حاجة من هو كذلك وفاقته؟ وكيف لا يكون فرحها ترحا وهي مرصدة لكل من أصاب منها قرة عين أن يرى من ذلك الأمر بعينه أضعافه من الحزن ، إن رأى سرورا في ولده فما ينتظر من الأحزان في موته وسقمه وجايحة ان أصابته أعظم من سروره به ، وإن رأى السرور في مال فما يتخوف من التلف أن يدخل عليه =

= أعظم من سروره بالمال، فإذا كان الامر كذلك فأحق الناس بأن لا يتلبس بشيء منها لمن عرف هذا منها. وكيف لا يكون صحتها سقما وإنما صحتها من أخلاطها وأصح أخلاطها وأقربها من الحياة الدم، وأظهر ما يكون الانسان دما أخلق ما يكون صاحبه بموت الفجأة، والذبحة والطاعون والآكلة والبرسام، وكيف لا يكون قوتها ضعفا وإنما تجمع القوى فيها ما يضره ويوبقه، وكيف لا يكون عزاها ذلا ولم ير فيها عز قط إلا أورث أهله ذلا طويلا، غير أن أيام العز قصيرة، وأيام الذل طويلة، فأحق الناس بدم الدنيا لمن بسطت له الدنيا فأصاب حاجته منها فهو يتوقع كل يوم وليلة وساعة وطرفة عين أن يعدي على ماله فيجتاح، وعلى حميمه فيختطف وعلى جمعه فينهب، وأن يؤتى بنيانه من القواعد فيهدم، وأن يدب الموت إلى حشده فيستأصل، ويفجع بكل ما هو به ضنين. فأذم إليك أيها الملك الدنيا الآخذة ما تعطي، والمورثة بعد ذلك التبعة، السلاية لمن تكسو، والمورثة بعد ذلك العرى، المواضعة لمن ترفع، والمورثة بعد ذلك الجزع، التاركة لمن يعشقها، والمورثة بعد ذلك الشقوة، المغوية لمن أطاعها واغتر بها، الغدارة بمن ائتمنها وركن إليها، هي المركب القموص والصاحب الخوون، والطريق الزلق، والمهبط المهوي، هي المكرومة التي لا تكرم أحدا إلا أهانته، المحبوبة التي لا تحب أحدا، الملزومة التي لا تلزم أحدا، يوفي لها وتغدر، ويصدق لها وتكذب، وينجز لها وتخلف، هي المعوجة لمن استقام بها، المتلاعبة بمن استمكنت منه، بينا هي تطعمه إذ حولته مأكولا، وبيننا هي تخدمه إذ جعلته خادما، وبيننا هي تضحكه إذ ضحكت منه، وبيننا هي تشمته إذ شممت منه وبيننا هي تبكيه إذا بكت عليه، وبيننا هي قد بسطت يده بالعطية إذ بسطتها بالمسألة، وبيننا هو فيها عزيز إذ أذلته وبيننا هو فيها مكرم إذ أهانته، وبيننا هو فيها معظم إذ صار محقورا، وبيننا هو رفيع إذ وضعته، وبيننا هي له مطيعة إذ عصته، وبيننا هو فيها مسرور إذ أحزنه، وبيننا هو فيها شبعان إذ أجاعته، وبيننا هو فيها حي إذ أماتته. فأف لها من دار إذ كان هذا فعالها، وهذه صفتها، تضع التاج على رأسه غدوة وتعفر خدة بالتراب عشية، وتحلى الأيدي بأسورة الذهب عشية، وتجعلها في الأغلال غدوة، وتقعد الرجل على السرير غدوة، وترمي به في السجن عشية، تفرش له الديباج عشية، تفرش له التراب غدوة، وتجمع له الملاهي والمعازف غدوة، وتجمع عليه النوائح والنوادر عشية، تحبب إلى أهله قربه عشية، وتحبب إليهم بعده غدوة، تطيب ريحه غدوة وتنتن ريحه عشية، فهو متوقع لسطواتها، غير ناج من فتنها وبلائها، تمتع نفسه من أحاديثها وعينه من أعاجيبها، ويده مملوءة من جمعها ثم تصبح الكف صفرا، والعين هامدة، ذهب ما ذهب، وهوى ما هوى، =

= وياد ما باد، وهلك ما هلك، تجد في كل من كل خلفا، وترضى بكل من كل بدلا، تسكن دار كل قرن قرنا، وتطعم سور كل قوم قوما، تقعد الأراذل مكان الأفاضل، والعجزة مكان الحزمة تنقل أقواما من الجذب إلى الخصب، ومن الرحلة إلى المركب ومن البوس إلى النعمة، ومن الشدة إلى الرخاء، ومن الشقاء إلى الخفض والدعة حتى إذا غمستهم في ذلك انقلبت بهم فسلبتهم الخصب، ونزعت منهم القوة. فعادوا إلى أباس البوس، وأفقر الفقير، وأجذب الجذب. فأما قولك أيها الملك في إضاعة الأهل وتركهم فإني لم أضيعهم، ولم أتركهم بل وصلتهم وانقطعت إليهم، ولكني كنت وأنا أنظر بعين مسحورة لا أعرف بها الأهل من الغرباء ولا الأعداء من الأولياء، فلما انجلى عني السحر استبدلت بالعين المسحورة عينا صحيحة، واستبنت الأعداء من الأولياء، والأقرباء من الغرباء، فإذا الذين كنت أعدهم أهلين وأصدقاء وإخوانا وخلطاء إنما هو سباع ضارية لا همة لهم إلا أن تأكلني وتأكل بي، غير أن اختلاف منازلهم في ذلك على قدر القوة، فمنهم كالأسد في شدة السورة ومنهم كالذئب في الغارة والنهبة، ومنهم كالكلب في الهرير والبصبة، ومنهم كالثعلب في الحيلة السرقة، فالطرق واحدة والقلوب مختلفة. فلو أنك أيها الملك في عظيم ما أنت فيه من ملكك، وكثرة من تبعك ومن أهلك وجنودك وحاشيتك وأهل طاعتك، نظرت في أمرك عرفت أنك فريد وحيد، ليس معك أحد من جميع أهل الأرض، وذلك أنك قد عرفت أن عامة الأمم عدو لك، وأن هذه الأمة التي أوتيت الملك عليها كثيرة الحسد من أهل العداوة والغش لك الذين هم أشد عداوة لك من السباع الضارية، وأشد حنقا عليك من كل الأمم الغربية، وإذا صرت إلى أهل طاعتك ومعونتك وقرابتك وجدت لهم قوما يعملون عملا بأجر، يحرصون مع ذلك أن ينقصوك من العمل فيزدادوك من الاجر، وإذا صرت إلى أهل خاصتك وقرابتك صرت إلى قوم جعلت كدك وحدك وكدحك ومهناك وكسبك لهم، فانت تودي إليهم كل يوم الضريبة، وليس كلهم وان وزعت بينهم جميع كدك عنك براض فإن أنت حبست عنهم ذلك فليس منهم البتة راض، أفلا ترى أنك أيها الملك وحيد لا أهل لك ولا مال. فأما أنا فإن لي أهلا ومالا وإخوانا وأخوات وأولياء، لا يأكلوني، ولا يأكلون بي، يحبوني وأحبهم، فلا يفقد الحب بيننا، ينصحوني وأنصحهم فلا غش بيننا، ويصدقوني، وأصدقهم فلا تكاذب بيننا، ويوالوني وأواليهم فلا عداوة بيننا، ينصرونني وأنصرهم فلا تخاذل بيننا، يطلبون الخير الذي إن طلبته معهم لم يخافوا أن أغلبهم عليه أو أستاثر به دونهم، فلا فساد بيننا ولا تحاسد، يعملون لي وأعمل لهم بأجور لا تنفذ ولا يزال العمل قائما بيننا، هم هداتي إن ضللت، نور بصري إن =

= عميت، وحصني إن أتيت، ومجني إن رميت وأعواني إذا فزعت، وقد تنزهنا عن البيوت والمخاني فلا نريدها وتركنا الذخاير والمكاسب لأهل الدنيا فلا تكاثر بيننا ولا تباغى، ولا تباغض، ولا تفسد، ولا تحاسد، ولا تقاطع، فهؤلاء أهلي أيها الملك وإخواني وأقربائي وأحبائي، وأحبتهم وانقطعت إليهم، وتركت الذين كنت أنظر إليهم بالعين المسحورة لما عرفتهم، والتمست السلامة منهم. فهذه الدنيا أيها الملك التي أخبرتك أنها لا شيء فهذا نسبها وحسبها ومصيرها إلى ما قد سمعت، وقد رفضتها لما عرفتها، وأبصرت الأمر الذي هو الشيء فإن كنت تحب أيها الملك أن أصف لك ما أعرف عن أمر الآخرة التي هي الشيء فاستعد إلى السماع، تسمع غير ما كنت تسمع به من الأشياء فلم يزد الملك عليه إلا أن قال له: كذبت لم تصب شيئاً، ولم تظفر إلا بالشقاء والعناء، فاخرج ولا تقيمن في شيء من مملكتي، فإنك فاسد مفسد. وولد للملك في تلك الأيام بعد إياسه من الذكور غلام لم ير الناس مولوداً مثله قط حسناً وجمالاً وضياءاً، فبلغ السرور من الملك مبلغاً عظيماً كاد أن يشرف منه على هلاك نفسه من الفرح، وزعم أن الأوثان التي كان يعبدها هي التي وهبت له الغلام، فقسم عامة ما كان في بيوت أمواله على بيوت أوثانه، وأمر الناس بالاكل والشرب سنة وسمى الغلام يوذاسف وجمع العلماء والمنجمين لتقويم ميلاده، فرفع المنجمون إليه أنهم يجدون الغلام يبلغ من الشرف والمنزلة ما لا يبلغه أحد قط في أرض الهند، واتفقوا على ذلك جميعاً، غير أن رجلاً قال: ما أظن الشرف والمنزلة والفضل الذي وجدناه يبلغه هذا الغلام إلا شرف الآخرة ولا أحسبه إلا أن يكون إماماً في الدين والنسك وذا فضيلة في درجات الآخرة لأنني أرى الشرف الذي تبلغه ليس يشبه شيئاً من شرف الدنيا وهو شبيه بشرف الآخرة. فوقع ذلك القول من الملك موقعا كاد أن ينغصه سروره بالغلام، وكان المنجم الذي أخبره بذلك من أوثق المنجمين في نفسه وأعلمهم وأصدقهم عنده، وأمر الملك للغلام بمدينة فأخلاها وتخير له من الظويرة والخدم كل ثقة، وتقدم إليهم أن لا يذكر فيما بينهم موت ولا آخرة ولا حزن ولا مرض ولا فناء حتى تعتاد ذلك ألسنتهم وتنسأ قلوبهم، وأمرهم إذا بلغ الغلام أن لا ينطقوا عنده بذكر شيء مما يتخوفونه عليه خشية أن يقع في قلبه منه شيء فيكون ذلك داعية إلى اهتمامه بالدين والنسك، وأن يتحفظوا ويتحرزوا من ذلك، ويتفقد بعضهم من بعض. وازداد الملك عند ذلك حنقا على النساك مخافة على ابنه. وكان لذلك الملك وزير قد كفل أمره وحمل عنه بؤنة سلطانه، وكان لا يخونه ولا يكذبه ولا يكتمه، ولا يؤثر عليه، ولا يتوانى في شيء من عمله: ولا يضيعه، وكان الوزير مع ذلك رجلاً لطيفاً طلقاً معروفاً بالخير، يحبه =

= الناس ويرضون به إلا أن أحبباء الملك وأقرباءه كانوا يحسدونه، ويبغون عليه، ويستقلون بمكانه. ثم إن الملك خرج ذات يوم إلى الصيد ومعه ذلك الوزير فأتى به في شعب من الشعاب على رجل قد أصابته زمانة شديدة في رجله، ملقى في أصل شجرة لا يستطيع براحا فسأله الوزير عن شأنه فأخبره أن السباع أصابته، فرق له الوزير فقال له الرجل: ضمنني إليك واحمليني إلى منزلك فإنك تجد عندي منفعة، فقال الوزير: إني لفاعل وإن لم أجد عندك منفعة، ولكن يا هذا ما المنفعة التي تعدينيها، هل تعمل عملا أو تحسن شيئا؟ فقال الرجل: نعم أنا أرتق الكلام فقال: وكيف ترتق الكلام قال: إذا كان فيه فتق أرتقه حتى لا يجيئ من قبله فساد، فلم ير الوزير قوله شيئا، وأمر بحمله إلى منزله وأمر له بما يصلحه حتى إذا كان بعد ذلك احتال أحبباء الملك للوزير وضربوا له الأمور ظهرا وبطنا فأجمع رأيهم على أن دسوا رجلا منهم إلى الملك، فقال له أيها الملك إن هذا الوزير يطمع في ملكك أن يغلب عليه من بعدك فهو يصانع الناس على ذلك، ويعمل عليه دائما، فإن أردت أن تعلم صدق ذلك فأخبره أنه قد بدا لك أن ترفض الملك وتلحق بالنسك، فإنك ستري من فرحه بذلك ما تعرف به أمره، وكان القوم قد عرفوا من الوزير رقة عند ذكر فناء الدنيا والموت ولينا للنسك وحبا لهم فعملوا فيه من الوجه الذي ظنوا أنهم يظفرون بحاجتهم منه، فقال الملك: لئن أنا هجمت منه على هذا لم أسأل عما سواه، فلما أدخل عليه الوزير قال له الملك: إنك قد عرفت حرصي على الدنيا وطلب الملك وإني قد ذكرت ما مضى من ذلك فلم أجد معي منه طائلا، وقد عرفت أن الذي بقي منه كالذي مضى فإنه يوشك أن ينقضي ذلك كله بأجمعه فلا يصير في يدي منه شيء، وأنا أريد أن أعمل في حال الآخرة عملا قويا على قدر ما كان من عملي في الدنيا، وقد بدا لي أن الحق بالنسك وأخلي هذا العمل لأهله فما رأيك؟ قال: فرق الوزير لذلك رقة شديدة حتى عرف الملك ذلك منه، ثم قال: أيها الملك إن الباقي وإن كان عزيزا لأهل أن يطلب، وإن الفاني وإن استمكنت منه لأهل أن يرفض، ونعم الرأي رأيت، وإني لأرجو أن يجمع الله لك مع الدنيا شرف الآخرة، قال: فكبر ذلك على الملك ووقع منه كل موقع ولم يبدله شيئا غير أن الوزير عرف الثقل في وجهه فانصرف إلى أهله كئيبا حزينا لا يدري من أين أتى ولا من دهاه ولا يدري ما دواء الملك فيما استنكر عليه فسهر لذلك عامة الليل، ثم ذكر الرجل الذي زعم أنه يرتق الكلام فأرسل إليه فأتى به فقال له: إنك كنت ذكرت لي ذكرا من رتق الكلام فقال الرجل أجل فهل احتجت إلى شيء من ذلك؟ فقال الوزير: نعم أخبرك. نبي صحبت هذا الملك قبل ملكه ومنذ صار ملكا فلم أستنكره فيما بيني وبينه قط لما يعرفه من نصيحتي =

= وشفقتي وإيثاري إياه على نفسي وعلى جميع الناس، حتى إذا كان هذا اليوم استنكرته استنكاراً شديداً لا أظن لي خيراً عنده بعده، فقال له الراقق: هل لذلك سبب أو علة، قال الوزير: نعم دعاني أمس وقال لي كذا وكذا فقلت له كذا وكذا، فقال: من ههنا جاء الفتق وأنا أرتقه إن شاء الله. إعلم أن الملك قد ظن أنك تحب أن يتخلى هو عن ملكه وتخلفه أنت فيه فإذا كان عند الصبح فاطرح عنك ثيابك وحليتك وألبس أوضع ما تجده من ذي النساك وأشهره، ثم احلق رأسك وامض على وجهك إلى باب الملك فإن الملك سيدعو بك ويسألك عن الذي صنعت فقل له: هذا الذي دعوتني إليه ولا ينبغي لأحد أن يشير على صاحبه بشيء إلا واساه فيه وصبر عليه، وما أظن الذي دعوتني إليه إلا خيراً مما نحن فيه، فقم إذا بدا لك، ففعل الوزير ذلك فتخلى عن نفس الملك ما كان فيها عليه. ثم أمر الملك بنفي النساك من جميع بلاده وتوعدهم بالقتل، فجدوا في الهرب والاستخفاء، ثم إن الملك خرج ذات يوم متصيداً فوق بصره على شخصين من بعيد فأرسل إليهما فأتي بهما فإذا هما ناسكان فقال لهما: ما بالكما لن تخرجا من بلادي قالا: قد أتتنا رسلك ونحن على سبيل الخروج، قال: ولم خرجتما راجلين، قالا: لانا قوم ضعفاء ليس لنا دواب ولا زاد ولا نستطيع الخروج إلا التقصير، قال الملك إن من خاف الموت أسرع بغير دابة ولا زاد، فقالا له: إنا لا نخاف الموت بل لا ننظر قرّة عين في شيء من الأشياء إلا فيه. قال الملك: وكيف لا تخافان الموت وقد زعمتما أن رسلنا لما أتتكم وأنتم على سبيل الخروج أفليس هذا هو الهرب من الموت؟ قالا: إن الهرب من الموت ليس من الفرق فلا تظن أنا فرقناك ولكننا هربنا من أن نعينك على أنفسنا، فأسف الملك وأمر بهما أن يحرقا بالنار، وأذن في أهل مملكته بأخذ النساك وتحريقهم بالنار فتجرد رؤساء عبدة الأوثان في طلبهم وأخذوا منهم بشراً كثيراً وأحرقوهم بالنار، فمن ثم صار التحريق سنة باقية في أرض الهند، وبقي في جميع تلك الأرض قوم قليل من النساك كرهوا الخروج من البلاد، واختاروا الغيبة والاستخفاء ليكونوا دعاء وهداة لمن وصلوا إلى كلامهم فنبت ابن الملك أحسن نبات في جسمه وعقله وعلمه ورأيه، ولكنه لم يؤخذ بشيء من الآداب إلا بما يحتاج إليه الملوك مما ليس فيه ذكر موت ولا زوال ولا فناء وأوتي الغلام من العلم والحفظ شيئاً كان عند الناس من العجائب، وكان أبوه لا يدري أيفرح بما أوتي ابنه من ذلك أو يحزن له لما يتحوف عليه أن يدعوه ذلك إلى ما قيل فيه فلما فطن الغلام بحصرهم إياه في المدينة ومنعهم إياه من الخروج والنظر والاستماع وتحفظهم عليه ارتاب لذلك وسكت عنه وقال في نفسه هؤلاء أعلم بما يصلحني مني حتى إذا ازداد بالسن =

= والتجربة علما قال: ما أرى لهؤلاء علي فضلا وما أنا بحقيق أن أقلدهم أمري، فأراد أن يكلم أباه إذا دخل عليه ويسأله عن سبب حصره إياه، ثم قال: ما هذا الامر إلا من قبله وما كان ليطلعني عليه ولكني حقيق أن ألتمس علم ذلك من حيث أرجو إدراكه، وكان في خدمه رجل كان أطفهم به وأرأفهم به، وكان الغلام إليه مستأنسا فطمع الغلام في إصابة الخبر من قبل ذلك الرجل فازداد له ملاطفة وبه استيناسا، ثم إن الغلام واضعه الكلام في بعض الليل بالليل وأخبره أنه بمنزلة والده وأولى الناس به، ثم أخذه بالترغيب والترهيب وقال له: إني لأظن هذا الملك صائر لي بعد والدي وأنت فيه صائر أحد رجلين إما أعظم الناس منه منزلة وإما أسوء الناس حالا، قال له الحاضن وبأي شيء أتخوف في ملكك سوء الحال؟ قال: بأن تكتمني اليوم أمرا أفهمه غدا من غيرك، فانتقم منك بأشد ما أقدر عليك، فعرف الحاضن منه الصدق وطمع منه في الوفاء فأفشى إليه خبره، والذي قال المنجمون لأبيه، والذي حذر أبوه من ذلك، فشكر له الغلام ذلك وأطبق عليه حتى إذا دخل عليه أبوه. قال: يا أبة إني وإن كنت صبيا فقد رأيت في نفسي واختلاف حالي أذكر من ذلك ما أذكر وأعرف بما لا أذكر منه ما أعرف وأنا أعرف أنني لم أكن على هذا المثال وأنت لم تكن على هذه الحال، ولا أنت كائن عليها إلى الأبد وسيغيرك الدهر عن حالك هذه، فلئن كنت أردت أن تخفي عني أمر الزوال فما خفي علي ذلك، ولئن كنت حبستني عن الخروج وحلت بيني وبين الناس لكيلا تتوق نفسي إلى غير ما أنا فيه لقد تركتني بحصرك إياي، وإن نفسي لقلقة مما تحول بيني وبينه حتى ما لي هم غيره، ولا أردت سواه حتى لا يطمئن قلبي إلى شيء مما أنا فيه ولا أنتفع به ولا آلفه، فخل عني وأعلمني بما تكره من ذلك وتحذره حتى أجتنبه وأوثر موافقتك ورضاك على ما سواهما. فلما سمع الملك ذلك من ابنه علم أنه قد علم ما الذي يكرهه وأنه من حبسه وحصره لا يزيده إلا إغراء وحرصا على ما يحال بينه وبينه، فقال: يا بني ما أردت بحصري إياك إلا أن أنحي عنك الأذى، فلا ترى إلا ما يوافقك ولا تسمع إلا ما يسرك، فأما إذا كان هواك في غير ذلك فإن أثر الأشياء عندي ما رضيت وهويت. ثم أمر الملك أصحابه أن يركبوه في أحسن زينة وأن ينحوا عن طريقه كل منظر قبيح، وأن يعدوا له المعازف والملاهي ففعلوا ذلك، فجعل بعد ركبته تلك يكثر الركوب، فمر ذات يوم على طريق قد غفلوا عنه فأتى على رجلين من السؤال أحدهما قد تورم وذهب لحمه، واصفر جلده، وذهب ماء وجهه، وسمج منظره، والآخر أعمى يقوده قائد، فلما رأى ذلك اقشعر منهما وسأل عنهما فقيل له: إن هذا المورم من سقم باطن، وهذا الأعمى من زمانة، فقال ابن الملك: وإن هذا البلاء ليصيب غير =

= واحد؟ قالوا: نعم فقال: هل يأمن أحد من نفسه أن يصيبه مثل هذا؟ قالوا: لا، وانصرف يومئذ مهموماً ثقيلاً محزوناً باكياً مستخفاً بما هو فيه من ملكه وملك أبيه فلبث بذلك أياماً. ثم ركب ركبة فأتى في مسيره على شيخ كبير قد انحنى من الكبر، وتبدل خلقه وأبيض شعره، واسود لونه، وتقلص جلده وقصر خطوه، فعجب منه وسأل عنه فقالوا: هذا الهرم، فقال: وفي كم تبلغ الرجل ما أرى؟ قالوا: في مائة سنة أو نحو ذلك، وقال: فما وراء ذلك؟ قالوا: الموت، قال: فما يخلى بين الرجل وبين ما يريد من المدة؟ قالوا: لا وليصيرن إلى هذا في قليل من الأيام، فقال: الشهر ثلاثون يوماً والسنة اثنا عشر شهراً وانقضاء العمر مائة سنة فما أسرع اليوم في الشهر، وما أسرع الشهر في السنة، وما أسرع السنة في العمر، فانصرف الغلام وهذا كلامه يبدؤه ويعيده مكرراً له. ثم سهر ليلته كلها وكان له قلب حي ذكي وعقل لا يستطيع معه نسياناً ولا غفلة فعلاه الحزن والاهتمام فانصرف نفسه عن الدنيا وشهواتها وكان في ذلك يداري أباه ويتلطف عنده وهو مع ذلك قد أصغى بسمعه إلى كل متكلم بكلمة طمع ان يسمع شيئاً يدل على غير ما هو فيه، وخلا بحاضنه الذي كان أفضى إليه بسره، فقال له: هل تعرف من الناس أحداً شأنه غير شأننا هذا، قال: نعم قد كان قوم يقال لهم: النساك، رفضوا الدنيا وطلبوا الآخرة، ولهم كلام، وعلم لا يدري ما هو، غير أن الناس عادوهم وأبغضوهم وحرقوهم، ونفاهم الملك عن هذه الأرض، فلا يعلم اليوم ببلادنا منهم أحد فإنهم قد غيبوا أشخاصهم ينتظرون الفرج، وهذه سنة في أولياء الله قديمة يتعاطونها في دول الباطل، فاغتصم لذلك الخبر فواده، وطال به اهتمامه، وصار كالرجل الملتمس ضالته التي لا بد له منها، وذاع خبره في آفاق الأرض وشهر بتفكره وجماله وكماله وفهمه وعقله وزهادته في الدنيا وهوانها عليه. فبلغ ذلك رجلاً من النساك يقال له: بلوهر، بأرض يقال لها: سرنديب، كان رجلاً ناسكاً حكيماً فركب البحر حتى أتى أرض سولابط، ثم عمد إلى باب ابن الملك فلزمه وطرح عنه زي النساك ولبس زي التجار وتردد إلى باب ابن الملك حتى عرف الأهل والأحباء والداخلين إليه، فلما استبان له لطف الحاضن بابن الملك، وحسن منزلته منه أطاف به بلوهر حتى أصاب منه خلوة، فقال له: إني رجل من تجار سرنديب، قدمت منذ أيام، ومعني سلعة نفيسة الثمن، عظيمة القدر، فأردت الثقة لنفسي فعليك وقع اختياري، وسلعتي خير من الكبريت الأحمر، وهي تبصر العميان، وتسمع الصم، وتداوي الأسقام، وتقوي من الضعف، وتعصم من الجنون، وتنصر على العدو، ولم أر بهذا أحداً هو أحق، بها من هذا الفتى فإن رأيت أن تذكر له ذلك ذكرت له فإن كان له فيها حاجة أدخلتني عليه، فإنه لم يخف =

= عنه فضل سلعتي لو قد نظر إليها، قال الحاضن للحكيم: إنك لتقول شيئاً ما سمعنا به من أحد قبلك ولا أرى بك بأساً وما مثلي يذكر ما لا يدري ما هو، فأعرض علي سلعتك أنظر إليها فإن رأيت شيئاً ينبغي لي أن أذكره ذكرته، قال له بلوهر: إني رجل طيب وإني لأرى في بصرك ضعفاً فأخاف إن نظرت إلى سلعتي أن يلتمع بصرك، ولكن ابن الملك صحيح البصر حدث السن ولست أخاف عليه أن ينظر إلى سلعتي فإن رأى ما يعجبه كانت له مبدولة على ما يحب وإن كان غير ذلك لم تدخل عليه مؤونة ولا منقصة، وهذا أمر عظيم لا يسعك أن تحرمه إياه أو تطويه دونه، فانطلق الحاضن إلى ابن الملك فأخبره خبر الرجل فحس قلب ابن الملك بأنه قد وجد حاجته، فقال: عجل إدخال الرجل علي ليلا وليكن ذلك في سرو كتمان، فإن مثل هذا لا يتهاون به. فأمر الحاضن بلوهر بالتهيؤ للدخول عليه، فحمل معه سफطا فيه كتب له، فقال الحاضن: ما هذا السفط؟ قال بلوهر: في هذا السفط سلعتي فإذا شئت فأدخلني عليه، فانطلق به حتى أدخله عليه فلما دخل عليه بلوهر سلم عليه وحياه وأحسن ابن الملك إجابته، وانصرف الحاضن، وقعد الحكيم عند ابن الملك فأول ما قال له بلوهر: رأيتك يا ابن الملك زدتنني في التحية على ما تصنع بغلمانك وأشراف أهل بلادك؟ قال ابن الملك: ذلك لعظيم ما رجوت عندك، قال بلوهر: لئن فعلت ذلك بي فقد كان رجلاً من المملوك في بعض الآفاق يعرف بالخير ويرجى فبينما هو يسير يوماً في موكبه إذ عرض له في مسيره رجلان ما شيان، لباسهما الخلقان، وعليهما أثر البوس والضر، فلما نظر إليهما الملك لم يتمالك أن وقع على الأرض فحياهما وصافحهما، فلما رأى ذلك وزراؤه اشتد جزعهم مما صنع الملك فأتوا أخاه وكان جرياً عليه فقالوا له: إن الملك أزرى بنفسه، وفضح أهل مملكته، وخر عن دابة لإنسانين دينيين، فعاتبه على ذلك كيلاً يعود، ولأمه على ما صنع، ففعل ذلك أخ الملك فأجابه الملك بجواب لا يدري ما حاله فيه أساخط عليه الملك أم راض عنه، فانصرف إلى منزله حتى إذا كان بعد أيام أمر الملك منادياً وكان يسمى منادي الموت فنادى في فناء داره، وكانت تلك سنتهم فيمن أرادوا قتله، فقامت النوائح والنوادر في دار أخ الملك ولبس ثياب الموتى وانتهى إلي باب الملك وهو يبكي بكاء شديداً وبتف شعره، فلما بلغ ذلك الملك دعا به، فلما أذن له الملك دخل عليه ووقع على الأرض ونادى بالويل والثبور ورفع يده بالتضرع فقال له الملك: اقترب أيها السفية أنت تجزع من مناد نادى على بابك بأمر مخلوق وليس بأمر خالق، وأنا أخوك وقد تعلم أنه ليس لك إلي ذنب أقتلك عليه، ثم أنتم تلومونني على وقوعي إلى الأرض حين نظرت إلى منادي ربي إلي وأنا أعرف منكم بذنوبي، فاذهب فإنني قد =

= علمت أنه إنما استفزك وزراني وسيعلمون خطاهم . ثم أمر الملك بأربعة توابيت فصنعت له من خشب فطلى تابوتين منها بالذهب وتابوتين بالقار، فلما فرغ منها ملا تابوتي القار ذهباً وياقوتا وزبرجداً، وملاً تابوتي الذهب، جيفاً ودماً وعذرة وشعراً، ثم جمع الوزراء والاشراف الذين ظن أنهم أنكروا صنيعه بالرجلين الضعيفين الناسكين فعرض عليهم التوابيت الأربعة وأمرهم بتقويمها فقالوا: أما في ظاهر الامر وما رأينا ومبلغ علمنا فإن تابوتي الذهب لا ثمن لهما لفضلهما وتابوتي القار لا ثمن لهما لردائتهما، فقال الملك: أجل هذا لعلمكم بالأشياء ومبلغ رأيكم فيها، ثم أمر بتابوتي القار فنزعت عنهما صفايحهما فأضاء البيت بما فيهما من الجواهر فقال: هذان مثل الرجلين الذين ازدريتم لباسهما وظاهرهما وهما مملوءان علماً وحكمة وصدقا وبرا وسائر مناقب الخير الذي هو أفضل من الياقوت واللؤلؤ والجوهر والذهب . ثم أمر بتابوتي الذهب فنزع عنهما أثوابهما فاقشعر القوم من سوء منظرهما وتأذوا بريحهما ننتهما، فقال الملك: وهذان مثل القوم المتزينين بظاهر الكسوة واللباس وأجوافهما مملوءة جهالة وعمى وكذبا وجورا وسائر أنواع الشر التي هي أفظع وأشنع وأقدر من الجيف . قال القوم للملك: قد فقهننا واتعظنا أيها الملك . ثم قال بلوهر: هذا مثلك يا ابن الملك فيما تلقيتني به من التحية والبشر فانتصب يوذاسف - ابن الملك - وكان متكئا، ثم قال: زدني مثلاً قال الحكيم: إن الزارع خرج ببذره الطيب ليبذره، فلما ملا كفيه ونثره وقع بعضه على حافة الطريق فلم يلبث أن التقطه الطير ووقع بعضه على صفاة قد أصابها ندى وطين فمكث حتى اهتز . فلما صارت عروقه إلى يبس الصفاة مات ويبس، ووقع بعضه بأرض ذات شوك فنبت حتى سنبل، وكاد أن يثمر فغمه الشوك فأبطله، وأما ما كان منه وقع في الأرض الطيبة وإن كان قليلاً فإنه سلم وطاب وزكى، فالزارع حامل الحكمة، وأما البذر ففنون الكلام، وأما ما وقع منه على حافة الطريق فالتقطه الطير فما لا يجاوز السمع منه حتى يمر صفحا، وأما ما وقع على الصخرة في الندى فيبس حين بلغت عروقه الصفاة فما استحلاه صاحبه حتى سمعه بفراغ قلبه وعرفه بفهمه ولم يفقه بحصافة ولا نية، وأما ما نبت منه وكاد أن يثمر فغمه الشوك فأهلكه فما وعاه صاحبه حتى إذا كان عند العمل به حفته الشهوات فأهلكته، وأما ما زكى وطاب وسلم منه وانتفع به فما رآه البصر ووعاه الحفظ، وأنفذه العزم بقمع الشهوات وتطهير القلوب من دنسها . قال ابن الملك إنني أرجوا أن يكون ما تبذره أيها الحكيم ما يزكو ويسلم ويطيب، فاضرب لي مثل الدنيا وغرور أهلها بها . قال بلوهر: بلغنا أن رجلاً حمل عليه فيل مغتلم فانطلق مولياً هارباً وأتبعه الفيل حتى غشيه فاضطره إلى بثر فتدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين =

= على شفير البئر ووقعت قدماه على رؤوس حياة، فلما تبين له أنه متعلق بالفصنين فإذا في أصلهما جرذان يقرضان الفصنين، أحدهما أبيض والآخر أسود، فلما نظر إلى تحت قدميه، فإذا رؤوس أربع أفاع قد طلعت من جحرهن، فلما نظر إلى قعر البئر إذا بتنين فاغر فاه نحوه يريد التقامه، فلما رفع رأسه إلى أعلا الفصنين إذا عليهما شيء من عسل النحل فيطعم من ذلك العسل، فآلهاه ما طعم منه، وما نال من لذة العسل وحلاوته عن التفكير في أمر الأفاعي اللواتي لا يدري متى يبادرنه وآلهاه عن التنين الذي لا يدري كيف مصيره بعد وقوعه في لهواته. أما البئر فالدنيا مملوءة آفات وبلايا وشرورا، وأما الفصنان فالعمر، وأما الجرذان فالليل والنهار يسرعان في الاجل، وأما الأفاعي الأربعة فالأخلاق الأربعة التي هي السموم القاتلة من المرة والبلغم والريح والدم التي لا يدري صاحبها متى تهيج به، وأما التنين الفاغر فاه ليلتقمه فالموت الراصد الطالب، أما العسل الذي اغتر به المغرور فما ينال الناس من لذة الدنيا وشهواتها ونعيمها ودعتها من لذة المطعم والمشرب والشم واللمس والسمع والبصر. قال ابن الملك: إن هذا المثل عجيب وإن هذا التشبيه حق، فزدني مثلا للدنيا وصاحبها المغرور بها المتهاون بما ينفعه فيها؟ قال بلوهر: زعموا أن رجلا كان له ثلاثة قرناء، وكان قد أثر أحدهم على الناس جميعا، ويركب الأهوال والأخطار بسببه ويفر بنفسه له، ويشغل ليله ونهاره في حاجته، وكان القرين الثاني دون الأول منزلة وهو على ذلك حبيب إليه أمير عنده، يكرمه ويلطفه ويخدمه ويطيعه ويبذل له ولا يغفل عنه، وكان القرين الثالث مجفوا محقورا مستقلا، ليس له من وده وماله إلا أقله. حتى إذا نزل بالرجل الأمر الذي يحتاج فيه إلى قرنائه الثلاثة، فأتاه زبانية الملك ليذهبوا به ففزع إلى قرينه الأول فقال له: قد عرفت إشاري إياك وبذل نفسي لك، وهذا اليوم يوم حاجتي إليك فماذا عندك؟ قال: ما أنا لك بصاحب وإن لي أصحابا يشغلوني عنك، هم اليوم أولى بي منك ولكن لعلي أزودك ثوبين لتتفع بهما. ثم فزع إلى قرينه الثاني ذي المحبة واللطف، فقال له: عرفت كرامتي إياك ولطفي بك وحرصي على مسرتك، وهذا يوم حاجتي إليك فماذا عندك؟ فقال: إن أمر نفسي يشغلني عنك وعن أمرك، فاعمد لشأنك، واعلم أنه قد انقطع الذي بيني وبينك وأن طريقي غير طريقك إلا أنني لعلي أخطو معك خطوات يسيره لا تتفع بها، ثم أنصرف إلى ما هو أهم إلى منك ثم فزع إلى قرينه الثالث الذي كان يحقره، ويعصيه ولا يلتفت إليه أيام رخائه فقال له: إني منك لمستح ولكن الحاجة اضطررتني إليك فماذا لي عندك؟ قال: لك عندي المواساة، والمحافضة عليك، وقلة الغفلة عنك، فأبشر وقر عينا فإني صاحبك الذي لا يخذلك ولا يسلمك، فلا يهمنك قلة ما =

.....

= أسلفتني واصطنعت إلي، فإني قد كنت احفظ لك ذلك وأوفره عليك كله، ثم لم أرض لك بعد ذلك حتى اتجرت لك به فربحت أرباحاً كثيرة، فلك اليوم عندي من ذلك أضعاف ما وضعت عندي منه فأبشر، وإني أرجو أن يكون في ذلك رضي الملك عنك اليوم وفرجا مما أنت فيه فقال الرجل عند ذلك: ما أدري على أي الامرين أنا أشد حسرة عليه على ما فرطت في القرين الصالح أم على ما اجتهدت فيه من المحبة لقرين السوء؟ قال بلوهر: فالقرين الأول هو المال، والقرين الثاني هو الأهل والولد، والقرين الثالث هو العمل الصالح. قال ابن الملك: إن هذا هو الحق المبين فزدني مثلاً للدنيا وغرورها وصاحبها المغرور بها، المطمئن إليها. قال بلوهر: كان أهل مدينة يأتون الرجل الغريب الجاهل بأمرهم فيملكونه عليهم سنة فلا يشك أن ملكه دائم عليهم لجهالته بهم فإذا انقضت السنة أخرجوه من مدينتهم عريانا مجردا سلبيا، فيقع في بلاء وشقاء لم يحدث به نفسه، فصار ما مضى عليه من ملكه وبالا وخزيا ومصيبة وأذى، ثم إن أهل تلك المدينة أخذوا رجلا آخر فملكوه عليهم فلما رأى الرجل غربته فيهم لم يستأنس بهم وطلب رجلا من أهل أرضه خيرا بأمرهم حتى وجده فأفضى إليه بسر القوم وأشار إليه أن ينظر إلى الأموال التي في يديه فيخرج منها ما استطاع الأول فالأول حتى يحزره في المكان الذي يخرجونه إليه فإذا أخرج القوم صار إلى الكفاية والسعة بما قدم وأحرز، ففعل ما قال له الرجل ولم يضيع وصيته. قال بلوهر: وإني لأرجو أن تكون أنت ذلك الرجل يا ابن الملك الذي لم يستأنس بالغرباء ولم يغتر بالسلطان، وأنا الرجل الذي طلبت ولك عندي الدلالة والمعرفة والمعونة. قال ابن الملك: صدقت أيها الحكيم أنا ذلك الرجل وأنت طلبتي التي كنت طلبتها فصف لي أمر الآخرة تاما، فأما الدنيا فلعمري لقد صدقت ولقد رأيت منها ما يدلني على فنائها ويزهدني فيها، ولم يزل أمرها حقيرا عندي قال بلوهر: إن الزهادة في الدنيا يا ابن الملك مفتاح الرغبة في الآخرة، ومن طلب الآخرة فأصاب بابها دخل ملكوتها وكيف لا تزهد في الدنيا يا ابن ملك وقد آتاك الله من العقل ما آتاك، وقد ترى أن الدنيا كلها وإن كثرت إنما يجمعها أهلها لهذه الأجساد الفانية، والجسد لا قوام له، ولا امتناع به، فالحر يذيبه، والبرد يجمده، والسموم تتخلله، والماء يفرقه، والشمس تحرقه، والهواء يسقمه، والسباع يفترسه والطيور تنقره، والحديد يقطعه والصدام يحطمه، ثم هم معجون بطينة من الران الأسقام والأوجاع والأمراض، فهو مرتهن بها، مترقب لها، وجل منها، غير طامع في السلامة منها، ثم هو مقارن الآفات السبع التي لا يتخلص منها ذو جسد وهي الجوع والظما والحر والبرد والوجع والخوف والموت. فأما ما سألت عنه من الا

= الآخرة، فإني أرجو أن تجد ما تحسبه بعيدا قريبا وما كنت تحسبه عسيرا ويسيرا، وما كنت تحسبه قليلا كثيرا. قال ابن الملك: أيها الحكيم أرأيت القوم الذين كان والذي حرقهم بالنار ونفاهم أهم أصحابك؟ قال بلوهر: نعم، فإنه بلغني أن الناس اجتمعوا على عداوتهم وسوء الثناء عليهم، قال بلوهر: نعم قد كان ذلك، قال: فما سبب ذلك أيها الحكيم قال بلوهر: أما قولك يا ابن الملك في سوء الثناء عليهم فما عسى أن يقولوا فيمن يصدق ولا يكذب، ويعلم ولا يجهل، ويكف ولا يؤذي، ويصلي ولا ينام، ويصوم ولا يفطر ويبتلي فيصبر، ويتفكر فيعتبر، ويطيب نفسه عن الأموال والأهلين، ولا يخافهم الناس على أموالهم وأهلهم. قال ابن الملك: فكيف اتفق الناس على عداوتهم وهم فيما بينهم مختلفون؟ قال بلوهر: مثلهم في ذلك مثل كلاب اجتمعوا على جيفة تنهشها ويهار بعضها بعضا، مختلفة الألوان والأجناس فيينا هي تقبل على الجيفة إذ دنى رجل منهم فترك بعضهم بعضا وأقبلن على الرجل فيهرن عليه جميعا متعاويات عليه وليس للرجل في جيفتهن حاجة، ولا أراد أن ينازعهن فيها، ولكنهن عرفن غربته منهن فاستوحشن منه واستأنس بعضهم ببعض وإن كن مختلفات متعادات فيما بينهن من قبل أن يرد الرجل عليهن. قال بلوهر: فمثل الجيفة متاع الدنيا ومثل صنوف الكلاب ضروب الرجال الذين يقتلون على الدنيا ويهرقون دماءهم وينفقون لها أموالهم، ومثل الرجل الذي اجتمعت عليه الكلاب ولا حاجة له في جيفتهن كمثله صاحب الدين الذي رفض الدنيا وخرج منها، فليس ينازع فيها أهلها ولا يمنع ذلك الناس من أن يعادونه لغربته عندهم، فإن عجبت فاعجب من الناس أنهم لا همة لهم إلا الدنيا وجمعها والتكاثر والتفاخر والتغالب عليها حتى إذا رأوا من قد تركها في أيديهم وتخلي عنها كانوا له أشد حنقا منهم للذي يشاحهم عليها، فأبي حجة يا ابن الملك أدحض من تعاون المختلفين على من لا حجة لهم عليه؟ قال ابن الملك: أعمد لحاجتي، قال بلوهر: إن الطبيب الرفيق إذ رأى الجسد قد أهلكته الأخلاط الفاسدة فأراد أن يقويه ويسمنه لم يغذه بالطعام الذي يكون منه اللحم والدم والقوة لأنه يعلم أنه متى أدخل الطعام على الأخلاط الفاسدة أضر بالجسد ولم ينفعه ولم يقوه، ولكن يبدأ بالأدوية والحمية من الطعام، فإذا أذهب من جسده الأخلاط الفاسدة أقبل عليه بما يصلحه من الطعام، فحينئذ يجد طعم الطعام ويسمن ويقوي ويحمل الثقل بمشيئة الله عز وجل. وقال ابن الملك أيها الحكيم: أخبرني ماذا تصيب من الطعام والشراب؟ قال الحكيم: زعموا أن ملكا من الملوك كان عظيم الملك كثير الجند والأموال وأنه بدا له أن يغزو ملكا آخر ليزداد ملكا إلى ملكه ومالا إلى ماله، فسار إليه بالجنود والعدد والعدة، والنساء والأولاد والأثقال، =

= فأقبلوا نحوه فظهروا عليه واستباحوا عسكره فهرب وساق امرأته وأولاده صفاراً فالجأه الطلب عند المساء إلى أجمة على شاطئ النهر فدخلها مع أهله وولده وسيب دوابه مخافة أن تدل عليه بصهيلها فباتوا في الأجمة وهم يسمعون وقع حوافر الخيل من كل جانب فأصبح الرجل لا يطيق براحاً، وأما النهر فلا يستطيع عبوره، وأما الفضاء فلا يستطيع الخروج إليه لمكان العدو، فهم في مكان ضيق قد إذا هم البرد وأهجرهم الخوف وطواهم الجوع، وليس لهم طعام ولا معهم زاد ولا إدام، وأولاده صفار جياح يبكون من الضر الذي قد أصابهم فمكث بذلك يومين، ثم إن أحد بنيه مات فآلقوه في النهر فمكث بعد ذلك يوماً آخر فقال الرجل لامرأته: إنا مشرفون على الهلاك جميعاً وإن بقي بعضنا وهلك بعضنا كان خيراً من أن نهلك جميعاً وقد رأيت أن أعجل ذبح صبي من هؤلاء الصبيان فنجعله قوتاً لنا ولأولادنا إلى أن يأتي الله عز وجل بالفرج فإن أخرجنا ذلك هزل الصبيان حتى لا يشبع لحومهم ونضعف حتى لا نستطيع الحركة إن وجدنا إلى ذلك سبيلاً وطاوعته امرأته فذبح بعض أولاده ووضعوه بينهم ينهشونه، فما ظنك يا ابن الملك بذلك المضطر؟

أكل الكلب المستكثر يأكل؟ أم أكل المضطر المستقل؟ قال ابن الملك: بل أكل المستقل، قال الحكيم: كذلك أكلي وشربي يا ابن الملك في الدنيا. فقال له ابن الملك: رأيت هذا الذي تدعوني إليه أيها الحكيم أهو شيء نظر الناس فيه بعقولهم وألبابهم حتى اختاروه على ما سواه لأنفسهم أم دعاهم الله إليه فأجابوا، قال الحكيم: علا هذا الأمر ولطف عن أن يكون من أهل الأرض أو برأيهم دبروه، ولو كان من أهل الأرض لدعوا إلى عملها وزيتها وحفظها ودعتها ونعيمها ولذتها ولهوها ولعبها وشهواتها، ولكنه أمر غريب ودعوة من الله عز وجل ساطعة، وهدى مستقيم، ناقض على أهل الدنيا أعمالهم، مخالف لهم، عائب عليهم، وطاعن ناقل لهم عن أهوائهم، داع لهم إلى طاعة ربهم، وإن ذلك لبين لمن تنبه، مكتوم عنده عن غير أهله حتى يظهر الله الحق بعد خفائه ويجعل كلمته العليا وكلمة الذين جهلوا السفلى.

قال ابن الملك: صدقت أيها الحكيم. ثم قال الحكيم: إن من الناس من تفكر قبل مجيئ الرسل ﷺ فأصاب، ومنهم من دعت الرسل بعد مجيئها فأجاب وأنت يا ابن الملك ممن تفكر بعقله فأصاب. قال ابن الملك: فهل تعلم أحداً من الناس يدعو إلى التزهيد في الدنيا غيركم؟ قال الحكيم: أما في بلادكم هذه فلا، وأما في سائر الأمم ففيهم قوم يتحلون الدين بالسنتهم ولم يستحقوه بأعمالهم، فاختلف سبيلنا وسبيلهم، قال ابن الملك: كيف صرتم أولى بالحق منهم وإنما أتاكم هذا الأمر الغريب من حيث أتاهم؟ قال الحكيم: الحق كله جاء من عند =

= الله عز وجل وإنه تبارك وتعالى دعا العباد إليه فقبله قوم بحقه وشروطه حتى أدوه إلى أهله كما أمروا، لم يظلموا ولم يخطئوا ولم يضيعوا وقبله آخرون فلم يقوموا بحقه وشروطه، ولم يودوه إلى أهله، ولم يكن لهم فيه عزيمة، ولا على العمل به نية ضمير، فضيعوه واستثقلوه فالمضيع لا يكون مثل الحافظ، المفسد لا يكون كالمصلح، والصابر لا يكون كالجازع، فمن هنا كنا نحن أحق به منهم وأولى. ثم قال الحكيم: إنه ليس يجري على لسان أحد منهم من الدين والتزهيد والدعاء إلى الآخرة إلا وقد اخذ ذلك عن أصل الحق الذي عنه أخذنا، ولكنه فرق بيننا وبينهم أحداثهم التي أحدثوا وابتغواهم الدنيا وإخلادهم إليها، وذلك أن هذه الدعوة لم تزل تأتي وتظهر في الأرض مع أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم في القرون الماضية على السنة مختلفة متفرقة، وكان أهل دعوة الحق أمرهم مستقيم، وطريقهم واضح، ودعوتهم بينة، ولا فرقة بينهم ولا اختلاف، فكانت الرسل ﷺ إذا بلغوا رسالات ربهم، واحتجوا الله تبارك وتعالى على عباده بحجته وإقامة معالم الدين وأحكامه، قبضهم الله عز وجل إليه عند انقضاء آجالهم ومنتهى مدتهم، ومكثت الأمة من الأمم بعد نبيها برهة من دهرها لا تغير ولا تبدل ثم صار الناس بعد ذلك يحدثون الأحداث ويتبعون الشهوات، ويضيعون العلم، فكان العالم البالغ المستبصر منهم يخفى شخصه ولا يظهر علمه، فيعرفونه باسمه ولا يهتدون إلى مكانه ولا يبقى منهم إلا الخسيس من أهل العلم، يستخف به أهل الجهل والباطل، فيخمل العلم ويظهر الجهل، ويتناسل القرون فلا يعرفون إلا الجهل والباطل، ويزداد الجهال استعلاء وكثرة، والعلماء خمولا وقلة، فحولوا معالم الله تبارك وتعالى عن وجوهها، وتركوا قصد سبيلها، وهم مع ذلك مقرون بتنزله، متبعون شبهه ابتغاء تأويله، متعلقون بصفته، تاركون لحقيقته، نابذون لأحكامه فكل صفة جاءت الرسل تدعوا إليها فنحن لهم موافقون في تلك الصفة، مخالفون لهم في أحكامهم وسيرتهم، لسنا نخالفهم في شيء إلا ولنا عليهم الحجة الواضحة والبينة العادلة من نعت ما في أيديهم من الكتب المنزلة من الله عز وجل، فكل منكلم منهم يتكلم بشيء من الحكمة فهي لنا وهي بيننا وبينهم تشهد لنا عليهم بأنها توافق صفتنا وسيرتنا وحكمنا، وتشهد عليهم بأنها مخالفة لستهم وأعمالهم، فليسوا يعرفون من الكتاب إلا وصفه، ولا من الدين إلا اسمه، فليسوا بأهل الكتاب حقيقة حتى يقيموه.

قال ابن الملك: فما بال الأنبياء والرسل ﷺ يأتون في زمان دون زمان؟ قال الحكيم: إنما مثل ذلك كمثل ملك كانت له أرض موات لا عمران فيها، فلما أراد أن يقبل عليها بعمارتها أرسل إليها رجلا جلدا أميناً ناصحاً، ثم أمره أن يعمر تلك الأرض وأن يفرس فيها صنوف =

= الشجر وأنواع الزرع، ثم سمي له الملك ألوانا من الغرس معلومة، وأنواعا من الزرع معروفة، ثم أمره أن لا يعدو ما سمي له وأن لا يحدث فيها من قبله شيئا لم يكن أمره به سيده، وأمره أن يخرج لها نهرا ويسد عليها حائطا، ويمنعها من أن يفسدها مفسد، فجاء الرسول الذي أرسله الملك إلى تلك الأرض فأحيها بعد موتها وعمرها بعد خرابها، وغرس فيها وزرع من الصنوف التي أمره بها، ثم ساق الماء إليها، حتى نبت الغرس واتصل الزرع، ثم لم يلبث قليلا حتى مات قيمها، وأقام بعده من يقوم مقامه وخلف من بعده خلف خالفوا من أقامه القيم بعده وغلبوه على أمره، فأخرجوا العمران، وطموا الأنهار، فبيس الغرس، وهلك الزرع، فلما بلغ الملك خلافهم على القيم بعد رسوله وخراب أرضه أرسل إليها رسولا آخر يحييها ويعيدها ويصلحها كما كانت في منزلتها الأولى، وكذلك الأنبياء والرسول ﷺ يبعث الله عز وجل منهم الواحد بعد الواحد فيصلح أمر الناس بعد فسادهم. قال ابن الملك: أيخص الأنبياء والرسول ﷺ إذا جاءت بما يبعث به أم تعم؟ قال بلوهر: إن الأنبياء والرسول إذا جاءت تدعوا عامة الناس فمن أطاعهم كان منهم، ومن عصاهم لم يكن منهم، وما تخلو الأرض قط من أن يكون لله عز وجل فيها مطاع من أنبيائه ورسله ومن أوصيائه، وإنما مثل ذلك مثل طائر كان في ساحل البحر يقال له قدم بيض بيضا كثيرا وكان شديدا الحب للفراخ وكثرتها، وكان يأتي عليه زمان يتعذر عليه فيه ما يريده من ذلك، فلا يجد بدا من اتخاذ أرض أخرى حتى يذهب ذلك الزمان فيأخذ بيضه مخافة عليه من أن يهلك من شفقتة فيفرقه في أعشاش الطير فتحضن الطير بيضته مع بيضتها وتخرج فراخه مع فراخها، فإذا طال مكث فراخ قدم مع فراخ الطير ألفها بعض فراخ الطير واستأنس بها فإذا كان الزمان الذي ينصرف فيه قدم إلى مكانه مر بأعشاش الطير وأو كارها بالليل فأسمع فراخه وغيرها صوته فإذا سمعت فراخه صوته تبعته وتبع فراخه ما كان ألفها من فراخ سائر الطير ولم يجبه ما لم يكن من فراخه ولا ما لم يكن ألف فراخه وكان قد يضم إليه من أجابه من فراخه حبا للفراخ، وكذلك الأنبياء إنما يستعرضون الناس جميعا بدعائهم فيجيبهم أهل الحكمة والعقل لمعرفتهم بفضل الحكمة، فمثل الطير الذي دعا بصوته مثل الأنبياء والرسول التي تعم الناس بدعائهم، ومثل البيض المتفرق في أعشاش الطير مثل الحكمة، ومثل سائر فراخ الطير التي ألفت مع فراخ قدم مثل من أجاب الحكماء قبل مجيئ الرسول، لان الله عز وجل جعل لأنبيائه ورسله من الفضل والرأي ما لم يجعل لغيرهم من الناس، وأعطاهم من الحجج والنور والضياء ما لم يعط غيرهم، وذلك لما يريد من بلوغ رسالته ومواقع حججه، وكانت الرسول إذا جاءت وأظهرت =

= دعوتها أجابهم من الناس أيضا من لم يكن أجاب الحكماء وذلك لما جعل الله عز وجل على دعوتهم من الضياء والبرهان. قال ابن الملك: أفرأيت ما يأتي به الرسل والأنبياء إذ زعمت أنه ليس بكلام الناس، وكلام الله عز وجل هو كلام وكلام ملائكته كلام، قال الحكيم: أما رأيت الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطيور ما يريدون من تقدمها وتأخرها وإقبالها وإدبارها لم يجدوا الدواب والطيور تحمل كلامهم الذي هو كلامهم، فوضعوا من النقر والصفير والزجر ما يبلغوا به حاجتهم وما عرفوا أنها تطبيق حمله، وكذلك العباد يعجزوا أن يعلموا كلام الله عز وجل وكلام ملائكته على كنهه وكماله ولطفه وصفته فصار ما تراجع الناس بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة شبيها بما وضع الناس للدواب، والطيور ولم يمنع ذلك الصوت مكان الحكمة المخبرة في تلك الأصوات من أن تكون الحكمة واضحة بينهم، قوية منيرة شريفة عظيمة، ولم يمنعها من وقوع معانيها على مواقعها وبلوغ ما احتج به الله عز وجل على العباد فيها وكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا، وكانت الحكمة للصوت نفسا وروحا، ولا طاقة للناس أن ينفذوا غور كلام الحكمة، ولا يحيطوا به بعقولهم، فمن قبل ذلك تفاضلت العلماء في علمهم، فلا يزال عالم يأخذ علمه من عالم حتى يرجع العلم إلى الله عز وجل الذي جاء من عنده، وكذلك العلماء قد يصيبون من الحكمة والعلم ما ينجيهم من الجهل، ولكن لكل ذي فضل فضله، كما أن الناس ينالون من ضوء الشمس ما ينتفعون به في معائشهم وأبدانهم ولا يقدر أن ينفذوها بأبصارهم فهي كالعين الغزيرة، الظاهر مجراها، المكنون عنصرها، فالناس قد يجيبون بما ظهر لهم من مائها، ولا يدركون غورها وهي كالنجوم الزاهرة التي يهتدى بها الناس، ولا يعلمون مساقطها، فالحكمة أشرف وأرفع وأعظم مما وصفناها به كله، هي مفتاح باب كل خير يرتجى، والنجاة من كل شر يتقى، وهي شراب الحياة التي من شرب منه لم يمت أبدا، والشفاء للسقم الذي من استشفى به لم يسقم أبدا، والطريق المستقيم الذي من سلكه لم يضل أبدا، هي جبل الله المتين الذي لا يخلقه طول التكرار، من تمسك به انجلى عنه العمى، ومن اعتصم به فاز واهتدى، وأخذ بالعمرة الوثقى. قال ابن الملك: فما بال هذه الحكمة التي وصفت بما وصفت من الفضل والشرف والارتفاع والقوة والمنفعة والكمال والبرهان لا ينتفع بها الناس كلهم جميعا؟ قال الحكيم: إنما مثل الحكمة كمثل الشمس الطالعة على جميع الناس الأبيض والأسود منهم، والصغير والكبير، فمن أراد الانتفاع بها لم تمنعه ولم يحل بينه وبينها من أقربهم وأبعدهم، ومن لم يرد الانتفاع بها فلا حجة له عليها، ولا تمنع الشمس على الناس جميعا، ولا يحول =

= بين الناس وبين الانتفاع بها ، وكذلك الحكمة وحالها بين الناس إلى يوم القيامة ، والحكمة قد عمت الناس جميعاً إلا أن الناس يتفاضلون في ذلك ، والشمس ظاهرة إذ طلعت على الابصار الناظرة فرقت بين الناس على ثلاثة منازل فمنهم الصحيح البصر الذي ينفعه الضوء ويقوى على النظر ، ومنهم الأعمى القريب من الضوء الذي لو طلعت عليه شمس أو شمس لم تغن عنه شيئاً ، ومنهم المريض البصر الذي لا يعد في العميان ولا في أصحاب البصر ، كذلك الحكمة هي شمس القلوب إذا طلعت تفرق على ثلاث منازل : منزل لأهل البصر الذين يعقلون الحكمة فيكونون من أهلها ، ويعملون بها ، ومنزل لأهل العمى الذين تنبو الحكمة عن قلوبهم لانكارهم الحكمة وتركهم قبولها كما ينبو ضوء الشمس عن العميان ، ومنزل لأهل مرض القلوب الذين يقصر علمهم ويضعف عملهم ويستوي فيهم السيئ والحسن ، والحق والباطل ، وإن أكثر من تطلع عليه الشمس وهي الحكمة ممن يعمى عنها . قال ابن الملك : فهل يسع الرجل الحكمة فلا يجيب إليها حتى يلبث زماناً ناكباً عنها ، ثم يجيب ويراجعها ؟ قال بلوهر : نعم هذا أكثر حالات الناس في الحكمة .

قال ابن الملك : ترى والدي سمع شيئاً من هذا الكلام قط ؟ قال بلوهر : لا أراه سمع سماعاً صحيحاً رسخ في قلبه ولا كلمه فيه ناصح شفيق . قال ابن الملك : وكيف ترك ذلك الحكماء منه طول دهرهم ؟ قال بلوهر : تركوه لعلمهم بمواضع كلامهم ، فربما تركوا ذلك ممن هو أحسن إنصافاً وألين عريكة وأحسن استماعاً من أيك حتى أن الرجل ليعاش الرجل طول عمره وبينهما الاستيناس والمودة والمفاوضة ، ولا يفرق بينهما شيء إلا الدين والحكمة ، وهو متفجع عليه ، متوجع له ، ثم لا يفضي إليه أسرار الحكمة إذ لم يره لها موضعاً . وقد بلغنا أن ملكاً من الملوك كان عاقلاً قريباً من الناس مصلحاً لأمرهم ، حسن النظر والانصاف لهم ، وكان له وزير صدق صالح يعينه على الإصلاح ويكفيه مؤونته ويشاوره في أموره ، وكان الوزير أديباً عاقلاً ، له دين وورع ونزاهة على الدنيا ، وكان قد لقي أهل الدين ، وسمع كلامهم ، وعرف فضلهم ، فأجابهم وانقطع إليهم بإخائه ووده ، وكانت له من الملك منزلة حسنة وخاصة ، وكان الملك لا يكتبه شيئاً من أمره ، وكان الوزير أيضاً له بتلك المنزلة ، إلا أنه لم يكن ليطلع على أمر الدين ، ولا يفاوضه أسرار الحكمة ، فعاشا بذلك زماناً طويلاً ، وكان الوزير كلما دخل على الملك سجد الأصنام وعظمها وأخذ شيئاً في طريق الجهالة والضلالة تقية له فأشفق الوزير على الملك من ذلك واهتم به واستشار في ذلك أصحابه وإخوانه فقالوا له : انظر لنفسك وأصحابك فإن رأيت موضعاً للكلام فكلمه وفاوضه وإلا فإنك إنما تعينه =

= على نفسك، وتهيجه على أهل دينك، فإن السلطان لا يغتر به، ولا تؤمن سطوته، فلم يزل الوزير على اهتمامه به مصافيا له، رفيقا به رجاء أن يجد فرصة فينصحه أو يجد للكلام موضعا فيفاوضه، وكان الملك مع ضللكه متواضعا سهلا قريبا، حسن السيرة في رعيته، حريصا على إصلاحهم، متفقدًا لأموارهم، فاصطحب الوزير (مع) الملك على هذا برهة من زمانه. ثم إن الملك قال للوزير ذات ليلة من الليالي بعد ما هدأت العيون: هل لك أن تركب فنيسير في المدينة فننظر إلى حال الناس وآثار الأمطار التي أصابتهم في هذه الأيام؟ فقال الوزير: نعم فركبا جميعا بجولان في نواحي المدينة فمرا في بعض الطريق على مزبلة تشبه الجبل، فنظر الملك إلى ضوء النار تبدو في ناحية المزبلة، فقال للوزير: إن لهذه لقصة فأنزل بنا نمشي حتى ندنو منها فنعلم خبرها، ففعلا ذلك فلما انتهى إلى مخرج الضوء وجدا نقبا شبيها بالغار، وفيه مسكين من المساكين ثم نظرا في الغار من حيث لا يراهما الرجل فإذا الرجل مشوه الخلق، عليه ثياب خلقان من خلقان المزبلة، متكئ على متكأ قد هياه من الزبل، وبين يديه إبريق فخار، فيه شراب وفي يده طنبور، يضرب بيده وامراته في مثل خلقه ولباسه قائمة بين يديه تسقيه إذا استسقى منها، وترقص له إذا ضرب، وتحية بتحية الملوك كلما شرب، وهو يسميها سيدة النساء، وهما يصفان أنفسهما بالحسن والجمال وبينهما من السرور والضحك والطرب ما لا يوصف، فقام الملك على رجله مليا والوزير ينظر كذلك ويتعجبان من لذتهما وإعجابهما بما هما فيه، ثم انصرف الملك والوزير فقال الملك: ما أعلمني وإياك أصابنا الدهر من اللذة والسرور والفرح مثل ما أصاب هذين الليلة مع أنني أظنهما يصنعان كل ليلة مثل هذا، فاغتمم الوزير ذلك منه، ووجد فرصة فقال له: أخاف أيها الملك أن يكون دنيانا هذه من الغرور ويكون ملكك وما نحن فيه من البهجة والسرور في أعين من يعرف الملكوت الدائم مثل هذه المزبلة، ومثل هذين الشخصين اللذين رأيناهما، وتكون مساكننا وما شيدنا منها عند من يرجو مساكن السعادة وثواب الآخرة مثل هذا الغار في أعيننا، وتكون أجسادنا عند من يعرف الطهارة والنضارة والحسن والصحة مثل جسد هذه المشوه الخلق في أعيننا، ويكون تعجبهم عن إعجابنا بما نحن فيه كتعجبنا من إعجاب هذين الشخصين بما هما فيه. قال الملك وهل تعرف لهذه الصفة أهلا؟ قال الوزير: نعم، قال الملك: من هم؟ قال الوزير: أهل الدين الذي عرفوا ملك الآخرة ونعيمها فطلبوه، قال الملك: وما ملك الآخرة؟ قال الوزير هو النعيم الذي لا بؤس بعده، والغنى الذي لا فقر بعده، والفرح الذي لا ترح بعده، والصحة التي لا سقم بعدها، والرضي الذي لا سخط بعده، والامن الذي لا خوف بعده، والحياة التي لا موت =

= بعدها، والملك الذي لا زوال له، هي دار البقاء، ودار الحيوان، التي لا انقطاع لها، ولا تغير فيها، رفع الله عز وجل عن ساكنيها فيها السقم والهرم والشقاء والنصب والمرض والجوع والظماً والموت، فهذه صفة ملك الآخرة وخبرها أيها الملك. قال الملك: وهل تدركون إلى هذه الدار مطلباً وإلى دخولها سبيلاً؟ قال الوزير: نعم هي مهياة لمن طلبها من وجه مطلبها، ومن أتاها من بابها ظفر بها، قال الملك: ما منعك أن تخبرني بهذا قبل اليوم؟

قال الوزير: منعني من ذلك إجلالك والهيبة لسلطانك، قال الملك: لئن كان هذا الأمر الذي وصفت يقينا فلا ينبغي لنا أن نضيعه ولا نترك العمل به في إصابته، ولكننا نجتهد حتى يصح لنا خبره، قال الوزير: أفتأمرني أيها الملك أن أو اظب عليك في ذكره والتكرير له؟ قال الملك: بل أمرك أن لا تقطع عني ذكره ليلاً ولا نهاراً، ولا تريحني ولا تمسك عني ذكره فإن هذا أمر عجيب لا يتهاون به، ولا يغفل عن مثله، وكان سبيل ذلك الملك والوزير إلى النجاة. قال ابن الملك: ما أنا بشاغل نفسي بشيء من هذه الأمور عن هذا السبيل ولقد حدثت نفسي بالهرب معك في جوف الليل حيث بدا لك أن تذهب. قال بلوهر: وكيف تستطيع الذهاب معي والصبر على صحبتي وليس لي جحر يأويني، ولا دابة تحملني، ولا أملك ذهباً، ولا فضة، ولا أدخر غذاء العشاء ولا يكون عندي فضل ثوب، ولا أستقر ببلدة إلا قليلاً حتى أتحوّل عنها ولا أتزود من أرض إلى أرض أخرى رغيفاً أبداً. قال ابن الملك: إنني أرجو أن يقويني الذي قواك، قال بلوهر: أما إنك إن أبيت إلا صحبتي كنت خليقاً أن يكون كالغني الذي صاهر الفقير. قال يوذاسف: وكيف كان ذلك؟ قال بلوهر: زعموا أن فتى كان من أولاد الأغنياء فأراد أبوه أن يزوجه ابنة عم له ذات جمال ومال، فلم يوافق ذلك الفتى ولم يطلع أباه على كراهته حتى خرج من عنده متوجهاً إلى أرض أخرى، فمر في طريقه على جارية عليها ثياب خلجان لها، قائمة على باب بيت من بيوت المساكين فأعجبته الجارية، فقال لها: من أنت أيتها الجارية؟ قالت: أنا ابنة شيخ كبير في هذا البيت، فنادى الفتى الشيخ فخرج إليه فقال له: هل تزوجني ابنتك هذه؟ قال: ما أنت بمتزوج لبنات الفقراء وأنت فتى من الأغنياء، قال: أعجبتنني هذه الجارية ولقد خرجت هاربا من امرأة ذات حسب ومال أرادوا مني تزويجها، فكرهتها فزوجني ابنتك فإنك واجد عندي خيراً إن شاء الله. قال الشيخ: كيف أزوجك ابنتي ونحن لا تطيب أنفسنا أن تنقلها عنا، ولا أحسب مع ذلك أن أهلك يرضون أن تنقلها إليهم، قال الفتى: فنحن معكم في منزلكم هذا، قال الشيخ: إن صدقت فيما تقول فاطرح عنك زيك وخليتك هذه، قال: ففعل الفتى ذلك وأخذ أطماراً رثة من أطمارهم فلبسها وقعد معهم، =

= فسأله الشيخ عن شأنه وعرض له بالحديث حتى فتش عقله فعرف أنه صحيح العقل وأنه لم يحمله على ما صنع السفه، فقال له الشيخ: أما إذا اخترتنا ورضيت بنا فقم معي إلى هذا السرب فأدخله فإذا خلف منزله بيوت ومساكن لم ير مثلها قط سعة وحسنا، وله خزائن من كل ما يحتاج إليه، ثم دفع إليه مفاتيحه وقال له: إن كل ما ههنا لك فاصنع به ما أحببت، فنعم الفتى أنت وأصاب الفتى ما كان يريد. قال يوذاسف: إني لأرجو أن أكون أنا صاحب هذا المثل إن الشيخ فتش عقل هذا الغلام حتى وثق به، فلعلك تطول بي على تفتيش عقلي فأعلمني ما عندك في ذلك، قال الحكيم لو كان هذا الامر إلي لا كتفيت منك بأدنى المشافهة ولكن فوق رأسي سنة قد سنها أئمة الهدى في بلوغ الغاية في التوفيق، وعلم ما في الصدور فانا أخاف إن خالفت السنة أن أكون قد أحدثت بدعة، وأنا منصرف عنك الليلة وحاضر بابك في كل ليلة، ففكر في نفسك بهذا واتعظ به، وليحضرك فهمك وثبت ولا تعجل بالتصديق لما يورده عليك همك حتى تعلمه بعد التؤدة والأناة وعليك بالاحتراص في ذلك أن يغلبك الهوى والميل إلى الشبهة والعمى، واجتهد في المسائل التي تظن أن فيها شبهة، ثم كلمني فيها وأعلمني رأيك في الخروج إذا أردت، وافترقا على هذا تلك الليلة.

ثم عاد الحكيم إليه فسلم عليه ودعا له، ثم جلس فكان من دعائه أن قال: أسأل الله الأول الذي لم يكن قبله شيء، والآخر الذي لا يبقى معه شيء، والباقي الذي لا منتهى له، والواحد الفرد الصمد الذي ليس معه غيره، والقاهر الذي لا شريك له، البديع الذي لا خالق معه، القادر الذي ليس له ضد، الصمد الذي ليس له ند، الملك الذي ليس معه أحد أن يجعلك ملكا عدلا، إماما في الهدى، قائدا إلى التقوى، ومبصرا من العمى، وزاهدا في الدنيا، ومحبا لذوي النهى، ومبغضا لأهل الردى حتى يفضي بنا وبك إلى ما وعد الله أوليائه على السنة أنبيائه من جنته ورضوانه، فإن رغبتنا إلى الله في ذلك ساطعة، ورهبتنا منه باطنة، وأبصارنا إليه شاخصة وأعناقنا له خاضعة، وأمورنا إليه صائرة. فرق ابن الملك لذلك الدعاء رقة شديدة، وازداد في الخير رغبة، وقال متعجبا من قوله: أيها الحكيم أعلمني كم أتى لك من العمر؟ فقال: اثنتا عشر سنة، فارتاع لذلك، وقال: ابن اثنتي عشرة سنة طفل وأنت مع ما أرى من التكهل لابن ستين سنة. قال الحكيم، أما المولد فقد راهق الستين سنة، ولكنك سألتني عن العمر وإنما العمر الحياة، ولا حياة إلا في الدين والعمل به، والتخلي من الدنيا ولم يكن ذلك لي إلا من اثنتي عشرة سنة، فأما قبل ذلك فإني كنت ميتا ولست أعتد في عمري بأيام الموت، قال ابن الملك: كيف تجعل الأكل والشارب والمقلب ميتا؟ =

= قال الحكيم : لأنه شارك الموتى في العمى والصم والبكم وضعف الحياة وقلة الغنى ، فلما شاركهم في الصفة وافقهم في الاسم . قال ابن الملك : لئن كنت لا تعد حياة ولا غبطة ما ينبغي لك أن تعد ما يتوقع من الموت موتاً ، ولا تراه مكروهاً ، قال الحكيم : تغريبي في الدخول عليك بنفسي يا ابن الملك مع علمي لسطوة أبيك على أهل ديني يدلك على أنني [لا أرى الموت موتاً] ولا أرى هذه الحياة حياة ، ولا ما أتوقع من الموت مكروهاً ، فكيف يرغب في الحياة من قد ترك حظه منها؟ أو يهرب من الموت من قد أمات نفسه بيده ، أو لا ترى يا ابن - الملك أن صاحب الدين قد رفض في الدنيا من أهله وماله وما لا يرغب في الحياة إلا له واحتمل من نصب العبادة ما لا يريحه منه إلا الموت ، فما حاجة من لا يتمتع بلذة الحياة إلى الحياة؟ أو مهرب من لا راحة له إلا في الموت من الموت . قال ابن الملك : صدقت أيها الحكيم فهل يسرك أن ينزل بك الموت من غد؟ قال الحكيم : بل يسرني أن ينزل بي الليلة دون غد فإنه من عرف السيئ والحسن وعرف ثوابهما من الله عز وجل ترك السيئ مخافة عقابه ، وعمل بالحسن رجاء ثوابه ، ومن كان موقناً بالله وحده مصداقاً بوعدده فإنه يحب الموت لما يرجو بعد الموت من الرخاء ويزهد في الحياة لما يخاف على نفسه من شهوات الدنيا والمعصية لله فيها فهو يحب الموت مبادرة من ذلك ، فقال ابن الملك : إن هذا لخليق أن يبادر الهلكة لما يرجو في ذلك من النجاة فاضرب لي مثل أمتنا هذه وعكوفها على أصنامها . قال الحكيم : إن رجلاً كان له بستان يعمره ويحسن القيام عليه إذ رأى في بستانه ذات يوم عصفورا واقعا على شجرة من شجر البستان يصيب من ثمرها ، فغاضه ذلك فنصب فخا فصاده ، فلما هم بذبحه أنطقه الله عز وجل بقدرته ، فقال لصاحب البستان : إنك تهتم بذبحي وليس في ما يشبعك من جوع ولا يقويك من ضعف فهل لك في خير مما هممت به؟ قال الرجل : ما هو؟ قال العصفور : تخلى سبيلي وأعلمك ثلاث كلمات إن أنت حفظتهن كن خيراً لك من أهل ومال هولك ، قال : قد فعلت فأخبرني بهن ، قال العصفور : احفظ عني ما أقول لك : لا تأس على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون : ولا تطلبين لا ما تطيق : فلما قضى الكلمات خلى سبيله ، فطار فوق على بعض الأشجار ، ثم قال للرجل : لو تعلم ما فاتك مني لعلمت أنك قد فاتك مني عظيم جسيم من الأمر ، فقال الرجل وما ذاك؟ قال العصفور : لو كنت مضيت على ما هممت به من ذبحي لاستخرجت من حوصلتي درة كبيضة الوزة فكان لك في ذلك غنى الدهر ، فلما سمع الرجل منه ذلك أسر في نفسه ندماً على ما فاته ، وقال : دع عنك ما مضى ، وهلم أنطلق بك إلى منزلي فأحسن صحبتك وأكرم مثواك ، فقال له العصفور : أيها الجاهل =

= ما أراك حفظتني إذا ظفرت بي، ولا انتفعت بالكلمات التي افتديت بها منك نفسي، ألم أعهد إليك ألا تأس على ما فاتك ولا تصدق ما لا يكون، ولا تطلب ما لا يدرك؟ أما أنت متفجع على ما فاتك وتلتمس مني رجعتي إليك وتطلب ما لا تدرك وتصدق أن في حوصلتي درة كبيضة الوزة، وجميعي أصغر من بيضها، وقد كنت عهدت إليك أن لا تصدق بما لا يكون وأن أمتكم صنعوا أصنامهم بأيديهم ثم زعموا أنها هي التي خلقتهم وحفظوها من أن تسرق مخافة عليها وزعموا أنها هي التي تحفظهم، وأنفقوا عليها من مكاسبهم وأموالهم، وزعموا أنها هي التي ترزقهم فطلبوا من ذلك ما لا يدرك وصدقوا بما لا يكون فلزمهم منه ما لزم صاحب البستان. قال ابن الملك: صدقت أما الأصنام فإني لم أزل عارفا بأمرها، زاهدا فيها، آيسا من خيرها، فأخبرني بالذي تدعوني إليه والذي ارتضيته لنفسك ما هو؟ قال بلوهر: جماع الدين أمران أحدهما معرفة الله عز وجل والآخر العمل برضوانه، قال ابن الملك: وكيف معرفة الله عز وجل؟ قال الحكيم: أدعوك إلى أن تعلم أن الله واحد ليس له شريك، لم يزل فردا ربا، وما سواه مربوب، وأنه خالق وما سواه مخلوق، وأنه قديم وما سواه محدث، وأنه صانع وما سواه مصنوع، وأنه مدبر وما سواه مدبر، وأنه باق وما سواه فان، وأنه عزيز وما سواه ذليل، وأنه لا ينام ولا يغفل ولا يأكل ولا يشرب ولا يضعف ولا يغلب ولا يضجر، ولا يعجزه شيء، لم تمتنع منه السماوات والأرض والهواء والبر والبحر، وأنه كون الأشياء لا من شيء، وأنه لم يزل ولا يزال، ولا تحدث فيه الحوادث، ولا تغيره الأحوال، ولا تبدله الأزمان، ولا يتغير من حال إلى حال، ولا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، ولا يكون من مكان أقرب منه إلى مكان، ولا يغيب عنه شيء، عالم لا يخفى عليه شيء، قدير لا يفوته شيء، وأن تعرفه بالرفقة والرحمة والعدل، وأن له ثوابا أعده لمن أطاعه، وعذابا أعده لمن عصاه، وأن تعمل لله برضاه، وتجتنب سخطه.

قال ابن الملك: فما رضي الواحد الخالق من الأعمال؟ قال الحكيم: يا ابن الملك رضاه أن تطيعه ولا تعصيه، وأن تأتي إلى غيرك ما تحب أن يوتى إليك، وتكف عن غيرك ما تحب أن يكف عنك في مثله، فإن ذلك عدل وفي العدل رضاه، وفي اتباع آثار أنبياء الله ورسله بأن لا تعدو سنتهم. قال ابن الملك: زدني أيها الحكيم تزهيدا في الدنيا وأخبرني بحالها. قال الحكيم: إنني لما رأيت الدنيا دار تصرف وزوال وتقلب من حال إلى حال، ورأيت أهلها فيها أغراضا للمصائب، ورهائن للمتالف، ورأيت صحة بعدها سقما، وشبابا بعده هرما، وغنى بعده فقرا، وفرحا بعده حزنا، وعزا بعده ذلا، ورخاء بعده شدة، وأمنا بعده خوفا، وحياة =

= بعدها ممات، ورأيت أعماراً قصيرة وحتوفا راصدة وسهاماً قاصدة، وأبدانا ضعيفة مستسلمة غير ممتنعة ولا حصينة، وعرفت أن الدنيا منقطعة بالية فانية، وعرفت بما ظهر لي منها ما غاب عني منها، وعرفت بظاهرها باطنها، وغامضها بواضحها، وسرها بعلايتها، وصدورها بورودها، فحذرتها لما عرفتها، وفررت منها لما أبصرتها، بينا تري المرء فيها مغتبطاً محبوراً وملكاً مسروراً في خفض ودعة ونعمة وسعة، في بهجة من شبابه، وحادثة من سنه، وغبطة من ملكه، وبهاء من سلطانه، وصحة من بدنه إذا انقلبت الدنيا به أسراً ما كان فيها نفساً، وأقراً ما كان فيها عيناً، فأخرجته من ملكها وغبطتها وخفضها ودعتها وبهجتها، فأبدلته بالعز ذلاً، وبالفرح ترحاً، وبالسرور حزناً، وبالنعمة بؤساً، وبالغني فقراً، وبالسعة ضيقاً، وبالشباب هرماً، وبالشرف ضعة، وبالحياة موتاً، فدلته في حفرة ضيقة شديدة الوحشة، وحيدا فريداً غريباً قد فارق الأحبة وفارقوه، وخذله إخوانه فلم يجد عندهم منعا وغره أعداؤه فلم يجد عندهم دفعا، وصار عزه وملكه وأهله وماله نهباً من بعده، كأن لم يكن في الدنيا ولم يذكر فيها ساعة قط ولم يكن له فيها خطر، ولم يملك من الأرض حظاً قط، فلا تتخذها يا ابن الملك داراً، ولا تتخذن فيها عقدة ولا عقاراً، فأف لها وتف. قال ابن الملك: أف لها ولمن يغتر بها إذا كان هذا حالها. ورق ابن الملك وقال: زدني أيها الملك الحكيم من حديثك فإنه شفاء لما في صدري. قال الحكيم: إن العمر قصير، والليل والنهار يسرعان فيه، والارتحال من الدنيا حيث قريب، وإنه وإن طال العمر فيها فإن الموت نازل، والظاعن لا محالة راحل فيصير ما جمع فيها مفزقاً، وما عمل فيها متبراً، وما شيد فيها خراباً، ويصير اسمه مجهولاً، وذكره منسياً، وحسبه خاملاً، وجسده بالياً، وشرفه وضيعة، ونعمته وبالاً، وكسبه خساراً، ويورث سلطانه، ويستذل عقبه، ويستباح حريمه، وتنقض عهوده، وتخفر ذمته، وتدرس آثاره، ويوزع ماله، ويطوي رحله، ويفرح عدوه ويبيد ملكه، ويورث تاجه، ويخلف على سريرته، ويخرج من مساكنه مسلوباً مخذولاً فيذهب به إلى قبره، فيدلى في حفرة في وحدة وغربة وظلمة ووحشة ومسكنة وذلة، قد فارق الأحبة وأسلمته العصابة فلا تونس وحشته أبداً، ولا ترد غربته أبداً، واعلم أنها يحق على المرء اللبيب من سياسة نفسه خاصة كسياسة الإمام العادل الحازم الذي يودب العامة، ويستصلح الرعية، ويأمرهم بما يصلحهم، وينهاهم عما يفسدهم، ثم يعاقب من عصاه منهم، ويكرم من أطاعه منهم، فكذلك للرجل اللبيب أن يودب نفسه في جميع أخلاقها وأهوائها وشهواتها وأن تحملها وإن كرهت على لزوم منافعها فيما أحببت وكرهت، وعلى اجتناب مضارها، وأن يجعل لنفسه عن نفسه ثواباً وعقاباً من مكانها من =

= السرور إذا أحسنت، ومن مكانها من الغم إذا أساءت، ومما يحق على ذي العقل، النظر فيما ورد عليه من أمور، والاخذ بصوابها، وينهى نفسه عن خطائها وأن يحتقر عمله ونفسه في رأيه لكيلا يدخله عجب، فإن الله عز وجل قد مدح أهل العقل وذم أهل العجب، ومن لا عقل له: وبالعقل يدرك كل خير بإذن الله تبارك وتعالى وبالجهل تهلك النفوس، وإن من أوثق الثقات عند ذوي الألباب ما أدركته عقولهم، وبلغته تجاربيهم، ونالته أبصارهم في الترك للأهواء والشهوات، وليس ذوا العقل بجدير أن يرفض ما قوي على حفظه من العمل احتقارا له إذا لم يقدر على ما هو أكثر منه، وإنما هذا من أسلحة الشيطان الغامضة التي لا يبصرها إلا من تدبرها، ولا يسلم منها إلا من عصمه الله منها، ومن رأس أسلحته سلاحان أحدهما إنكار العقل أن يوقع في قلب الانسان العاقل أنه لا عقل له ولا بصر ولا منفعة له في عقله وبصره، ويريد أن يصدده عن محبة العلم وطلبه، ويزين له الاشتغال بغيره من ملاهي الدنيا، فإن اتبعه الانسان من هذا الوجه فهو ظفره، وإن عصاه وغلبه فزع إلى السلاح الاخر وهو أن يجعل الانسان إذا عمل شيئا وأبصر عرض له بأشياء لا يبصرها ليغمه ويضجره بما لا يعلم حتى ييغض إليه ما هو فيه بتضعيف عقله عنده، وبما يأتيه من الشبهة، ويقول: ألسنت ترى أنك لا تستكمل هذا الامر ولا تطبيقه أبدا فبم تعني نفسك وتشقيها فيما لا طاقه لك به، فبهذا السلاح صرع كثيرا من الناس، فاحترس من أن تدع اكتساب علم ما تعلمه وأن تخدع عما اكتسبت منه، فإنك في دار قد استحوذ على أكثر أهلها الشيطان بالوان حيله ووجوه ضلالتة، ومنهم من قد ضرب على سمعه وعقله وقلبه فتركه لا يعلم شيئا، ولا يسأل عن علم ما يجهل منه كالبيمة، وإن لعامتهم أديانا مختلفة فمنهم المجتهدون في الضلالة حتى أن بعضهم ليستحل دم بعض وأموالهم، ويموه ضلالتهم بأشياء من الحق ليلبس عليهم دينهم، ويزينه لضعيفهم، ويصددهم عن الدين القيم، فالشيطان وجنوده دائبون في إهلاك الناس، وتضليلهم لا يسأمون، ولا يفترون ولا يحصى عددهم إلا الله، ولا يستطيع دفع مكائدهم إلا بعون من الله عز وجل والاعتصام بدينه، فنسأل الله توفيقا لطاعته ونصرا على عدونا، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله قال ابن الملك: صف لي الله سبحانه وتعالى حتى كأني أراه، قال: إن الله تقديس ذكره لا يوصف بالرؤية، ولا يبلغ بالعقول كنه صفته، ولا تبلغ الألسن كنه مدحته، ولا يحيط العباد من علمه إلا بما علمهم منه على السنة أنبيائه بما وصف به نفسه، ولا تدرك الأوهام عظم ربوبيته، هو أعلى من ذلك وأجل وأعز وأعظم وأمنع وألطف، فباح للعباد من علمه بما أحب، وأظهرهم من صفته على ما أراد، ودلهم على معرفته ومعرفة ربوبيته بإحداث ما لم يكن، =

= وإعدام ما أحدث. قال ابن الملك: وما الحجة؟ قال: إذا رأيت شيئاً مصنوعاً غاب عنك صانعه علمت بعقلك أن له صانعاً، فكذلك السماء والأرض وما بينهما، فأى حجة أقوى من ذلك. قال ابن الملك: فأخبرني أيها الحكيم أبقدر من الله عز وجل يصيب الناس ما يصيبهم من الأسقام والأوجاع والفقر والمكاره أو بغيره قدر.

قال بلوهر: لا بل بقدر، قال: فأخبرني عن أعمالهم السيئة، قال: إن الله عز وجل من سيئ أعمالهم برئ ولكنه عز وجل أوجب الثواب العظيم لمن أطاعه والعقاب الشديد لمن عصاه. قال: فأخبرني من أعدل الناس، ومن أجورهم، ومن أكسيهم ومن أحققهم، ومن أشقاهم ومن أسعدهم؟ قال: أعدلهم أنصفهم من نفسه وأجورهم من كان جوراً عنده عدلاً وعدل أهل العدل عنده جوراً، وأما أكسيهم فمن أخذ لآخرته أهبتها وأحققهم من كانت الدنيا همه، والخطايا عمله، وأسعدهم من ختم عاقبة عمله بخير، وأشقاهم من ختم له بما يسخط الله عز وجل. ثم قال: من دان الناس بما إن دين بمثله هلك فذلك المسخط لله، المخالف لما يحب، ومن دانهم بما إن دين بمثله صلح فذلك المطيع لله الموافق لما يحب المجتنب لسخطه، ثم قال: لا تستبجن الحسن وإن كان في الفجار، ولا تستحسنن القبيح وإن كان في الأبرار. ثم قال له: أخبرني أي الناس أولى بالسعادة؟ وأيهم أولى بالشقاوة؟.

قال بلوهر: أولاهم بالسعادة المطيع لله عز وجل في أوامره، والمجتنب لنواهيه، وأولاهم بالشقاوة العامل بمعصية الله، التارك لطاعته، المؤثر لشهوته على رضى الله عز وجل، قال: فأى الناس أطوعهم لله عز وجل؟ قال: أتبعهم لأمره، وأقواهم في دينه وأبعدهم من العمل بالسيئات، قال: فما الحسنات والسيئات؟ قال: الحسنات صدق النية والعمل، والقول الطيب، والعمل الصالح، والسيئات سوء النية، وسوء العمل، والقول السيئ، قال: فما صدق النية؟ قال: الاقتصاد في الهمة، قال: فما سوء القول؟ قال: الكذب، قال: فما سوء العمل؟ قال: معصية الله عز وجل قال: أخبرني كيف الاقتصاد في الهمة؟ قال: التذكر لزوال الدنيا وانقطاع أمرها، والكف عن الأمور التي فيها النعمة والتبعة في الآخرة. قال: فما السخاء؟ قال: إعطاء المال في سبيل الله عز وجل، قال: فما الكرم؟ قال: التقوى، قال: فما البخل؟ قال: منع الحقوق عن أهلها وأخذها من غير وجهها قال: فما الحرص؟ قال: الاخلاص إلى الدنيا، والطماح إلى الأمور التي فيها الفساد وثمرتها عقوبة الآخرة، قال: فما الصدق؟ قال: الطريقة في الدين بأن لا يخادع المرء نفسه ولا يكذبها، قال: فما الحمق؟ قال: الطمأنينة إلى الدنيا وترك ما يدوم ويبقى، قال: فما الكذب؟ قال: أن يكذب المرء =

= نفسه فلا يزال بهواه شغفًا ولدينه مسوفًا، قال: أي الرجال أكملهم في الصلاح؟
 قال: أكملهم في العقل وأبصرهم بعواقب الأمور، وأعلمهم بخصوصية، وأشدهم منهم
 احتراسًا، قال: أخبرني ما تلك العاقبة وما أولئك الخصماء الذين يعرفهم العاقل فيحترس
 منهم؟ قال: العاقبة الآخرة والفناء الدنيا، قال: فما الخصماء؟ قال: الحرص والغضب
 والحسد الحمية والشهوة والرياء واللجاجة قال: أي هؤلاء الذين عدت أقوى وأجدر أن
 يسلم منه؟ قال: الحرص أقل رضا وأفحش غضبا، والغضب أجور سلطانا وأقل شكرا
 وأكسب للبغضاء، والحسد أسوأ الخيبة للنية، وأخلف للظن، والحمية أشد لجاجة وأفظع
 معصية، والحقد أطول توقدا وأقل رحمة وأشد سطوة، والرياء أشد خديعة، وأخفى لكتاما
 وأكذب، واللجاجة أعى خصومة، وأقطع معذرة. قال: أي مكائد الشيطان للناس في هلاكهم
 أبلغ؟ قال: تعميته عليهم البر والاثم والثواب والعقاب وعواقب الأمور في ارتكاب
 الشهوات، قال: أخبرني بالقوة التي قوى الله عز وجل بها العباد في تغالب تلك الأمور السيئة
 والأهواء المرديّة؟

قال: العلم والعقل والعمل بهما، وصبر النفس عن شهواتها، والرجاء للشواب في الدين،
 وكثرة الذكر لفناء الدنيا، وقرب الاجل، والاحتفاظ من أن ينقض ما يبقى بما يفني، فاعتبار
 ماضي الأمور بعاقبتها والاحتفاظ بما لا يعرف إلا عند ذوي العقول وكف النفس عن العادة
 السيئة وحملها على العادة الحسنة، والخلق المحمود، وأن يكون أمل المرء بقدر عيشه حتى
 يبلغ غايته، فإن ذلك هو القنوع وعمل الصبر والرضا بالكفاف والالتزم للقضاء والمعرفة بما فيه
 في الشدة من التعب وما في الإفراط من الاقتراف، وحسن العزاء عما فات، وطيب النفس عنه
 وترك معالجة ما لا يتم، والصبر بالأمر التي إليها يرد، واختيار سبيل الرشد على سبيل الغي،
 وتوطين النفس على أنه إن عمل خيرا أجزى به وإن عمل شرا أجزى به والمعرفة بالحقوق
 والحدود في التقوى وعمل النصيحة وكف النفس عن اتباع الهوى. وركوب الشهوات، وحمل
 الأمور على الرأي والاختذ بالحزم والقوة، فإن أتاه البلاء أتاه وهو معذور غير ملوم. قال ابن
 الملك: أي الأخلاق أكرم وأعز؟ قال: التواضع ولين الكلمة للإخوان في الله عز وجل، قال:
 أي العبادة أحسن؟ قال: الوقار والموودة قال: فأخبرني أي الشيم أفضل؟ قال: حب
 الصالحين، قال: أي الذكر أفضل، قال: ما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
 قال: فأبي الخصوم ألد؟ قال: ارتكاب الذنوب، قال ابن الملك: أخبرني أي الفضل أفضل؟
 قال: الرضا بالكفاف، قال: أخبرني أي الأدب أحسن؟ قال: أدب الدين، قال: أي الشيء =

= أجفا؟ قال: السلطان العاتي، والقلب القاسي، قال: أي شيء أبعد غلية، قال: عين الحريص التي لا تشيع من الدنيا، قال: أي الأمور أخبث عاقبة؟
 قال: التماس رضي الناس في سخط الرب عز وجل، قال: أي شيء أسرع تقلبا، قال: قلوب الملوك الذين يعملون للدنيا، قال: فأخبرني أي الفجور أفحش؟ قال: إعطاء عهد الله والغدر فيه، قال: فأني شيء أسرع انقطاعا، قال: مودة الفاسق، قال: فأني شيء أخون؟ قال: لسان الكاذب، قال: فأني شيء أشد اكتتاما؟ قال: شر المرابي المخادع، قال: فأني شيء أشبه بأحوال الدنيا، قال: أحلام النائم، قال: أي الرجال أفضل رضي؟ قال: أحسنهم ظنا بالله عز وجل وأتقاهم وأقلهم غفلة عن ذكر الله وذكر الموت وانقطاع المدة. قال أي شيء من الدنيا أقر للعين، قال: الولد الأديب والزوجة الموافقة المواتية المعينة على أمر الآخرة، قال: أي الداء ألزم في الدنيا؟ قال: الولد السوء والزوجة السوء اللذين لا يجد منهما بدا، قال: أي الخفض أخفض؟ قال: رضي المرء بحظه واستيناسه بالصالحين. ثم قال ابن الملك للحكيم: فرغ لي ذهنك فقد أردت مساءلتك عن أهم الأشياء إلي بعد إذ بصرني الله عز وجل من أمري ما كنت به جاهلا، ورزقني من الدين ما كنت منه آيسا. قال الحكيم: سل عما بدا لك، قال ابن الملك: أرايت من أوتي الملك طفلا ودينه عبادة الأوثان وقد غذي بلذات الدنيا واعتادها ونشأ فيها إلى أن كان رجلا وكهلا، لا يتقل من حالته تلك في جهالته بالله تعالى ذكره وإعطائه نفسه شهواتها متجردا لبلوغ الغاية فيما زين له من تلك الشهوات مشتغلا بها، موثرا لها، جريا عليها، لا يري الرشد إلا فيها، ولا تزيده الأيام إلا حبالها واغترارا بها، وعجبا وحبا لأهل ملته ورأيه. وقد دعت بصيرته في ذلك إلى أن جهل أمر آخرته وأغفلها فاستخف بها وسها عنها قساوة قلب وخبث نية وسوء رأي، واشتدت عداوته لمن خالفه من أهل الدين والاستخفاء بالحق والمغيبين لأشخاصهم انتظارا للفرج من ظلمه وعداوته هل يطمع له إن طال عمره في النزوع عما هو عليه؟ والخروج منه إلى ما الفضل فيه بين والحجة فيه واضحة؟ والحظ جزيل من لزوم ما أبصر من الدين فيأتي ما يرجى له (به) مغفرة لما قد سلف من ذنوبه وحسن الثواب في مآبه. قال الحكيم: قد عرفت هذه الصفة، وما دعاك إلى هذه المسألة.

قال ابن الملك: ما ذاك منك بمستنكر لفضل ما أوتيت من الفهم وخصصت به من العلم. قال الحكيم: أما صاحب هذه الصفة فالملك والذي دعاك إليه العناية بما سألت عنه، والاهتمام به من أمره، والشفقة عليه من عذاب ما أوعده الله عز وجل من كان على مثل رأيه وطبعه وهواه، مع ما نويت من ثواب الله تعالى ذكره في أداء حق ما أوجب الله عليك له، وأحسبك تريد =

= بلوغ غاية العذر في التلطف لإنقاذه وإخراجه عن عظيم الهول ودائم البلاء الذي لا انقطاع له من عذاب الله إلى السلامة وراحة الأبد في ملكوت السماء. قال ابن الملك: لم تجرم حرفا عما أردت فأعلمني رأيك فيما عنيت من أمر الملك وحاله التي أتخوف أن يدركه الموت عليها فتصيبه الحسرة والندامة حين لا أغني عنه شيئا فاجعلني منه على يقين وفرج عما أنا به مغموم شديد الاهتمام به فلإني قليل الحيلة فيه. قال الحكيم: أما رأينا فلإنا لا نبعد مخلوقا من رحمة الله خالقه عز وجل ولا نأيس له منها ما دام فيه الروح، وإن كان عاتيا طاغيا ضالا لما قد وصف ربنا تبارك وتعالى به نفسه من التحنن والرأفة والرحمة ودل عليه من الايمان وما أمر به من الاستغفار والتوبة وفي هذا فضل الطمع لك في حاجتك إن شاء الله، وزعموا أنه كان في زمن من الأزمان ملك عظيم الصوت في العلم، رفيق سايس يحب العدل في أمته والاصلاح لرعيته، عاش بذلك زمانا بخير حال، ثم هلك فجزعت عليه أمته وكان بامرأة له حمل فذكر المنجمون والكهنة أنه غلام وكان يدبر ملكهم من كان يلي ذلك في زمان ملكهم فاتفق الامر كما ذكره المنجمون والكهنة وولد من ذلك الحمل غلام فأقاموا عند ميلاده سنة بالمعازف والملاهي والأشربة والا طعمة، ثم إن أهل العلم منهم والفقهاء والربانيين قالوا لعامتهم: إن هذا المولود إنما هو هبة من الله تعالى وقد جعلتم الشكر لغيره وإن كان هبة من غير الله عز وجل فقد أدبتم الحق إلى من أعطاكموه واجتهدتم في الشكر لمن رزقكموه، فقال لهم العامة: ما وهبه لنا إلا الله تبارك وتعالى، ولا امتن به علينا غيره، قال العلماء: فإن كان الله عز وجل هو الذي وهبه لكم فقد أرضيتم غير الذي أعطاكم وأسخطهم الله الذي وهبه لكم فقالت لهم الرعية: فأشيروا لنا أيها الحكماء وأخبرونا أيها العلماء فتتبع قولكم وتقبل نصيحتكم، ومرونا بأمركم، قالت العلماء: فلإنا نرى لكم أن تعدلوا عن اتباع مرضات الشيطان بالمعازف والملاهي والمسكر إلى ابتغاء مرضات الله عز وجل وشكره على ما أنعم به عليكم أضعاف شكركم للشيطان حتى يغفر لكم ما كان منكم قالت الرعية: لا تحمل أجسادنا كل الذي قلتم وأمرتم به، قالت العلماء: يا أولى الجهل كيف أطعتم من لاحق له عليكم وتعصون من له الحق الواجب عليكم وكيف قويتهم على ما لا ينبغي وتضعفون عما ينبغي؟! قالوا لهم: يا أئمة الحكماء عظمت فينا الشهوات وكثرت فينا اللذات فقوينا بما عظم فينا منها على العظيم من شكلها وضعفت منا النيات فعجزنا عن حمل المثقلات فارضوا منا في الرجوع عن ذلك يوما فيوما، ولا تكلفونا كل هذا الثقل. قالوا لهم: يا معشر السفهاء أستم أبناء الجهل وإخوان الضلال حين خفت عليكم الشقوة وثقلت عليكم السعادة، قالوا لهم: أيها السادة الحكماء =

= والقادة العلماء إنا نستجير من تعنيفكم إيانا بمغفرة الله عز وجل ونستتر من تعييركم لنا بعفوه فلا تؤنبونا ولا تعيرونا بضعفنا ولا تعيبوا الجهالة علينا فإننا إن أطعنا الله مع عفوه وحمله وتضعيفه الحسنات واجتهدنا في عبادته مثل الذي بذلنا لهوانا من الباطل بلغنا حاجتنا وبلغ الله عز وجل بنا غايتنا ورحمنا كما خلقنا، فلما قالوا ذلك أقر لهم علماءهم ورضوا قولهم فصلوا وصاموا وتعبدوا وأعظموا الصدقات سنة كاملة، فلما انقضى ذلك منهم قالت الكهنة: إن الذي صنعت هذه الأمة على هذا المولود يخبر أن هذا الملك يكون فاجرا ويكون باراً، ويكون متجبراً ويكون متواضعاً ويكون مسيئاً ويكون محسناً. وقال المنجمون مثل ذلك، فقيل لهم: كيف قلمت ذلك؟ قال الكهنة: قلنا هذا من قبل الله والمعازف والباطل الذي صنع عليه، وما صنع عليه من ضده بعد ذلك، وقال المنجمون: قلنا ذلك من قبل استقامة الزهرة والمشتري، فنشأ الغلام بكبر لا توصف عظمته، ومرح لا ينعى، وعدوان لا يطاق، فعسف وجار وظلم في الحكم وغشم وكان أحب الناس إليه من وافقه على ذلك وأبغض الناس إليه من خالفه في شيء من ذلك، واغتر بالشباب والصحة والقدرة والظفر والنظر فامتلاً سرورا وإعجاباً بما هو فيه ورأى كلما يحب وسمع كلما اشتهى حتى بلغ اثنين وثلاثين سنة ثم جمع نساء من بنات الملوك وصبياناً والجواري والمخدرات وخيله المطهومات العناق وألوان مراكبه الفاخرة ووصائفه وخدامه الذين يكونون في خدمته فأمرهم أن يلبسوا أجد ثيابهم ويتزينوا بأحسن زيتهم وأمر ببناء مجلس مقابل مطلع الشمس صفائح أرضه الذهب، مفضضا بأنواع الجواهر، طوله مائة وعشرون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً، ومزخرفاً سقفه وحيطانه، قد زين بكرائم الحلي وصنوف الجواهر واللؤلؤ التنظيم وفاخره، وأمر بضروب الأموال فأخرجت من الخزائن ونضدت سماطين أمام مجلسه، وأمر جنوده وأصحابه وقواده وكتابه وحجابه وعظماء أهل بلاده وعلمائهم فحضروا في أحسن هيئتهم وأجمل جمالهم وتسليح فرسانه وركبت خيوله في عدتهم، ثم وقفوا على مراكزهم ومراتبهم صفوفاً وكراديس، وإنما أراد بزعمه أن ينظر إلى منظر رفيع حسن تسر به نفسه وتقربه عينه، ثم خرج فصعد إلى مجلسه فأشرف على مملكته فخرها له سجداً، فقال: لبعض غلماناه: قد نظرت في أهل مملكتي إلى منظر حسن وبقي أن أنظر إلى صورة وجهي فدعا بمرآة فنظر إلى وجهه فبينما هو يقلب طرفه فيها إذ لاح له شعرة بيضاء من لحيته كغراب أبيض بين غربان سود، واشتد منها ذعره وفزعه وتغير في عينه حاله وظهرت الكآبة والحزن في وجهه وتولي السرور عنه. ثم قال في نفسه: هذا حين نعي إلى شبابي وبين لي أن ملكي في ذهاب وأوذنت بالنزول عن سرير ملكي، ثم قال: هذه مقدمة =

= الموت ورسول البلى لم يحجبه عني حاجب، ولم يمنعه عني حارس، فنعى إلي نفسي وأذني بزوال ملكي فما أسرع هذا في تبديل وبهجتي وذهاب سروري، وهدم قوتي، لم يمنعه مني الحصون ولم تدفعه عني الجنود، هذا سالب الشباب والقوة، وما حق العز والثروة، ومفرق الشمل وقاسم التراث بين الأولياء ثقاته فقال: أيها الملا ماذا صنعت فيكم وما (ذا) أتيت إليكم منذ ملكتكم ووليت أموركم؟ قالوا له: أيها الملك المحمود عظم بلاؤك عندنا وهذه أنفسنا مبدولة في طاعتك، فمرنا بأمرك، قال: طرقتي عدو مخيف لم تمنعوني منه حتى نزل بي وكتتم عدتي وثقاتي، قالوا: أيها الملك أين هذا العدو؟ أيري أم لا يري؟

قال: يري بأثر ولا يري عينه، قالوا أيها الملك هذه عدتنا كما ترى وعندنا سكن وفينا ذورا الحجبي والنهي، فأرناه نكفك ما مثله يكفي، قال: قد عظم الاغترار مني بكم ووضعت الثقة في غير موضعها حين اتخذتكم وجعلتكم لنفسي جنة، وإنما بذلت لكم الأموال ورفعت شرفكم وجعلتكم البطانة دون غيركم لتحفظوني من الأعداء وتحرسوني منهم، ثم أيدتكم على ذلك بتشديد البلدان وتحصين المدائن والثقة من السلاح ونحيت عنكم الهموم وفرغتكم للنجدة والاحتفاظ، ولم أكن أخشى أن أراع معكم ولا أتخوف المنون على بنياني وأنتم عكوف مطيفون به فطرقت وأنتم حولي وأتيت وأنتم معي، فلئن كان هذا ضعف منكم فما أخذت أمري بثقة وإن كانت غفلة منكم فما أنتم بأهل النصيحة ولا علي بأهل الشفقة، قالوا: أيها الملك أما شيء نطبق دفعه بالخيل والقوة فليس بواصل إليك إن شاء الله ونحن أحياء وأما ما لا يري فقد غيب عنا علمه وعجزت قوتنا عنه.

قال: أليس اتخذتكم لتمنعوني من عدوي، قالوا: بلى قال: فمن أي عدو تحفظوني من الذي يضرني أو من الذي لا يضرني؟ قالوا: من الذي يضرك؟ قال: أفمن كل ضار لي أو من بعضهم؟ قالوا: من كل ضار، قال: فإن رسول البلى قد أتاني ينعي إلي نفسي وملكه ويزعم أنه يريد خراب ما عمرت وهدم ما بنيت وتفريق ما جمعت وفساد ما أصلحت وتبذير ما أحرزت وتبديل ما عملت وتوهين ما وثقت، وزعم أن معه الشماتة من الأعداء وقد قرت بي أعينهم فإنه يريد أن يعطيهم مني شفاء صدورهم وذكر أنه سيهزم جيشي ويوحش انسي ويذهب عزي ويؤتم ولدي ويفرق جموعي، يفجع بي إخواني وأهلي وقرايتي ويقطع أو صالي ويسكن مساكني أعدائي، قالوا: أيها الملك إنما نمنعك من الناس والسباع والهوام دواب الأرض فأما البلى فلا طاقة لنا به ولا قوة لنا عليه ولا امتناع لنا منه، فقال: فهل من حيلة في دفع ذلك عني؟ قالوا: لا، قال: فشيء دون ذلك تطيقونه، قالوا: وما هو؟ قال: الأوجاع والأحزان =

= والهموم، قالوا: أيها الملك إنما قد قدر هذه الأشياء قوي لطيف وذلك يشور من الجسم والنفس وهو يصل إليك إذا لم يوصل ولا يحجب عنك وإن حجب قال: فأمر دون ذلك، قالوا: وما هو؟ قال: ما قد سبق من القضاء. قالوا: أيها الملك ومن ذا غالب القضاء فلم يغلب؟ ومن ذا كابره فلم يقهر؟ قال: فماذا عندكم؟ قالوا: ما نقدر على دفع القضاء، وقد أصبت التوفيق والتسديد فماذا الذي تريد، قال: أريد أصحابا يدوم عهدهم ويفوا لي وتبقى لي إخوانهم ولا يحجبهم عني الموت ولا يمنعهم البلي عن صحبتي ولا يستحيل بهم الامتناع عن صحبتي ولا يفردوني إن مت، ولا يسلموني إن عشت، ويدفعون عني ما عجزتم عنه، من أمر الموت. قالوا: أيها الملك ومن هؤلاء الذين وصفت، قال: هم الذين أفسدتهم باستصلاحكم، قالوا: أيها الملك أفلا تصطنع عندنا وعندهم معروفا فإن أخلاقك تامة ورأفتك عظيمة؟

قال: إن في صحبتكم إياي السم القاتل، والصمم والعمي في طاعتكم، البكم من موافقتكم، قالوا: كيف ذاك أيها الملك؟ قال: صارت صحبتكم إياي في الاستكثار وموافقتكم على الجمع، وطاعتكم إياي في الاغتفال فبطأتموني عن المعاد وزينتم لي الدنيا ولو نصحتموني ذكرتموني الموت ولو أشفقتكم علي ذكرتموني البلى، وجمعتم لي ما يبقي، ولم تستكثروا لي ما يفنى، فإن تلك المنفعة التي ادعيتموها ضرر، وتلك المودة عداوة، وقد رددتها عليكم لا حاجة لي فيها منكم. قالوا: أيها الملك الحكيم المحمود قد فهمنا مقاتلك وفي أنفسنا أجابتك وليس لنا أن نحتج عليك فقد رأينا مكان الحجة، فسكوتنا عن حجتنا فساد لملكنا، وهلاك لدنيانا وشماتة لعدونا، وقد نزل بنا أمر عظيم بالذي تبدل من رأيك وأجمع عليه أمرك، قال: قولوا آمين واذكروا ما بدا لكم غير مرعو بين فلاني كنت إلى اليوم مغلوبا بالحمية والانفة وأنا اليوم غالب لهما، وكنت إلى اليوم مقهورا لهما وأنا اليوم قاهر لهما، وكنت إلى اليوم ملكا عليكم فقد صرت عليكم مملوكا، وأنا اليوم عتيق وأنتم من مملكتي طلقاء، قالوا: أيها الملك ما الذي كنت مملوكا إذ كنت علينا ملكا، قال: كنت مملوكا لهواي مقهورا بالجهل مستعبدا لشهواتي فقد قطعت تلك الطاعة عني ونبذتها خلف ظهري، قالوا: فقل ما أجمعت عليه أيها الملك؟ قال: القنوع والتخلي لآخرتي وترك هذا الغرور ونبذ هذا الثقل عن ظهري والاستعداد للموت، والتأهب للبلاء، فإن رسوله عندي قد ذكر أنه قد أمر بملازمتي والإقامة معي حتى يأتييني الموت، فقالوا: أيها الملك ومن هذا الرسول الذي قد أتاك ولم نره، وهو مقدمة الموت الذي لا نعرفه، قال: أما الرسول فهذا البياض الذي يلوح بين السواد، وقد صاح =

= في جميعه بالزوال، فأجابوا وأذعنوا، وأما مقدمة الموت فالبلى الذي هذا البياض طرقة .
 قالوا: أيها الملك أفتدع مملكتك؟ وتهمل رعيته وكيف لا تخاف الاثم في تعطيل أمتك
 ألسنت تعلم أن أعظم الاجر في استصلاح الناس وأن رأس الصلاح الطاعة للأمة والجماعة،
 فكيف لا تخاف من الاثم، وفي هلاك العامة من الاثم فوق الذي ترجو من الاجر في صلاح
 الخاصة، ألسنت تعلم أن أفضل العبادة العمل وأن أشد العمل السياسة، فإنك أيها الملك (ما
 في يديك) عدل على رعيته، مستصلح لها بتدبيرك، فإن لك من الاجر بقدر ما استصلحت،
 ألسنت أيها الملك إذا خلعت ما في يديك من صلاح أمتك فقد أردت فسادهم فقد حملت من
 الاثم فيهم أعظم مما أنت مصيب من الاجر في خاصة يديك. ألسنت أيها الملك قد علمت أن
 العلماء قالوا: من أتلف نفسا فقد استوجب لنفسه الفساد، ومن أصلحها فقد استوجب
 الصلاح لبدنه، وأي فساد أعظم من رفض هذه الرعية التي أنت إمامها والإقامة في هذه الأمة
 التي أنت نظامها حاشا لك أيها الملك أن تخلع عنك لباس الملك الذي هو الوسيلة إلي شرف
 الدنيا والآخرة، قال: قد فهمت الذي ذكرتم وعقلت الذي وصفتم فإن كنت إنما أطلب الملك
 عليكم للعدل فيكم والاجر من الله تعالى ذكره في استصلاحكم بغير أعوان يرفدونني ووزراء
 يكفونني فما عسيت أن أبلغ بالوحدة فيكم ألسنت جميعا نزعا إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها ولا
 آمن أن أخلد إلى الحال التي أرجو أن أدعها وأرفضها، فإن فعلت ذلك أتاني الموت على
 غرة، فأنزلني عن سرير ملكي إلى بطن الأرض وكساني التراب بعد الدباج والمنسوج بالذهب
 ونفيس الجوهر، وضمني إلي الضيق بعد السعة، وألبسني الهوان بعد الكرامة، فأصير فريدا
 بنفسي ليس معي أحد منكم في الوحدة، قد أخرجتموني من العمران وأسلمتموني إلى
 الخراب، وخليتم بين لحمي وبين سباع الطير وحشرات الأرض فأكلت مني النملة فما فوقها
 من الهوام وصار جسدي دودا وجيفة قدرة، الذل لي حليف، والعز مني غريب، أشدكم حبا
 إلي أسرعكم إلي دفني، والتخلية بيني وبين ما قدمت من عملي وأسلفت من ذنوبي، فيورثني
 ذلك الحسرة، ويعقبني الندامة، وقد كنتم وعدتموني أن تمنعوني من عدوي الضار فإذا أنتم لا
 منع عندكم ولا قوة على ذلك لكم ولا سبيل، أيها الملا إنني محتال لنفسي إذ جئتم بالخداع،
 ونصبتم لي شراك الغرور، فقالوا: أيها الملك المحمود لسنا الذي كنا كما أنك لست الذي
 كنت، وقد أبدلنا الذي أبدلك، وغيرنا الذي غيرك، فلا ترد علينا توبتنا وبذل نصيحتنا، قال:
 أنا مقيم فيكم ما فعلتم ذلك ومفارقكم إذا خالفتموه، فأقام ذلك الملك في ملكه وأخذ جنوده
 بسيرته واجتهدوا في العبادة فخصبت بلادهم وغلبوا عدوهم وازداد ملكهم حتى هلك ذلك =

= الملك، وقد صار فيهم بهذه السيرة اثنين وثلاثين سنة فكان جميع ما عاش أربعاً وستين سنة يوذاسف: قد سررت بهذا الحديث جدا، فزدني من نحوه أزدد سرورا ولربي شكرا. قال الحكيم: زعموا أنه كان ملك من الملوك الصالحين وكان له جنود يخشون الله عز وجل ويعبدونه، وكان في ملك أبيه شدة من زمانهم والتفرق فيما بينهم وينقص العدو من بلادهم، وكان يحثهم على تقوى الله عز وجل وخشيته والاستعانة به ومراقبته والفرع إليه، فلما ملك ذلك الملك قهر عدوه واستجمعت رعيته وصلحت بلاده وانتظم له الملك، فلما رأى ما فضل الله عز وجل به أترفه ذلك وأبطره وأطفاه حتى ترك عبادة الله عز وجل وكفر نعمه، وأسرع في قتل من عبد الله ودام ملكه وطالت مدته حتى ذهل الناس عما كانوا عليه من الحق قبل ملكه ونشوه وأطاعوه فيما أمرهم به وأسرعوا إلى الضلالة، فلم يزل على ذلك فنشأ فيه الأولاد وصار لا يعبد الله عز وجل فيهم ولا يذكر بينهم اسمه، ولا يحسبون أن لهم إلها غير الملك، وكان ابن الملك قد عاهد الله عز وجل في حياة أبيه إن هو ملك يوما أن يعمل بطاعة الله عز وجل بأمر لم يكن من قبله من الملوك يعملون به ولا يستطيعونه، فلما ملك أنساه الملك رأيه الأول ونيته التي كان عليها، وسكر سكر صاحب الخمر، فلم يكن يصحو ويفيق وكان من أهل لطف الملك رجل صالح أفضل أصحابه منزلة عنده، فتوجع له مما رأى من ضلالتة في دينه ونسيانه ما عاهد الله عليه، وكان كلما أراد أن يعظه ذكر عتوه وجبروته ولم يكن بقي من تلك الأمة غيره وغير رجل آخر في ناحية أرض الملك لا يعرف مكانه ولا يدعى باسمه. فدخل ذات يوم على الملك بجمجمة قد لفها في ثيابه، فلما جلس عن يمين الملك انتزعها عن ثيابه فوضعها بين يديه ثم وطنها برجله فلم يزل يفركها بين يدي الملك وعلى بساطه حتى دنس مجلس الملك بما تحات من تلك الجمجمة.

فلما رأى الملك ما صنع غضب من ذلك غضبا شديدا، وشخصت إليه أبصار جلسائه واستعدت الحرس بأسيا فهم انتظارا لامره إياهم بقتله، والملك في ذلك مالك لغضبه، وقد كانت الملوك في ذلك الزمان على جبروتهم وكفرهم ذوي أناة وتودة، استصلاحا للرعية على عمارة أرضهم ليكون ذلك أعون للجلب وأدى للخراج، فلم يزل الملك ساكتا على ذلك حتى قام من عنده، فلف تلك الجمجمة ثم فعل ذلك في اليوم الثاني والثالث، فلما رأى أن الملك لا يسأله عن تلك الجمجمة، ولا يستنطقه عن شيء من شأنها أدخل مع تلك الجمجمة ميزانا وقليلاً من تراب فلما صنع بالجمجمة ما كان يصنع أخذ الميزان وجعل في إحدى كفتيه درهما وفي الأخرى بوزنه ترابا ثم جعل ذلك التراب في عين تلك الجمجمة ثم أخذ قبضة من =

= التراب فوضعها في موضع الفم من تلك الجمجمة . فلما رأى الملك ما صنع قل صبره وبلغ مجهوده، فقال لذلك الرجل: قد علمت أنك إنما اجترأت على ما صنعت لمكانك مني وإدلالك علي، وفضل منزلتك عندي، ولعلك تريد بما صنعت أمرا، فخر الرجل للملك ساجدا وقبل قدميه وقال: أيها الملك أقبل علي بعقلك كله فإن مثل الكلمة مثل السهم إذا رمي به في أرض لينة ثبت فيها وإذا رمي به في الصفا لم يثبت، ومثل الكلمة كمثل المطر إذا أصاب أرضا طيبة مزروعة نبت فيها، وإذا أصاب السباخ لم ينبت، وإن أهواء الناس متفرقة، والعقل والهوى يصطرعان في القلب، فإن غلب هوى العقل عمل الرجل بالطيش والسفه، وإن كان الهوى هو المغلوب لم يوجد في أمر الرجل سقطة، فإني لم أزل منذ كنت غلاما أحب العلم وأرغب فيه وأوثره على الأمور كلها، فلم أدع علما إلا بلغت منه أفضل مبلغ، فبينما أنا ذات يوم أطوف بين القبور إذ قد بصرت بهذه الجمجمة بارزة من قبور الملوك، فغاظني موقعها وفراقها جسدها غضبا للملوك، فضمامتها إلي وحملتها إلى منزلي فألبستها الديقاج ونضحتها بماء الورد والطيب ووضعتها على الفرش وقلت: إن كانت من جماجم الملوك فسيؤثر فيها إكرامي إياها وترجع إلي جمالها وبهائها، وإن كانت من جماجم المساكين فإن الكرامة لا تزيدها شيئا ففعلت ذلك بها أياما فلم أستنكر من هيئتها شيئا، فلما رأيت ذلك دعوت عبدا هو أهون عبيدي عندي فأهانها فإذا هي على حالة واحدة عند الإهانة والاكرام، فلما رأيت ذلك أتيت الحكماء فسألتهم عنها فلم أجد عندهم علما بها، ثم علمت أن الملك منتهى العلم وماوى الحلم فأتيتك خائفا على نفسي ولم يكن لي أن أسألك عن شيء حتى تبدأني به وأحب أن تخبرني أيها الملك أجمجمة ملك هي أم جمجمة مسكين فإنها لما أعياني أمرها تفكرت في أمرها وفي عينها التي كانت لا يملأها شيء حتى لو قدرت على ما دون السماء من شيء تطلعت إلى أن تتناول ما فوق السماء، فذهبت أنظر ما الذي يسدها ويملاها فإذا وزن درهم من تراب قد سدها وملأها، ونظرت إلى فيها الذي لم يكن يملأه شيء فملأته قبضة من تراب، فإن أخبرتني أيها الملك أنها جمجمة مسكين احتججت عليك بأني قد وجدتها وسط قبور الملوك، ثم أجمع جماجم ملوك وجماجم مساكين فإن كان لجماجمكم عليها فضل، فهو كما قلت، وإن أخبرتني بأنها من جماجم الملوك أنباتك أن ذلك الملك الذي كانت هذه جمجمته قد كان من بهاء الملك وجماله وعزته في مثل ما أنت فيه اليوم فحاشاك أيها الملك أن تصير إلى حال هذه الجمجمة فتوطأ بالاقدام وتخلط بالتراب ويأكلك الدود وتصبح بعد الكثرة قليلا وبعد العزة ذليلا، وتسعك حفرة طولها أدنى من أربعة أذرع، ويورث ملكك وينقطع خبرك =

= ويفسد صنایعك ويهان من أكرمت ويكرم من أهنت ويستبشر أعداءك ويضل أعوانك ويحول التراب دونك، فإن دعوناك لم تسمع، وإن أكرمناك لم تقبل، وإن أهناك لم تغضب، فيصير بنوك يتامى ونساوك أيامي وأهلك يوشك أن يستبدلن أزواجا غيرك. فلما سمع الملك ذلك فزع قلبه وانسكبت عيناه يبكى ويقول ويدعو بالويل، فلما رأى الرجل ذلك علم أن قوله قد استمكن من الملك، وقوله قد أنجع فيه زاده ذلك جرأة عليه وتكريرا لما قال، فقال له الملك: جزاك الله عني خيرا وجزا من حولي من العظماء شرا، لعمري لقد علمت ما أردت بمقاتلك هذه وقد أبصرت أمري فسمع الناس خبره فتوجهوا أهل الفضل إليه وختم له بالخير وبقي عليه إلى أن فارق الدنيا. قال ابن الملك: زدني من هذا المثل قال الحكيم: زعموا أن ملكا كان في أول الزمان وكان حريصا على أن يولد له وكان لا يدع شيئا مما يعالج به الناس أنفسهم إلا أتاه وصنعه، فلما طال ذلك عليه من أمره حملت امرأة له من نسائه فولدت له غلاما فلما نشأ وترعرع خطأ ذات يوم خطوة فقال: معادكم تجفون، ثم خطأ أخرى فقال: تهرمون، ثم خطأ الثالثة فقال: ثم تموتون، ثم عاد كهيئته يفعل كما يفعل الصبي. فدعا الملك العلماء والمنجمين فقال: أخبروني خبر ابني هذا فنظروا في شأنه وأمره فأعياهم أمره، فلم يكن عندهم فيه علم، فلما رأى الملك أنه ليس عندهم فيه علم دفعه إلى المرضعات فأخذن في إرضاعه إلا أن منجما منهم قال: إنه سيكون إماما، وجعل عليه حراسا لا يفارقونه حتى إذا شب انسل يوما من عند مرضعيه والحرس فأتى السوق فإذا هو بجنازة فقال: ما هذا قالوا: إنسانا مات قال: ما أماته؟ قالوا: كبر وفنيت أيامه ودنى أجله فمات، قال: وكان صحيحا حيا يمشي ويأكل ويشرب؟ قالوا: نعم، ثم مضى فإذا هو برجل شيخ كبير فقام ينظر إليه متعجبا منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل شيخ كبير قد فنى شبابه وكبر، قال: وكان صغيرا ثم شاب؟ قالوا: نعم، ثم مضى فإذا هو برجل مريض مستلقى على ظهره، فقام ينظر إليه ويتعجب منه، فسألهم ما هذا؟ قالوا: رجل مريض، فقال: أو كان هذا صحيحا ثم مرض؟ قالوا: نعم قال: والله لئن كتتم صادقين فإن الناس لمجنونون.

فافتقد الغلام عند ذلك فطلب فإذا هو بالسوق فأتوه فأخذوه وذهبوا به فأدخلوه البيت، فلما دخل البيت استلقى على قفاه ينظر إلى خشب سقف البيت ويقول: كيف كان هذا؟ قالوا: كانت شجرة ثم صارت خشبا، ثم قطع، ثم بني هذا البيت، ثم جعل هذا الخشب عليه، فبينما هو في كلاء، إذا رسل الملك إلى الموكلين به: انظروا هل يتكلم أو يقول شيئا؟ قالوا: نعم وقد وقع في كلام ما نظنه إلا وسواسا، فلما رأى الملك ذلك وسمع جميع ما لفظ به =

= الغلام، دعا العلماء فسألهم فلم يجد فيه عندهم علما إلا الرجل الأول فأنكر قوله فقال بعضهم: أيها الملك لو زوجته ذهب عنه الذي ترى، وأقبل وعقل وأبصر فبعث الملك في الأرض يطلب ويلتمس له امرأة فوجدت له امرأة من أحسن الناس وأجملهم فزوجها منه، فلما أخذوا في وليمة عرسه أخذ اللاعبون يلعبون والزمارون يزمرون، فلما سمع الغلام جلبتهم وأصواتهم قال: ما هذا؟ قالوا: هؤلاء لعابون وزمارون جمعوا لعرسك، فسكت الغلام، فلما فرغوا من العرس وأمسوا، دعا الملك امرأة ابنه فقال لها: إنه لم يكن لي ولد غير هذا الغلام، فلما دخلت عليه فألطفني به وأقربني منه وتحببني إليه، فلما دخلت المرأة عليه أخذت تدنو منه وتتقرب إليه، فقال الغلام على رسلك فإن الليل طويل، بارك الله فيك، واصبري حتى نأكل ونشرب، فدعا بالطعام فجعل يأكل فلما فرغ جعلت المرأة تشرب فلما أخذ الشراب منها نامت. فقام الغلام فخرج من البيت، وانسل من الحرس والبوابين حتى خرج وتردد في المدينة، فلقيه غلام مثله من أهل المدينة فأتبعه وألقى ابن الملك عنه تلك الثياب التي كانت عليه ولبس ثياب الغلام، وتنكر جهده وخرجا جميعا من المدينة فسارا ليلتهما حتى إذا قرب الصبح خشيا الطلب فكمنا، فاتيت الجارية عند الصبح فوجدوها نائمة فسألها أين زوجك؟ قالت: كان عندي الساعة، فطلب الغلام فلم يقدر عليه، فلما أمسى الغلام وصاحبه سارا ثم جعلا يسيران الليل ويكتمان النهار حتى خرجا من سلطان أبيه، ووقعا في ملك سلطان آخر. وقد كان لذلك الملك الذي صاروا إلى سلطانه ابنة قد جعل لها أن لا يزوجها أحدا إلا من هوته ورضيته، وبنى لها غرفة عالية مشرفة على الطريق فهي فيها جالسة تنظر إلى كل من أقبل وأدبر فبينما هي كذلك إذ نظرت إلى الغلام يطوف في السوق وصاحبه معه في خلقانه، فأرسلت إلى أبيها إنني قد هويت رجلا فإن كنت مزوجي أحدا من الناس فزوجني منه واتيئ أم الجارية فقيل لها: إن ابنتك قد هويت رجلا وهي تقول كذا وكذا، فأقبلت إليها فرحة حتى تنظر إلى الغلام فأروها إياه فنزلت أمها مسرعة حتى دخلت على الملك، فقالت: إن ابنتك قد هويت غلاما فأقبل الملك ينظر إليه، ثم قال أرونيه فأروه من بعد فأمر أن يلبس ثيابا أخرى ونزل فسأله واستنطقه وقال: من أنت ومن أين أنت؟

قال الغلام: وما سؤالك عني أنا رجل من مساكين الناس، فقال: إنك لغريب، وما يشبه لونك ألوان أهل هذه المدينة، فقال الغلام: ما أنا بغريب، فعالجه الملك أن يصدقه قصته فأبى، فأمر الملك أناسا أن يحرسوه وينظروا أين يأخذ، ولا يعلم بهم، ثم رجع "ملك إلى أهله فقال: رأيت رجلا كأنه ابن الملك وماله حاجة فيما تراودونه عليه، فبعث إليه فقيل له: إن =

= الملك يدعوك، فقال الغلام: وما أنا والملك يدعوني ومالي إليه حاجة وما يدري من أنا، فانطلق به على كره منه حتى دخل على الملك فأمر بكرسي فوضع له فجلس عليه ودعى الملك امرأته وابنته فأجلسهما من وراء الحجاب خلفه فقال له الملك: دعوتك لخير، إن لي ابنه قد رغبت فيك أريد أن أزوجه منك فإن كنت مسكينا أغنيك ورفعتك وشرفناك، قال الغلام: مالي فيما تدعوني إليه حاجة، فإن شئت ضربت لك مثلاً أيها الملك؟ قال: فافعل. قال الغلام: زعموا أن ملكاً من الملوك كان له ابن وكان لابنه أصدقاء صنعوا له طعاماً ودعوه إليه فخرج معهم فأكلوا وشربوا حتى سكروا فناموا فاستيقظ ابن الملك في وسط الليل فذكر أهله فخرج عائداً إلى منزله، ولم يوقظ أحداً منه فبينما هو في مسيره إذ بلغ منه الشراب فبصر بقبر على الطريق فظن أنه مدخل بيته فدخله فإذا هو بريح الموتى فحسب ذلك لما كان به السكر أنه رياح طيبة فإذا هو بعظام لا يحسبها إلا فرشاً الممهدة، فإذا هو بجسد قد مات حديثاً وقد أروح فحسبه أهله فقام إلى جانبه فاعتنقه وقبله وجعل يعبث به عامة ليله فأفاق حين أفاق ونظر حين نظر فإذا هو على جسد ميت وريح منتنة، قد دنس ثيابه وجلده، ونظر إلى القبر وما فيه من الموتى، فخرج وبه من السوء ما يختفي به من الناس أن ينظروا إليه متوجهاً إلى باب المدينة، فوجده مفتوحاً فدخله حتى أتى أهله فرأى أنه قد أنعم عليه حيث لم يلقه أحد، فألقى عنه ثيابه تلك واغتسل ولبس لباساً أخرى وتطيب.

عمر ك الله أيها الملك أترأه راجعاً إلى ما كان فيه وهو يستطيع؟ قال: لا، قال: فإني أنا هو، فالتفت الملك إلى امرأته وابنته، وقال: قد أخبرتكم أنه ليس له فيما تدعونه رغبة، قالت أمها: لقد قصرت في النعت لابنتي والوصف لها أيها الملك ولكنني خارجة إليه ومتكلمة، فقال الملك للغلام: إن امرأتي تريد أن تكلمك وتخرج إليك ولم تخرج إلى أحد قبلك، فقال الغلام: لتخرج إن أحببت، فخرجت وجلست فقالت للغلام: تعال إلى ما قد ساق الله إليك من الخير والرزق فأزوجك ابنتي فإنك لو قد رأيتها وما قسم الله عز وجل لها من الجمال والهيئة لا غتبطت، فنظر الغلام إلى الملك فقال: أفلا أضرب لك مثلاً؟ قال: بلى. قال: إن سراقاً تواعدوا أن يدخلوا خزانة الملك ليسرقوا، فنقبوا حائط الخزانة فدخلوها فنظروا إلى متاع لم يروا مثله قط، وإذا هم بقلة من ذهب مختومة بالذهب فقالوا لا نجد شيئاً أعلى من هذه القلة هي ذهب مختومة بالذهب والذي فيها أفضل من الذي رأينا فاحتملوا ومضوا بها حتى دخلوا غيضة لا يأمن بعضهم بعضاً عليها ففتحوها فإذا في وسطها أفاع، فوثبن في وجوههم فقتلنهم أجمعين. عمر ك الله أيها الملك أفترى أحداً علم بما أصابهم وما لقوه يدخل يده في تلك =

= القلة وفيها من الأفاعي؟

قال: لا، قال: فإني أنا هو، فقالت الجارية لأبيها: ائذن لي فأخرج إليه بنفسي وأكلمه فإنه لو قد نظر إلي وإلى جمالي وحسني وهيتي وما قسم الله عز وجل لي من الجمال لم يتمالك أن يجيب، فقال الملك للغلام: إن ابنتي تريد أن تخرج إليك ولم تخرج إلى رجل قط، قال: لتخرج أن أجبت، فخرجت عليه وهي أحسن الناس وجها وقدا وطرفا وهيكلها، فسلمت على الغلام وقالت للغلام: هل رأيت مثلي قط أو أتم أو أجمل أو أكمل أو أحسن؟ وقد هويتك وأحببتك، فنظر الغلام إلى الملك، فقال: أفلا أضرب لها مثلاً؟ قال: بلى. قال الغلام: زعموا أيها الملك إن ملكاً له ابنان فأسر أحدهما ملك آخر فحبسه في بيت وأمر أن لا يمر عليه أحد إلا رماه بحجر، فمكث بذلك حيناً، ثم إن أخاه قال لأبيه: ائذن لي فأنطلق إلى أخي فأفديه، وأحتال له، قال: فأنطلق وخذ معك ما شئت من مال ومتاع ودواب، فاحتمل معه الزاد والراحلة وانطلق معه المغنيات والنوائح فلما دنا من مدينة ذلك الملك أخبر الملك بقدومه فأمر الناس بالخروج إليه وأمر له بمنزل خارج من المدينة فنزل الغلام في ذلك المنزل فلما جلس فيه ونشر متاعه وأمر غلماناً أن يبيعوا الناس ويساهلوه في بيعهم ويسامحوهم ففعلوا ذلك فلما رأى الناس قد شغلوا بالبيع انسل ودخل المدينة وقد علم أين سجن أخيه ثم أتى السجن فأخذ حصاة فرمى بها لينظر ما بقي من نفس أخيه، فصاح حين أصابته الحصاة. وقال: قتلني ففرغ الحرس عند ذلك وخرجوا إليه وسألوه لم صحت وما شأنك وما بدا لك وما رأيناك تكلمت ونحن نعذبك منذ حين ويضربك ويرميك كل من يمر بك بحجر، ورماك هذا الرجل بحصاة فصحت منها؟

فقال: إن الناس كانوا من أمري على جهالة ورماني هذا علي علم فانصرف أخوه راجعاً إلى منزله ومتاعه، وقال للناس: إذا كان غدا فأتوني أنشر عليكم بزا ومتاعاً لم تروا مثله قط فانصرفوا يومئذ حتى إذا كان من الغد غدوا عليه بأجمعهم فأمر بالبز فنشروا وأمر بالمغنيات والنايحات وكل صنف معه مما يلهي به الناس فأخذوا في شأنهم فاشتغل الناس فأتى أخاه فقطع عنه أغلاله، وقال: أنا أداويك فاخترسه وأخرجه من المدينة فجعل على جراحاته دواء كان معه حتى إذا وجد راحة أقامه على الطريق، ثم قال له: انطلق فإنك ستجد سفينة قد سيرت لك في البحر، فانطلق سائراً فوق في جب فيه تين وعلى الجب شجرة نابتة فنظر إلى الشجرة فإذا على رأسها اثنتا عشرة غولاً وفي أسفلها اثنا عشر سيفاً، وتلك السيوف مسلولة معلقة فلم يزل يتحمل ويحتال حتى أخذ بغصن من الشجرة.

= فتعلق به وتخلص وسار حتى أتى البحر فوجد سفينة قد أعدت له إلى جانب الساحل قروكب فيها حتى أتوا به أهله. عمرك الله أيها الملك أترأه عائداً إلى ما قد عاين ولقي، قال: لا، قال: فاني أنا هو، فيسوا منه، فجاء الغلام الذي صحبه من المدينة فساره وقال: اذكرني لها وأنكحنيها فقال الغلام للملك إن هذا يقول إنني أحب الملك أن ينكحنيها، فقال: لا أفعل قال: أفلا أضرب لك مثلاً؟ قال: بلى. قال: إن رجلاً كان في قوم فركبوا سفينة فساروا في البحر ليالي وأياماً ثم انكسرت سفينتهم بقرب جزيرة في البحر فيها الغيلان ففرقوا كلهم سواء وألقاه البحر إلى الجزيرة، وكانت الغيلان يشرفن من الجزيرة إلى البحر فأتى غولا فهويها ونكحها حتى إذا كان مع الصبح قتله وقسمت أعضائه بين صواحباتها واتفق مثل ذلك لرجل آخر فأخذته ابنة ملك الغيلان فانطلقت به فبات معها ينكحها وقد علم الرجل ما لقي من كان قبله فليس ينام حذراً إذا كان مع الصبح نامت الغول فانسل الرجل حتى أتى الساحل فإذا هو بسفينة فنادى أهلها واستغاث بهم فحملوه حتى أتوا به أهله فأصبحت الغيلان فأتوا الغولة التي باتت معه فقالوا لها: أين الرجل الذي بات معك؟ قالت: إنه قد فر مني، فكذبوها وقالوا: أكلته واستأثرت به علينا فلنقتلك إن لم تأتنا به فمرت في الماء حتى أتته في منزله ورحله فدخلت عليه وجلست عنده وقالت له: ما لقيت في سفرك هذا، قال: لقيت بلاء خلصني الله منه وقص عليها ذلك قالت: وقد تخلصت: قال: نعم فقالت: أنا الغولة وجئت لآخذك فقال لها: أنشدك الله أن تهلكيني فإني أدلك على مكان رجل، قالت: إنني أرحمك فانطلقا حتى إذ دخلا على الملك، قالت: اسمع منا أصلح الله الملك إنني تزوجت بهذا الرجل وهو من أحب الناس إلي، ثم إنه كرهني وكره صحبتي فانظر في أمرنا فلما رأها الملك أعجبه جمالها فخلا بالرجل فساره وقال له: إنني قد أحببت أن تتركها فأتزوجها قال: نعم أصلح الله الملك ما تصلح إلا لك فتزوج بها الملك وبات معها حتى إذا كانت مع السحر ذبحته وقطعت أعضائه وحملته إلى صواحباتها أفترى أيها الملك أحدا يعلم بهذا ثم ينطلق إليه؟ قال: الخاطب للغلام: فإني لا أفارقك ولا حاجة لي فيما أردت.

فخرجا من عند الملك يعبدان الله جل جلاله ويسبحان في الأرض، فهدى الله عز وجل بهما أناساً كثيراً وبلغ شأن الغلام وارتفع ذكره في الآفاق فذكر والده، وقال: لو بعثت إليه فاستنقذته مما هو فيه، فبعث إليه رسولا فاتاه فقال له: إن ابنك يقرئك السلام وقص عليه خبره وأمره فاتاه والده وأهله فاستنقذهم مما كانوا فيه ثم إن بلوهر رجع إلى منزله واختلف إلى يوذاسف أياماً حتى عرف أنه قد فتح له الباب ودله على سبيل الصواب، ثم تحول من تلك =

= البلاد إلى غيرها وبقي يوذاسف حزينا مغتما فمكث بذلك حتى بلغ وقت خروجه إلى النساك لينادي بالحق ويدعو إليه أرسل الله عز وجل ملكا من الملائكة فلما رأى منه خلوة ظهر له وقام بين يديه، ثم قال له: لك الخير والسلامة أنت إنسان بين البهائم الظالمين الفاسقين من الجهال أتيتك بالتحية من الحق وإله الخلق بعثني إليك لأبشرك وأذكر لك ما غاب عنك من أمور دنياك وآخرتك، فاقبل بشارتي ومشورتي ولا تغفل عن قولي، اخلع عنك الدنيا وانبذ عنك شهواتها وازهد في الملك الزائل، والسلطان الفاني الذي لا يدوم وعاقبته الندم والحسرة، واطلب الملك الذي لا يزول الفرح الذي لا ينقضي والراحة التي لا يتغير وكن صديقا مقسطا، فإنك تكون إمام الناس تدعوهم إلى الجنة. فلما سمع يوذاسف كلامه خر بين يدي الله عز وجل ساجدا، وقال: إني لأمر الله تعالى مطيع وإلى وصيته منته فمرني بأمرك فإني لك حامد ولمن بعثك إلي شاكر فإنه رحماني ورؤف بي ولم يرفضني بين الأعداء فإني كنت بالذي أتيتني به مهتما، قال الملك: إني أرجع إليك بعد أيام، ثم أخرجك فتهيا لذلك ولا تغفل عنه، فوطن يوذاسف نفسه على الخروج وجعل همه كله فيه ولم يطلع على ذلك أحدا حتى إذا جاء وقت خروجه أتاه الملك في جوف الليل والناس نيام، فقال له: قم فاخرج ولا تؤخر ذلك.

فقام ولم يفش سره إلى أحد من الناس غير وزيره فبينما هو يريد الركوب إذا أتاه رجل شاب جميل كان قد ملكهم بلاده فسجد له. وقال: أين تذهب: يا ابن الملك وقد أصابنا العسر أيها المصلح الحكيم الكامل: وتركنا له وترك ملكك وبلادك، أقم عندنا فإننا كنا منذ ولدت في رخاء وكرامة ولم تنزل بنا عاهة ولا مكروه، فسكته يوذاسف وقال له: امكث أنت في بلادك ودرا أهل مملكتك فأما أنا فذاهب حيث بعثت وعامل ما أمرت به فإن أنت أعنتني كان لك في عملي نصيبا. ثم إنه ركب فسار ما قضى الله له أن يسير، ثم إنه نزل عن فرسه ووزيره يقود فرسه ويبكي أشد البكاء، ويقول ليوذاسف: بأي وجه أستقبل أبويك؟ وبما أجيبهما عنك وبأي عذاب أو موت يقتلاني، وأنت كيف تطيق العسر والاذي الذي لم تتعوده وكيف لا تستوحش وأنت لم تكن وحدك يوما قط؟ وجسدك كيف تحمل الجوع والظما والتقلب على الأرض والتراب، فسكته وعزاه ووهب له فرسه والمنطقة فجعل يقبل قدميه ويقول: لا تدعني وراءك يا سيدي اذهب بي معك حيث خرجت فإنه لا كرامة لي بعدك وإنك إن تركتني ولم تذهب بي معك أخرج في الصحراء ولم أدخل مسكنا فيه إنسان أبدا، فسكته أيضا وعزاه وقال: لا تجعل في نفسك إلا خيرا فإني باعث إلى الملك وموصيه فيك أن يكرمك ويحسن إليك. ثم نزع عنه لباس الملك ودفعه إلى وزيره وقال له: البس ثيابي وأعطاه الياقوتة التي كان يجعلها في =

= رأسه، وقال له: انطلق بها معك وفرسي وإذا أتيت فاسجد له وأعطه هذه الياقوتة وأقره السلام ثم الاشراف وقل لهم: إني لما نظرت فيما بين الباقي والزائل رغبت في الباقي وزهدت في الزائل ولما استبان لي أصلي وحسبي وفصلت بينهما وبين الأعداء والقرباء رفضت الأعداء والقرباء وانقطعت إلى أصلي وحسبي، فأما والذي فإنه إذا أبصر الياقوتة طابت نفسه، فإذا أبصر كسوني عليك ذكرني وذكر حبي لك ومودتي إياك، فمنعه ذلك أن يأتي إليك مكروها. ثم رجع وزيره وتقدم يوذاسف أمامه يمشي حتى بلغ فضاء واسعاً فرفع رأسه فرأى شجرة عظيمة على عين من ماء أحسن ما يكون من الشجر وأكثرها فرعاً وغصناً وأحلاها ثمراً، وقد اجتمع إليها من الطير ما لا يعد كثرة، فسر بذلك المنظر وفرح به، وتقدم إليه حتى دنا منه، وجعل يعبره في نفسه ويفسره فشبه الشجر بالبشرى التي دعا إليها وعين الماء بالحكمة والعلم، والطير بالناس الذين يجتمعون إليه ويقبلون منه الدين، فبينما هو قائم إذا أتاه أربعة من الملائكة عليهم السلام يمشون بين يديه فأتبع آثارهم حتى رفعوه في جو السماء وأوتى من العلم والحكمة ما عرف به الأولى والوسطى والأخرى، والذي هو كائن، ثم أنزلوه إلى الأرض وقرنوا معه قريناً من الملائكة الأربعة فمكث في تلك البلاد حيناً ثم إنه أتى أرض سولابط فلما بلغ والده قدومه خرج يسير هو والاشراف فأكرموه وقربوه، واجتمع إليه أهل بلده مع ذوي قرابته وحشمه وقعدوا بين يديه وسلموا عليه وكلمهم الكلام الكثير وفرش لهم الأساس وقال لهم: اسمعوا إلي بأسماعكم وفرغوا إلي قلوبكم لاستماع حكمة الله عز وجل التي هي نور الأنفس وثقوا بالعلم الذي هو الدليل على سبيل الرشاد، وأيقظوا عقولكم وافهموا الفصل الذي بين الحق والباطل، والضلال والهدى. واعلموا أن هذا هو دين الحق الذي أنزله الله عز وجل على الأنبياء والرسل عليهم السلام، والقرون الأولى، فخصنا الله عز وجل به في هذا القرن برحمته بنا ورأفته رحمته وتحننه علينا وفيه خلاص من نار جهنم إلا أنه لا ينال الإنسان ملكوت السماوات ولا يدخلها أحد إلا بالإيمان وعمل الخير، فاجتهدوا فيه لتدركوا به الراحة الدائمة والحياة التي لا تنقطع أبداً ومن آمن منكم بالدين فلا يكونن إيمانه طمعاً في الحياة ورجاء لملك الأرض وطلب مواهب الدنيا، وليكن إيمانكم بالدين طمعاً في ملكوت السماوات ورجاء للخلاص وطلب النجاة من الضلالة وبلوغ الراحة والفرج في الآخرة، فإن ملك الأرض وسلطانها زائل، ولذاتها منقطعة، فمن اغتربها هلك واقتضح، لو قد وقف على ديان الدين الذي لا يدين إلا بالحق، فإن الموت مقرون مع أجسادكم وهو يتراصد أرواحكم أن يكبكبها مع الأجساد. واعلموا أنه كما أن الطير لا يقدر على الحياة والنجاة من الأعداء من اليوم إلى =

فإذا كان حال بعض من كملني سائر الناس هكذا فكيف حال الأنبياء والمرسلين وأولي العزم منهم؟ الذين أطلعهم الله على أحوال الكونين، وأمر النشأتين، وكيف هم يرغبون في الدنيا الدنية، ويميلون إلى النعم القانية، واللذائذ الزائلة، ويعرضون عن نعم الله الباقية الدائمة، التي ليس لها فناء وزوال أبداً؟ وأعظم منها ثم أعظم لقاء ربهم، فهل رأيت عاقلاً يترك الوجه الحسن وينظر إلى الوجه القبيح، والطعام الطيب والثياب اللينة، ويستعمل الخبيث والثياب الخشنة.

فلما ثبت أن الأنبياء منزهون ومبرؤن من الميل إلى الدنيا وشهواتها، وانسد هذا الطريق، تبين أنه لا يصدر منهم معصية أبداً لا صغيرة ولا كبيرة، إذ المعاصي كلها سببها الميل إلى الدنيا بشهوة النفس الأمارة،

= غد إلا بقوة من البصر والجناحين والرجلين، فكذلك الانسان لا يقدر على الحياة والنجاة إلا بالعمل والايمان والعمل الصالح وأفعال الخير الكاملة، فتفكر أيها الملك أنت والاشراف فيما تسمعون وافهموا واعتبروا، واعبروا البحر ما دامت السفينة، واقطعوا المفازة ما دام الدليل والظهر والزاد، واسلكوا سبيلكم ما دام المصباح، وأكثروا من كنوز البر مع النساك، وشاركوهم في الخير والعمل الصالح، وأصلحوا التبغ وكونوا لهم أعوانا، ومروهم بأعمالكم لينزلوا معكم ملكوت النور، واقبلوا النور، واحتفظوا بفرائضكم، وإياكم أن تتوثقوا إلى أماني الدنيا وشرب الخمر وشهوة النساء من كل ذميمة وقبيحة مهلكة للروح والجسد واتقوا الحمية والغضب والعداوة والنميمة، وما لم ترضوه أن يوتى إليكم فلا تأتوه إلى أحد، وكونوا طاهري القلوب، صادق النيات لتكونوا على المنهاج إذا أتاكم الاجل. ثم انتقل من أرض سولابط وسار في بلاد ومدائن كثيرة حتى أتى أرضا تسمى قشمير فسار فيها وأحيا ميتها ومكث حتى أتاه الاجل الذي خلع الجسد، وارتفع إلى النور، ودعا قبل موته تلميذا له اسمه أياخذ الذي كان يخدمه ويقوم عليه، وكان رجلا كاملا في الأمور كلها، وأوصى إليه، وقال: إنه قد دنا ارتفاعي عن الدنيا، واحتفظوا بفرائضكم، ولا تزيغوا عن الحق، وخذوا بالتنسك ثم أمر أياخذ أن يبني له مكانا فبسطه هو رجله وهياً رأسه إلى المغرب ووجهه إلى المشرق ثم قضي نحبه) كمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق ٦٥٣، البحار للشيخ المجلسي ٧٥ / ٤٤٤.

وأصول العصيان والمعاصي هي هذه الأربعة المذكورة والباقي فروع، والشجرة إذا قطعت من أصلها لا تثمر بوجه، حب الدنيا رأس كل خطيئة، وتركها رأس كل عبادة، عميت قلوب من يجوز المعاصي والخطايا على الأنبياء ﷺ، طبع الله على قلوبهم وسمعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة، ولهم عذاب أليم ❁.

❁ عدم صدور المعصية من النبي

لما كان الأنبياء ﷺ في الدرجة العليا في الزهد عن الدنيا، والرغبة إلى الله تعالى في الآخرة، حيث لا تحكمهم أحكام الدنيا وعلائقها، كانوا معصومين سلام الله عليهم، لأن أسباب المعصية رأسها وأساسها حُب الدنيا وعلائقها، وإذا انتفت انتفت المعاصي كلياً، فإجماع علمائنا الإمامية متفقون على عصمة الأنبياء ﷺ مطلقاً، وأما إخواننا السنة فإنهم يجوزون صدور المعاصي من الأنبياء. والعياذ بالله تعالى، ولا حاجة إلى ذكر جرأتهم وتجريحهم الأنبياء ﷺ فمن أراد فراجع قصص الأنبياء في كتبهم، نعوذ بالله تعالى من ذلك.

وأما السهو والنسيان فلا يجوز أن ينسبا أيضاً إليهم، وإلا لما بقي الوثوق والاعتماد بوعدهم ووعيدهم وإخبارهم عن الله بأحوال القيامة، والحشر والنشر، وأصول الدين وفروعه، والعقائد وغيرها، وانتفت العلة الغائية لبعثتهم، كما لا يخفى على ذي حجب، والمقام ليس للبسط والكلام*.

* عدم صدور السهو والنسيان من النبي

معنى السهو

السهو عند اللغويين كما في مقاييس اللغة ((سهو السين والهاء والواو معظم الباب يدل على الغفلة والسكون، فالسهو: الغفلة))^(١).
وفي الاصطلاح ((عزوب المعنى عن القلب بعد حضوره بالبال، أي هو عدم التفطن للشيء مع بقاء صورته أو معناه في الخيال أو الذكر بسبب اشتغال النفس، والتفاتها إلى بعض مهماتها))^(٢).

معنى النسيان

هو عدم تذكر الشيء البتة، لذا يفرق بين السهو والنسيان ((ففي السهو تزول الصورة عن الفكر مع بقائها في الحافظة، أما في النسيان فإنها تزول مع الفكر والحافظة معاً))^(٣).

فإذا طبقنا السهو والنسيان على الأنبياء ﷺ لزم تحريف الدين عما أراد الله عز وجل، وبطلان علة بعثة الأنبياء ﷺ لكونهم الوساطة بين الحق والخلق، فإذا كانت

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس.

(٢) معجم ألفاظ الفقه الجعفري.

(٣) معجم لغة الفقهاء، المصطلحات إعداد مركز المعجم الفقهي.

الواسطة غير آمنة تعطل الغرض منها، ويلزم عدم الوثوق بالأنبياء فيما يأمرون وفيما ينهون عنه، عله نسي أو سهى النبي ﷺ.

فيبطل التكليف، لأن النبي ﷺ إذا سهى ونسى في قوله يسهى وينسى في قول الله تعالى من الكتب السماوية من التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، فإذا فرضنا السهو والنسيان على النبي ﷺ يلزم الحكم بغير ما أنزل الله سبحانه فيقع الخلط بين الحق والباطل، والواجب بالحرام، فيتساوى المؤمن والكافر، فتعم الفوضى، ويدب الظلم في العالم.

فالعقل قبل النقل يبطل هذا، ولا حاجة لنا بذكر بعض التراهاات الذي ينقلها العامة من سهو النبي ونسيانه في الصلاة والوحي والعياذ بالله تعالى من ذلك.

ومختصر المقصود والمرام، أن الاعتقاد الصحيح والحق الصريح، أن الأنبياء لا يعصون مطلقاً قبل البعثة وبعدها، أما بعدها فقد عرفت دليلها، وأما قبلها فلأن الله جعل الأنبياء حجة بالغة على الخلق كما قال: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(١) والمراد من الحجة البالغة الأنبياء ﷺ، ولا بد أن يكون للحق أئمة حجج على الخلق بحيث لا يكون لأحد عذر عنده، ويكون قاطعاً لكل الأعداء، وإلا لم تكن الحجة بلغة كاملة.

ولما كان كذلك تعين أن الأنبياء لا بد أن يكونوا منزهين ومبرئين من جميع الذنوب والمعاصي حتى قبل البعثة، إذ لو ارتكبوا قبلها أنواع المعاصي، وحين البعثة تابوا عنها، ودعوا الخلق إلى الحق، تنفرت عنه الطباع، وما اطمأنت النفوس بقوله وما سكنت؛ بل كانت دائماً في الشك والارتياب في حقه، فحينئذ لم يكن حجته بالغة، بخلاف ما لو كان منزهاً من حين الولادة، ومبرئاً ومطهراً ومعصوماً من الذنوب، ولم تصدر منه معصية قط، ودعا الناس إلى الحق بأدلة قاطعة، ومعجزات باهرة، لا اطمأنت النفوس قطعاً، وحصل لها السكون، وما نفرت منه الطباع، فيصدق حينئذ أنه حجة بالغة كاملة، فمن لم يقبل قوله، ولم يطع أمره ونهيه، استحق أنواع العقاب والعذاب، وكان المنكر له ولقوله داخلاً تحت قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(٢).

أما ترى الواعظ الذي يصعد المنبر، ويدعو الناس إلى طريق الحق، يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وعلمنا منه ارتكاب المعصية،

(١) سورة الأنعام آية (١٤٩).

(٢) سورة النمل آية (١٤).

واقتراف السيئة والخطيئة، وان كان تائباً ليس حاله في قبول أمره، وامتنال دعوته، واطمئنان النفس وسكونها بكلامه، كحال الواعظ الداعي إلى الحق، الذي كان طاهراً ومنزهاً من جميع المعاصي والسيئات ظاهراً، ولم يقترف معصية ولم يرتكب خطيئة، والبداهة حاكمة بالفرق بين الواعظين، في سكون النفس واطمئنان القلب، بل الناس يعيرون الواعظ الأول، لو ذكروا أفعاله القبيحة المتقدمة وإن تاب عنها، ويرون العيب السابق نقصاً وقادحاً في تأثير أقواله، فكيف حال من أراد أن يكون له الرياسة العامة، والسلطنة التامة، والناس كلهم يكونون عبيداً تحت الشدة له؟ فحينئذ لا تقوم الحجة على الخلق، بل يكون لهم الحجة على الحق.

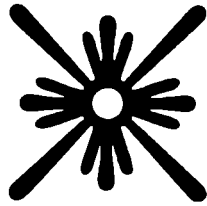
ولا شك أيضاً أن الذي لم تصدر عنه معصية لا صغيرة ولا كبيرة أتم وأكمل، وأحق بالخلافة والنبوة ممن عصى ثم تاب، وفعل الله في غاية الإتيان، وعلى وفق الحكمة، فلا يجوز له أن يكرم الولاية والنبوة والخلافة مع وجود الأحق والأكمل والأتم لغيره، إذ قبحه لا يخفى على الجاهل الغبي، فضلاً عن العاقل الذكي، وصدور القبيح عن الله محال، كما قرنا سابقاً.

• الأنبياء معصومون قبل وبعد

من الأمور المجمع عليها عند علمائنا الإمامية عصمة الأنبياء ﷺ قبل البعثة وبعدها سواء، لما تقدم من أن أصول المعاصي منتفية عن النبي ﷺ، فلو كان كما يقول بعض العامة من جريان المعاصي على الأنبياء قبل البعثة، للزم عدم اطمئنان الخلق لهم وهذا واضح، لو كان واعظ في بداية حياته، أقرت السيئات ثم تاب بعدها، فنصحهم عن الزنا والسرقه، وهو في السابق زان سارق بامتياز، فأقل كلمة

تقال له أنت فعلت فكيف ننصح بالترك؟ فالعقل قبل النقل يؤيد ذلك، لأن النبي حجة الله تعالى البالغة التامة، ومن لوازمها العصمة قبل وبعد، فكون نبي ﷺ غير عاصي قبل وبعد البعثة أولى من غيره.

ثانياً إنه تعالى أمره في غاية الإحكام ونهاية الإلتقان، فلو أتى بنبي مقترف المعاصي من قبل، لزم عدم حكمته مع وقدرته على بعث معصوم قبل وبعد، وهذا واضح إن شاء الله تعالى.



الحاصل من اطلع على مقام الأنبياء ﷺ لا يسند المعصية المعروفة بين الناس إليهم أبداً، بل حسبها من المحالات في حقهم، إذ هم سلام الله عليهم لما أجابوا أول مرتبة، وسبقوا الخلق في إجابة أمر الحق، وقالوا: بلى عند قوله تعالى: (أست بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم والأئمة من ولده أوليائكم؟) ^(١) خلق الله طينتهم من أعلى عليين بالأصالة، والمؤمنون لما تبعوهم في الإجابة بقولهم: بلى أيضاً خلق طينتهم من عليين بالتبعية، فالأنبياء في مقام المتبوعة، والمؤمنون وغيرهم في مقام التابعة، والمتبوع أبداً لا ينزل إلى مقام التابع ورتبته، وإلا لم يكن متبوعاً فظهر أنه لا تصدر عنهم ﷺ المعاصي مطلقاً، الصغيرة والكبيرة، وإلا لم يكونوا أنبياء وهذا خلف.

يا حبيبي عليك بحفظ هذا المطلب العزيز، الذي هو أدق من الشعر،
وأحد من السيف ❁

❁ المقام النوري للأنبياء ﷺ

الأنبياء ﷺ كما تقدم هم علة لوجود الإنس من المؤمنين ولما تحتهم، لأنهم سبقوا إجابة الرب تعالى في عالم الذر كما تقدم الكلام عنه، فطينتهم خلقت من أعلى عليين من أعالي الجنة، وخلق شيعتهم من فاضل نورهم في مقام التابعة، والأنبياء في مقام المتبوعة، فمن كان وجوده وطيبته من الجنة، كيف يصدر منه أعمال أهل النار؟
فالطيب أصله طيب دائماً يصدر الروائح الطيبة، والعكس القذورات والجيف لما كانت قذرة دائماً تصدر روائح نتنة قبيحة، وأقذر القاذورات المعصية، لأنها تدخل النار أجارنا الله منها، وأطيب الطيبات الطاعة لأنها تدخل الجنة.

(١) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلبي ١٦٧، الجواهر السنية للحر العاملي ٢٧٢،
مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ١ / ٥٩.

الفصل السادس [تنزيه الأنبياء ﷺ]

لما عرفت هذا المطلب الصريح، والمعتقد الصحيح، فربما أشكل عليك بعض الأخبار، الدالة على معصية الأنبياء كقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(٢) وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾^(٣) وأمثالها من الآيات والروايات، كرواية سلمان قال لأمير المؤمنين ﷺ (يا أمير المؤمنين لقد وجدت في التوراة كذلك، وفي الإنجيل كذلك، بأبي أنت وأمي يا قتيل كوفان، والله لولا أن يقول الناس: لسلمان واشوقاه رحم الله قاتل سلمان، لقلت فيك مقالاً تشمئز منه النفوس، لأنك حجة الله الذي به تاب على آدم، وبه أنجى يوسف من الجب، وأنت قصة أيوب وسبب تغير نعمة الله عليه.

قال أمير المؤمنين ﷺ: أتدري ما قصة أيوب وسبب تغير نعمة الله عليه؟ قال: الله أعلم وأنت يا أمير المؤمنين، قال: لما كان عند الإنبياء للنطق شك أيوب في ملكي فقال: هذا خطب جليل وأمر جسيم، قال الله

(١) سورة طه آية (١٢١).

(٢) سورة الفتح آية (٢).

(٣) سورة طه آية (١١٥).

عزَّ وجلَّ: يا أيوب أتشك في صورة أقمته أنا «إني ابتليت آدم بالبلاء فوهبته له وصفحته عنه بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين، وأنت تقول: خطب جليل وأمر جسيم؟ فوعزتي لأذيقنك من عذابي أو تتوب إليَّ بالطاعة لأمير المؤمنين، ثم أدركته السعادة بي»^(١).

وأمثالها من الآيات والروايات الدالة بظواهرها على وقوع المعصية، والشك والتردد منهم ﷺ.

فاعلم أن هذه الأخبار والآيات ليست باقية على ظواهرها، وإنما هي من المتشابهات الواجب ردها على المحكمات، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٢).

● عصمة الأنبياء

أجمع علماء الإمامية على عصمة الأنبياء جميعاً سلام الله عليهم، من الذنوب صغيرها وكبيرها قبل البعثة وبعدها إلى آخر حياتهم، فالعصمة عادة تعرف بتعريفين هما:

العصمة في اللغة

((المنع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِيكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣) أي يمنعك منهم فلا

(١) البحار للشيخ المجلسي ٢٦ / ٢٩٣، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ٢ / ٣١.

(٢) سورة آل عمران آية (٧).

(٣) سورة المائدة آية (٦٧).

يقدرُونَ عليك وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾^(١) أي التجنوا إلى الله بطاعته،
وحبل الله هو القرآن))^(٢).

فالعصمة من عصم وهو ((يدل على امسك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله
واحد، من ذلك العصمة: أن يعصم الله عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد
بالله تعالى إذا امتنع. واستعصم التجأ تقول العرب: اعتصمت فلاناً، أي هيات له
شيئاً يعتصم بما نالته يده، أي يلتجئ ويتمسك به. قال النابغة.

يظل من خوفه الملاحُ معتصماً بالخيزرانة من خوف ومن رعدٍ))^(٣)

معنى العصمة عند الشيخ أحمد الأحسائي من قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ
اللَّهِ﴾^(٤) أن الذي يقوم بأوامر الشرع وينتهي عن نواهيه يكون معصوماً من الذنوب،
لأي أحد من الخلق، فكيف بالأنبياء ﷺ فنحن وأمثالنا حينما نعصي، إنما ذلك لعدم
قيامنا بامثال أوامر الله واجتناب نواهيه، فلو التزمنا بأحكام القرآن الصامت وأحكام
القرآن الناطق وهو المعصوم ﷺ عن الله وهو النبي والوصي صلى الله عليهما وآلهما
لكننا معصومين على حسب تعريف اللغة، كحال بعض الكملين كزينب بنت أمير
المؤمنين ﷺ التي قال عنها الإمام علي بن الحسين ﷺ: ((وأنت بحمد الله عالمة
غير معلمة وفهمة غير مفهمة))^(٥).

وكعلي الأكبر الذي قال عنه والده الإمام الحسين ﷺ: ((فقد برز إليهم غلام
أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك))^(٦).

وكأبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين ﷺ العبد الصالح والأخ المواسي
لأخيه الذي قال عنه ابن أخيه الإمام علي بن الحسين ﷺ في مواراته في حفرته

(١) سورة آل عمران آية (١٠٣).

(٢) العصمة للشيخ أحمد الأحسائي ٣٣.

(٣) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٤ / ٣٣١.

(٤) سورة آل عمران آية (١٠٣).

(٥) الاحتجاج للشيخ الطبرسي ٢ / ٣١.

(٦) البحار للشيخ المجلسي ٤٥ / ٤٣.

((على الدنيا بعدك العفى يا قمر بني هاشم، وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته))^(١).

وكالخضر ﷺ الذي هو حي باقي، صاحب ذي القرنين، وصاحب نبي الله موسى مع قصته المشهورة الواردة في القرآن على نبينا وآله وﷺ الذي قال الله عز وجل عنه في وصف علمه ومقامه وعبوديته ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾^(٢).

وسلمان الفارسي الذي قال فيه سيد الأوصياء والموحدين، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قال: ((أدرك العلم الأول والآخر، وهو بحر لا ينزح، وهو منا أهل البيت))^(٣).

وروي عن أبي بصير عن الإمام أبي عبد الله الصادق ﷺ قال: ((وكان سلمان محدثاً، قال: قلت: فما آية المحدث؟، قال: يأتيه ملك فينكت في قلبه كيت وكيت))^(٤).

وكرشيد الهجري رضوان الله عليه، كما قال عنه الإمام موسى الكاظم أرواحنا فداه لإسحاق: ((يا إسحاق قد كان رشيد الهجري يعلم علم المنايا والبلايا، والإمام أولى بعلم ذلك))^(٥).

وكلقمان وذي القرنين وأحزابهم ومن حذا حذوهم من الناس إلى أن تقوم الساعة، وهؤلاء ليس أنبياء ولا أوصياء أنبياء بل عباد مخلصون لله ولرسوله ﷺ ولأهل بيته ﷺ.

(١) الدمعة الساكبة للشيخ الموالي محمد باقر البهبهاني ١٣ / ٥.

(٢) سورة الكهف آية (٦٥).

(٣) البحار للشيخ المجلسي ٣١٩ / ٢٢.

(٤) البحار للشيخ المجلسي ٣٢٧ / ٢٢.

(٥) الكافي للشيخ الكليني ٤٨٤ / ١، البحار للشيخ المجلسي ١٢٣ / ٤٢، مدينة المعاجز للسيد

هاشم البحراني ٢١٥ / ٦.

فكل هؤلاء عندهم عصمة على حسب تعريف اللغة، من الذنوب الكبيرة والصغيرة مما لا شك فيه، نعم ليست كعصمة الأنبياء ﷺ، لأن الأنبياء والأوصياء ينبون عن الله تعالى مباشرة.

وقد البعض يستوحش من كون هؤلاء معصومين، ولكن إذا دقق الأمر يجد العصمة أمراً نسبياً كل على قدره، فبعض المؤمن العادي يكون معصوماً عن القتل، والآخر يكون معصوماً عن الزنا واللواط والعياذ بالله تعالى، والآخر يكون معصوماً عن الكبائر وهكذا، كل على قدر إيمانه ومعرفته بالله تعالى، وهذا الأمر نجده في مجتماعتنا الآن، حيث إن البعض لو يعطى الدنيا بأكملها على أن يزني أو يسرق ما يسرق ولا يزني مهما كان، فالعصمة بالمعنى اللغوي تشمل غير الأنبياء ﷺ من الرعية.

العصمة الاصطلاحية الخاصة

العصمة بالمعنى الأخص وهي ما تطلق للأنبياء والأوصياء ﷺ، فلها تعريفات عدة من العلماء ذكرها شيخ المتألهين الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي قدس سره في كتابه العصمة، التعريف الأفضل والأقرب لحقيقة معنى عصمة الأنبياء ﷺ ما ذكره رضوان الله عليه بقوله: ((أنها ملكة ربانية تمنع من فعل المعصية، والميل إليها مع القدرة عليها))^(١).

قوله مع القدرة عليها يمنع الجبر على الفعل كما ذهب إليها الأشاعرة المجبرة، فإذا كان غير الأنبياء ﷺ مما تقدم عندهم نوع من العصمة، تمنعهم من المخالفة لأمر الله تعالى، فكيف بالأنبياء والأوصياء ﷺ المؤيدون المسددون من الله عز وجل؟.

رد المتشابه إلى المحكم

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم وكذا السنة المطهرة ﷺ فيها كلمات محكمة لا شك وشبهة فيها، وفيها كلمات متشابهة.

(١) العصمة للشيخ أحمد الأحسائي ٣٨.

كما قال تعالى يتحدث عن كتابه القرآن الكريم بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(١).

فالآيات المحكمات مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢) والآية المتشابهة: ﴿وَجُودٌ بِؤْمُرٍ تَأْخُذُ بِنَاصِرَتِهِ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٣).

فمن المتشابه التي ذكرها المؤلف رضوان الله عليه من الكتاب والسنة تحتاج إلى المحكم، والمحكم يكون بمنزلة المعيار والمقياس والمرجع لكل متشابه، كعصيان آدم على نبينا وآله وﷺ، وغفران ذنوب رسول الله ﷺ، وانبعاث نبي الله أيوب ﷺ عند النطق فشك وغيرها، كلها مؤلة على ما يوافق المحكم من الكتاب والسنة.

أما عصيان آدم فبمعنى ترك الأولى، أي الأولى أن لا يأكل من الشجر فأكل، وأما غفران ذنوب رسول الله ﷺ لكون النبي ﷺ والوصي أمير المؤمنين عليهما وآلهما السلام هما أبوا هذه الأمة، بل هما أبوا الكائنات كما حقق في محله، وكل الخلق من الأولين والآخرين أمته ورعيته، فلو حضر الأنبياء السابقون في عصره الشريف لآمنوا به، ولتعبدوا بشريعته ﷺ، فلما كان الأولون والآخرين أمته ورعيته نسبوا له ﷺ فإذا جاء يوم القيامة، الله عز وجل يغفر ذنوب المتقدمين والمتأخرين من الامم بشفاعته ﷺ، لأنه صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة.

فالمؤلف آية الله العظمى السيد كاظم رضوان الله عليه، قد ذكر في رسائله بعض ترك الأولى من بعض الأنبياء ﷺ، بداعي أن هذا الأمر أقرب إلى الله عز وجل من غيره، كما فعل آدم حين أكله من الشجرة، قال رضوان الله عليه: ((فإن آدم ﷺ لما خلقه الله سبحانه، وأخذ عليه الميثاق والعهد بولايتهم وطاعتهم، فقبل وحمل أنوارهم وأشباحهم ﷺ، شرفه الله سبحانه وجعله مسجوداً للملائكة، كرامة لهم ﷺ،

(١) سورة آل عمران آية (٧).

(٢) سورة الشورى، آية (١١).

(٣) سورة القيامة، آية (٢٢ - ٢٣).

حيث ظهروا في صلبه، ظهور الشاخص في المرأة، ثم لما صدرت عنه تلك الهفوة والتقصير في حقهم ﷺ طرد عن الجنة، وأبعد عن الرحمة، وأخرج عن مجاورة الله سبحانه، وأسود جميع بدنه، لما ظهر منه ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (١١٥) (١).

ولما طرق بابهم بينوته، وخضع وخشع لهم بهويته، بإظهار جزعه وبكائه وطول حزنه ودعائه، فمن الله عليه، وعلمه أسماءهم ليدعوه بها، ليتوب عليه، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٣٧) (٢).

وتلك الكلمات التي هي قوله: ((اللهم إني أسألك بحق محمد وأنت المحمود، وبحق علي وأنت الأعلى، وبحق فاطمة وأنت فاطر السماوات والأرض، وبحق الحسن وأنت المحسن، وبحق الحسين وأنت قديم الإحسان إلا أن تتوب علي)) فتاب الله عليه.

وكذلك نوح ﷺ لما صنع السفينة ما تمت وما استقرت إلا بعد أن قرأ عليها أسماءهم المباركة، وأتى له جبرائيل بخمسة مسامير، كل مسمار باسم واحد من أصحاب الكسا، فاستقرت بها السفينة، ومشت بإذن الله، وجرت في الماء، ولما تلاطمت الأمواج، وتراكت وكادت السفينة أن تفرق دعى الله سبحانه بأسمائهم المباركة، فأنجاه الله ومن معه من الفرق.

وإبراهيم ﷺ لما أخلص في ولائهم وطاعتهم، وتخلل حبهم في مكنونات سرائره وعلايته، انتخبه الله خليلاً، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٣).

وموسى ﷺ كان لم يزل يدعو الله في الشدائد بأسمائهم المباركة، فيفرج الله سبحانه عنهم، وقال الإمام العسكري ﷺ في الحديث المتقدم: ((فالكليم ألبس حلة

(١) سورة طه، آية (١١٥).

(٢) سورة البقرة آية (٣٧).

(٣) سورة البقرة آية (١٢٤).

الإصطفاء، لما عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في الجنان الصاقورة، ذاق من حدائقنا الباكورة))^(١).

والله سبحانه إنما ابتلى بني إسرائيل بذبح البقرة المعلومة، لأن صاحبها كان شديد المحبة لمحمد وآله ﷺ، وكان كثير الصلاة عليهم، فكافأه الله سبحانه بذلك، حتى اشترى منه البقرة بملء جلودها ذهباً.

فلما اشتروا منه بذلك المبلغ العظيم، أفقر بنوا إسرائيل، فأمروا بالصلاة على محمد وآل محمد ﷺ، فأغناهم الله سبحانه سريعاً عاجلاً بأحسن ما كانوا في الأول، ولم يزل كان بنوا إسرائيل بعد زمان موسى ﷺ يدعون الله سبحانه في الشدائد والمحن بأسمائهم المباركة، فيفرج الله عنهم تلك الشدة العظيمة، والمحنة الهائلة، ولقد أخبر الله سبحانه عن ذلك حيث قال: ﴿وَكَاثِرًا مِّن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

وأيوب ﷺ لما شك في ولاية علي ﷺ ابتلى بتلك البلية العظيمة، فلما تاب وخضع له ﷺ وذلّ تاب الله عليه، كما في حديث سلمان، حيث يخاطب سلمان علياً ﷺ ويقول:

((يا قتيل كوفان، والله لولا أن يقول الناس لسلمان واشوقاه رحم الله قاتل سلمان، لقلت فيك مقالاً تشمئز منه النفوس، لأنك حجة الله الذي به تاب على آدم، وبه أنجى يوسف من الجب، وأنت قصة أيوب، وسبب تغير نعمة الله عليه. قال أمير المؤمنين ﷺ: أتدري ما قصة أيوب، وسبب تغير نعمة الله عليه؟ قال: الله أعلم وأنت يا أمير المؤمنين، قال: لما كان عند الانبعاث للنطق شك أيوب في ملكي فقال: هذا خطب جليل وأمر جسيم، قال الله عزّ وجلّ: يا أيوب أتشك في صورة أقمته أنا، إني ابتليت آدم بالبلاء فوهبته له، وصفحته عنه بالتسليم عليه بإمرة

(١) البحار للشيخ المجلسي ٢٦ / ٢٦٥، الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة (شرح آل كاشف الغطاء) للسيد عبد الله شير ٥٥.

(٢) سورة البقرة آية (٨٩).

المؤمنين، وأنت تقول: خطب جليل وأمر جسيم؟، فوعزتي لأذيقنك من عذابي أو تتوب إلي بالطاعة لأمير المؤمنين، ثم أدركته السعادة بي))^(١) فانظر ما ترى.

ويونس عليه السلام لما شك وبكى، وذهب مغاضباً، فظن أن لن نقدر عليه، فركب السفينة، وأتى الحوت، فساهم أهل السفينة، فجاء السهم باسم يونس عليه السلام، فكان من المدحضين، وهذا كان عقوبة له، لما تردد في ولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام، فلما تاب ورجع ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

فلما دخل البيت من الباب، وتوجه إلى الله سبحانه بذلك الجناب، نجاه الله من الغم، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

ويعقوب عليه السلام لما قصر في حق علي عليه السلام، وتردد في ولايته بقوله: ﴿لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾^(٤).

لأن علياً عليه السلام أخذ عليه الميثاق والعهد أن لا ينظر إلى الأسباب أبداً، ويقصر نظره إلى المسبب، فلما نظر إلى السبب حيث قال ما قال، كان ذلك تقصيراً، فاتاه جزاء عمله وتقصيره، ابتلاه بفراق قره عينه يوسف عليه السلام، واشتد لذلك بكاؤه، وطال حزنه وعناؤه إلى أن ابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم، ولما تاب ورجع وخضع لعلي وللأئمة عليهم السلام قال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٥) وقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾^(٦).

فرد الله بصره، وقره عينه يوسف عليه السلام.

ويوسف بن يعقوب بن إبراهيم عليهم السلام.

(١) البحار للشيخ المجلسي ٢٦ / ٢٩٣، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ٢ / ٣١.

(٢) سورة الأنبياء آية (٨٧).

(٣) سورة الأنبياء آية (٨٨).

(٤) سورة يوسف آية (١٣).

(٥) سورة يوسف آية (٦٤).

(٦) سورة يوسف آية (٨٣).

لما قصر في الولاية حينما نظر إلى المرأة، ورأى حسنه وجماله في غاية الكمال، فخطر على قلبه لو كنت أنا عبداً كم كان ثمني؟ فابتلاه الله سبحانه بهذا بذلك التقصير برق العبودية ﴿وَشَرُّهُ يَشْرِبُ بِحَسْرِ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾^(١) ثم باعوه بما باعوه.

ثم ادخل في السجن وقصر في الولاية حيث ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا أَذْكَرٌ نِّي عِنْدَ رَبِّكَ فَآنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِنِينَ﴾^(٢) ولما تاب ورجع وخضع لعلي عليه السلام والأئمة من ولده ﷺ بالطاعة والامتثال، أنجاه الله سبحانه من السجن وجعله ملكاً^(٣).

فمعنى عصيان آدم، والتردد والشك كله متشابه يجب رده إلى المحكم.

معنى التردد والشك في الولاية

ومعنى التردد في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والشك فيها هو من الأمور المتشابهة في القرآن والسنة كما قال تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٦) وغيرها من الآيات المتشابهة. والمحكم من الآيات أنه تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٧) والمحكم في الأنبياء ﷺ أنهم معصومون مسددون من الله تعالى، بل هم الحجة البالغة التامة لله تعالى على خلقه، كما قال سبحانه: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ

(١) سورة يوسف آية (٢٠).

(٢) سورة يوسف آية (٤٦).

(٣) شرح الخطبة التطنجية للسيد كاظم الرشتي ٣ / ٣٦٣.

(٤) سورة الفتح، آية (١٠).

(٥) سورة الزمر، آية (٦٧).

(٦) سورة الفجر، آية (٢٢).

(٧) سورة الشورى، آية (١١).

لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ (١).

فلا يمكن أن تكون حجة الله تعالى ناقصة أو عاصية والعياذ بالله تعالى، ولكن لما روي عنهم ((إن حسنات الأبرار سيئات المقربين)) (٢).

أي صلاة الليل لعامة الناس مستحبة لكنها للأنبياء ﷺ واجبة، فإذا تركها عوتب ليس من باب ترك الواجب، ولكنه ترك المستحب بالنسبة لمقامه النوراني، لذا في عالم الذر أخذ على الأنبياء ﷺ جميعاً القيام بجميع أوامر الله تعالى، ومنها عدم النظر إلى الأسباب بل النظر إلى المسبب وهو الله تعالى والتوكل عليه.

وكذلك نبي الله آدم على نبينا وآله وعليه السلام حينما أكل من الشجرة ليس قصده المخالفة لأمر الله تعالى بل لقول إبليس لعنه الله تعالى أنه قسم لهما أنكما إذا أكلتما من الشجرة تكونا من الخالدين لا يعتريكما ولا يصيبكما الموت والفناء.

فأما آدم وحواء ﷺ لم يخطر ببالهما أن أحداً من الخلق يقسم بالله كذباً، فطمعا في الخلود ليعملا لله تعالى الطاعات، والتقرب إليه فأكلا.

قال تعالى حاكياً عنهما وعن إبليس اللعين بقوله ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (٣).

فلم يخطر ببالهما أن مخلوقاً يكذب ويقسم كذباً، وطمعا أن يكونا من الخالدين لا يفترون عن ذكر الله عز وجل.

وأما تردد نبي الله يونس على نبينا وآله وعليه السلام في الولاية، ليس على حسب ما نفهم من معنى التردد في الولاية، لأن هذا المعنى كفر عندنا العوام، فكيف بالأنبياء؟ بل المراد من التردد أن ولاية الأنبياء ﷺ القيام بجميع أوامر الله تعالى ونواهيه، فالمستحب والأولى عندهم واجب، والمكروه عندهم حرام.

(١) سورة النساء، آية (١٦٥).

(٢) الجواهر السنية للحر العاملي ٨٣.

(٣) سورة الأعراف آية (٢٠ - ٢١).

فلما أراد نبي الله يونس ﷺ أن يدعو على قومه قال له العالم من رعيته لا تدع على قومك عليهم يتوبون، وقال له العابد من قومه ادع عليهم فلا خير فيهم.

فنبى الله يونس ﷺ اتباع العابد في الدعاء على قومه ولم يتبع العالم، ومن لوازم الولاية بالنسبة إليه أنه رحمة لقومه، أن يتبع العالم ويترك العابد هذا أولاً.

وثانياً أنه لما أراد أن يدعو على قومه ليس لنفسه، بل غضباً لله سبحانه، أنهم عصوه وخالفوه تعالى وكذلك نبي الله يوسف على نبينا وآله وعليه السلام لما نظر في المرأة ليس والعياذ بالله تعالى للمباهاة والافتخار والعجب بنفسه بل لإظهار عجائب وجمال واتقان الخالق جلّ جلاله فقط لا غير، ولكن بالنسبة إليه ترك الأولى.

وكذلك لما قال ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ ليس قصده ترك التوكل على الله تعالى بل قصده ليخرج من السجن للدعوة والتبليغ لتوحيد الله سبحانه، وهكذا بعض المتشابهات من السنة ترجع إلى المحكمات كما ذكرنا في المتشابهات في القرآن كما قال تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ وغيرها من الآيات المتشابهة.

فنحن القاصرون العوام ولايتنا لأمر المؤمنين والصديقة فاطمة الزهراء والأئمة من أولادهما المعصومين ﷺ هو حبههم والقيام بالواجبات وترك المحرمات، أما المستحبات والمكروهات فلا.

أما الأنبياء ﷺ فمعرفة لهم لرسول الله وأهل بيته وتوحيدهم ﷺ غيرنا، فمقامهم أعظم، فالغفلة عن ذكر الله طرفة عين تعد معصية لهم.

لأن جميع الأحكام من الصلاة والصيام وغيرها كلها من لوازم الولاية، بدليل أن كل الواجبات بدون الولاية لا تفيد شيئاً، فليس المراد من التردد وغفران الذنوب والعصيان أو الشك في الولاية المعنى المعروف عندنا والعياذ بالله، لأنه كفر عندنا، فكيف عندهم ﷺ؟.

وثالثاً حينما يتركون الأولى لا يكون تركهم قصدهم المخالفة لأمر الله تعالى،

بل قصدهم أن هذا الفعل أقرب إلى الله من ذلك، ولا نحب أن نطيل الكلام، لأنه ذو شعب كثيرة، ومعاني دقيقة ليس هنا محلها، من أراد المراجعة والتعمق فليراجع كتاب عصمة الأنبياء للشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي، ففيه شفاء الصدور، ورفع المحذور، وكذا في كتب المؤلف تلميذه السيد كاظم قدس الله روحه المباركة، وأيضاً في كتب علمائنا الأعلام رضوان الله عليهم.

ولما نظرنا في كلامه المجيد، رأينا قد وصف نبينا ﷺ بقوله:
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١) وقال أيضا: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٢) **﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾** (٣).

وبالضرورة والبداهة لو كان تصدر منه العياذ بالله معصية، أو كان فيه خلاف الاعتدال خُلُقاً أو خُلُقاً لما وصفه الله سبحانه بعظم الخلق، واستقامة الباطن والظاهر، ووصفه جلّ وعلا له بالسراج المنير، أقوى شاهد وأعظم دليل على ما قلنا. قال سبحانه ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤) **﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾** (٥) **﴿فَظَهَرَ أَن لَيْسَ فِيهِ كُدُورَةٌ بَوَاجِهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَالْمَعْصِيَةُ كَائِنَةٌ مَا كَانَتْ كُدُورَةٌ.**

ومن قوله سبحانه مخاطبا لنبينا ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مَنِ الرُّسُلِ﴾ (٦) وقوله أيضا: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آفَقَةٌ﴾ (٧) وأمثالها يعلم اشتراك الأنبياء ﷺ مع نبينا ﷺ فيما قلنا.

فكل الأنبياء والأوصياء معصومون مطهرون بنص الكتاب والسنة، ودليل العقل المستنير بنور الله. وأيضا قال الله سبحانه ﴿وَلَهُمْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (٨) **﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾** (٩).

ولا شك أن من في السماوات هم الملائكة، ومن في الأرض الجن

(١) سورة القلم، آية (٤).

(٢) سورة النجم، آية (٣ - ٤).

(٣) سورة الأحزاب، آية (٤٥ - ٤٦).

(٤) سورة الأحقاف آية (٩).

(٥) سورة الأنعام آية (٩٠ - ٩٠).

(٦) سورة الأنبياء آية (١٩ - ٢٠).

والإنس، ومن عنده ليس إلا المخصوصون من الأنبياء والأوصياء وسلام الله عليهم، الذين هم عند الله دائما بتوجههم وإقبالهم عليه سبحانه، ويتلقون منه الفيوضات، ويوصلونها إلى الخلق.*

* أكمل الكمال هم محمد وآل محمد ﷺ

فلا يوجد في الخلائق أجمع لم يعص الله تعالى طرفه عين، ولم يعمل ما يخالف أمر الله تعالى، ولم يتركوا الأولى في جميع حالاتهم ومقاماتهم إلا محمد وآل محمد ﷺ لذا روي عن المفضل بن عمر رضوان الله عنه في بيان هذه الآية المباركة:

﴿وَلَمْ يَكُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) يُسِيحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠) ^(١) قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((ويحك يا مفضل، أستم تعلمون أن من في السماوات هم الملائكة؟، ومن في الأرض هم الجان والبشر، وكل ذي حركة، فمن الذين فيهم ومن عنده، الذين قد خرجوا من جملة الملائكة، قال المفضل: من تقول يا مولاي، قال: يا مفضل نحن الذين كنا عنده، ولا كون قبلنا ولا حدود سماء ولا أرض ولا ملك ولا نبي ولا رسول)) ^(٢) قوله عليه السلام: ولا نبي ولا رسول عدى نبينا محمد ﷺ، لأنه ﷺ هو سيدهم ومولاهم ﷺ، والروايات بلغت حد التواتر من العامة والخاصة في أن محمداً وآل محمد ﷺ هم أفضل الكائنات، لذا جعل سبحانه وتعالى حبهم وموتهم أجر رسالة رسول الله ﷺ؟ ﷺ قال تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ^(٣).

وكيف لا يكونون كذلك وقد خلقهم الله تعالى من نور عظمته، كما روى في الكافي عن أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن عيسى بن عبيد،

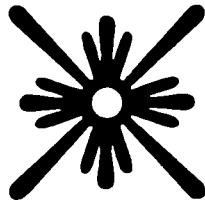
(١) سورة الأنبياء آية (١٩ - ٢٠).

(٢) الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصبي ٤٣٣.

(٣) سورة الشورى آية (٢٣).

عن محمد بن شعيب، عن عمران بن إسحاق الزعفراني، عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سمعته يقول: ((إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً))^(١).

فطينهم سلام الله عليهم لا شبيهة لها في جميع الخلائق، فهي خاصة بهم، وذلك لعدم مشابهة أحد من الخلائق لهم في كل شيء، فهم سلام الله عليهم غير الخلق والخلق غيرهم، وإن كانوا هم من الخلق، فمحمد وآل محمد ﷺ لا يتصور عندهم صدور المعصية ولا الهم بها، ولا يتركون الأولى بل يأخذون بأشد الأمور على أنفسهم إذا تساوى الأمر عندهم.



فآيات بمعونة العقل السليم، أدلة صريحة واضحة، وبراهين محكمة لائحة على عصمة الأنبياء سلام الله عليهم، فينبغي أن تجعل هذه الآيات أصلاً أصيلاً، وتحمل باقي الآيات والروايات على معنى، بحيث لا يكون منافياً للآيات المحكمة، والأصول الأصيلة، وهذا الحمل له وجهان:

وجه إجمالي، ووجه تفصيلي، والوجه التفصيلي أيضاً له وجوه كثيرة: ونحن نكتفي في المقام بالوجه الإجمالي إذ التفصيلي يؤدي إلى التطويل، والمقام لا يناسبه.

ونقول: إن المعاصي المنسوبة إلى الأنبياء ﷺ كلها بمعنى ترك الأولى، وترك المستحب والمندوب، لا ترك الواجب وفعل الحرام، المستلزم للمعصية نعوذ بالله.

فالأنبياء لعلو مقامهم، إذا صدر عنهم ترك المندوب، يعاتبون ويؤاخذون، لما ورد عنهم ﷺ: (إن حسنات الأبرار سيئات المقربين)^(١) وقال سيد الشهداء عليه الصلاة والسلام في دعاء عرفة: (الهي من كانت محاسنه مساوية، فكيف لاتكون مساوية مساوية، ومن كانت حقايقه دعاوية، فكيف لاتكون دعاوية دعاوية)^(٢).

فاستغفار الأنبياء ﷺ كلاً لجهة ترك المستحبات وفعل المباحات، لا فعل المعاصي العياذ بالله، إذ قبح المعصية عندهم مثل قبح وبتن الجيفة عند سائر الناس، فهل رأيت أحداً بقدر الإمكان يقرب من الجيفة فضلاً

(١) البحار للشيخ المجلسي ١١ / ٢٥٦، الجواهر السنية للحر العاملي ٨٣، زبدة البيان للمحقق الأردبيلي ٧٨.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٩٥ / ٢٢٥.

عن تناوله وأكله؟ فقبح المعصية عند الأنبياء، والخواص ومقربي ذي الجلال أعظم من ذلك.

فحينئذ كيف يتصور صدور المعصية عنهم ﷺ؟ مع أنه لو انكشف لك حقيقة الأمر في نظم الوجود، لعرفت أن صدورها عنهم في عالم التكوين والوجود محال، بل طاعات الرعايا والأمم عندهم معاصي ❁.

❁ المعصية هي ترك الأولى

كما ذكر من قبل أن الأنبياء ﷺ معصومون سلام الله عليهم، أما ما ورد في بعض الآيات والأخبار لفظ المعصية أو الشك أو التردد، فمعناه ترك الأولى وهو ترك المستحب، وفعل المباح بقصد القربة عندهم ﷺ لا بقصد المخالفة، لذا نبي الله يونس ﷺ لما ذهب مغاضباً على قومه لعصيانهم لله تعالى، ليدعو عليهم بالهلاك والعذاب، قال له العالم: لا تدع عليهم علمهم يتوبون ويرجعون، قال نبي الله: ﷺ لا هم لا يتوبون ولم يسمع كلام العالم من رعيته، فعدم سماع كلام العالم يعد تقصير وترك أولى لنبي الله يونس على نبينا وآله وﷺ، ومما أخذ عليه في أمر الولاية بالنسبة إليه أن يسمع كلام العالم ليكون رحمة لا نقمة على قومه.

لذا أنت حينما ترى مرجعاً دينياً يمشي في الأسواق، ويأكل العسكريم أو يتعلك بالعلك، يسقط من أعين الناس، ويعتبرونه مذنباً ومقصراً مستهزئاً، وإن كان أكل العسكريم والعلك مباح لسائر الناس، وذلك لأن مقامهم يقتضي ترك هذا الأمر.

إذن إستغفار الأنبياء ﷺ ليس لذنب أذنبوه بل لأجل ترك المستحب أو فعل المباح لله عز وجل لا لأنفسهم، لأن النبي ﷺ لا يلتفت إلى نفسه ولا أقل من لحظة، بل كل أمره لله عز وجل، فإذا كان الملائكة لا يغفلون عن ذكر الله تعالى، الذي هم أنزل من المرمن العادي فكيف بالنبي؟ ﷺ.

فالأنبياء ﷺ عندهم كل ما سوى الله تعالى، ومنها الدنيا هي أشد نتناً من

الجيفة، لما عندهم من اللذات الروحانية، والمكاشفات الملكوتية، والتأييدات الربانية، ولذة اللقاء والسباق إلى الله تعالى.

فالمستحب وفعل المباح هما محاسن لعامة الناس، وفضيلة لمن يفعلهما، ومن يتركهما لا ذنب عليه، أما الأنبياء ﷺ ففعل المستحب عنده واجب تركه معصية في حقه ﷺ، وكذا المباح كشرب الماء في غير حاجة، يعد معصية بالنسبة إليه، ولكن هذه المعصية في ترك المستحب وفعل المباح لا تضر بعصمته ﷺ، لأنه حين يترك المستحب يقصد القربة لوجه الله تعالى، وكذا حينما يفعل المباح.

شرح فقرة دعاء الإمام الحسين ﷺ

لذا قال الإمام الحسين ﷺ في دعاء عرفة والدعاء طويل معروف منه.

((إلهي من كانت محاسنه مساوي، فكيف لا تكون مساويه مساوي)).

أي من كان ترك الأولى وهو ترك المستحب مساوي وهي جمع سيئة، فكيف لا تكون معصيته سيئة وذنب، لأن مقامه أن لا يترك الأولى، من فعل المستحب وترك المكروه، حيث يكون عنده تكليفان هما واجب وحرام فقط، لا خمسة مستحب ومكروه ومباح مع الواجب والحرام، وقوله فكيف لا تكون مساويه مساوي أي ذنبه ذنب؟ من باب إياك أعني واسمي يا جارة، كما في أدعية أهل البيت ﷺ والقرآن الكريم لما يخاطب النبي ﷺ ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١) فالمخاطب النبي والمراد غيره ﷺ.

وقوله ﷺ:

((من كانت حقايقه دعاوي، فكيف لا تكون دعاويه دعاوي)).

أي أن جميع ما سوى الله عز وجل كل عقائدهم ومعلوماتهم وتوحيدهم لم يصل إلى المعرفة التامة الكاملة، بالنسبة لتوحيد الله سبحانه عن طريق الآثار، فكلها دعاوي وادعاء للحقيقة فجميع الخلق لم يدركوا الكمال الحقيقي، الذي ليس بعده كمال إلا

محمد وآل محمد ﷺ ، لذا قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ : ((ما عرف الله إلا أنا وأنت))^(١) .

يعني لم يكن من الخلق أجمع عرف الله تعالى بالآثار والحقيقة إلا النبي والوصي وألهما الطيبين الطاهرين ﷺ .

فكل سافل توحيده بالنسبة للعالي يعد شركاً ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٢) كما .

أي من كانت معرفته بالله تعالى التي هي حقيقة له ، هي دعوى لم تصل إلى معرفة الذات البات سبحانه .

فكيف بمن كانت دعاويه أي اعتقاداته دعاوي لم تصل إلى الحقيقة في المعرفة عن طريق الآثار؟ .

قال تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(٣) أي فوق كل عالم أعلم منه ، إلى أن يصل إلى عالم ليس فوقه أعلم منه من الخلق ، وهم محمد وآل محمد ﷺ .

(١) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سلمان الحلبي ١٢٥ ، المحتضر للحسن بن سلمان الحلبي ٧٨ ، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ٢ / ٤٣٩ ، مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي ٧ / ١٨٢ .

(٢) سورة يوسف آية (١٠٦) .

(٣) سورة يوسف آية (٧٦) .

الفصل السابع

[المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام لم يتركوا الأولى]

اعلم أن نبينا والأئمة الاثني عشر والصديقة الطاهرة، الذين لم نجوز نسبة ترك الأولى أيضاً إليهم صلوات الله عليهم، فما ورد فيه من المعصية والخطيئة محمول على معصية رعاياهم وشيعتهم، إذ يتحملون معاصي أممهم وشيعتهم، وينسبون مكارههم إلى أنفسهم، كما ورد في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(١).

عن الرضا عليه السلام ما معناه: أن النبي صلى الله عليه وآله تحمل ذنوب شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ونسبها إلى نفسه، والله سبحانه وعده أنك لما تحملت تلك الذنوب، ونسبتها إلى نفسك اغفر لهم ●.

● حملت ذنوب الشيعة عليهم عليهم السلام

تقدم الكلام أن محمداً وآل محمد عليهم السلام هم التامون في محبة الله، المخلصون في توحيد الله تعالى، لم يذنبوا ذنباً لا قبل ولا بعد، لا صغيراً ولا كبيراً، بل لم يتركوا الأولى، أي لم يتركوا مستحباً ولم يرتكبوا مكروهاً قط، بل لم يفعلوا مباحاً قط،

(١) سورة الفتح آية (٢).

فليس عندهم سلام الله عليهم إلا تكليفاً واجباً وحراماً، فالواجب يأخذون بأشده على أنفسهم الطاهرة المطهرة، ويتركون الأخف الأيسر.

لذا روى دعاء عقيب دعاء العهد لمولانا الإمام الحجة بن الحسن أرواحنا لغبار نعليه المباركتين الفداء في وصفه: عليه السلام ((فإنه عبدك الذي استخلصته لنفسك، واصطفيته على غيبك، وعصمته من الذنوب، وبرأته من العيوب، وطهرته من الرجس، وسلمته من الدنس، اللهم فإننا نشهد له يوم القيامة، ويوم حلول الطامة، أنه لم يذنب ذنباً، ولا أتى حوباً، ولم يرتكب معصية، ولم يضيع لك طاعة، ولم يهتك لك حرمة، ولم يبدل لك فريضة، ولم يغير لك شريعة، وأنه الهادي المهتدي، الطاهر التقي، النقي الرضي الزكي))^(١).

وأما قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^(٢).

روى صاحب كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: روي أنه سئل أبو الحسن الثالث عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقال عليه السلام: ((وأي ذنب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متقدماً أو متأخراً؟ وإنما حملة الله ذنوب شيعة علي عليه السلام ممن مضى منهم وبقي، ثم غفرها له))^(٣).

وكذا روي عن المفضل، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حديث طويل قال عليه السلام ((وكذلك يا مفضل: لما أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم، ألسنت بربكم، عرضوا تلك الذرية على جدنا رسول الله وعلينا، إمام بعد إمام إلى مهدينا الثاني عشر، من أمير المؤمنين، سمي سمي جده وكنيته، محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى ابني، وعرض علينا أعمالهم، فرأينا لهم ذنوباً وخطايا، فبكى جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكىنا رحمة لشيعتنا أن يدعو لنا بنا، ولهم ذنوب مشهورة بين الخلائق إلى يوم القيامة.

(١) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي ٦٤٦.

(٢) سورة الفتح آية (٢).

(٣) البحار للشيخ المجلسي ٢٤ / ٢٧٣.

فقال رسول الله ﷺ: اللهم اغفر ذنوب شيعة أخي وأولاده الأوصياء منه، وما تقدم منها وما تأخر ليوم القيامة، ولا تفضحني بين النبيين والمرسلين في شيعتنا، فحمله الله إياها، وغفرها جميعاً وهذا تأويل ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾^(١).

فهذا الأمر مجمع عليه من علمائنا الإمامية قاطبة، على أن المعصومين ﷺ هم معصومون عن الذنوب جميعاً وأنهم لم يتركوا الأولى، وأفضل برهان على ذلك آية التطهير لكون المطهر هو رب العزة عز وجل المتولي طهارتهم سلام الله عليهم، والذنب من الرجس والله طهرهم من الرجس، وهناك كتاب مفصل في طهارة المعصومين ﷺ لآية الله العظمى، سلمان زمانه، وناموس دهره، العلامة الفهامة، الأوحى الألمعي، والسلطان اللوذعي، الملا الآغا الميرزا محمد باقر الأسكوئي، والد الميرزا موسى الإحقاقي، وجد الإمام المصلح آية الله الميرزا حسن، وآية الله خادم الشريعة الميرزا عبد الرسول الإحقاقي قدس الله أسرارهم، ونفعنا الله بحبهم في الدنيا والآخرة، فمن أراد التفصيل في معنى وتفسير آية التطهير فليراجع ذلك الكتاب المستطاب، من الفهم الوقاد.

أما شك الأنبياء مثل أيوب عليه السلام في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فالمراد منه أيضاً صدور ترك الأولى عنهم، إذ مقتضى الإقرار بولاية أمير المؤمنين عليه السلام هو العمل بكل راجح، واجباً كان أو مندوباً، وترك كل مرجوح، حراماً كان أو مكروهاً، والتساوي إن فرض وقوعه كالمباح. فترك الراجح إن صدر عن أحدهم، فيكون شاكاً ومرتدداً في العمل لا العلم، إذ هم سلام الله عليهم أشد الخلق والمؤمنين في العلم رسوخاً وثباتاً، لكن كمال الإيمان هو تطابق العلم والعمل، وعدم مخالفتها بوجه من الوجوه.

وأما مخالفة العمل فهي دليل على عدم كمال الرسوخ والثبات في العمل لا العلم والاعتقاد، والذين ثبتوا ورسخوا في العلم والعمل معاً في جميع الأمور دقيقها وجليلها، حقيرها وكبيرها في جميع الآتات وكل الحالات، وتقدموا في القرب من خالقهم على الذرات الكونية، والحقائق الوجودية منحصرين في المعصومين الأربعة عشر (محمد وأهل بيته) الطيبين الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين، كما سنذكره إن شاء الله تعالى. ❁

❁ معنى معصية آدم عليه السلام

أنه تقدم الكلام أن الأنبياء عليهم السلام كلهم معصومون من كل معصية، الصغائر والكبائر قبل البعثة وبعدها، وهذا الأمر عليه إجماع الإمامية قاطبة، أما ما ورد كلمة المعصية لآدم على نبينا وآله عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(١).

وكذا في الرواية المتقدمة عن شك نبي الله أيوب عليه السلام، وكذا نبي الله يونس سلام الله عليهم جميعاً، فليس المعنى على ظاهره فهو من الآيات المتشابهة نظير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿رُجُوعُهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ﴾^(٤) وَإِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ^(٥).

إلى آخرها من الآيات المتشابهة كما ذكر من قبل، فالمتشابه يرد إلى المحكم من عصمة الأنبياء عليهم السلام.

وأما معناها فهو أن ولاية أمير المؤمنين والصديقة فاطمة الزهراء وأبنائها عليهم السلام بالنسبة للأنبياء عليهم السلام ليس المحبة والعلم كما عند أغلب الشيعة ويدخلون الجنة بحبهم كما تقدم، بل ولايتهم عندهم القيام بجميع الفرائض والسنن، وترك جميع المكروهات وفعل المباحات، بل عدم الالتفات إلى غير الله تعالى ولو طرفة عين، فإذا أخل أحد الأنبياء عليهم السلام ببعض ذلك يعد عند الله تعالى معصية، وإن كان فعلها النبي عليه السلام وفي الله تعالى لا غيره سبحانه وتعالى، ومن أراد التعمق في عصمة الأنبياء عليهم السلام وتأويل الآيات أو الروايات المتشابهة عن الأنبياء عليهم السلام، فعليه بمراجعة كتاب العصمة لشيخ المتألهين الشيخ أحمد بن زين الدين رضوان الله عليه، ففيه تمام الأمر، وكفاية الكلام لجميع الأنام.

وأما محمد وآل محمد عليهم السلام فكما تقدم هم معصومون من كل التفات إلى غير الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾^(٥) لأنهم دائماً عنده تعالى عليهم السلام لذا روي عن المفضل بن عمر رضوان الله عنه في بيان هذه الآية المباركة: ﴿وَلَمْ يَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾^(٦)

(١) سورة الفجر آية (٢٢).

(٢) سورة الفتح، آية (١٠).

(٣) سورة الزمر آية (٦٧).

(٤) سورة القيامة، آية (٢٢ - ٢٣).

(٥) سورة الحجر آية (٦٥).

يُسَيِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ (١).

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((ويحك يا مفضل، أستم تعلمون أن من في السماوات هم الملائكة؟، ومن في الأرض هم الجان والبشر، وكل ذي حركة، فمن الذين فيهم ومن عنده، الذين قد خرجوا من جملة الملائكة، قال المفضل: من تقول يا مولاي، قال: يا مفضل نحن الذين كنا عنده، ولا كون قبلنا ولا حدود سماء ولا أرض ولا ملك ولا نبي ولا رسول)) (٢) فمن كان عنده كيف يغفل عنه تعالى؟ ولكونهم مطهرين منزهين من كل رجس ونجس كما في آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣) فالمتولي طاهرتهم هو رب العزة سبحانه وتعالى.

(١) سورة الأنبياء، آية (١٩ - ٢٠).

(٢) الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصبيني ٤٣٣.

(٣) سورة الأحزاب آية (٣٣).

الفصل الثامن

[النبوة تثبت بالتنبؤ و خوارق العادات مع التحدي]

اعلم أن النبوة تثبت بإظهار التنبؤ، وإتيان خوارق العادات، مقرونا بالتحدي والادعاء، وتوصيف الحق بالصفات اللائقة بجلال قدسه، وعدم إتيانه بأمر يسفهه العقلاء بها، ويتفوقون على بطلانها ❀.

❀ علامة النبي ﷺ

للنبي ﷺ إذا أمر بإظهار دعوته علامات ثلاث هي:

العلامة الأولى

إدعاء النبوة، أي يقول إني نبي الله إليكم، ومرسول لكم من قبل الله تعالى، كما قال تعالى حاكياً عن رسله بقولهم إلى أممهم: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٨) ﴿١﴾ فهذا أمر من الله تعالى إلى حبيبه ورسوله محمد ﷺ أن يقول لأمته: إني رسول الله إليكم.

العلامة الثانية

إظهار المعاجز وخوارق العادات، مما يعجز عنها أبناء الجنس من عامة الناس،

(١) سورة الأعراف آية (١٥٨).

الفصل الثامن [النبوة تثبت بالتنبؤ وخوارق العادات مع التحدي] ١٦١

كشق القمر ونبع الماء، وإطعام الكثير من الطعام القليل، والعصا وإحياء الموتى وغيرها من المعاجز والكرامات، التي تدعم دعوته المباركة، وتكون المعجزة يتحدى بها قومه على عدم الإتيان بمثلها.

العلامة الثالثة

أن يكون هذا النبي ﷺ يوصف الله تعالى بالوصف اللائق به عز وجل، لا بالوصف الذي ينكره العقل والفطرة السليمة، كأن يقول الخالقي شاب أمرد مثلاً، فإن كل جسم مركب، وكل مركب محتاج، وكل محتاج حادث مخلوق.

فخرق العادة بدون إظهار النبوة وادعائها، لا يكون دليلاً للنبوة، فهو إما سحر، وإما كرامة مخصوصة للأولياء والمؤمنين الكملين ❀.

ومع إظهار النبوة أيضاً لا يكون دليلاً لصدقها، إذ كثيراً ماتقع خوارق العادات من السحرة، كما أن المقنع ادعى الربوبية والالوهية بالسحر والتمويه، وأقر به خمسون ألف نفر من السفهاء ❀❀.

❀ لا تكفي المعاجز بدون إدعاء

أي إظهار خوارق العادات بدون إدعاء النبوة، لا تكون دليلاً للنبوة، وذلك لإمكان إظهار خوارق العادات من السحرة والمشعوذة، وأيضاً إمكان إظهار خوارق العادات من بعض الأولياء من المؤمنين، كسلمان وغيره إلى أن تقوم الساعة.

❀❀ إظهار الخوارق مع الإدعاء لا يكفي

أي إن إظهار خوارق العادات، مع إدعاء النبوة وحدهما لا يكفي لإثبات النبوة، بل لا بد من ضميمة وصف الله تعالى بالوصف اللائق به، لذا قد يتصف لأحد من الناس بإظهار بعض السحر المشابه للمعجز، ويظلل الخلق.

المقنع الخراساني

كما حدث للمقنع الخراساني ((اسمه عطاء ولا أعرف أسم أبيه، وقيل اسمه حكيم والأول أشهر، وكان في مبدأ أمره قصاراً من أهل مرو، وكان يعرف شيئاً من السحر والنيرجات، فادعى الربوبية من طريق المناسخة، وقال لأشياعه والذين اتبعوه أن الله سبحانه وتعالى تحول إلى صورة آدم، ولذلك قال للملائكة أسجدوا له، فسجدوا إلا إبليس فاستحق بذلك السخط، ثم تحول من آدم إلى صورة نوح عليه السلام، ثم إلى صورة واحد فواحد من الأنبياء عليهم السلام والحكماء، حتى حصل في صورة أبي مسلم الخراساني المقدم ذكره، ثم زعم أنه انتقل إليه منه، فقبل قوم دعواه وعبدوه، وقاتلوا

دونه مع ما عاينوا من عظيم إدعائه وقبح صورته، لأنه كان مشوه الخلق، أعور الكن قصيراً، وكان لا يسفر عن وجهه، بل اتخذ وجهاً من ذهب فتقنع به، فلذلك قيل له المقنع، وإنما غلب على عقولهم بالتمويهات التي أظهرها لهم بالسحر والنيرجات، وكان في جملة ما أظهر لهم صورة قمر، يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين من موضعه ثم يغيب، فعظم اعتقادهم فيه، وقد ذكر أبو العلاء المعري هذا القمر في قوله:

أفق إنما البدر المقنع رأسه ضلال وغي مثل بدر المقنع
وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة، وإليه أشار أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك الشاعر الآتي ذكره في جملة قصيدة طويلة بقوله:

إليك فما بدر المقنع طالعاً بأسحر من الحاظ بدر المعمم
ولما اشتهر أمر المقنع وانتشر ذكره، ثار عليه الناس وقصدوه في قلعته التي كان اعتصم بها وحاصروه، فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وسقاهن سماً فمتن منه، ثم تناول شربة من ذلك السم فمات، ودخل المسلمون قلعتهم فقتلوا من فيها من أشياعه وأتباعه، وذلك في سنة ثلاث وستين ومئة، لعنه الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان))^(١).

وما القمر الذي أظهره لهؤلاء الهمج الرعاع، يظهر ثم يغيب، من ضمن التلاعب ببعض الأمور كما ذكرها الشيخ محمد باقر المجلسي رضوان الله عليه قال: ((وأما القمر الذي أطلعه المعروف بالمقنع، فإنه ليس بأمر خارق للعادة، وإنما هو إجراء عين من العيون التي تتبع في الجبال في ذلك الموضع، متى كانت الشمس في برج الثور والجوزاء، سامت تلك العين، انعكس فيها الشعاع إلى الجو، وهناك تكثر الأبخرة في الحر، وتتراكم وتتكاثر فيركد الشعاع الذي انعكس من العين فيها، فيرى

(١) البحار للشيخ المجلسي ٨٩ / ١٤٩ - ١٥٢، الأعلام لخير الدين الزركلي ٤ / ٣٣٥، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦ / ٣٨ - ٣٩، وفيات الأعيان وأبناء الزمان لابن خلكان ٣ / ٢٦٣ - ٢٦٤، الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ٣ / ٢٠٥ - ٢٠٦.

إلى الناس صورة القمر، وعلى هذا لما طمست تلك العين، فسد ما فعله المقنع، وقد عثر على ذلك وأطلع، وكل من أطلع على ذلك الوقت، وأنفق المال وأتعب الفكر فيه، أمكنه أن يطلع مثل ما أطلعه المقنع^(١).

فأغلب الناس من الصنف الثالث الذي قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام لكميل: ((الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعا، أتباع كل نفاق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق))^(٢).
والموجود في كل النسخ المطبوعة لهذا الكتاب المستطاب ((أصول العقائد)) بدل ((المقنع)) ((ابن المقفع)) لتشابه الحروف والنطق بين الاسمين.

ابن المقفع

فابن المقفع هو المعروف اسمه ((أبو محمد عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور، كان ابن المقفع من أبناء الفرس، وأصل أهله من خوز، ولد حوالي سنة ١٠٦ ونشأ بالبصرة وكان والده مجوسياً، وبقي ابن المقفع على دين المجوسية أكثر عمره، وكان يسمى روزبه، ويكنى أبا عمرو، ثم أسلم في كهولته على يد عيسى بن عبد الله بن عباس، وسمي عبد الله وكني أبا محمد، ولم يكن مسلماً صادقاً بل كان يبطن المجوسية، وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي، مضطلعاً باللغتين فصيحاً بهما، وفي أخبار الحكماء: عبد الله بن المقفع كان فاضلاً كاملاً، وهو أول من اعتنى في الملة الإسلامية بترجمة الكتب المنطقية لأبي جعفر المنصور، وهو فارسي النسب، ألفاظه حكيمة ومقاصده من الخلل سليمة، ترجم كتب أرسطاطاليس المنطقية الثلاث... وترجم الكتاب الهندي، المعروف بكتاب كليلة ودمنة، وله تأليف حسنة منها رسالة في الأدب والسياسة، ورسالته المعروفة باليتيمة في طاعة السلطان، قيل إن ابن المقفع استأذن يوماً على سفيان (متولي البصرة) فأخر إذنه حتى

(١) البحار للشيخ المجلسي ٨٩ / ١٤٩ - ١٥٠.

(٢) نهج البلاغة ٤ / ٣٦، الخصال للشيخ محمد الصدوق ١٨٦، تحف العقول لابن شعبة الحراني

خرج من كان عنده، ثم أذن له فدخل، فعدل به إلى حجرة فقتل فيها، وكان المنصور قد كتب إلى سفيان يأمره بقتله^(١) ووقع هذا السهو من كلمة المقنع إلى كلمة ابن المقنع في النسخ من النسخة الأولى، ثم توالت النسخ ضبطاً على النسخة الأولى فتكرر الاشتباه في كل النسخ، فبحمد الله تعالى وفقنا لرفع الاشتباه من النساخ.

فذكر المؤلف رضوان الله عليه المقنع الخراساني المدعي الربوبية، مع العلم أن المؤلف في صدد مدعي النبوة لأمر هي:

الأمر الأول:

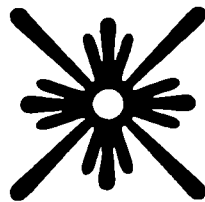
أن كلاً من مدعي الربوبية والنبوة يشتركان في إظهار خوارق العادة، ومدعي الربوبية منها.

الأمر الثاني:

إن المقنع على عجيب ما أتى به من تصوير قمر على الناس، إلا أنه مات أخس موته وهي بالسم وهو محاصر، ومدعي الربوبية لا يكون ضعيفاً ذليلاً.

الأمر الثالث:

أن المقنع ظهر منه ما يخالف وصف الرب عزَّ وجلَّ بالوصف اللائق، وهو جعل نفسه إله من دون الله عزَّ وجلَّ ولم يدرء عن نفسه ولا عن غيره الموت، وهذا أبين بيان على كذبه وادعائه.



فالضابط في الصدق والكذب مجموع الأمور المذكورة، فإن ادعى النبوة، ونزه الله سبحانه عن النقايس، ووصفه بالكمالات اللائقة بتوحيده وتفريده، وظهرت منه خوارق العادات، ومع ذلك كان كاذباً، وجب على الله سبحانه من باب اللطف أن يظهر كذبه على جميع الخلق، وإلا لزم الإغراء بالباطل والضلال وهو محال على الله سبحانه، فإذا لم يظهر كذبه وبطلان قوله بوجه، قطعنا بأنه نبي ومرسول من جانب الله عز وجل، ووجب علينا الإقرار بنبوته ورسالته ❀.

❀ الضابط في صدق النبوة

أن الضابط في صدق دعوى النبي ﷺ، هو مجموع العلامات الثلاث المذكورة وهي: إدعاء النبوة من الله عز وجل، وإظهار المعجز على ذلك، ووصف الله الخالق سبحانه بالوصف اللائق له تعالى.

فضائح المتنبيين

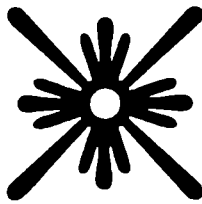
فلو ادعى أحد من الخلق النبوة، مع إظهار المعجز، ووصف الحق تعالى بالوصف اللائق وهو كاذب، وجب على الله تعالى من باب الحكمة واللطف بالعباد، فضحه وتكذيبه وإظهار كذبه عند الناس كما حدث لمسيلمة الكذاب وغيره.

مسيلمة الكذاب

كما ورد في المستطرف ((أن رجلاً ادعى النبوة فأتى به إلى بعض الخلفاء فقال له: ما معجزتك؟، قال: ما شئت، قال: أريد بطيخاً، قال: أمهلني ثلاثة أيام، قال: لا أمهلك، فقال: أعطاك الله الإنصاف، الله سبحانه وتعالى مع كمال قدرته يخلق البطيخ في ثلاثة أشهر، وأنا ما تمهلني ثلاثة أيام، فضحك واستتابه. وأيضاً ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد، فلما مثل بين يديه قال له: ما الدليل على نبوتك؟، قال:

سل ما شئت، قال: أريد أن تجعل هذه المماليك المرد ملحي، قال: كيف يحل لي أن أغير هذه الأشكال الحسنة؟، وإنما أجعل أصحاب اللحي مرداً في ساعة واحدة، فضحك الرشيد وعفا عنه، وادعى في زمن رسول الله النبوة اثنان، أحدهما رجل وهو مسيلمة، والآخرة امرأة وهي سجاح، وورد في الأخبار: أن مسيلمة الكذاب أتى رسول الله ﷺ فأسلم ثم ارتد، ورجع إلى اليمامة، فأفسد بها، وادعى النبوة، وكتب إلى رسول الله ﷺ من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ﷺ أما بعد: فإن الأرض لي ولك نصفان فلا تعتد علينا، وكان أهل اليمامة يأتون مسيلمة بأولادهم ويقولون: إن محمداً يمسح يده على رؤوس صبياننا، فكان كل من يمسح على رأسه يصير أقرع، وأتاه أهل الآبار يشكون قلة مائها، وقالوا إن رسول المدينة يمج الماء من فيه في الآبار ويدعو لها فيطفوا مائها، ففعل مسيلمة فيست الآبار، فقالوا: كيف إذأ؟، قال: إن المعجزة خرق العادة، فلما أن يكون من هذا الطرف أو من ذلك الطرف، ومن مزخرفات مسيلمة: إن الذين يغسلون ثيابهم ولا يجدون ما يلبسون أولئك هم المفلسون))^(١).

لذا قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: ((ألا إن الخير كل الخير، فيمن عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره))^(٢) عرفنا الله تعالى وإياكم سيئات أعمالنا وغفرها لنا بمحمد وآل محمد عليهم السلام.



(١) شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الحائري - ج ١ / ص ٥١ - ٥٢.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي ٢٣٥.

الفصل التاسع

[انبينا ﷺ هو الواسطة بين الله تعالى وبين الخلق]

فظهر مما ذكرنا وتبين واتضح من هذه الصفات الكلية العامة، بأن النبي والرسول عن جانب الله سبحانه والواسطة بينه وبين الخلق، في إيصال الفيوضات الكونية والشرعية هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ﷺ لا غيره.

لأنه ﷺ ادعى النبوة، وظهرت منه المعاجز وخوارق العادات، بنقل متواتر، ولو جاز نعوذ بالله كذب هذا النقل لجاز كذب ساير الناقلين من الأنبياء، إذ بلغ في الكثرة إلى حد يمنع العقل من تواطئهم واجتماعهم على الكذب.

وأعظم معجزاته الباقي إلى الآن بين أيدينا، والموجود عندنا هو القرآن المجيد، الذي هو باقٍ في إعجازه إلى الآن ويبقى إلى يوم القيامة، وعجزت عنه فصحاء العرب وبلغاؤهم من الشعراء والخطباء، مع شيوع الفصاحة والبلاغة بينهم، لاسيما في ذلك الزمان، في المنظوم والمنثور وبذلوا جهدهم، لعلمهم بانهم لو تمكنوا من إتيان سورة أو آية مثله، لأبطلوا نبوته فما تيسر لهم، وما تمكنوا من إطفاء ذلك النور وإبطال كلمة

الحق، حتى حاربوه ﷺ وأراقوا دماء أنفسهم بأيديهم، وابتلوا بذل الأسر، وتحملوا الذل والعار، وأعطوا الجزية والخراج ذليلين صاغرين.

فلو كانوا تمكنوا بإعانة الجن أيضاً مع تمام فصاحتهم وبلاغتهم، من إتيان سورة أو آية لما احتاجوا، وما قدموا إلى هذه المحاربات العظيمة، وتلف الأنفس والأسر، وإعطاء الفداء والجزية مع الذلة والصفار، وتحمل العار إلى آخر الدهر.

إن القرآن العظيم مركب من الحروف الهجائية، التي عندهم سبحان من أنزله ورتبه في أسلوب، ليس كأسلوب النظم ولا النثر ولا الخطبة بل هو جامع لجميع المقامات، والأوزان الشعرية، وطريقة الرسم وإنشاء الخطب، وجميع اللغات والنكات، والعلوم الظاهرية والأسرار الباطنية، والحقائق الإلهية والدقائق الوجودية، وأحكام المبدء والمعاد وسائر الأحوال، التي بنان البيان عن بيانها عاجز قاصر والعقل في ادراكها حائر حاسر، مع اجتماع بعضه على كل ما هو جامع، ودلالة حرفه على ماتدل عليه الكلمة، وسائر الأحوال التي ليست في قدرة الإنسان.

ولا طاقة البشر، بل ليس بمقدور أحد من المخلوقات، إذ هذا المعجز العظيم كصنعة الإنسان، فمن قدر على خلق الإنسان قدر على إتيان مثل القرآن، فالآن ألف ومائة سنة مضت من نزوله إلى الآن مع كثرة منكري نبوة صاحبه، الذين هم دائماً في صدد قرح هذا الدين المبين، والملة البيضاء، وقلة المقرين به وضعفهم ظاهراً، لم يتمكنوا من إتيان مثله بسورة أو آية قصيرة.

ومحال على الله سبحانه أن يجعل الخلق في حيرة وضلالة مع اشتغال

القرآن بتوصيف الله سبحانه بصفات الجلال والجمال، بحيث إن العقل المستقيم يقطع بحقيقة وبطلان توصيف الله بغير هذه الصفات ❁.

❁ القرآن أعظم المعاجز

تقدم الكلام أن النبي هو الواسطة بين الله عزَّ وجلَّ وبين الخلق، وأن أفضل الأنبياء والمرسلين هو نبينا محمد ﷺ حيث إنه ادعى النبوة، وأظهر المعجز، ووصف الله تعالى بالوصف اللائق، بنقل متواتر من جيل إلى جيل إلى وقتنا الحالي، فلو كان النقل غير صحيح لوجب على الله تعالى إظهار الحق للغير، إذ الناقلون بادعاء النبي ﷺ من جيل إلى جيل في الكثرة يمنع تواطؤهم على كذب والعياذ بالله تعالى، وأعظم آية تركها النبي ﷺ للأمة إلى أن تقوم الساعة الكتاب والعترة الطاهرة ﷺ، فأما العترة هم علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومون من ذرية الإمام الحسين ﷺ فحدث ولا حرج أنها الثقل والعدل الثاني للكتاب الكريم.

وأما الكتاب القرآن الكريم فيه ما كان وما يكون وما هو كان إلى أن تقوم الساعة، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١).

قال آية الله المعظم الميرزا عبد الله الإحقاقي حفظه الله تعالى ((إن حديث الثقلين هو وصية رسول الله للأمة إلى أن تقوم الساعة)).

هذا مع أن ألفاظه اللغوية، وتركيباته البلاغية في حد ذاتها معجزة، لذا الحق تعالى لم يتحد الخلق بإظهار علوم القرآن اللامتناهية، بل تحداهم بأقل القليل من القرآن وهو الكثير، وهو ألفاظه وتركيباته الإلهية، حيث يأتون ولو بآية واحد تشابه القرآن الكريم.

هذا مع فصاحتهم وبلاغتهم، حيث لا يوجد في زمن من الأزمان أبلغ وأفصح من العرب العرباء فيما قبل الإسلام، فمن جاس خلال تلك الديار علم ما نقول من

فصاحة العرب وبلاغتهم وليس هنا محل ذكر التفاصيل في هذا الجانب .

لذا قال تعالى متحدياً الخلق أجمع بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (٨٨) (١) .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَبْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَظَعْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٨) (٢) .

بل تحداهم الجليل عزَّ وجلَّ أن يأتوا بآية واحد مثل القرآن كقوله تعالى ﴿ مُدْهَامَتَانِ ﴾ (٦٤) (٣) فقط ، فلم ولن يستطيعوا أبداً ، لذا نقل الإمام الطبرسي في احتجاجه ((أن ابن أبي العوجا ، وأبو شاعر الديصاني ، وابن المقفع ، وعبد الملك البصري اجتمعوا عند البيت ، يهزؤون بالحاج ويطعنون بالقرآن ، وعينوا لكل واحد منهم ربعاً من القرآن أن ينقضه ، ويجتمعون في القابل وقد نقضوه كله ، فلما اجتمعوا في القابل ، قال ابن أبي العوجا : أما أنا فمئذ افترقنا ، فمتفكر في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ (٤) فلم أقدر أضم إليها من فصاحتها مثلها فشغلتنني عما سواه ، وقال عبد الملك : وأما أنا فمتفكر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ (٥) وقال أبو شاعر : وأما أنا فمتفكر في قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٦) وقال ابن المقفع ، وإني مفتكر في قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَنَسَمَاءَ أَقْلِي ﴾ (٧) الآية ، لم أبلغ غاية المعرفة بها ، ولم أقدر على الاتيان بمثلها ، قال هشام : فبينما هم كذلك إذ مر بهم الصادق عليه السلام فقراً :

(١) سورة الإسراء آية (٨٨) .

(٢) سورة يونس آية (٣٨) .

(٣) سورة الرحمن آية (٦٤) .

(٤) سورة يوسف آية (٨٠) .

(٥) سورة الحج آية (٧٣) .

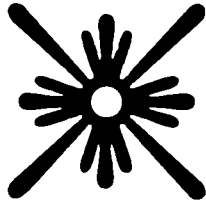
(٦) سورة الأنبياء ، آية (٢٢) .

(٧) سورة هود آية (٤٤) .

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨٨) (١) (٢).

وغير وغير من معاجز القرآن الكريم إلى الآن بل إلى أن تقوم الساعة، لا يستطيع ولن يستطيع أحد من الخلق أن يأتي ولو بآية واحدة منه، هذا على مستوى اللفظ والسبابة، فكيف على مستوى المعنى والمعرفة والعلم.

لذا قال المؤلف: إن صعوبة الاتيان بآية مثل صعوبة خلق إنسان كامل المشاعر والقوى الباطنية والظاهرية وهذا مستحيل، فكذلك الاتيان بآية أيضاً مستحيل، فالقرآن هو المعجز الباقي من بين معاجز الأنبياء السابقين ﷺ إلى يوم القيامة.



(١) سورة الإسراء آية (٨٨).

(٢) الصراط المستقيم - علي بن يونس العاملي - ١ / ٤٢ - ٤٣.

الفصل العاشر

[النبي محمد ﷺ مبعوث إلى جميع ما سوى الله سبحانه]

بعد ما علمت أن النبي والمرسول من جانب الله سبحانه الآن هو نبينا محمد بن عبد الله ﷺ، فاعلم أنه ﷺ مبعوث على كافة الخلق، وعامة الموجودات من الإنس والجن، والملائكة والحيوان، والبهائم والحشرات والنباتات والجماد، وسائر الخلق في الارضين والسموات، بشهادة القرآن النازل إليه من الملك المنان: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(١) وقال تعالى أيضا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٢).

والعالمين جمع محلي بالألف واللام مفيد للعموم، وجامع جميع أفراد العالم، يعني جميع ما سوى الله سبحانه، وأن غير الإنس والجن، من سائر الحيوانات والطيور، وحشرات الأرض، بل النباتات والجمادات أيضاً مكلفون كما هو صريح القرآن المجيد ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

(١) سورة سبأ آية (٢٨).

(٢) سورة الفرقان آية (١).

يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾^(١) وقال أيضا: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٢) وقال أيضا في شعور وتكليف الجمادات والنباتات: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٣).

ولا شك أن تكليف ما ليس له شعور وإدراك قبيح، وصدوره عن الحكيم المطلق محال، فثبت أن جميع الذرات الوجودية مكلفون، وأن نبينا مبعوث من جانب الله إليهم بنص الآيتين السابقتين، وسلطان على كل ما سوى الله سبحانه.

وجميع الموجودات من الذرة إلى الذرة كلاً وطراً تابعة، ورعية وأمة له ﷺ، وتحت حكمه وحيطة تصرفه واقتداره، وليس لأحد سواه أن يكون متبوعاً ورئيساً وسلطاناً أبداً، مع وجوده في العالمين ❀.

❀ نبوة النبي ﷺ عامة

أنه مما أجمع عليه المسلمون قاطبة أن نبينا محمداً ﷺ هو نبي ورسول إلى جميع الخلائق، أي جميع ما سوى الله تعالى من عالم الغيب والشهادة، من الأولين والآخرين، حتى أنه لو حضر الأنبياء السابقون من لدن آدم إلى نبي الله عيسى بن مريم مع أوصيائهم ﷺ في زمنه المبارك لأصبحوا من أمته ورعيته ولهم الشرف في ذلك.

وليس نبينا محمد ﷺ هو نبي على الإنس والجن فحسب، بل هو نبي على جميع ما سوى الله تعالى، وكل شيء من خلق الله سبحانه، فكما أن الجليل عز وجل هو رب العالمين كذلك رسوله محمد ﷺ نبي العالمين.

(١) سورة الأنعام آية (٣٨).

(٢) سورة فاطر آية (٢٤).

(٣) سورة الأحزاب آية (٧٢).

من لا يكلف لا يوجد

مما تقدم في البحوث السابقة، أن كل شيء يدخل دائرة الكون، لا بد له من تكليف شرعي وجودي، ووجود شرعي وإلا لا يوجد.

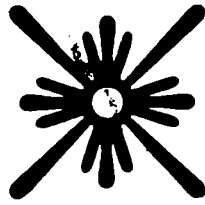
والتكليف من مستلزمات الاختيار، وبدونه يكون الجبر، والله عز وجل هو العادل المختار لا يجبر أحداً في تكوين ولا تشريع أبداً، قال في اختيار الكائنات وجودهم ﴿بَلْ أَلَيْنَتْهُمْ بَدِئَتُهُمْ﴾^(١) أي بطلبهم الوجود.

وقال في اختيارهم التشريع: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٢).

فلو كانت الجمادات والحيوانات كما يزعم البعض ليس لها شعور، لأصبح التكليف في حقهم عبثاً، والله عز وجل هو الحكيم لا يفعل العبث.

فليس ولاية على ولاية رسول الله ﷺ إلا الله عز وجل، ثم بعده وصيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، علي بن أبي طالب والصديقة فاطمة الزهراء والأئمة المعصومون من ذريتهما ﷺ.

لذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣) فالولي الذي لا ولي عليه هو الله عز وجل ثم لرسوله ثم لأهل بيته ﷺ.



(١) سورة المؤمنون آية (٧١).
(٢) سورة الإنسان آية (٣).
(٣) سورة المائدة آية (٥٥).

الفصل الحادي عشر

[شريعة نبينا محمد ﷺ إلى يوم القيامة]

شريعة نبينا ﷺ مستمرة ودائمة الى يوم القيامة، وليس لشريعته ناسخ، ولا بعده نبي قال الله تعالى في كلامه الحميد المجيد: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَرَ النَّبِيِّينَ﴾^(١) فنبوته ختمت النبوة، وهو النبي أبد الأبدين لاغيره، ولا يكون غيره أبداً، وحكمه لا ينقطع ولا يضمحل إلى يوم القيامة، وشريعته ﷺ هي السادسة من الشرايع المؤسسة، وتلك الشرايع ليست بأزيد من الستة:

(أولها) شريعة آدم ﷺ كما هو مبدء النسل.

(وثانيها) شريعة نوح وهي نسخت شريعة آدم ﷺ، وهو أسس شريعة خاصة من الله سبحانه.

(ثالثها) شريعة إبراهيم نسخت شريعة نوح.

(رابعها) شريعة موسى نسخت شريعة ابراهيم.

(خامسها) شريعة عيسى نسخت شريعة موسى.

(١) سورة الأحزاب آية (٤٠).

(سادسها) شريعة نبينا محمد بن عبد الله ﷺ نسخت ما قبلها .

وباقى الأنبياء كلاً وطراً كانوا يعملون بهذه الشرايع ، ويوصي إليهم طبق شريعته من هذه الشرايع ، وأما علة الانحصار في هذه الستة :

فأعلم أنا قد أثبتنا في سائر رسائلنا وأجوبة مسائلنا ، بالبراهين القطعية من العقلية والنقلية ، أن عالم التكوين وعالم التشريع في حكم واحد ، وكل واحد طبق الآخر ، بل عالم التشريع روح عالم التكوين ، وعالم تكوين وجود الإنسان لا يتم إلا بعد أطوار ستة ، طور النطفة ، وطور العلقة ، وطور المضغة ، وطور العظام ، وطور اكتساء اللحم ، وطور ولوج الروح .

ومعلوم أن المراتب الخمس مقدمات لولوج الروح ، والمقصود بالذات هو الروح ، فإذا ظهرت بقي حكمها ولا يزول أبداً ، بل دائماً في الترقى والتزايد إلى حين الموت ، فعند ذلك تتوجه إلى عالمها ، ويبقى الجسم في قبره .

بخلاف حكم النطفة ، فتقلب عند كونها وصورورها علقة ، وكذا حكم العلقة عند كونها مضغة ، والمضغة عند كونها عظاما ، فيرتفع وينقلب ، وأما الروح فحكمها مستمر إذا ظهرت ولا تنقلب أبداً ، نعم تاخذ في الزيادة والنقصان ، والتغيير والتبديل ، إلى أن يبلغ الإنسان أربعين سنة ، فهناك غاية كمالها .

وشريعة نبينا محمد بن عبد الله ﷺ لما كانت سادسة ، وواقعة في المرتبة السادسة ، كانت روح الشرائع ، وكانت ساير الشرائع والأنبياء كلها مقدمات لظهور كامل نور هذا الرسول ، فنور نبوته دائماً في ازدياد بلا ارتياب ، وشمس ملك سلطته ليس لها أفول واضطراب ❁ .

❁ شريعة النبي ﷺ روح الشرائع

مما أجمع عليه المسلمون قاطبة أن نبينا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء

والمرسلين، فلا نبي بعده أبداً إلى زوال العالم قيام القيامة، وأن شريعته هي الشريعة السادسة والأخيرة إلى يوم القيامة، أما شرائع الأنبياء السابقين فكل شريعة تالية تنسخ الشريعة السابقة.

فشريعة نوح نسخت شريعة آدم، وشريعة إبراهيم نسخت شريعة نوح، وهكذا إلى شريعة عيسى نسخت جميع الشرائع التي قبلها صلى الله عليهم جميعاً، أما نبينا محمد ﷺ فشريعته ودينه نسخ جميع الشرائع والأديان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيكَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

فأصحاب الشرائع ست، أولهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ وﷺ.

وكل نبي من الأنبياء يأتي بعد صاحب الشريعة يعمل بشريعته، إلى أن يأتي صاحب شريعة آخر من الخمسة فتسخ شريعته الشريعة السابقة.

وذلك مثل نبي الله لوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل يتعبدون بشريعة نبي الله إبراهيم الخليل ﷺ وعلى نبينا وآله السلام، إلى أن يأتي صاحب شريعة آخر، فيتعبدون بالآخر ﷺ إلى أن أتى رسول الله محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبوة بعده ولا شريعة بعد شريعته.

دليل بالحكمة على الشرائع الست

هنا المؤلف أعلى الله مقامه أتى بدليل الحكمة، على تعدد الشرائع الست، وقبل البدء نقدم مقدمة وهي:

إن التكوين طبق التشريع في كل شيء، والعالم كله إنسان واحد وهو محمد وآل محمد ﷺ وغيرهم آثارهم وصنائعهم، كما عن الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه وسهل مخرجه وأرواحنا فداه حيث قال: ((نحن صنائع ربنا،

(١) سورة آل عمران آية (١٩).

والخلق بعد صنائعنا))^(١) .

لذا قال الجليل جلّ جلاله لحبيبه محمد ﷺ بعد ما قال له أدبر فأدبر، وبإدباره خلقت الموجودات أجمع، ثم قال له أقبل إليّ فلما أقبل خاطبه الحق عزّ وجلّ بأن ينظر إلى آثاره وصنعه بأمر الله تعالى ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُنْحَى الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) .

المراد من الأرض هي أرض قابليات الخلائق أجمع، حيث بنوره ﷺ ونور وصيه أمير المؤمنين صلى الله عليهما وآلهما الطيبين الطاهرين وجدت الموجودات، فالمادة من رسول الله ﷺ، والصورة من نور أمير المؤمنين ﷺ .

لذا قال ﷺ: ((يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة))^(٣) معنى أبوي هذه الأمة، أي كما أن الأبوين سبب في إيجاد الولد، كذلك أنا وأنت يا علي سبب في إيجاد هذه الأمة، والمراد من الأمة هم جميع ما سوى الله تعالى، لأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع، والأمم كلها أمته ﷺ .

أصل البحث

فكما أن وجود الإنسان التكويني يحتاج إلى مراحل ست، خمسة أطوار مقدمات وهي:

١ . النطفة .

٢ . العلقة .

٣ . المضغة .

٤ . العظام .

(١) الغيبة للشيخ الطوسي ٢٨٥ - ٢٨٧، البحار ٥٣ / ١٨٧، الأنوار البهية للشيخ عباس القمي ٣٥٣ .

(٢) سورة الروم، آية (٥٠) .

(٣) الأمالي للشيخ محمد الصدوق ٧٥٥ .

٥ . كسو العظام لحما .

٦ . هو روح الأطوار الخمسة وهو إنشاء خلق تام كامل بولوج روح الإنسانية .
فكذلك في التشريع لكونه طبق التكوين لهذا الإنسان، فله ست مراحل في كمال دورته التشريعية ونضجها، من شريعة آدم إلى نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى شريعة عيسى على نبينا وآله وعلينا، كلها الخمس مقدمات لولوج روح الشريعة وهي شريعة نبينا محمد ﷺ .

فلما جاءت شريعة نبينا محمد ﷺ كملت الشرائع وتمت، حيث لا تمام على تماميتها، كما إنه لا تمام لخلق الإنسان بعد ولوج الروح فيه، فليس للإنسان روح أخرى غير روحه، لذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١) .

فكل شريعة سابقة إذا جاءت شريعة لاحقة تنسخها، إلا شريعة نبينا ﷺ، فهي باقية لا تزول ولا تفتنى كحكم الروح، فإنها لا تزول ولا تفتنى أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل دائماً تترقى حتى تصل إلى سن الكمال، وهو أربعون سنة كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾^(٢) .

فبعد هذا السن تترقى الروح إلى ما لا نهاية في معرفة ربها وخالقها، فلا تموت ولا تفتنى ولا تتغير ولا تتبدل، بخلاف العلقة والمضغة والعظام، فإنها تتغير وتتبدل من حال إلى حال، فالنطفة تتغير وتتبدل إلى علقة، والعلقة إلى مضغة وهكذا .

أما الروح فلا يمكن تغييرها من حال إلى حال، أي لا يمكن أن تتغير روح جاسم إلى روح عبد الله مثلاً، بل روحه واحدة لا تتغير ولا تتبدل إما إلى النعيم أو الجحيم العياذ بالله .

(١) سورة آل عمران آية (١٩) .

(٢) سورة الأحقاف آية (١٥) .

الفصل الثاني عشر [نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين]

اعلم أنه لما كان الخلق في الدنيا وقتئذ في سلسلة الصعود ❁.

❁ الفاتح هو الخاتم

تبين مما تقدم أن محمداً وآل محمد ﷺ، ورئيسهم رسول الله ﷺ هو الفاتح للوجود، لكونه أول مخلوق خلقه الله تعالى، كما في رواية جابر بن عبد الله الأنصاري، لما سأله عن أول ما خلق ما هو، قال ﷺ: ((نور نبيك يا جابر، خلقه الله، ثم خلق منه كل خير))^(١) وقال مولانا الإمام علي بن محمد الهادي ﷺ في الزيارة الجامعة الكبيرة: ((بكم فتح الله وبكم يختم))^(٢).

ومعنى بكم فتح الله، أي بكم خلقت الموجودات في عالم التقييد من العقل إلى ما تحت الثرى بإدباركم لما قال للعقل أدبر، وهذا ما يسمى بقوس النزول.

فالنبي ﷺ هو أول فاتح في قوس النزول، بمعنى أنه الأفضل، لكونه أول مخلوق وأقرب مخلوق وأفضل موجود مطلقاً، لذلك كان فاتحاً للوجود.

ولما كان الختم أفضل من الفتح، لأن الأعمال بخواتيمها، لأنه قد يكون أحد

(١) البحار للشيخ المجلسي ١٥ / ٢٤.

(٢) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.

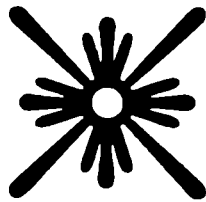
في بداية حياته فاضلاً، ولكنه في آخر حياته يكون شيطاناً كإبليس لعنه الله تعالى وبلعم بن باعورا وغيرهما، وعلى ذلك الخاتم أفضل من الفاتح، وإن كان الفاتح فاضلاً، إلا أن الخاتم أفضل منه، لأن الأمور بخواتيمها كما ذكرنا، فلما كان الخاتم الأفضل مطلقاً في الخير مطلقاً، وجب أن يكون الخاتم هو الفاتح على فرضية أن الفاتح هو أفضل الكل في الكل، وإلا لما كان فاتحاً.

فإذا تقرر أن الفاتح هو الأفضل على جميع ما سواه مطلقاً، وجب أن يكون الخاتم هو نفس الفاتح وإلا لزم أحد أمرين هما:

الأمر الأول: الترجيح بلا مرجح

وهو كون اختيار أحد من الخلق يكون خاتماً بلا مرجح وسبب، لأنه لو كان أحد من الخلق خاتماً غير الفاتح وهو رسول الله ﷺ، لزم كون هذا الواحد من الخلق هو الفاتح، لكون الخاتم الأفضل من الخلق مطلقاً وهذا خلف.

لعدم وجود مخلوق أفضل من رسول الله ﷺ فعلى بطلان قاعدة الترجيح بلا مرجح يلزم كون الخاتم هو نفس الفاتح، لأن الخاتم هو الأفضل من الخلق مطلقاً، بيد أنه لا يوجد أفضل من الفاتح وهو رسول الله ﷺ.



كان الخاتم في سلسلة العود أشرف مما سوى نفسه ❁.

❁ الأمر الثاني: الطفرة الباطلة

أي إذا لم يكن الخاتم هو الفاتح الأفضل كما ذكرنا، يلزم أن يكون الخاتم غيره، وإذا كان غيره يلزم إعطاؤه فضيلة الخاتمية بلا سبب وبلا علة، كوجود شعاع بلا شمس، أو حرارة بلا نار، وهذه طفرة باطلة، لأن العالم عالم أسباب ومسببات، ولا يمكن حدوث شيء بلا سبب، وهذا معنى الطفرة الباطلة.

إذن لما كان رسول الله ﷺ هو الفاتح، لكونه الأفضل على جميع ما سواه، وجب أن يكون هو الخاتم، لأن الخاتم أفضل من الفاتح، وحيث إنه لا يوجد أفضل من الرسول ﷺ، وإلا لكان فاتحاً، ولما لم يوجد في الفتح أفضل منه، وجب أن يكون هو الخاتم لأنه ﷺ هو الأفضل مطلقاً.

قوس النزول

إن كل مخلوق خلقه الله تعالى له نزول من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، فينزل من عالم العقول إلى الأرواح إلى النفوس إلى الطبيعة إلى المثال إلى الجسم، إلى العرش محدّد الجهات، إلى الكرسي إلى السبع السماوات، زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد، إلى أن يصل إلى الأرض، ثم يتحول إلى النبات ثم يأكله الإنسان، ثم يتحول بتصريف الغذاء إلى مني يمنى، ثم يقذف في الرحم، ثم تحله الروح النباتية فتربيه كما تربي النبات، إلى أن يصل إلى أربعة أشهر، بعدها تحله الروح الحيوانية، حينذاك نجد الجنين يتحرك في بطن أمه، إلى أن يبلغ تسعة أشهر، وعند الولادة تحله الروح الإنسانية، فقوس النزول هو قول البارئ عزّ وجلّ للمكلف الجزئي أدبر.

أما المدّان الكلي الأولي الحقيقي المعني بالخطاب، فهو رسول الله ﷺ، فهو أول فاتح وأول مدبر أي موجود إلى ما سواه، فهذا قوس النزول.

قوس الصعود

أي إن المكلف إذا نزل إلى الأرض يكلف بخطاب أقبل إليّ ؛ فأول إقباله وصعوده من رتبة الجماد وذلك حينما ينزل يصل إلى رتبة الجماد، أي تلقي النطفة الغيبة في الأرض أي التراب وهي رتبة الجماد، ثم تتحول إلى النبات على طريق إمتصاص النبات من الأرض، إلى أن يتحول إلى مني عن طريق الأكل، ثم يلقي في الرحم، فتحله الروح النباتية فينمو بعدما كان جماداً، فيبدأ في الصعود من حالة الجماد إلى حالة النبات، فينمو في رحم الأم إلى أربعة أشهر، فإذا وصل أربعة أشهر في رحم الأم تحله الروح الحيوانية، فيبدأ بالحركة ويتحرك فيصعد من رتبة النبات إلى رتبة الحيوان، إلى أن يبلغ تسعة أشهر في رحم الأم، وعند الولادة تحله الروح الإنسانية، فيصعد من رتبة الحيوان إلى رتبة الإنسان، فيصبح إنساناً كامل الأعضاء مستقيم القامة، فيكبر إلى أن يصل إلى رتبة البلوغ وكمال العقل، فيكلف بالتكاليف الشرعية، فيترقى ويصعد بالتكاليف الشرعية إلى أن يصل إلى رتبة اليقين، قال تعالى:

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) (١).

وهي معرفة النفس أي نفسه الناطقة، كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) (٢) فإذا وصل إلى معرفة النفس، فقد أكمل قوس الصعود، وقوس الختم، وقوس العود، فالقوس الذي بدأ منه يعود إليه، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (٣) أي ترجعون وتصعدون نفس الطريق، والقوس الذي نزلتم منه .

فقوس العود والصعود يختلف باختلاف درجات المكلفين، في القوة والضعف من جهة الإيمان وعدمه، فالمؤمن يصعد إلى ما منه بدأ إلى عليين، والكافر يصعد إلى ما منه بدأ إلى سجين .

أي أن رسول الله ﷺ مع أهل بيته عليهم السلام هم أول الواصلين إلى ربهم، وأول

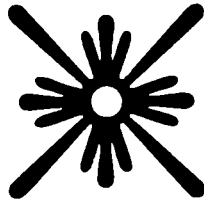
(١) سورة الحجر آية (٩٩) .

(٢) الجواهر السنية للحر العاملي ١١٦، البحار للشيخ المجلسي ٥٨ / ٩٩ .

(٣) سورة الأعراف آية (٢٩) .

القاطعين قوس وسلسلة الصعود والعود، لأنهم الأعراف والأعبد والأتقى والأورع والأعلم والأعمل والأسبق إلى كل فضيلة، والأسرع إلى كل طاعة من غيره.

قول المؤلف ((مما سوى نفسه)) أي نفسه المباركة ﷺ أشرف مما سواها في الوصول إلى حقيقتها ومعرفة ربها.



إذ هو أقرب إلى الله من غير نفسه، ولو كان غيره أقرب إلى الله منه لكان خاتماً، فبحكم بطلان الطفرة ❁.

لا بد أن يكون ذلك الخاتم في سلسلة النزول، فاتحاً في سلسلة الصعود، ومبدء الوجود، وأصل كل موجود ❁❁.

❁ نفس النبي ﷺ أفضل الكائنات

أي لو فرض أن غير نفس النبي ﷺ وحقيقته الطاهرة، هي الأقرب والأفضل من غيرها من النفوس والحقائق، أي لو كان غيره أفضل منه، لكان خاتماً، بيد أنه لا يوجد أفضل منه ﷺ مع أهل بيته الطاهرين ﷺ.

وفلو كان غيره خاتماً لزم الترجيح بلا مرجح والظفر الباطلة، بأن يكون الخاتم غيره، وهذا الخاتم على الفرض ليس بأفضل، وهذا معنى الترجيح بلا مرجح والظفر الباطلة، من كون تقدم شيء على شيء بلا سبب كما ذكر من قبل قليل.

❁❁ أي ذكرنا أن الفاتح يجب أن يكون هو الأفضل مطلقاً، والخاتم في الصعود أي الخاتم للدورة الكونية إلى مقام قاب قوسين أو أدنى أفضل من الفاتح، ولما لم يكن هناك أفضل من رسول الله ﷺ وجب أن يكون هو الخاتم لكل كمال في التكوين والتشريع، ومن الكمال النبوة فهو خاتمهم كما كان هو فاتحهم صلى الله عليهم جميعاً.

فمبدأ كل وجود بل كل موجود، لبس حلة الوجود هو وأهل بيته الطاهرون ﷺ كما قال الإمام علي الهادي ﷺ ((بكم فتح الله وبكم يختم))^(١).

فكل شيء الفاتح له والخاتم له، إما إلى النعيم أو إلى الجحيم، هو محمد وآل محمد عليهم آلاف التحية والثناء رزقنا الله شفاعتهم في الدنيا والآخرة، وزادنا في محبتهم وثبتنا على ولايتهم والبراءة من أعدائهم آمين آمين.

فلما ختمت النبوة بوجوده ﷺ، فلا بد أن يكون أفضل وأشرف وأكمل الأنبياء والمرسلين والخلق أجمعين، وتكون شريعته ناسخة لجميع الشرائع، وملته كذلك بالنسبة لكل الملل ● .

إذ في صورة تساويه مع غيره، تكون خاتمته بدون مع مساويه ترجيحاً بلا مرجح ●● .

● الخاتم أفضل الكل في الكل

تقدم الكلام أن نبينا محمداً ﷺ هو الخاتم، والخاتم أفضل من الفاتح فحصل ﷺ جماع الكمالين الفتح والختم معاً .

وذكرنا أن الفاتح هو الأفضل مطلقاً، وإذا كان الأفضل مطلقاً، وجب أن يكون أفضل وأشرف وأكمل الأنبياء مطلقاً، حيث إن الأنبياء ﷺ هم أفضل الموجودات وهو أفضلهم، كما تقدم في الرواية السابقة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لما سأله أنت أفضل أم جبرائيل، قال ﷺ: ((يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك))^(١) وإذا كان هو أفضل الأنبياء والمرسلين، وجب أن تكون شريعته الختمية، لأنها هي روح الشرائع كلها ناسخة لجميع الشرائع.

●● لا مساوي لرسول الله ﷺ في الوجود

تضافرت الروايات من العامة والخاصة، على أن رسول الله ﷺ لا مساوي له في الوجود والفضل والكرامة إلا ابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ،

(١) علل الشرائع للشيخ محمد الصدوق ١ / ٥، عيون أخبار الرضا ﷺ للشيخ الصدوق ٢ / ٢٣٧، حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني ١ / ١٠، البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ١٨ / ٣٤٥.

لأنه ﷺ نفس رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(١) إلا النبوة أي أمير المؤمنين هو نفس رسول الله ﷺ إلا النبوة، كما في حديث المنزلة الذي رواه العامة والخاصة عن النبي ﷺ لعلي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))^(٢) والمساوي لرسول الله بعد أمير المؤمنين ﷺ هي بنت رسول الله الصديقة فاطمة الزهراء وأبناؤها الأئمة الأحد عشر آخرهم قائم آل محمد الحجة بن الحسن أرواحنا فداه، فمحمد وآل محمد ﷺ لا يساويهم ويشاكلهم أحد من الموجودات مطلقاً، إلا أن سيدهم رسول الله ﷺ، لذا طينتهم التي خلقوا منها لا يشاركون فيها أحد من الخلق، كما روي في الكافي عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله ﷺ قال: ((إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة، مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نوارنيين، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيب))^(٣).

فلو فرض وجود مخلوق مساوي لرسول الله ﷺ في الفضل والدرجة، لكانت خاتمته مع وجود المساوي ترجيحاً بلا مرجح.

أي لو فرض اثنان أو ثلاثة أو أربعة مساوي رسول الله ﷺ في الفضل والدرجة، للزم خاتمته للرسالة والوجود بلا مرجح وسبب، لوجود غيره المساوي له، وإذا كان كذلك تكون خاتمته ﷺ عبثاً وحاشا لله تعالى فعل العبث.

مثل اختيار الأنبياء ﷺ من الخلق، فلو أن الأنبياء ﷺ مساوون لأممهم في الفضل والدرجة، لأمكن إرسال واختيار أي واحد من الناس نبياً وهذا خلف.

مع إخبار الجليل سبحانه بأنه أعلم بخلقه، من يكون رسولاً نبياً من غيره، بقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٤).

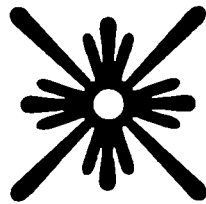
(١) سورة آل عمران آية (٦١).

(٢) رسائل المرتضى للشريف المرتضى ٧٦ / ٤.

(٣) الكافي للشيخ الكليني ١ / ٣٨٩.

(٤) سورة الأنعام آية (١٢٤).

والموجود في المتن اشتباه من النساخ وهو ((إذ في صورة تساويه مع غيره تكون خاتمته بدون مساوية ترجيحاً بلا مرجح)) والأصوب الأوفق بدل (بدون مساويه) - (مع مساويه) فيستقيم المعنى حسب المراد والعبارة الأصوب (إذ في صورة تساويه مع غيره تكون خاتمته مع مساوية ترجيحاً بلا مرجح) والله سبحانه الموفق للصواب.



وفي صورة التعدد تكون محالاً، إذ الخاتم هو المبدء الفاتح، والمبدء أول مظاهر ظهور الحق سبحانه وتعالى، وأول مراتب الوجود، ولا شك أن المبدء للمراتب واحد لا متعدد وإلا لزم تساوي الواحد والكثرة في الشرف وهو محال، مع خلق الكثرة دون الوحدة وهو محال آخر، لاستلزامه ترجيح المرجوح، وتفضيل المفضول، فوجب تقديم الوحدة على الكثرة في مبدء الوجود❀.

❀ الخاتم واحد لا متعدد

تقدم الكلام أنه لا مساوي لرسول الله ﷺ في الرتبة والشرف والفضل، فلو وجد لزم الترجيح بلا مرجح وهو باطل كما تقدم.
وهنا يذكر دليلاً آخر لبطلان وجود المساوي مع النبي ﷺ وهو أنه لو فرض وجود المساوي يلزم تعدد الخاتم أكثر من واحد، إلى اثنين أو ثلاثة أو أربعة، والتعدد للخاتمية محال من وجوده هي:

الوجه الأول

أن الخاتم هو الفاتح للوجود كما ذكر من قبل، وهو المبدأ الأول والشعاع التي اشتعل بزيب الإمكان، وهو المظهر والأثر للحق عز وجل، والمظهر والأثر يشابه صفة مؤثره، فالطرفة تدل على الطارق، والدخان يدل على النار، والنور يدل على المنير، فلا يمكن أن المؤثر طارق والأثر نور، أو المؤثر المنير والأثر طرفة وهكذا.
فلما كان الحق عز وجل واحداً لزم أن يكون مظهره وأثره واحداً، أي فعله واحد، ومفعوله واحد، وهو المصدر أو الحقيقة المحمدية ﷺ وأول صادر منه واحد وهو العقل، وبالعقل وجدت الموجودات أما كون المؤثر واحداً والأثر متعدداً من جهة الأثرية في نفس الأمر، بأن يكون المؤثر طارق بما هو طارق ويصدر عنه مثلاً نور، وكذا لو كان المؤثر نور والأثر طرفة هذا خلف.

الوجه الثاني

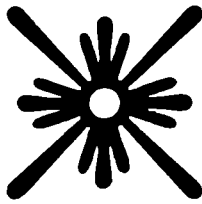
لو فرض تعدد الخاتمين مع التساوي، لزم تساوي الوحدة مع الكثرة في الشرف وهذا محال، إذ الوحدة أشرف من الكثرة، لذا كان الحق واحداً واحداً لا ثاني معه عزَّ وجلَّ.

الوجه الثالث

أنه على فرض تعدد الخاتمين، يلزم تقدم المفضول على الفاضل، وترجيح المرجوح على الراجح.

لأن الوحدة أفضل من الكثرة، وإذا قدمت الكثرة على الوحدة، لزم ترجيح المفضول والمرجوح على الفاضل والراجح وهذا محال في الحكمة، لكون المرسل حكيماً، والحكيم لا يقدم المفضول على الفاضل، وإلا اختلت حكمته والعياذ بالله جلَّ ربي عن ذلك علواً كبيراً.

فلما كان الجليل سبحانه حكيماً وجب أن يقدم الوحدة على الكثرة، أي يجعل الخاتم واحداً غير متعدد، كما جعل الفاتح واحداً، لأن المؤثر وهو الله تعالى واحد.



ولما كان حكم التشريع والتكوين متحداً، لزم أن يكون المبدء في التكوين هو المبدء في التشريع، فوجب أن يكون الواسطة في إيصال الفيض من الحق إلى الخلق في التكوين، بعينه هو الواسطة للفيض في التشريع، ولما كان حكم الصعود حكم العود يعني عود الأشياء إلى مبادئها، لا إلى ذات الله عزَّ وجلَّ إذ الطريق مسدود والطلب مردود، وجب أن يكون ختم النبوة التشريعية بمبدء الوجود التكويني.

وذلك المبدء كما عرفت لا بد أن يكون واحداً، لا جرم كان خاتم النبوة واحداً، وكان كل الوجود في حيطه حكمه وأمره، في الظهور والبروز، كما كان في البطون، كالشمس إذا كانت تحت حجاب الأرض، مخفية عن الأبصار، ومحجوبة عن الأنظار، ترى الكواكب المستمدة منها بأجمعها، لها ظهور وبروز، وامتياز بعضها عن بعض.

وإذا ظهرت في الشهود، وطلعت من المشرق، ترى جميع النجوم والكواكب مضمحلة في جنبها، ومخفية في الوجود، ليس لها حكم بوجودها أبداً.

وهذا بعينه مثال نبينا خاتم النبوة والرسالة ﷺ، لما كان ﷺ في الباطن ممداً للأنبياء بأسرهم، كان لهم ظهور وبروز وامتياز وحكم وشريعة.

ولما أشرقت شمس من أفق طالع السعد، وأنار بقدومه وطلعت المنيرة عالم الشهود ورأته الخلايق بعين الوجود، بطلت نبوة كل نبي إلا نبوته، واختفت كل الشرايع إلا شريعته، واضمحت كل الملل إلا ملته ﷺ.

فإذا تأملت ونظرت بعين الدقة في هذا المثال، ومثال تكون الإنسان من العلقه، والمضغة إلى آخر المراتب المذكورة.

عرفت أن كل الشرايع شريعته، وكل الملل ملته، وكل الأنبياء والرسل الستة أداة وآلات وأدوات تبليغه.

كان ﷺ يتكلم مع الخلق في كل زمان، من وراء الحجاب بلسان الأنبياء، إذ لم يكن للخلق طاقة مشاهدة نور جماله بلا حجاب، ولا يتحمل تلقي الفيض منه بلا واسطة ونقاب.

كما أن نور جميع الكواكب من الشمس بإشراقها عليها، وأشعة النجوم الواقعة على وجه الأرض جميعها من الشمس، لاستمدادها كلا منها.

وإنما النجوم والكواكب مظاهر لها، ليس لها نور وإشراق أبداً إلا بها ومنها، وكذلك تدبير النطفة والعلقة، والمضغة والعظام، واكتساء اللحم، بأجمعها من جهة إشراق الروح لا من جهة الجسد المحض، وتنقل هذه المراتب لنضج الجسد، حتى يستعد ويتمكن لتحمل ظهور الروح فيه ❀.

❀ المبدأ في التكوين هو المبدأ في التشريع

تقدم الكلام أن حكم التكوين نفس حكم التشريع، مثل اللفظ والمعنى متطابقان، فلما كان رسول الله ﷺ هو أول التكوين وأول الموجودات، وجب أن يكون هو ﷺ هو أول المشرعين عن الله عز وجل، لا مشرع قبله ﷺ وهو الواسطة الأولى الوتر الوحيد من أول الوجود إلى نهايته، لأنه وابن عمه أمير المؤمنين لأنه نفسه صلى الله عليهما وآلهما هما مبدأ الأشياء، أي أن الخلائق وجدت بنوره المتشعشع من العرش والكرسي والسموات والأرضين ومن فيهن كما ذكر النبي ﷺ لعمه العباس بن عبد المطلب: ((يا عم إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم ﷺ، حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا

نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار، فقال العباس: وكيف بدؤ خلقكم يا رسول الله؟، فقال: يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً، ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحاً، ثم مزج النور بالروح، فخلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكنا نسبحه حين لا تسبيح، ونقدسه حين لا تقديس، فلما أراد الله تعالى أن ينشئ الصنعة، فتق نورني فخلق منه العرش، فالعرش من نورني، ونورني من نور الله، ونورني أفضل من العرش، ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور أخي علي، ونور علي من نور الله، وعلي أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتي فاطمة فخلق منها السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله تعالى، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثم فتق نور ولدي الحسن وخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن، ونور ولدي الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحدور العين، فالجنة والحدور العين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي الحسين من نور الله، فولدي الحسين أفضل من الجنة والحدور العين^(١).

فمبدأ الوجود كله منهم سلام الله عليهم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أصل الأصل ولب اللب، بيد أن الله عز وجل هو الخالق، لكنه ليس أصل المخلوقات، أي ليس المخلوقات صادرة من ذاته والعياذ بالله تعالى، بل الخلائق كلها صادرة بفعله ومفعوله تعالى، ومفعوله هو عقل محمد وآل محمد عليهم السلام.

لأن الحق سبحانه لا يدرك وليس كمثل شيء، قال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في دعاء الصباح ((وتنزه عن مجانسة مخلوقاته))^(٢).

فلما كان صلى الله عليه وآله وسلم هو الفاتح والمبدأ للتكوين، وجب أن يكون هو الخاتم، ولا بد أن يكون واحداً كما ذكر لا ثاني معه، ولما كان صلى الله عليه وآله وسلم هو الفاتح والخاتم أصبح جميع

(١) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ٣٧ / ٨٣ - ٨٤، غاية المرام للسيد هاشم البحراني ١ / ٤٣.

(٢) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.

الموجودات، ومنهم الأنبياء تحت حيطته وولايته وتصرفه بأمر الله عز وجل وكل الشرائع شريعته، أي مستمدة منه ﷺ إما ظاهراً أو مستوراً، حيث لو بعث جميع الأنبياء والرسل من لدن آدم إلى نبي الله عيسى مع أوصيائهم صلى الله على نبينا وآله ﷺ لوجب عليهم التعبد بشريعته وترك شرائعهم، فالنبي ﷺ كما قال المؤلف مثل الشمس والأنبياء ﷺ مثل الكواكب والنجوم، فنور الكواكب والنجوم كلاً وبعضاً كله من الشمس، فلولاها لما كان عند الكواكب والنجوم نور أصلاً.

فالشمس إذا كانت مخفية خلف الأرض، يظهر نور الكواكب والنجوم، وتمدهم بالنور، فلو تنعدم الشمس لفتت الكواكب والنجوم واختفى نورها بالكلية.

وإذا ظهرت من خلف الأرض اختفت جميع الكواكب والنجوم، وذلك لأنها الأصل في النور، ولأن نورها يغطي جميع الأنوار، فتكون جميع الكواكب والنجوم تحت أمرها وتكوينها وتشريعها فلا تشريع غير شريعته ولا وجود إلا بها.

فالنبي ﷺ قبل مبعثه يمد كل الأنبياء من خلف الستار عن الله تعالى، ولما ظهر بشريعته اختفت جميع الشرائع والملل إلا شريعته صلى الله عليه وآله.

إذن كل الشرائع السابقة شريعته، وكل الملل ملته، لكن من خلف الستار مثل الشمس لما طلعت اختفت جميع الكواكب والنجوم، وإذا احتجبت خلف الأرض ظهر نور الكواكب فالنبي لما طلع نوره ولمع وجوده المبارك، في وقته الشريف، نسخ جميع الشرائع والملل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١) بوجوده الشريف.

فإذا تأمل القارئ فيما ذكر المؤلف من قبل في المراتب الست للإنسان، من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام إلى كسو العظام لحماً إلى انشائه خلقاً آخر، ولولوج الروح فيها، وإلى ما ذكر من الشمس مع الكواكب، يجد الأمر واضحاً، أن لا شريعة إلا شريعته ﷺ، وأن كل ما سواه من أمته ورعيته ﷺ الطيبين الطاهرين.

فالنبي ﷺ هو المتكلم بلسان الله الناطق وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ للأنبياء عن الله تعالى بالوحي.

(١) سورة آل عمران آية (١٩).

علة تأخير نزول النبي إلى الأرض

وصار النبي ﷺ آخر الأنبياء وهو أفضلهم، مثل الروح الإنسانية، آخر مراتب خلقة الإنسان، من النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم العظام ثم كسو العظام لحما، فلو حلت الروح الإنسانية عند النطفة أو العلقة لما تحملت وماتت، لأنه بعد لم تكتمل بنيته الكاملة. كذلك رسول الله لو يظهر للناس قبل وقته لما تحملوا أنواره وأحكامه، لذا أكثر الأحكام الشرعية التي أتى بها غير موجودة في الشرائع السابقة، من الفرائض الخمس وصيام شهر رمضان والحج والزكاة والخمس وغيرها.

عندها قدم الجليل سبحانه الأنبياء على قدوم رسول الله ﷺ لعدم نضوج الخلق في المعرفة والكمال، فكان إيمان الأمم السابقة إعلان الشهادتين والإنهاء عن المحرمات المعروفة عندهم.

لذا إذا خرج مولانا الإمام الحجة بن الحسن، أرواحنا لغبار نعليه المباركتين الفداء، يظهر علوماً من رسول الله ﷺ لم تظهر من قبله، حيث يظهر الدين كله، كما قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١).

وظهور الدين كله في زمنه أرواحنا فداه، لأن قابليات الخلائق تكتمل بوجوده المباركة، كما في الروايات أن يمسح على رؤس الناس فتكتمل عقولهم، وتخرج الأرض بركاتها، ويكون كل الناس علماء حكماء، بتعليم الإمام الحجة عجل الله فرجه، حتى العجوز تكون فقيهة بوجود بقية الله في أرضه.

فلو أن العلم الذي يظهره الإمام الحجة بن الحسن أرواحنا لغبار نعليه المباركتين الفداء عند خروجه يظهره الآن للناس لضل الناس وما تحملوا، كذلك لو ظهر رسول الله ﷺ بشريعته في الأمم الماضية لما تحملوا نوره وعلومه من قبل الله تعالى.

فكما أن النطفة والمضغة والعلقة والعظام وكسو العظام لحماً إنما ذلك بتدبير الروح لها، كذلك شرائع الأنبياء السابقون بتدبير النبي ﷺ.

فظهر لك مما ذكرنا أن جميع المذاهب النازلة من السماء، وجميع الشرايع وجميع الملل من خاتم النبوة، لكن من وراء الحجاب، وهذه الشريعة الموجودة بعد ظهوره روعي فداه شريعته بغير حجاب، ومن هذا تبين لك أن كل الوجود، وجميع الموجود، كلاً وطراً آثار خاتم النبوة وشؤناته، لأنه هو واسطة لإيجاد الوجود بين الحق والخلق، في التكوين والتشريع، فلا يكون له شبيه ولا نظير.

[ولا ثاني له] والثاني^(١) في جميع ما خلق، ولذا قال ﷺ (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)^(٢) فانكشف لك ما ذكرنا، وظهر عموم قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٣) فهو النذير والرسول من جانب الله سبحانه، على كافة المخلوقات في جميع العوالم، فمحال أن لا تكون شريعته ناسخة للشرايع، ولا يكون دينه ناسخاً للأديان، وإلا لزم كونه تابعاً أو مساوياً لغيره، وهذا مناف لمبدأيته ﷺ الكاشفة عنها الخاتمية، فهو الأصل وحده، وكل الموجودات فروعه وشؤناته وأشعته، وعكوسه، كالشمس وأشعتها، أو كالقلب وسائر الأعضاء والجوارح، والحمد لله الذي هدانا لهذا.

● كنت نبياً وآدم بين الماء والطين

هذا الحديث المشهور المتواتر عن النبي ﷺ ((كنت نبياً وآدم بين الماء

(١) علة المعنى (ولا ثاني له في جميع ما خلق) بدل (والثاني في جميع ما خلق) لأنه في البداية يقول قدست نفسه (فلا يكون له شبيه ولا نظير).

(٢) مفتاح الفلاح للشيخ البهائي العاملي ٢٩، البحار للشيخ المجلس ١٦ / ٤٠٢.

(٣) سورة الفرقان آية (١).

والطين))^(١) أي آدم ﷺ بعد لم تحله الحياة وينفخ فيه، بمعنى أنه ﷺ نبي ورسول قبل خلق آدم وحواء، والظاهر أن آدم أول الأنبياء وأول البشر، والنبي محمد ﷺ هو نبي ورسول قبل خلق الأنبياء والمرسلين ﷺ بل قبل خلق الكائنات كما تقدم بيانه من قبل.

ثانياً: إنه لا يمكن وجود تكوين رسول الله ﷺ بدون شريعته وعلمه، وذلك كما تقدم أنه لا بد للتكوين من تشريع والتشريع من تكوين، كما قال آية الله العظمى الميرزا عبد الرسول الإحقاقي قدس نفسه ((إنه لم يأت زمان أو دهر من الدهور أو وقت من الأوقات النبي وأهل بيته الطيبين الطاهرين ﷺ لم يكونوا عالمين ومشرعين، فمنذ خلقهم الله تعالى هم عالمون مشرعون)) فعلمهم وشريعة رسول الله وأهل البيت ﷺ بالنسبة إلى تكوينهم مثل الشمس للأشعة، فلا يمكن لتكوين الشمس بلا أشعة، كذلك محمد وآل محمد ﷺ لا يمكن لوجودهم بلا علومهم وشريعة رسول الله ﷺ.

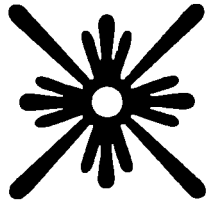
فهذا يدل دلالة واضحة على ما ذكره المؤلف، أن كل الشرائع والملل شريعته وملته، بل كل الوجود أثره وفعله بالله تعالى، فوجب أن يكون دينه وشريعته ناسخة لجميع الشرائع، وإلا وجب له مساوي وهذا خلف.

ولنعم ما قال آية الله الشيخ عبد الله الوايل الأحسائي قدس نفسه:

قصيدة الشيخ عبد الله الوايل

بعث الله في الورى لهداها	أحمد المصطفى أجل نبي
ومولى وجودها وفناها	علة النشاطين في من برى الله
برأ الله ذاتها فاجتباها	هو في الكائنات أول نفس
أنه خير كل نفس براهها	واصطفاه لنفسه وأرانا
عرك النيرات أدنى علاها	وحباه من فضله بمعمال
الملكونية النبي أبداها	ثم أتاه ما يشا من علوم

جاء للأنبياء منها يسير
جمع الله فيه كل كمال
فيه قد فضلت على من سواها
أخذت عنه كل نفس هداها^(١)



الباب الرابع

في إثبات إمامة الأئمة الاثني عشر
وأحكام دولة نواب خير البشر
سلام الله عليهم
ما دارت الشمس والقمر

وفيه فصول تسعة

الفصل الأول

[جسد نبينا محمد ﷺ علة لوجود الأرواح والعقول أجمع]

اعلم أن نبينا ﷺ روح، تجسد الأرواح والعقول التي لا يعترها الدثور
والفناء إلى نفخ الصور، خلقت من شعاع جسمه المنور، وجسده
المطهر*.

* جسد رسول الله ﷺ علة الأرواح

تقدم الكلام أن محمداً وآل محمد ﷺ هم أول الكائنات وسيدهم رسول الله ﷺ
هو أولهم في الرتبة، وأما في الظهور وجدوا جميعاً سلام الله عليهم كالكسر
والإنكسار، يعني لا يكون في عالم الظهور والتكون حسب عالمهم سلام الله عليهم،
وجود أحدهم على أحد، بل وجدوا جميعاً لأنهم شيء واحد، وذلك مثل علي
الإنسان، فإنه لا يقال لعقل علي إنسان أو لنفسه إنسان أو ليدته إنسان أو للسانه
إنسان، بل يطلق الإنسان عليه ب كله وجميعه، فإذا تكامل قيل له إنسان، كذلك
المعصومون الأربعة عشر سلام الله عليهم كلهم واحد، روي عن زيد الشحام قال:
قلت لأبي عبد الله ﷺ: أيما أفضل الحسن أم الحسين؟.

فقال: ((إن فضل أولنا يلحق بفضل آخرنا، وفضل آخرنا يلحق بفضل أولنا،
وكل له فضل.

قال: قلت له: جعلت فداك وسع عليّ في الجواب، فإني والله ما سألتك إلا مرتاداً، فقال: نحن من شجرة طيبة برأنا الله من طينة واحدة، فضلنا من الله، وعلمنا من عند الله، ونحن أمناؤه على خلقه، والدعاة إلى دينه، والحجاب فيما بينه وبين خلقه، أزيدك يا زيد؟ .

قلت: نعم، فقال: خلقنا واحد، وعلمنا واحد، وفضلنا واحد، وكلنا واحد عند الله تعالى .

فقال: أخبرني بعدتكم، فقال: نحن اثنا عشر هكذا حول عرش ربنا عزّ وجلّ في مبتدأ خلقنا، أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد^(١) .

ففضل أحدهم على الآخر في الرتبة لا في الوجود والظهور، كفضل القلب على سائر الأعضاء، والرأس على البدن، والعينين على الرجلين وهكذا .

ونقول في الظهور لضيق العبارة، وإلا خلقوا سلام الله عليهم قبل كل شيء مذروء ومبروء لذا قال النبي ﷺ لعمه العباس بن عبد المطلب ﷺ: ((يا عم إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم ﷺ، حين لا سماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا ظلمة ولا نور، ولا شمس ولا قمر، ولا جنة ولا نار))^(٢) .

فنحن وأمثالنا لا يمكن لنا أن نتصور شيئاً ليس فيه ظلمة ولا نور، أو لا شمس ولا قمر، ثم خلق بعد المعصومين الأربع عشر ﷺ عقول وأنبياء ﷺ، فعقول الأنبياء وأرواحهم أعلا مقاماتهم ﷺ، خلقت من أدنى مقام لرسول الله ﷺ من جسده المبارك، بل من إشراق وأثار جسده المبارك الذي هو آخر مراتبه، لا من حقيقة جسده الشريف، بصرف النظر عن حقيقته وعقله وروحه ونفسه وطبيعته ﷺ، لأن هذه المراتب أعلى من جسده الشريف المطهر، كما روي عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله ﷺ: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟، فقال: ((نور نبيك يا

(١) البحار للشيخ المجلسي ٢٥ / ٣٦٣ .

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٣٧ / ٨٣ .

جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير، ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله، ثم جعله أقساماً، فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله، ثم جعله أقساماً، فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم والجنة من قسم. وأقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله، ثم جعله أجزاء فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر والكواكب من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله، ثم جعله أجزاء فخلق العقل من جزء، والعلم والحلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله، ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة، فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين^(١).

فالأرواح لعامة الخلق لا تفتنى ولا تنعدم، بل تنتقل من عالم إلى عالم، فلا يجري عليها الفناء والزوال بأمر الله تعالى، فكيف بأرواح الأنبياء ﷺ؟ وإذا كانت أرواح الخلق لا تفتنى فالبطريق الأولى أرواح الأنبياء والمرسلين ﷺ لا تفتنى، فهذه الأرواح التي لا تفتنى إنما خلقت من آثار جسد النبي ﷺ، ولا عجب لأن محمداً وآل محمد ﷺ هم أصل الوجود، فبهم فتح وبهم يختم.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢ / ٢١ - ٢٢، مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي

ولجهة عصمته وطهارته ونظافته ظاهراً وباطناً، معرى من جميع الكدورات، ومصفى ومبرء من كل الأعراض والغرائب والفضولات.

• طهارة وعصمة رسول الله ﷺ

من المعلوم أن كل خلل أو تغير نعمه إلى نقمه، أو فساد، أو بلاء أو زوال كل ذلك بسبب الذنب قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَالْوَالِدُ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾^(٤).

فلما كان رسول الله ﷺ معصوماً من الذنوب مطلقاً حتى ترك الأولى، ومطهراً تطهيراً حيث الذي تولى طهارته من كل رجس خالقه عز وجل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٥).

والرجس كل ما يخالف أمر الله تعالى مطلقاً، وكل ما يستقذر عند الغير، فوجوده كله خير وطاعة بل أصل الخير والطاعة ﷺ، فجسده المباركة صافي مصفى من كل كدورة، أو أعراض موجبة للفناء والموت، كأهل الجنة خلقوا خلقة لا تقبل

(١) سورة الرعد آية (١١).

(٢) سورة النحل آية (١١٢).

(٣) سورة الجن آية (١٦).

(٤) سورة المائدة آية (٦٦).

(٥) سورة الأحزاب آية (٣٣).

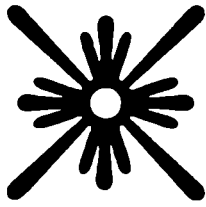
الموت، فهم مخلدون إلى الأبد، وذلك لعدم وجود الغرائب المخلة بأبدانهم لذا كانوا مخلدين .

فالنبي ﷺ خلقته وصفائه وتركيبته أصفى من تركيبه وصفاء أهل الجنة في جنة الآخرة، وكيف لا يكون كذلك، وأرواح الأنبياء ﷺ خلقت من فاضل قطرات جسده، وكذلك الجنة خلقت من فاضل نوره ونور الإمام الحسين ﷺ كما تقدم من قبل أن الجنة والحدور خلقت من فاضل نور الإمام الحسين والحسين ﷺ أفضل من الجنان والحدور .

لأنه كما قرر في محله أن موجب الموت، هو تخلل الأعضاء وزيادة بعض الطبائع على بعض وغيرها، كما حدث أبو هفان وابن ماسويه حاضر عن الإمام جعفر بن محمد قال ((الطبائع أربع: الدم وهو عبد، وبما قتل العبد سيده، والريح: وهو عدو إذا سددت له باباً أتاك من آخر. والبلغم: وهو ملك يداري، والمر: وهي الأرض، إذا رجفت رجفت بمن عليها فقال: أعد عليّ فوالله ما يحسن جالينوس أن يصف هذا الوصف))^(١) وفعل المعاصي والعياذ بالله تعالى، وعدم الإلتزام في الطعام والشراب وغيرها، وكل هذه الأمور منتفية عن رسول الله ﷺ، فعلى ذلك يقتضي البقاء والخلود لرسول الله ﷺ، لأنه الكامل المطلق من كل شيء، فليس فيه شيء موجب للموت .

فحقيقة ذاته المقدسة لا تقبل ولا يجري عليها الموت، وعلى ذلك يقتضي الخلود أبد الأبد ودهر السرمد، وإذا كان كذلك مع ظهور المعاجز والفضائل منه ﷺ قد يعبد من دون الله تعالى كما عبد نبي الله عيسى على نبينا وآله وعليه السلام لما رأوا منه خلق الخلق، واشفاء المرض المستعصي، وإخبار المغيبات، وإذا عبد رسول الله ﷺ من دون الله سبحانه، كما عبد نبي الله عيسى ﷺ انتفى الغرض الذي لأجله بعث الأنبياء ﷺ وهو هداية الخلق، وتوحيد الله تعالى، ونفي الشريك عنه سبحانه، وتعليمهم الواجبات والمحرمات وغيرها، فلأجل درء هذه المفاسد، وهي إدعاء

الربوبية له ﷻ وعبادة الناس له ، وترك التوحيد أجرى عليه تعالى الموت ، وهو نزع اللباس البشري ، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٣٠) ^(١) ليعلم الخلق أنه مخلوق مربوب وهو عبده ورسوله ﷻ .



فمقتضى الهلاك والدثور فيه معدوم مفقود، فموجب الفناء والبلى فيه غير موجود، وإذا كان يعمل فيه بمقتضى ذاته المقدسة، التي هي علة وجود الأملاك والأفلاك، اقتضى أن يدوم بالدوام الأبدي، ويخلد بالخلود السرمدي، كاهل الجنة في الجنة، إذ بنيته المطهرة أصفى من بنية أهل الجنة، واعتدال مزاجه المبارك أشد اعتدالاً، وأصفى من مزاج أهل الجنة بمراتب كثيرة، والعدل الحكيم يعطي كل ذي حق حقه، ولكن لو حكم الله عليه بالحياة الأبدية، كما هو مقتضى ذاته المقدسة ﷺ، مع ظهور المعجزات وخوارق العادات منه دائماً، وعدم احتيال الخلق وتأثيره في حقه بوجه من الوجوه، لتوهمت في حقه الربوبية، وسجدوا له معترفين بالالوهية، وهذا منافٍ لما بعث له من هداية الخلق، وإخراجه لهم من الظلمات إلى النور، فلهذه الجهة ولغيرها مما يوجب التطويل قدر الله سبحانه عليه الموت الظاهري، وهو خلع اللباس البشري، قال في كلامه المجيد: (إنك ميت وإنهم ميتون)^(١) وأمته ﷺ بعده لا تخلو من قسمين:

[القسم الأول] إما كانوا كاملين ومكملين، يعني أنهم وصلوا إلى مقام لا يحتاجون إلى معلم، وكل واحد منهم علم تمام مسائل الحلال والحرام، والاعتقاد والأحكام، وتعلموا ما يصلح جميع أحوالهم وأمورهم المتعلقة لأنفسهم، ومن بعدهم إلى يوم القيامة من النبي ﷺ، وأخذوا منه جميع ذلك وتخلقوا بها، بحيث لم يقع بينهم أصلاً قطعاً نزاع وخصومة، ولم يصدر عنهم فعل خلاف مرضاة الله جلّ وعلا، وكذلك الأشخاص الذين يأتون من بعدهم موصوفون بصفاتهم، حتى لا ينهدم

(١) سورة الزمر آية (٣٠).

الأساس الذي أسسه النبي ﷺ، وتحمل في تشييده، وإقامة الدين المبين بنفس نفيسة تلك الزحمات، ولا يكون عبثاً.

والقسم الثاني إن من أمتة الموجودين بعده لم يكونوا كاملين، ولم يأخذوا مسائل الحرام والحلال بالتمام والكمال عنه ﷺ، بل التي تعلموها وأخذوها لم يحفظوها، ونسوا أغلبها، ودائماً يقع بينهم النزاع والخصومات، وحب الجاه والرياسات، ومتابعة هوى النفس والشهوات، بحيث لو بقوا على هذه الحالة مدة من الزمان، وبرهة من الأوان، لانهدم أساس النبوة، وكان جميع تبعه الذي تحمله عبثاً وهباء.

فوجب عليه ﷺ أن ينصب عليهم حاكماً وقيماً، يعلمهم جميع العلوم ومسائل الحلال والحرام، ويطلعهم على الاعتقادات وسائر الأحكام، التي يحتاج إليها الموجودون ومن بعدهم من التابعين، في الوقائع التي حدثت ولم تحدث.

ولم تقع بعد، ويجعل ذلك الحاكم والقيم مربياً ومؤدباً لأحوال الخلق، ويسأل الله عزَّ وجلَّ بأن يكرمه قوة حافظه، حتى لا ينسى شيئاً مما علمه، ويزيد في نور قلبه، حتى لا يميل إلى الباطل والدنيا وما فيها من الشهوات، حتى يكون ذلك الحاكم كنفس النبي ﷺ مربياً للأمة الضعيفة، الحال بينهم كالأب الرؤوف الشفيق، والأم الشفيقة، ويتصدى لحمايتهم ورعايتهم بنفسه، ولا شك ولا ريب أن الأمة لم تطلع على كثير من الحلال والحرام، فضلاً عن غيرها، والدليل على هذا الاختلاف الواقع الموجود بينهم، وإلا لم تفرق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، قول كل فرقة يستلزم بطلان قول الأخرى^(١).

(١) قال رسول الله ﷺ (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية، والباقيون في النار) =

وكل الفرق ينسبون أنفسهم إلى النبي ﷺ، ويعملون بكتاب الله ظاهراً وبالقطع أن قول النبي ﷺ أحد هذه الأقوال، وباقي الكل باطل، وكل يدعي الحق وينسبه إلى نفسه، مع شيوع الظلم والفساد فيهم، والكذب على الرسول في حياته وبعد مماته، حتى قال ﷺ (أيها الناس قد كثر عليّ الكذابة ألا فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)^(١).

ومعلوم قطعاً وبقيناً أن الأمة ليست كالقسم الأول والطائفة الأولى، مع وجود المنافقين والخائنين في زمانه ﷺ، الذين وصفهم الله سبحانه في كلامه المجيد في مواضع عديدة، بل حالهم بالقطع واليقين كحال الطائفة الثانية.

والقسم الثاني الذين هم جاهلون بكثير من الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، وأغلب المنافقين الذين كانوا في ذلك الزمان يظهرون الإسلام لساناً، وفي القلب كفار ومنافقون، وكانوا دائماً في صدد إبطال هذا الدين، واضمحلال هذا الطريق المبين، فكيف يمكن إهمال هذا الخلق الكثير، والجم الغفير، مع كثرة المنافقين، وأعداء الدين، بلا حاكم ولا وإل عليهم بعد نبينهم ﷺ؟ فيكون إرسال الرسل، وإنزال الكتب، والأمر والنهي، والزجر والتهديد، والوعد والوعيد، كلها عبثاً وهباءً، والنبي ﷺ أجل وأعظم، والله سبحانه أكرم من أن يجعل هذا الخلق العظيم في تيه وضلال، ولا ينصب لهم علم الهداية، حتى يقيمهم على الطريق المستقيم، والنهج الذي بعث به النبي الكريم.

فوجب على النبي ﷺ أن ينصب بأمر من الله حاكماً على الخلق، وهو

= الأقتصاد للشيخ الطوسي ٢١٣، البحار للشيخ المجلسي ٣٦ / ٣٣٦.

(١) تحف العقول لأبن شعبة الحراني ١٩٣.

الإمام عندنا الإمامية، حتى يجري بينهم حكم النبي ﷺ.

• وجود الخلاف والإنقلاب بعد النبي ﷺ

لا يشك أحد من المؤرخين المسلمين وغيرهم، بوجود الاختلاف والشقاق والتسابق على الرياسة، وحب الجاه بعد رسول الله ﷺ حتى قال المهاجرون والأنصار يوم السقيفة: منا أمير ومنكم أمير تزامناً على الكرسي وحباً في الرياسة.

هذا مع وجود الجهل في أئمة المسائل الشرعية عندهم، ناهيك عن غوامضها من بعض الصحابة، ومن ذلك ما ذكر الإمام القرطبي في تفسيره في جواز زيادة المهور للنساء قال ((الثالثة - قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَثَهُنَّ قِنطَارًا﴾. دليل على جواز المغالاة في المهور، لأن الله تعالى لا يمثل إلا بمباح، وخطب عمر رضي الله عنه فقال: ألا لا تغالوا في صدقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ، ما أصدق قط امرأة من نساءه ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية، فقامت إليه امرأة فقالت: يا عمر، يعطينا الله وتحرمنا، أليس الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَثَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾؟.

فقال عمر: أصابت امرأة واخطأ عمر، وفي رواية: فأطرق عمر ثم قال: كل الناس أفقه منك يا عمرا، وفي أخرى: امرأة أصابت ورجل اخطأ^(١).

وورد أيضاً في تفسير القرطبي في تفسير هذه الآية المباركة: ﴿وَفَكِهَةٌ وَأَبَا﴾^(٢).

قال: ((قال إبراهيم التيمي: سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير الفاكة والأب، فقال: أي سماء تضلني وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم))^(٣).

(١) تفسير القرطبي - القرطبي ٥ / ٩٩.

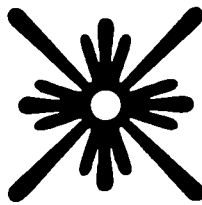
(٢) سورة عبس، آية (٣١).

(٣) تفسير القرطبي للإمام القرطبي ١٩ / ٢٢٣.

فلما بلغ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عدم معرفة أبي بكر بمعنى: ((الأب))، قال عليه السلام: ((إن الأب هو الكلاء والمرعى))^(١).

فإذا كان الأمر هكذا في أبسط المسائل الشرعية واللغوية لا يستطيعون عليها، وهم يعدون من كبار الصحابة، فكيف بغيرها من المسائل المعمقة الأخر، والمسائل التي لم تكن موجودة في زمن النبي ﷺ؟.

إذا الأمة بعد النبي ﷺ هم من القسم الثاني، لا يعرفون أكثر المسائل، وإذا عرفوا بعضها طرأ عليهم السهو والنسيان، والكذب آخر مع وجود المنافقين، الذين يحاولون دائماً إطفاء نور الإسلام، لذا وجب في الحكمة من نصب حاكم وأمير بين المسلمين يكون عالماً بجميع الأحكام، كالنبي ﷺ، وهذا الحاكم يكون معيناً من قبل الله تعالى، كما عُيِّن النبي من قبل الله عزَّ وجلَّ.



(١) البحار للشيخ المجلسي ٤٠ / ٢٢٣.

الفصل الثاني

[وصي النبي لا بد أن يكون منصوباً من قبل الله تعالى]

اعلم أنه لا بد أن يكون ذلك الحاكم معيناً ومنصوباً من جانب الله عز وجل، بنص الرسول ﷺ وبيانه، لأن ذلك الحاكم لا بد أن يكون مصلحاً لحال الخلق لا مفسداً، والإصلاح ناشيء من شيئين:

أحدهما: علمه بجميع مراد الحق من الخلق، في كل المقامات والمراتب، الظاهرية والباطنية، المخفية والجلية، وتمكنه من إظهار المعجزات وخوارق العادات، وعدم ميله إلى الدنيا، وعدم متابعتة النفس والهوى، في أمر من الأمور الذي ليس براجح، فلو لم يكن له علم لما تمكن من تبليغ الأحكام، التي وضعها الله لإصلاح عباده إليهم.

فان عمل بخلاف مراد الله سبحانه، كان فيه كمال الفساد، إذ هو ضد الإصلاح، وكذا لو تبع هوى نفسه ومال إلى الدنيا، لدخل في عموم قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾^(١) الآية إذ هو في حال التفاته إلى هوى النفس معرض عن الله سبحانه، فلا يكون في تلك الحالة حاكماً عن الله سبحانه، إذ الإعراض

(١) سورة الجاثية آية (٢٣).

عين الفساد، كما أن الإقبال عين الصلاح، فالمعرض عن الله ليس بمصلح بل هو مفسد.

فالحاكم العالم بجميع مراد الله، والتكاليف والأحكام الراجعة للخلق والمكلفين، في جميع الأحوال وأوضاعهم، والمتمكن من تدبير أمورهم على وفق إرادة الله سبحانه، غير مائل إلى الدنيا والهوى، واستمراره فيه، لا يتمكن من نصبه ولا يعرفه إلا الله تعالى الذي علمه جميع العلوم، واطلع على تحمله وصبره وحفظه وتدبيره، وسكونه واطمئنان قلبه. وتوجهه وإقباله إلى حضرة قدسه، ونيبه وأوليائه بتعليم منه.

وأما سائر الناس فليس لهم علم إلا بحسن الظاهر، وأما بسريرته وهو اجس قلبه فلا يطلع عليها إلا الله سبحانه، وأنبيأؤه وأوليأؤه بتعليمه سبحانه، والإمام المصلح لا يكفي في حقه حسن الظاهر، بل لابد في حقه من القطع بالحسن الواقعي، والعصمة الحقيقية، إذ هو دليل إرادة الله، ولسان نبي الله، وحقته، واليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٢).

فبناء على هذا نصب الإمام والحاكم على الخلق والأمة والرعية، لابد أن يكون من جانب الله، يوحى منه على لسان نبيه ﷺ، في حق شخص مخصوص، وإلا فلا يحصل القطع بصلاحه وإصلاحه. ❀

❀ تنصيب الوصي كتنصيب النبي

من المعلوم أن الوصي من يقوم مقام النبي ﷺ، والنبي يقوم مقام الله عز وجل،

(٢) سورة القصص آية (٦٨).

(١) سورة البقرة آية (٢٢٠).

فكل ما يفترض في النبي يفترض في الوصي، لأن الوصي والحاكم بعد النبي هو الإمتداد الطبيعي للوحي من الله تعالى.

ولا يقال إن الأمة متجزئة بالكتاب والسنة، أي سنة النبي ﷺ، لأنه كما تقدم ليس الكل عالم بالسنة والكتاب كما ذكر، فهم يغفلون عن أتفه الأشياء فكيف بغيرها؟ فإذا فرض أن الوصي من هذا القسم من لا يعلم أتفه المسائل، يكون تغريراً للمخلق من قبل الله تعالى، من كونهم يحكمون بغير ما أنزل الله سبحانه وهذا عين الفساد، فالوصي هو الحجة على الخلق بعد النبي، والأرض لا تخلو من حجة.

وإلا لو فرض أن الكتاب والسنة كافيان بدون حاجة إلى وصي، لاستغنى الحق سبحانه عن بعث الأنبياء جميعاً، بأن ينزل الكتب السماوية، ويقول للمخلق والأمم: أعملوا بهذه الكتب، لأنكم كلكم عالمون، وهذا خلف.

لذا نبي الله موسى بن عمران على نبينا وآله وﷺ: لما أمره الله تعالى بالمناجاة ثلاثين ليلة إلى طور سيناء، لم يترك أمته بني إسرائيل بغير حجة، فأقام لهم أخاه نبي الله هارون ﷺ مع قلة الغياب لموسى ﷺ، وهو أربعون ليلة فقط، كما حكى الباري عز وجل عن ذلك: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٧٢) (١).

وفي خلال أربعين ليلة غاب عنهم موسى ﷺ مع وجود وصيه نبي الله هارون ﷺ، عبد بنو إسرائيل العجل، وتركوا عبادة الله الواحد الأحد، فلما رجع موسى ﷺ من المناجاة إلى قومه، رأهم قد عبدوا العجل، الذي أقامه لهم السامري لعنه الله تعالى، حتى أحرقه نبي الله موسى بالنار ورمى به في اليم.

كما حكى الله تعالى عن ذلك: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْمَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي

وَكَاذِبًا يَقْتُلُونَ فَمَا تَسْمِعُ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلُنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ (١).

وقال تعالى ﴿وَأَنْظِرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (٢).

فالله سبحانه وتعالى لما أراد أن يناجي رسوله موسى ﷺ أربعين ليلة لم يترك الأمة بني إسرائيل بغير حجة ووصي حتى يرجع، فأمره أن ينصب أخاه هارون النبي ﷺ من قبل الله تعالى.

فكيف نبينا محمد سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ ولا نبي بعده، إلى أن تقوم الساعة يترك الأمة آلاف السنين إلى أن تقوم الساعة بغير حجة.

فقد البعض يقول: ها هو نبي الله موسى نصب أخاه هارون وعصى قومه، فما الفائدة في نصب الوصي من قبل الله ما دام العصيان وارد في كلا الحالتين؟.

الجواب:

إنه في حالة وجود الحجة النبي أو الوصي والخليفة يكون الخلق محجوجين، ومع عدمهما يكون للخلق الحجة على الله تعالى، بأن يقولوا لله عز وجل في حال معصيتهم، لم تنصب لنا وصياً يقومنا على الحق، ويردنا عن الباطل.

ثانياً: إن المعصية وعدمها ليس لها علاقة بوجود النبي أو الوصي ﷺ، فمعصية قوم موسى في غيابه كمعصيتهم له في حضوره، كذلك معصية نبينا محمد ﷺ في غيبته، كمعصيته في حضوره، فكم وكم عصي وكذب رسول الله ﷺ في حياته وهذا أمر بديهي، وهذا الوصي والحاكم لا بد أن يكون متصفاً بأمرين:

الأمر الأول: علم الوصي

العلم بكل شيء مما تحتاج إليه الأمة، حتى لا يخفى عليه شيء من الأشياء

(١) سورة الأعراف آية (١٥٠).

(٢) سورة ظه آية (٩٧).

والعلوم، فلا يمكن لهذا الخليفة أن يقول قوموني أو أقيلوني أو لست بخيركم، أو يعترف أن رعيته أفتقه أو أعلم منه، لأنه إذا كانت رعيته أفتقه وأعلم منه، وجب تسليم الخلافة إلى الأفتقه والأعلم من الأمة، لأن الخلافة هي الأمانة العظمى التي يجب أن تؤدي إلى أهلها، بل يجب أن يكون عالماً بتعليم النبي عن الله تعالى، كما قال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ((علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب، كل باب يفتح ألف باب))^(١) وقال أيضاً عليه السلام: ((سلوني قبل أن تفقدوني، ألا تسألون من عنده علم المنايا والبلايا والأنساب؟))^(٢).

لذا ما عرضت عليه مسألة إلا وأجابها، حتى أنه سأله عمر بن الخطاب، قال له: يا علي ما عرضت عليك مسألة إلا وأجبتها في الحال.
فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ((كم أصبع في يدك؟).
قال: خمسة.

قال له عليه السلام: أسرع في الإجابة.

قال له: هذا واضح.

فقال عليه السلام: المسائل عندي هكذا، فلا عجب منه، لكنه باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((أنا مدينة العلم وعلي بابها))^(٣).

الأمر الثاني: عصمة الوصي

عصمة هذا الحاكم والوصي من الله تعالى، فإذا لم يكن معصوماً يقع في المعصية، ويرتكب الكبائر والصغائر ويعبد الأصنام، فتنتفي حجيته على غيره، لذا أجمع العامة والخاصة على أن آية التطهير نزلت في أهل البيت وهم علي وفاطمة

(١) البحار للشيخ المجلسي ٤٠ / ١٣١.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٤٠ / ١٣٩.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ٤٢٥، التوحيد للشيخ الصدوق ٣٠٧، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

والحسن والحسين عليهما السلام قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١).

وعلى ذلك وجب نصب هذا الحاكم من قبل الله تعالى كالنبي عليه السلام، وإلا ضل وأضل والعياذ بالله تعالى، كأمثال من تسمى بأمير المؤمنين من الحكام، ونصب نفسه خليفة على المسلمين بحد السيف، من ارتكاب المحرمات، وقتل النفس، وفعل الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وسعى في خراب الدنيا والدين، كيزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فيزيد قاتل الإمام الحسين عليه السلام، وأبوه معاوية قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي مع الحق والحق معه، وجده أبو سفيان قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
ومن تصفح التاريخ يجد هذا الأمر واضحاً جلياً، نعوذ بالله تعالى من سخطه ونسأله رضاه بحق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما ترى إلى نبي الله موسى بن عمران، كيف اختار من قومه سبعين رجلاً لميقات ربه، ففسدوا آخر الأمر؟ فإذا كان هذا حال اختيار النبي من أولي العزم، فكيف يكون حال اختيار سائر الخلق، من الجهال وأرباب الغرض؟ فوجب أن يكون التعيين والاختيار من جانب الله بنص النبي لا غير ذلك ❁.

❁ لا يكون الوصي والحاكم بالإختيار

لما ذكرنا من أن الحاكم والوصي بعد النبي ﷺ يقوم مقامه في تأدية التكليف، ويكون عالماً معصوماً طاهراً في الظاهر والباطن، لم يقترف معصية لا قبل ولا بعد الإسلام، وهذا الأمر لا يمكن الإطلاع عليه إلا المطلع على القلوب وهو الله تعالى، لذا قد يكون البعض ظاهره طيب، وباطنه خبيث وهو الأكثر.

وأكبر دليل على بطلان الاختيار، وأنه الغالب يكون في العكس، اختيار موسى ﷺ من قومه سبعين رجلاً. إعتقاداً منه أنهم أفضل أمته، في التقى والورع والعلم، ولما كان عند المناجاة قالوا له: أرنا الله جهرة، فأظهروا كفرهم ونفاقهم، وكان اختياره اختيار شرار الأمة لا خيارها، قال تعالى: ﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾^(١) فبدل كونهم شرفاء حكماء علماء، كانوا سفهاء جهلاء فسقة.

فإذا كان نبي الله موسى ﷺ من أولي العزم من الرسل اختياره وقع هكذا، فكيف باختيار الناس العوام غير المعصومين من الخطأ والزلل والمعصية قبل وبعد؟.

ولم يدع أحد من المسلمين قاطبة عصمة أحد من الصحابة مطلقاً، عدا أهل البيت ﷺ، أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة التسعة من ذريته الحسين ﷺ لكون عدد المعصومين، كعدد نساء بني إسرائيل اثنا عشر إماماً معصوماً كما يأتي بيان ذلك إن شاء الله عن قريب.

الفصل الثالث

[ناقشة حديث (لا تجتمع أمتي على خطأ)]

اعلم أن الخبر الذي ينسبونه إلى النبي ﷺ قال: (لا تجتمع أمتي على خطأ)^(١) على فرض صحته وصدوره منه ﷺ، فالمراد منه أحد وجهين صحيحين:

الأول: المراد من الأمة هي الجماعة، التي يكون الحاكم المعصوم المنصوب على العموم من جانب الحي القيوم بينهم وفيهم غير ممتاز، وغير معين فيهم، وهذا هو الإجماع الذي نقول بحجيته.

الثاني: إن المراد من الأمة المسلمون كلهم على سبيل الاستغراق، وهذا أيضاً عندنا حجة، لوجود الحاكم المنصوب أيضاً فيهم، ودخوله بينهم قطعاً، كالإجماع على وجوب الصلاة، والزكاة والحج، وسائر الضروريات. ❁

❁ حجية الإجماع الصحيح

من المعلوم أن الأدلة الأصوليين أربعة وهي: الكتاب والسنة والإجماع والعقل،

(١) المراجعات للسيد شرف الدين ٣٤٦.

فالإجماع يكون دليلاً في عدم وجود دليل من الكتاب أو السنة، أما مع وجود دليل فيهما ينتفي الإجماع وتبطل حجيته، وهذا أمر مجمع عليه عند العامة والخاصة، وفيما نحن فيه وجود دليل من الكتاب والسنة المتفق عليهما من العامة والخاصة، على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، أما من الكتاب فآية التولية: ﴿إِنَّا وَلَّيْنَاكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُمُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

أجمع المفسرون أنها نزلت في علي أمير المؤمنين عليه السلام حين تصدقه بخاتمه وهو راکع في المسجد، حينما امتنع الصحابة من اعطاء الفقير الصدقة إلا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام.

وأما من السنة فحديث الغدير الذي رواه أكثر من مائة ألف من المسلمين، ولم يرو من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا، إلى زمن المعصومين، إلى مولانا صاحب العصر والزمان عليه السلام حديثاً مثله.

أي لم يرو حديث رواه مائة ألف مباشرة من المعصوم نبي أو رسول، إلا حديث الغدير، وهذه الرواة لهذا الحديث تعد معجزة من معاجز أمير المؤمنين عليه السلام وأحقيقته للولاية، نعم روى أربعة آلاف راوٍ يحضرون درس الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، كل يقول حدثني جعفر بن محمد عليه السلام كيت وكيت، أما مئة ألف فهذا خاص بحديث الغدير حيث قال النبي صلى الله عليه وآله: ((ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله، وأدر الحق معه كيفما دار))^(٢).

فهذا الحديث لم يختلف عليه أحد من المسلمين، وإلى غيره من حديث المنزلة لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))^(٣)،

(١) سورة المائدة آية (٥٥).

(٢) عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر ٧٥.

(٣) الاختصاص للشيخ محمد المفيد ٢٢٢، الكافي للشيخ محمد الكليني ٨ / ١٠٧، مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٧٠.

وحديث الطائر، وحديث البساط، وحديث ((أنا مدينة العلم وعلي بابها))^(١) إلى عشرات بل مئات بل آلاف الأحاديث في فضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

مما شهد به العامة قبل الخاصة، ومن أراد التوسع في حديث الغدير فاليراجع كتاب الغدير، للعلامة الفهامة العالم الأستاذ القدير، الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي، يقع في أحد عشر مجلد.

وعلى فرض عدم وجود دليل من الكتاب والسنة يكون الإجماع حجة بأمرين هما:

الأمر الأول

أن يجمع جماعة من المسلمين يكون المعصوم وهو الحاكم من الله فيهم، ولكنه غير معروف عندهم، فإذا أجمعوا على أمر والمعصوم فيهم يكون الإجماع حجة، لكون المعصوم من ضمن المجمعين لا من حيث الإجماع بما هو إجماع، يعني إذا لم يكن المعصوم فيهم لا يكون حجة، لأنهم غير معصومين، وغير المعصوم يقع في الخطأ والمعصية، فعلى ذلك لا تتم حجية الإجماع.

الأمر الثاني

أن يكون الإجماع جميع الأمة أي جميع المسلمين قاطبة، من جميع البلدان، وبالطبع يكون المعصوم فيهم ومن ضمن المجمعين لأن الأرض لا تخلو من حجة، فيكون حجة كالإجماع على وجوب الصلاة والصيام والحج وغيرها من الواجبات.

إذاً حديث ((لا تجتمع أمتي على خطأ)) حديث غير صحيح لمعارضته للكتاب والسنة المتفق عليها وكل شيء يعارض الكتاب والسنة يرمى به عرض الحائط، وهذا الحديث لم يرو من طريقنا الإمامية، لذا قال المؤلف على فرض صحته فتأويله على ما ذكر.

(١) الأمامي للشيخ الصدوق ٤٢٥، التوحيد للشيخ الصدوق ٣٠٧، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

وأما إذا كان المراد من الأمة البعض المطلق، لزم كون ثلاث وسبعين فرق الإسلام على حق، إذ يصدق على كل فرقة من تلك الفرق، أنها أمة اجتمعت على كذا، والأمة جنس شامل على القليل والكثير، والجليل والحقير قال تعالى: ﴿إِنَّ إِتْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾^(١) وهو منافٍ لقول رسول الله ﷺ يوم الخندق: (إن أمتي ستفترق بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، والباقي في النار)^(٢).

الحاصل على فرض صحته لا يمكن حمله إلا على المعنيين المذكورين الصحيحين *.

* ستفترق أمتي

أما إذا افترضنا أن المراد من الأمة هي الجماعة من المسلمين فقط، بدون إنضمام المعصوم معهم.

فيكون بذلك كل المسلمين على صواب وحق، فليس فيهم ظالم واحد، فيقتضي من هذا تكذيب حديث رسول الله ﷺ ((ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية، والباقيون في النار))^(٣).

ومن المعلوم أن المسلمين فرق، ولم يقل أحد من المسلمين أن جميع فرق المسلمين كلها ناجية، وعلى ذلك تبطل حجية الإجماع المفروض، لأن كل جماعة من المسلمين تدعي أنها على الحق والآخرى على باطل، وإلا غيرت طريقها إلى آخر، فبقاؤها على عقيدتها دليل على أحقيتها وبطلان غيرها، وهذا هو الواقع بصرف النظر عن المحق من المبطل.

(١) سورة النحل آية (١٢٠).

(٢) قال رسول الله ﷺ (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية، والباقيون في النار)

الإقتصاد للشيخ الطوسي ٢١٣، البحار للشيخ المجلسي ٣٦ / ٣٣٦.

(٣) نفس المصدر.

إذ الأمة^(١) لا تصدق إلا على التابع له ﷺ، ولا شك أن العاصي حين المعصية ليس بتابع له ﷺ، إذ هو ﷺ ما أمر بالمعصية، ولم يأمر بها، حتى يكون العاصي حين المعصية تابعاً، ويصدق التابعة نعوذ بالله، فلو اجتمعوا على أمر فلا بد من حصول القطع على تابعيتهم، حتى يصدق عليهم أن الأمة اجتمعوا، وهذا القطع لا يحصل إلا أن يكون بينهم معصوم لم يعص الله أبداً.

فهذا الإجماع حجة حيث يكشف عن قول المعصوم ﷺ، لا كل اتفاق وكل إجماع ❁.

❁ الأمة تطلق على التابع

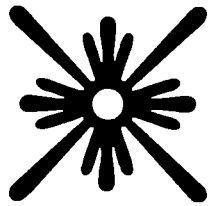
أي على صحة هذا الحديث ((لا تجتمع أمتي على خطأ)) أن المراد من الأمة هي التابعة له ﷺ، والتابعة له هي المطيعة فيما يأمر والمنتبهة فيما ينهي. أما العاصي من الأمة فلا يعد من الأمة، لأنه لم يتبع ما يقول نبيه ﷺ، والعاصي في حال المعصية غير تابع له بل تابع لنفسه وهواه، وللشيطان والعياذ بالله تعالى. فهذه الأمة التي لا تجتمع على خطأ لا بد لهم أنهم اتبعوا النبي ﷺ ولم يعصوه لكونهم تابعين، والمتابعة لا تكون مع المعصية والمخالفة، ولو فرض كون الأمة متابعة في ما يقول النبي ﷺ غير مخافة له قبل وبعد، يلزم عصمتهم وهذا خلف. لأنه لم يدع من المسلمين عصمة أحد الصحابة إلا أهل البيت ﷺ بدليل آية التطهير قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢).

(١) قال المقدس المولى آية الله الميرزا علي الإحقاقي قدس الله نفسه (الأمة أمتان: أمة الدعوة وأمة الإجابة، وجميع الناس أمة له ﷺ بالدعوة ولا يكونون أمة حقيقية له إلا بالإجابة والتبعية، والمخالفون له والعصاة إن أطلق عليهم الأمة فدعوة لا بالإجابة والحقيقة).

(٢) سورة الأحزاب آية (٣٣).

وحديث ((على مع الحق والحق مع علي))^(١) لأن من كان مع الحق والحق معه لا تصدر منه معصية، بل لا بد من القطع بتابعيتهم له، أما مع الشك فلا يجوز الإعتقاد عليهم، لاحتمال صدور معصية منهم للرسول ﷺ فيجمعون على خطأ ومعصية.

و أيضاً على فرضية القطع باتباع هذه الجماعة من الأمة لنبيها ﷺ في عدم المخالفة والمعصية، لا يكون إلا بوجود المعصوم بينهم، حتى يحفظ اتباعهم لأنهم غير معصومين، فإذا أجمعت أمة متبعة لنبيها ﷺ وفيهم معصوم، يكون هذا الإجماع وقول الأمة حجة وإلا فلا.



(١) المسائل الصاغانية للشيخ المفيد ١٠٩، الأمالي للشيخ الصدوق ١٥٠، الخصال للشيخ الصدوق ٤٩٦، البحار للشيخ المجلسي ١٠ / ٤٣٢، ينابيع المودة لذي القربى للقندوزي ١ / ١٧٣، الجمع بين الصلاتين لعبد اللطيف البغداي ٢١٢.

وأما الإجماع الذي هو اتفاق الكل، بحيث لم يخرج أحد من المسلمين من تحت عمومته فليس له وجود، ولا تحقق في حق إمام حاكم، ونصبه بعد رسول الله ﷺ، إذ المسلمون حين وفاته ﷺ كانوا متفرقين في أطراف البلاد، وما كانوا حاضرين في المدينة، وإنما الحاضر فيها أهلها فقط، واجتماعهم كلاً على نصب إمام حاكم، واتفاق كلهم عليه محل نظر، بل مقطوع بخلافه، مع أن اتفاق كل أهل المدينة على فرض تسليمه ليس بكاف، إذ أهل مكة، والطائف، وأهل اليمن كلهم كانوا ذلك الوقت مسلمين، ولم يحضروا هناك، ولم يدخلوا في إجماعهم، فكيف قام الإجماع الضروري، وانعقد عندهم؟ مع إخبار النبي ﷺ بافتراق أمته بعده ثلاث وسبعين فرقة، كلهم هالكون إلا فرقة ناجية.

فالإجماع على شخص واحد بوجود الفرق العديدة، من ظرافات الأقوال، فقول النبي ﷺ أولى بالتصديق من قول الغير*.

* عدم حجية الإجماع المفروض

الظاهر من الحديث (لا تجتمع أمتي على خطأ)، أن المراد من الأمة جميع المسلمين قاطبة، أي أجمع المسلمون كلهم على تعيين الحاكم بعينه، وهذا الإجماع باطل الحجية، إذ لم يجتمع جميع المسلمين على تنصيب حاكم بعينه، إذا المسلمون وقت وفاة النبي ﷺ متفرقون في البلاد، من المدينة ومكة والطائف واليمن وفي أطراف الجزيرة العربية، وهؤلاء لم يدخلوا في هذا الإجماع البتة، وإذا لم يدخل أكثر المسلمين فيه، فكيف يكون إجماعاً ضرورياً وثبت حجيته؟.

هذا مع إخبار النبي ﷺ بافتراق أمته إلى نيف وسبعين فرقة، كلهم هالكون إلا واحدة، فإدعاء الإجماع على شخص واحد، مع وجود الاختلاف والفرق المتعدد، من الظرافات كما قال المؤلف، فقول النبي ﷺ بافتراق الأمة، أكثرها باطلة، وواحدة على حق أولى بالإتباع، وعلى ذلك أنهدم حجية الإجماع المفروض.

وأما القول: إن المراد [من الإجماع] إجماع أهل الحل والعقد، فإن كان المقصود من أهل الحل والعقد هو المعصومون عليهم السلام فهو حق صحيح، وإن كان المقصود غيرهم ففيه ما ذكرنا، من أن القطع بالتبعية لا يحصل إلا بوجود معصوم، مع أن انحصار أهل الحل والعقد بأهل المدينة محل نظر، إذ كثير من المسلمين المخلصين كانوا منتشرين في الأطراف يوم بيعة سقيفة بني ساعدة، وما كانوا حاضرين.

وفي إجماع أهل الحل والعقد من أهل المدينة أيضاً نظر، إذ لم يدع هذا الإجماع غير فرقة واحدة، وليس لها شاهد إلا من نفسها، وشهادة المدعي ليست بمسموعة.

فظهر أن هذه الإجماعات على نصب الحاكم باطلة غير مفيدة، وليس فيما نسبوه من الخبر إلى النبي صلى الله عليه وآله دلالة بوجه من الوجوه، على جواز نصب الأمة والرعية إماماً حاكماً بينهم، كما رأيت أيها المتبصر الفطن ❀.

❀ إجماع أهل الحل والعقد

ذكر المؤولون لهذا الحديث لا تجتمع أمتي على خطأ، أن المراد من الأمة هي أهل الحل والعقد فقط دون بقية المسلمين من الصحابة.

الجواب

إن كان أهل الحل والعقد من المعصومين فهو حق لا ريب فيه، وإن كانوا غير معصومين ففيه ما فيه مما تقدم، لا بد من حصول القطع باتباعهم، وهذا القطع لا يكون إلا بوجود المعصوم عليه السلام معهم، هذا أولاً.

ثانياً: مع أن إدعاء أهل الحل والعقد من جميع أهل المدينة محل نظر، لأن كثيراً من المسلمين المخلصين البارزين خارج المدينة، وهم من أهل الحل والعقد

حسب الفرض، فهؤلاء لم يدخلوا مع المجمعين، وأيضاً إجماع أهل المدينة فيه نظر، لأنه لم يجمع جميع أهل المدينة على واحد، بل المجمع عليه فرقة واحدة، وشهادة المدعي لنفسه لا تقبل، فظهر بطلان الإجماع المفروض في حق نصب الخليفة بعد النبي ﷺ من أهل الحل والعقد.

الفصل الرابع

[آية التبليغ في تنصيب علي عليه السلام ولياً على الخلق]

قد عرفت أن نصب الإمام والحاكم على الرعية، وتعيينه واجب على الله سبحانه، بتبليغ الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

ولا شك أن هذا الأمر أمر خاص، ليس كسائر الأمور، فيه اهتمام تام، والرسول ليس من تبليغه في أمان، وفي إظهاره ظاهراً خائفاً كسلان، لعلمه بأنه ليس كسائر الأحكام، من الصوم والصلاة، والحج والجهاد وغيرها من الأمور العظام، إذ ليس في تبليغها خوف ولا اضطراب، وإنما هو نصب خليفة وإمام وحاكم، الذي يرغب عنه الناس، الذي يوسوس في صدورهم الخناس، لكونه خلاف مقتضيات أنفسهم، وإرادتهم ومشتبهات ميلهم، وخوف النبي ﷺ ظاهراً كان من إنكارهم وقصدهم قتله، فحينئذ يرتدون عن الدين، ويتبعون آباءهم الأولين، ويكون جميع تبعه وزحماته في إقامة الدين، وما تحمله من المشقات في إعلاء كلمة هذا الحق المبين عبثاً وهباءً، وتكون أعلام الدين منطمسة، ورايات الحق والشريعة

(١) سورة المائدة آية (٦٧).

مندرسه، ولكن لما وعد الله سبحانه لرسوله النصر والحفظ، فلذا نصب حاكماً ووصياً، كما سنذكره إن شاء الله ﷻ.

• العناية في آية التبليغ

من المعلوم أن هذه الآية أعني آية التبليغ، وهي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﷻ.

من أواخر الآيات التي نزلت على رسول الله ﷺ، بعد ما أخبرهم بالواجبات من الصلاة في بداية الدعوة في مكة المكرمة، ثم لما هاجر ﷺ إلى المدينة المنورة يثرب في السنة الثانية، أوجب على الأمة صيام شهر رمضان كما قال تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﷻ^(١).

ثم أوجب عليهم الزكاة في الغلات الأربع، الحنطة والشعير والتمر والزبيب، والأنعام الثلاث، الإبل والغنم والبقر والذهب والفضة، كل له حد معين، ونصاب محدد، قال تعالى في تشريع الزكاة: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﷻ^(٢)، ثم شرع الجهاد وقال: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﷻ^(٣).

ثم شرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على حسب الاستطاعة بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﷻ^(٤).

ثم شرع الخمس، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ السَّبِيلِ ﷻ^(٥).

(١) سورة البقرة آية (١٨٣).

(٢) سورة البقرة آية (٤٣).

(٣) سورة التوبة آية (٤١).

(٤) سورة آل عمران آية (١٠٤).

(٥) سورة الأنفال آية (٤١).

ثم شرع الحج في السنة الثامنة للهجرة بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١).

وهكذا بقية الواجبات التي أوجبها الله تعالى على خلقه عن طريق نبيه ﷺ، لم يكن فيها تشديد ولا تهديد وضمنان العصمة من الله عز وجل لنبيه ورسوله ﷺ من الناس، وضررهم وآذاهم إلا في آية التبليغ، التي هي من أواخر الآيات القرآنية، حتى جاء التهديد أنه إذا لم يبلغ هذا الأمر والواجب عليه ﷺ كأنه لم يبلغ شيئاً من الواجبات المتقدمة، من الصلاة والصيام والزكاة والخمس والجهاد بالسيف والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل كل واجب من الواجبات، بل كل عمل عمله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير هباء إلا بتبليغ هذا الواجب، فمنزلة هذا الواجب عما عداه منزلة الروح من البدن، أو القطب من الرحي.

فأجمع علماؤنا الإمامية وإخواننا السنة أن هذا الواجب والأمر العظيم هو التبليغ بولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ﷺ في رجوعه من حجة الوداع إلى المدينة المنورة، توسط في منطقة يقال لها غدیر خم، بتنصيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ والياً وحاكماً وخليفة ووصياً بعد رسول الله ﷺ، فلما وصل النبي ﷺ غدیر خم حبس المتأخر وأخر المتقدم، في هذا المكان غدیر خم، ثم نُصب له على مرتفع من الناس، وأخذ بيد ابن عمه وزوج ابنته الصديقة الطاهرة المطهرة فاطمة الزهراء ﷺ، ووالد ولديه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وقال للملأ وقوامهم أكثر من مائة ألف من المسلمين: أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قال المسلمون: بلى، فقال ﷺ: ((ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت وليه فعلي وليه، ومن كنت نبيه فعلي أميره))^(٢).

فحديث الغدير من الأحاديث المتفق على روايتها من العامة في صحاحهم

(١) سورة آل عمران آية (٩٧).

(٢) مصباح المتهدد للشيخ الطوسي ٧٤٨.

وكتبهم الخاصة، حتى قال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري في كتابه أسباب النزول، عن سبب نزول آية التبليغ بقوله: ((أخبرنا أبو سعيد محمد بن علي الصفار، قال: أخبرنا الحسن بن أحمد المخلدي، قال: أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم الحلواني، قال: حدثنا الحسن بن حماد سجادة، قال: أخبرنا علي بن عباس، عن الأعمش، وأبي الحجاب، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: ((نزلت هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يوم (غدير خم) في علي بن أبي طالب عليه السلام))^(١).

وقال: العيني في كتاب عمدة القارئ ((باب: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾).

أي: هذا باب في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ﴾ الآية ذكر الواحدي من حديث الحسن بن محمد قال: حدثنا علي بن عباس، عن الأعمش وأبي الجحاف، عن عطية، عن أبي سعيد قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يوم غدير خم في علي بن أبي طالب عليه السلام))^(٢).

فمعنى الآية الكريمة آية التبليغ، أن تبليغ ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو حقيقة الدين، لكونه وارث ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله بالنص من الله تعالى، والحث والزجر على ذلك، فلو لم يبلغ النبي صلى الله عليه وآله بولاية علي عليه السلام، فكأنه لم يبلغ شيئاً من أحكام الدين، لأن الدين لم يكن كاملاً إلا بولايته عليه السلام.

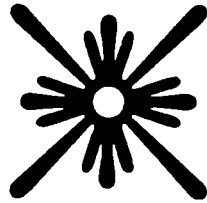
فلا عجب في ذلك لأنه مما تضافرت الروايات من الطرفين عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((حُب علي إيمان وبغضه كفر))^(٣) وإنه قسيم الجنة والنار، وغير وغير من الروايات المتفق عليها من الجميع، فمن أراد التوسعة في الأحاديث التي جاءت لنص الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام فاليراجع كتاب الغدير للعلامة الأمين رحمته الله، فكما أن الله تعالى هو

(١) أسباب النزول لأبي الحسن بن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ٢٣٣.

(٢) عمدة القاري للإمام العيني ١٨ / ٢٠٦.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ٦٥.

الذي اختار رسوله ﷺ، أختار أيضاً وصيه وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ واختار الأئمة اثني عشر من بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ بنص الكتاب والسنة المطهرة.



الحاصل لما كان الإمام والحاكم منصوباً من جانب الله سبحانه، بتبليغ النبي ونصه، كان خليفة الله وخليفة رسوله، على الخلق أجمعين، وحجة بين المكلفين، بحيث لا يساويه أحد من الرعايا في كمال من كمالاته، ولو على جهة الاتفاق، لأنه حجة على المجموع، كما أنه حجة على كل فرد، والعالم بمجموعه شخص واحد مكلف، وحجة الله عليه خاتم النبيين، وخاتم الوصيين، كما أشرنا إليه، فانه [كلما] كان هذا الإمام أكمل وأقدم في جميع الصفات، كان أحسن وأولى، وفي إتمام الحجة وإكمال النعمة أعظم، والحق سبحانه مع قدرته على نصب خليفة وإمام هكذا، لو عدل عنه إلى أنقص وأنزل منه رتبة، لكان عدولاً من الراجح إلى المرجوح، وهذا في حق الحق سبحانه محال، إذ يلوم الأنبياء ويذمهم على ترك الأولى، وترك الراجح، وهو أجل وأكرم من أن يرتكبه وهو القائل ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(١) .

❁ الوصي والخليفة هو الكامل

تقدم الكلام أن الوصي والخليفة إنما هو بتعيين الله عز وجل عن طريق رسوله ونبيه عليه السلام، وهذا الخليفة هو خليفة الله تعالى وخليفة رسوله عليه السلام، كما كان النبي خليفة الله تعالى من قبل.

ويجب أن يكون هذا الخليفة والوصي حائزاً على جميع الكمالات الظاهرية والباطنة، حيث لا يساويه ولا يشابهه أحد من الخلق، في فضيلة من الفضائل إلا كان أكملها وأفضلها وأحسنها وأسبقها، كالنبي عليه السلام حائزاً جميع الفضائل والمحاسن على الجميع.

(١) سورة البقرة آية (٤٤).

ولا بد أن يكون هذا الخليفة والوصي حائزاً ما حاز عليه النبي من الفضائل، عدا النبوة من كونه حجة على جميع ما سوى الله تعالى، من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، كما كان النبي ﷺ نبياً ورسولاً إلى ما سوى الله تعالى، لأن نبوته ورسالته عامة، أي كما أن الله عز وجل هو رب العالمين، كذلك رسوله ﷺ هو نبي ورسول العالمين، كذلك وصيه لكونه خليفته، هو خليفة وإمام لكل العالمين مما سوى الله عز وجل.

وأكبر دليل على ذلك آية الولاية بقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٥٥) (١).

فكما أن الله تعالى هو الولي على جميع ما سواه، كذلك نبيه محمد ﷺ، وما كان لنبيه كان لوصيه صلى الله عليهما وآلهما، فلا ينكر هذا الأمر إلا معاند مكابر للحق والعياذ بالله تعالى.

فيجب أن يكون الوصي كاملاً في كل شيء، ولا يحتاج إلى أحد في شيء من الأشياء، بل الخلق محتاجون إليه، لذا الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمته الله سئل عن دليل عقلي لا شرعي يدل على ولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام على غيره، قال: ((احتياج الكل إليه، واستغناؤه عن الكل، دليل على أنه إمام الكل)) (٢).

فمن راجع سيرته المباركة، وقضائه في زمن النبي ﷺ بأمره عليه السلام، وزمن الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان يجد الأمر واضحاً، حتى قال عمر بن الخطاب مراراً وتكراراً: ((لولا علي لهلك عمر)) (٣).

فلم يذكر التاريخ أنه سأل أحداً من الصحابة مطلقاً، بل يطلق عليه الغير إمام المفسرين كالقرطبي وغيره.

ففعل علي أمير المؤمنين عليه السلام أجلى من الشمس وأبين من الأمس، فلو احتاجت

(١) سورة المائدة آية (٥٥).

(٢) مجموعة الرسائل للشيخ لطف الله الصافي / ١ / ٩١.

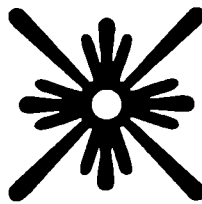
(٣) تفسير الرازي للإمام الرازي / ٢١ / ٢٢.

الشمس إلى تعريف لعرفنا علياً أمير المؤمنين عليه السلام، فالنبي صلى الله عليه وآله هو حجة الله على العالمين، وكذلك وصيه حجة على العالمين، فلا بد أن يكون كاملاً في كل شيء، لأنه حجة الله تعالى على كل شيء، ولو كان حجة الله تعالى والعياذ بالله ناقصة في شيء من الأشياء، أو أمر من الأمور أو مرجوحاً أو مفضولاً، لزم نقص حجة الله تعالى، بيد أن حجة الله تعالى هي الكاملة التامة البالغة، قال تعالى:

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ﴾^(١).

والله سبحانه وتعالى يلوم الأنبياء على ترك الأولى، وينهى الناس أن يأمرؤن بالبر وينسون أنفسهم، وهو العياذ بالله تعالى يرتكب ذلك حاشاه ثم حاشاه جل ربي عن ذلك علواً كبيراً، أن يترك الأكمل الأرجح الأعلم إلى الأنقص.

فاتصاف حجة الله وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بالصفات الكمالية أولى وأرجح، وكلما كان كذلك وجب على الله تعالى أن يفعل في الحكمة، لأنه لا يعدل من الراجح إلى المرجوح ولا من الفاضل إلى المفضول، لاقتضاء ذلك النقص في الحكمة، والله تعالى هو الحكيم الذي لا يخل بالحكمة سبحانه سبحانه.



(١) سورة الأنعام آية (١٤٩).

ودعوى عدم قدرته كفر، وعدم وجود المتعلق غلط، إذ قلنا سابقاً إن خاتم النبيين مبدأ وجود الكائنات، وكل الذرات الوجودية بتوسطه وجدوا، كأشعة الشمس بالنسبة إليها، فجميع الأنوار المنبثة في الأشعة جزء من سبعين جزء من نور الشمس، فعلى هذا كانت جميع الكمالات المنبثة في الرعايا، كلها جزء من سبعين جزء، من كمال خاتم النبيين ﷺ، وخليفته الذي هو خاتم الوصيين أيضاً لابد وأن يكون جامعاً لجميع الكمالات، وأحسن الصفات، حتى لا تتمكن الرعية المحجوجين من قول، إنه لو كان موصوفاً بصفة كذا من الكمال كان أحسن ولا يبقى لهم حجة بوجه من الوجوه، في إنكار خليفة الله سبحانه ❁.

❁ دعوى عدم قدرته على إيجاد الأكمل

قد البعض يتصور أن الله تعالى والعباد بالله سبحانه، لا يقدر أن يجعل غير النبي كاملاً مثل النبي صلى الله عليهما وآلهما، وهذا باطل لقدرة العامة المطلقة الكاملة.

لأن الإعتقاد في عدم القدرة كفر بالله العظيم، لأنه تعالى إذا لم يقدر على إيجاد وصي وولي كاملاً بعد النبي، أيضاً يكون عاجزاً على إيجاد نبي كاملاً، لأنه الذي يجوز في الوصي يجوز في النبي إلا يلزم الترجيح بلا مرجح، وإذا لم يكن قادراً على وجود نبي كاملاً، يقتضي العجز والضعف وهذا خلف.

إذاً الخليفة والوصي يجب أن يكون حائزاً جميع صفات الكمال مثل النبي، ولما كان الخليفة حائزاً على جميع صفات النبي ﷺ إلا النبوة، وجب أن يكون خاتماً للأوصياء، كما كان النبي ﷺ خاتماً للأنبياء ﷺ، ويكون كل ما عند الرعية من الكمالات فهو جزء من سبعين جزء من كمال الوصي والخليفة وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

ومن كماله يجب أن يكون عنده علم الكتاب، أي علم القرآن الذي فيه تبيان كل

شيء، كما قال تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١).
فالشاهد الأول للنبي ﷺ هو رب العزة عز وجل، والشاهد الثاني هو الذي عنده علم الكتاب كله، وهو الذي مع القرآن والقرآن معه، وهو الذي مع الحق والحق معه، وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

أما أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الذي عنده علم الكتاب فلا خلاف فيه بين الإمامية قاطبة، فهو لا ثاني له.

وأما إخواننا السنة فالبعض رأى هذا الرأي، منهم الثعلبي في تفسيره الثعلبي، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني كما قال في تفسير هذه الآية: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢).

قال: ((حدثني أبو الحسن الفارسي وأبو بكر المعمرى، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي الفقيه إماماً، قال: حدثنا محمد بن موسى المتوكل، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن عمرو بن مفلح، عن خلف، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب))^(٣).

فلو لم يكن وصي رسول الله ﷺ هكذا، لكانت حجة الله تعالى غير بالغة، والله تعالى حاشاه أن يعدل من الراجح إلى المرجوح.

وأيضاً لثلا يحتج الخلق على الله تعالى يوم القيامة، ويقولون له تعالى أنت تأمرنا بالطاعة والكمال وعدم المعصية، وتأمر أنبياءك بعد ترك الأولى، وأنت تترك الأولى ولأكمل وحتجك غير كاملة، بل والعياذ بالله تعالى عليه ذنوب ونقص في الظاهر أو في الباطن، والله تعالى لا يخل بواجب من كون حجته بالغة كاملة.

(١) سورة الرعد آية (٤٣).

(٢) سورة الرعد آية (٤٣).

(٣) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١ / ٤٠٠.

ولابد أن يكون ذلك المنسوب حاكماً وإماماً وخليفة، من المنسوبين إلى رسول الله ﷺ، إذ في نسبه ﷺ شرف فائق كل الشرف.

والنسبة على قسمين سببي ونسبي، واجتماع كليهما أكمل من وجود أحدهما.

والنسبة القريبة أشرف من النسبة البعيدة، وأقرب النسب الذي هو محل اجتماع النسبتين يكون النبي ﷺ أكبر وأعظم في النسب الظاهرية، ليس إلا ابن العم، فلما اجتمع مع النبي ﷺ في هذه النسب، اشترك معه ﷺ في جميع الشرافات العرضية، وعلو رفعة الآباء والأجداد، والسيادة بين القوم، وشرف الموطن والمحل والمكان وسائر الأحوال كلاً، فصار أشرف من العرب، الذي أشرف من العجم، وأشرف من قريش التي أشرف طوائف العرب، وأشرف من آل هاشم التي أشرف طوائف قريش، التي كان بيدها بيت الله، وحرم الله، ومفاتيحها دائماً.

• الوصي هو المنسوب للنبي ﷺ

تقدم الكلام أن الوصي والحاكم يجب أن يحوز على جميع مزايا الكمال والفضائل، الظاهرية والباطنية.

ومنها أن يكون بينه وبين النبي ﷺ نسب، والنسب على قسمين سببي ونسبي.

النسبة السببية

فالسببي هو المصاهرة بالزوجية، بأن يتزوج بنت النبي ﷺ، وذلك زواج أمير المؤمنين من فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد صلى الله عليه وآلهم جميعاً، مع تقدم كبار الصحابة لخطبتها، وإعراض النبي ﷺ عنهم، ويقول لهم: إن أمر فاطمة بيد الله تعالى، ومن الذين تقدموا لخطبتها: أبو بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب،

وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم من البارزين من الصحابة.

ولما خطبها علي أمير المؤمنين عليه السلام جاءت الموافقة من الله تعالى بزواجها منه عليه السلام، فالعاقد لها ربُّ العزة تبارك وتعالى، والشاهدان جبرائيل وميكائيل عليهما السلام، ولما عقد على الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، في السماء نزل جبرائيل عليه السلام لرسول الله ﷺ إلى الأرض من الله سبحانه، وقال له زوج النور من النور، زوج علياً بفاطمة عليها السلام، وهذا الأمر مما أجمع عليه المسلمون قاطبة ولا خلاف فيه.

النسبة النسبية

والنسبة النسبية أن يكون بينه وبين النبي صلى الله عليه وآلهما نسبة في النسب، أي يجتمع معه في جد واحد وهو عبد المطلب عليه السلام، وعبد المطلب من بني هاشم، وبنو هاشم من قريش، وقريش سيدة العرب، والعرب سيدة العجم، فالعرب أفضل من العجم، وقريش أفضل العرب، وبنو هاشم سادة قريش، لأنه بيدهم خدمة البيت الحرام، وسقاية الحاج، وبنو عبد المطلب سيدوا بني هاشم، ورسول الله ﷺ سيد الكل في الكل، ووصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو أقرب بني عبد المطلب منه في النسب.

فحاز الوصي والحاكم بعد رسول الله ﷺ شرف الحسب والنسب والسبب من جميع أطرافه، حيث لم ينل أحد حتى من بني هاشم شرف النسب والسبب ما نال وصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أرواحنا فداه وزادنا في حبه ومعرفته، وثبتنا على ولايته والبراءة من أعدائه، في الدنيا والآخرة.

حتى أنه يوم السقيفة قال المهاجرون محتجين على الأنصار، بأنهم أولى بالخلافة بعد رسول الله ﷺ من الأنصار لأنهم من قريش، وقريش أقرب من الأنصار برسول الله ﷺ، مع العلم أن قريش الجنس والنسب البعيد لرسول الله ﷺ، مع علمهم أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أقرب الكل في الكل في النسب والسبب، أما في النسب فهو ابن عمه، فعبد الله والد النبي ﷺ أخو أبي طالب واسمه عبد مناف من جهة الأب والأم، فأبو عبد الله وأبي طالب عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف،

وأُمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم، وأما في السبب هو زوج ابنته ﷺ .

فالمهاجرون لما احتجوا على الأنصار بأنهم أولى بالخلافة والوصاية برسول الله ﷺ، لأن رسول الله ﷺ منهم لعلمهم أن النسبة النسبية فيها شرف الدنيا والآخرة، مع علمهم أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ هو الأقرب القريب الملاصق لرسول الله ﷺ في جد واحد، وزوج ابنته الصديقة فاطمة الزهراء ﷺ، لذا قال تعالى رداً على المهاجرين بأنهم أقرب الناس برسول الله لكونهم من قريش، وقريش أقرب الناس رحماً من الأنصار، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(١).

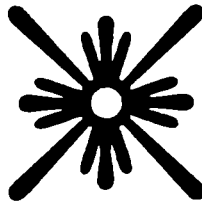
أي إن كنتم تحتجون على الأنصار بأنكم من قريش، وقريش أقرب للنبي ﷺ من الأنصار، فالأولى أن يكون الوصي من كان رحمه أقرب من البعض ومن الكل، ولا يشك أحد أن علياً ﷺ هو أقرب وهو أولى من الكل برسول الله ﷺ من جهة النسب والسبب.

فعلى قاعدتهم بأنهم من رحم وأهل رسول الله ﷺ، وعلى ذلك يستحقون الخلافة والوصاية بعد النبي ﷺ، يجب عليهم أن يقدموا علياً أمير المؤمنين ﷺ لأنه الأقرب مطلقاً من جهة النسب والسبب.

حتى أن عمر بن الخطاب تمنى أن يكون له نسب بالمصاهرة مع رسول الله، كما روي في الكامل لعبد الله بن عدي قال ((أخبرنا أبو يعلى ثنا القواريري ثنا عبد الله بن جعفر، أخبرنا سهيل عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال: عمر بن الخطاب ((لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال، لأن يكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أعطي حمر النعم.

قيل وما هي يا أمير المؤمنين؟.

قال: تزويجه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسكناه المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل له فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر^(١).
فتمنيه بأن يكون له سبب من رسول الله ﷺ لعلمه أن في مصاهرته فضل وكمال،
لذا وجب في الوصي أن يكون له سبب ونسب من رسول الله ﷺ لأن من كان له نسب
وسبب منه ﷺ كان أكمل وأفضل، والله تعالى لا يعدل من الأكمل إلى غيره، لقدرته
الكاملة التامة.



ولا بد أن يكون أيضاً معصوماً ومطهراً من جميع المعاصي، والذنوب الكبيرة والصغيرة، قبل البلوغ وبعده، وقبل الخلافة وبعدها، حتى لا يشاهد الخلق فيه غير حسن السيرة والسريرة، ولا ينفر عنه الملائكة المقربون، ولا يعرض عنه الجن، إذ هو خليفة الله على الملائكة والجن والإنس، وحقته في سمائه وأرضه، وخليفة الرسول على جميع ما بعث له الرسول، وحتى يستدل بطهارته وعصمته، على أن الله سبحانه منزّه ومبرء من جميع النقائص والصفات الإمكانية. ❀

❀ الوصي معصوم

تقدم الكلام أن الوصي والحاكم هو خليفة رسول الله ﷺ، ومكمل التشريع، وامتداد النبوة إلى أن تقوم الساعة، فلا بد أن يكون معصوماً حتى يحفظ أمر الله تعالى عن التغيير والتبديل والانحراف عن الصراط المستقيم.

ومما أجمع عليه المسلمون العامة والخاصة، أن علياً أمير المؤمنين والصديقة فاطمة الزهراء والحسن والحسين هم أهل البيت ﷺ الذي عناهم الله تعالى بآية التطهير بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١) والكلام في عصمة الوصي كالقلام في عصمة النبي ﷺ، لثلا يصاب دين الله تعالى بالتحريف والتفجير بالمكلفين، في حال صدور المعصية من كليهما.

وأما من السنة فأجمع المسلمون من العامة والخاصة عن النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: ((علي مع الحق، والحق مع علي، يدور معه حيثما دار))^(٢).

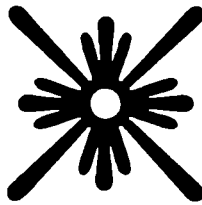
(١) سورة الأحزاب، آية (٣٣).

(٢) المسائل الصاغانية للشيخ المفيد ١٠٩، الأماي للشيخ الصدوق ١٥٠، الخصال للشيخ الصدوق ٤٩٦، البحار للشيخ المجلسي ١٠ / ٤٣٢، ينابيع المودة لذي القربى للقندوزي ١ / ١٧٣، الجمع بين الصلاتين لعبد اللطيف البغداي ٢١٢.

وقال عليه السلام: ((علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يرث علي الحوض))^(١).

فكونه مطهراً من الرجس، والرجس كل ما يستقدر، وأعظم ما يستقدر الذنوب، وكونه مع الحق والحق معه، وكونه مع القرآن والقرآن معه، أي لا يكون في حالة يخالف الحق، ولا يخالف القرآن، وهذا معنى العصمة.

فلم يدع أحد لا من العامة ولا من الخاصة عصمة أحد من الصحابة أبداً إلا أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام.



(١) الأماشي للشيخ محمد الطوسي ٤٦٠، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣ / ١٢٤، المعجم الأوسط للطبراني ٥ / ١٣٥، الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ٢ / ١٧٧، البحار للشيخ المجلسي ٢٢ / ٢٢٣، كنز العمال للمقتفي الهندي ١١ / ٦٠٣، فيض القدير شرح الجامع الصغير للنماوي ٤ / ٤٧٠، الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف للسيد ابن طاووس ١٠٣.

ولا بد أن يكون الخليفة أيضاً أعلم جميع الخلق، بجميع العلوم الكونية والوجودية، حتى يستدل بسعة علمه على إن علوم خالقه لا تتناهى، وكذلك في القدرة لا بد أن يكون أقدر المخلوقين، ومتمكناً من إظهار عجائب الأفعال، وخوارق العادات، وانفعال كل الموجودات له، حتى يستدل الخلق به على عظمة خالقه، وقدرته، وبارئه الذي أعطى مخلوقاً ضعيفاً هذا الاقتدار، وهذه القدرة الكاملة، فجميع ما يظهر في هذا الحاكم والخليفة من القدرة والاقتدار، هي القدرة الإلهية العظمى، والغرض من إيجاد العالم إظهار الصفات الكمالية الإلهية للمخلوق في المخلوق، لأن ذات الواجب جلّ شأنه وعظمت قدرته لا تدرك، ولا بد أن يكون أشجع الخلق، بحيث لو قابله جميع الإنس والجن لغلبهم، إلا أن لا يرى الصلاح في ذلك، وكذا في الورع والزهد، لا بد أن يكون أزهد الخلق وأورعهم، بحيث لا يكون لغير الله سبحانه عنده قرب ولا قيمة، وكذا في سائر الصفات الكمالية، والنعوت الحسنة، بحيث تعجز عنها سائر الخلق.*

❁ علم الوصي وقدرته

من الصفات الكمالية التي يجب أن يتصف بها النبي ثم الوصي عليه السلام أن يكون أعلم أهل زمانه، حيث لا يسأل عن مسألة إلا ويجيب عنها، وليس من الصحابة عنده علم القرآن وعلم السنة وعلم القضاء إلا علي أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: ((سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماوات، فإنني أعرف بها من طرق الأرض))^(١).

(١) الفضائل لشاذان بن جبرائيل القمي ٩٨.

فعلي عليه السلام هو العالم، وهو القاضي، وهو الحاكم لذا قال عليه السلام ((علي أفضاكم))^(١) وأمره عليه السلام بالقضاء في حياته لما بعثه إلى اليمن وأمضى قضاءه، وذلك بمسمع الصحابة كلهم، ولم يرسل إلى اليمن للقضاء غيره في حضوره عليه السلام.

وكذلك يجب أن يتصف هذا الولي والوصي بأنه أقوى الخلق بعد النبي عليه السلام، وهذه القوة التي لا مثل لها، ظاهرة في مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصي رسول الله عليه السلام، قلع باب خيبر، وقاتل مرحباً وعمرو بن ود العامري وأحزابهم، مما أقره المؤرخون من العامة والخاصة، من المسلمين وغيرهم على شجاعته وبسالته سلام الله عليه.

حتى قال عليه السلام في ذلك.

((وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها))^(٢).

فأسأل سؤال أخي القاريء الكريم!! هل من الصحابة من يقول هذا القول؟ وهل من الصحابة يجرأ ويقول سلوني قبل أن تفقدوني غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ الذي لم يسجل له التاريخ انهزام أو فرار في معركة واحدة من معاركه.

لذا ظهرت على يديه فضائل ومناقب عجزت عن الإحصاء، من رد الشمس له، قلع باب خيبر، وظهور الفضائل والمناقب التي ملئت الخافقين، كما ظهر لعيسى بن مريم على نبينا وآله عليهم السلام من خلق الخلق، وإخبار المغيبات، وإحياء الموتى، وكأصف بن برخيا وصي نبي الله سليمان صلى الله على نبينا وآله وعليه السلام، أتى بعرش بلقيس في أقل من طرفة عين، وهو عنده علم من بعض الكتاب.

كما قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آئِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(٣).

(١) الخصال للشيخ محمد الصدوق ٥٥١، فتح الباري لابن حجر ١٠ / ٤٨٧.

(٢) نهج البلاغ ٣ / ٧٣.

(٣) سورة النمل (٤٠).

فكيف بمن كان عنده علم الكتاب كله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١).

والكتاب أي القرآن الكريم، فيه كل شيء مما كان ويكون وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، وفيه جميع ما يحتاج إليه الخلق مطلقاً إلى انقضاء العالم، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢)، لذا خرج من فضائله ومناقبه ما حير الألباب، مما شهدها العامة والخاصة.

ولنعم ما قال شاعر أهل البيت عبد الباقي العمري في قصيدته العصماء، في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

قصيدة عبد الباقي العمري

ببطن مكة وسط البيت إذ وضعها
برج السماوي عنه خاسثا رجعا
بغير راحة روح القدس ما قرعا
معشارها فلك الأفلاك ما وسعا
ذي بمخلبه للشرك قد نزعها
أي الجهات انتحى يلقاهموا تبعا
بها جميع الذي في الذكر قد جمعا
غدا على الحوض حقا تحشران معا
للأنبياء إله العرش ما شرعا
ما حاد عنه عداه الرشدا فانخزعا
يسقى الثغور ويشفي مرة طبعا
لخائف وللاج لاذ وانتجمعا
وأنت حصن لمن من دهره فزعا

أنت العلى الذي فوق العلى رفعا
وأنت حيدرة الغاب الذي أسد ال
وأنت باب تعالى شأن حارسه
وأنت ذاك البطين الممتلي حكما
وأنت ذاك الهزبر الأنزع البطل ال
وأنت يعسوب نحل المؤمنين إلى
وأنت نقطة باء مع توحدتها
وأنت والحق يا أفضى الأنام به
وأنت صنو نبي غير شرعته
وأنت زوج ابنة الهادي إلى سنن
وأنت بالطبع ليث تارة عطبا
وأنت غوث وغيث في ردى وندى
وأنت ركن يجير المستجير به

(١) سورة الرعد آية (٤٣).

(٢) سورة النحل آية (٨٩).

وأنت من بنده عز من طعما
 وأنت ذو منصل صل ينضنض في
 وأنت عين يقين لم يزده به
 وأنت ذو حسب يعزى إلى نسب
 وأنت ضاضاً مجد في مدى أمد
 وأنت من حمت الاسلام وفرته
 وأنت من فجع الدين المبين له
 وأنت أنت الذي منه الوجود نضى
 وأنت أنت الذي حطت له قدم
 وأنت أنت الذي للقبلتين مع
 وأنت أنت الذي في نفس مضجعه
 وأنت أنت الذي آثاره مسحت
 وأنت أنت الذي آثاره ارتفعت
 وأنت أنت الذي يلقي الكتاب في
 وأنت أنت الذي لله ما فعلا
 وأنت أنت الذي لله ما وصلا
 حكمت في الكفر سيفاً لو هويت به
 محذب يترائى في مقعره
 أسلت من غمده ناراً مروقة
 حكى الحمام حماماً من حسامك في
 غليله طالما أوردته علقاً
 بذى فقارك منا أي فاقرة
 أراد سيفك في ليل العجاجة ان
 عالجت بالبيض أمراض القلوب ولو
 والرعد قد ظن البرق فيك كبا

وفي جدي من سواه ذل من طعما
 غمد كالغد لمكر الكفر قد بلعا
 كشف الغطاء يقينا آية انقشعا
 قد نيط في سبب أوج العلى قرعا
 قد فصل الدهر أوصالاً وما انقطعا
 ودرعت لبدتاه الدين فادرعا
 ومن بأولاده الاسلام قد فجعا
 عمود صبح ليافوخ الدجى صدعا
 في موضع يده الرحمن قد وضعا
 النبي أول من صلى ومن ركعا
 في ليل هجرته قد بات مضطجعا
 هام الأثير فأبدى رأسه الصلعا
 على الأثير وعنهما قدره اتضعا
 ثبات جأش له ثهلان قد خضعا
 وأنت أنت الذي لله ما صنعا
 وأنت أنت الذي لله ما قطعما
 يوما على كبد الأفلاك لا نخلعا
 موج يكاد على الآفاق ان يقعا
 تجرع الكفر من راووقها جرعا
 لسان نار على هاماتهم سجعا
 يوم النهروان من نهر فما انتقعا
 قصمتها ودفعت السوء فاندفعما
 يروى السنا عن لسان الصبح فاندلعما
 كان العلاج بغير البيض ما نفعا
 لما أغرت على العليا فقال لعا

نبذت للشرك شلوا بالعرء لذا
والليل لما تسمى كافرا بشبا
وباب خيبر لو كانت مسامره
باريت شمس الضحى في جنة بزغت
لله در فتى الفتيان منك فتى
لقد ترعرعت في حجر عليه الذي
ربيب طه حبيب الله أنت ومن
رعاه مولاه من راع لامته
أخاك من عز قدرا ان يكون له
سمتك أمك بنت الليث حيدرة
لك الكساء مع الهادي وبضعته
لئن توجع في يوم الطفوف لكم
قد خادعوا منك في صفين ذا كرم
نهج البلاغة نهج عنك بلغنا
به دمغت لأهل البغي أدمغة
كم مصقع من خطاب قد صقعت به
ما فرق الله شيئا في خليفته
أبا الحسين انا حسان مدحك لا
وكل من راح للعلياء مبتكرا
عذرا فقد ضقت ذرعا عن احاطته
وجوهر المدح في عليك رونقه
مدح لقد خضعت كل الحروف له
به أساجل أقواما آجالهم
مستنبط من قلب القلب ينضح
أوراقه مرتع الأحداق كم نظر

عليه نسر من الحدلان قد وقعا
قرضاب بطشك قد غادرته قطعا
كل الثواب حتى القطب لانقلما
في يوم بدر بزوغ البدر إذ سطعا
ضرع الفواطم في مهد الهدى رضعا
حجر براهين تعظيم به قطعا
كان المرابي له طه فقد برعا
لجده وأبيه الحق فيك رعا
أخ سواك إذا داعي الإخاء دعا
أكرم بلبوة ليث أنجبت سبعا
وقرتي ناظريه ابنيك قد جمعا
فما سوى اله والله اشتكي الوجعا
ان الكريم إذا خادعته انخدعا
رشدا به اجتث عرق الغي فانقمعا
لنخوة الجهل قد كانت أشروعا
فوق المنابر صقع العذر فانصقعا
من الفضائل إلا عندك اجتمعا
أنفك أظهر في انشائه البدعا
جاء الثناء على علياء مخترعا
وكلما ضقت من تحديده اتسعا
بلبة الدهر في لآلئه نصعا
وكل صوت إلى إنشاده خشعا
فيذهبون بتهذيبي له شبعا
فكر وهل تنزح الأفكار ما نبعا
فيه لذي نظر في الشعر قد رتعا

ربع ربيع المعاني في بطائحه	تري لسائمة الأفكار مرتبعا
في كل بيت قصيد من مقاصده	باب بمصرعه التخيل قد صرعا
ما زاده فكر ذي حس مطالعة	إلا وزاد كأفكاري به ولعا
وما تعلق فيه طرف رامقه	إلا وشاهد برقاً ومضه لمعا
وما وعت مهجة أفلاذ جذوته	إلا ومقباسها أثنائها لذعا
وما بكت مقلة من فيه قد ذكروا	إلا سقت ما به تذكاهم زرعاً
وما امتطي لاحقاً في اثره أحد	إلا وعن شاؤه في عدوه ضلعا
بسيط بحر له ثغر يمر شفه	للأبحر السبع مأمون الشجا كرعا
فأقبل فدتك نفوس العالمين ثنا	بمثله العالم العلوي ما سمعا
عليك أسنى سلام الله ما غربت	شمس وما قمر من أفقه طلعا
وآلك الفر ما ناحت مطوقة	من فوق غصن أسى في حزنها نبعا
وما لأوج العلى نادى مؤرخه	مقام نعت علي باسمه رفعا

فضائل أمير المؤمنين هي قدرة الله تعالى

إن الفضائل التي خرجت على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هي أولاً وبالذات إظهار قدرة الله تعالى، وثانياً وبالعرض هي فضيلة لأمر المؤمنين عليهم السلام، لكونه عليه السلام حامل مشيئة الله تعالى، وعينه الناظرة، وأذنه الواعية، ولسانه المعبر عنه، ويده الباسطة، وجنبه العلي، وصراطه السوي.

كما تظهر بعض قدرة الله عز وجل في بعض خلقه، كقدرة الله تعالى في الشمس، التي يعيش بها كل ما في سطح الأرض، فلولاها لماتت الحياة على الأرض.

وكقدرة الله تعالى في الملائكة، فهم المدبرات في الوجود من الخلق والرزق والحياة والإماتة ﴿فَالْمُدْرَاتِ أَمْرًا﴾^(١).

وكقدرة الله تعالى في الماء، الذي به حياة كل شيء حي، فلولا الماء لماتت الحياة التي على سطح الأرض.

(١) سورة النازعات آية (٥).

وكقدرة الله فيّ وفيك أيها الإنسان، في بقاء النسل فلولا الرجل والمرأة لانقطع النسل من على وجه الأرض.

وهكذا في بقية الموجودات المسخرة للإنسان، من السماء والشمس والقمر والنجوم والهواء والتراب والمطر والزرع وغير ذلك، فكل هذه مظاهر لقدرة الله تعالى، لذا قال تعالى مخاطباً الخلق ظهور قدرته فيهم، ولولا قدرته لما ظهر ما ظهر ولما كان ما كان.

قال عز وجلّ مخاطباً الإنسان وغيره من المخلوقات بظهور قدرته فيهم، بقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ ، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ .

﴿أَفَرَأَيْتُمْ أَلْمَاءَ الَّتِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ (١).

وقال تعالى في ظهور قدرته في الأنعام من الحيوانات، وفي المطر وفي الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، وظهور قدرته تعالى في النبات بأنواعه، وظهور قدرته في البحر وفي الأرض والجبال والأنهار وغيرها بقوله سبحانه: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَنَ

(١) سورة الواقعة آية (٥٨ - ٥٩ ، ٦٣ - ٦٤ ، ٦٨ - ٦٩).

(٢) سورة النحل آية (٥ - ٨).

فِي الْأَرْضِ رَوَّيْكَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ وَيَالْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴿١﴾ .

انظر عزيزي القارئ الكريم إلى ظهور بعض قدرة الله عز وجل في بعض الخلق، الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه الكريم، فتكون هذه المخلوقات مظهرة لقدرة الله تعالى لا غير، فلا مؤثر ولا فاعل ولا قادر إلا الله سبحانه وتعالى .

فإذا جاز ظهور بعض قدرته لبعض مخلوقاته، فلم لا يجوز أن يظهر قدرته عز وجل في ولي من أوليائه، ووصي من أوصيائه، ووصي رسول الله وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أرواحنا فداه، فكل ما ظهر منه من الفضائل والمناقب والكرامات، التي لا تعد ولا تحصى كلها قدرة الله تعالى تجلت في علي وآل علي أهل البيت عليهم السلام الذين طهرهم الله من الرجس تطهيراً .

عزيزي القارئ لما تسمع من بعض فضائل أمير المؤمنين وفضائل الصديقة فاطمة الزهراء والأئمة المعصومين عليهم السلام فلا ترتاع ولا ترتج ولا تشك، فإنها قدرة الله تعالى تجلت فيهم، فتعجبني رواية عن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام روي عن عمر بن فرج الرُّخجي قال: قلت لأبي جعفر: إن شيعتك تدعي أنك تعلم كل ماء في دجلة ووزنه؟ وكنا على شاطيء دجلة، فقال لي: ((يقدر الله تعالى أن يفوض علم ذلك إلى بعوضة من خلقه أم لا؟ قلت نعم ك يقدر، فقال: أنا أكرم على الله تعالى من بعوضة ومن أكثر خلقه))^(٢) فهم عليهم السلام أولى بظهور قدرة الله تعالى وعلمه فيهم من غيرهم، لأن محمداً وآل محمد عليهم السلام هم أفضل الكائنات والموجودات، فهم أهل البيت، وهم أصحاب الكساء، وهم أصحاب المباهلة، وهم أصحاب آية الولاية، وهم أصحاب آية التبليغ، وهم ذو القربى الذين حبههم أجر الرسالة، بل هم أول الخلائق وجوداً، وأولهم عبادة، وأولهم طاعة، وأولهم علماً، وأولهم حلماً، وأولهم كرمأ، وأولهم تقى وورعاً وخشوعاً وخضوعاً ومعرفة بالله عز وجل .

(١) سورة النحل آية (١٥ - ١٧) .

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٥٠ / ١٠٠ - ١٠١، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ٤٢ / ١ .

فضيلة أمير المؤمنين عليه السلام مع سلمان

ذكر آية الله العظمى، العالم العامل، واللوذعي الكامل، أستاذ الفقهاء، وقدة العلماء، الحسين النسيب، والفظن الأديب، ناشر فضائل المعصومين، ومدافع عن سيد الوصيين، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، عليه أفضل صلاة المصلين، الآغا الأخوند الميرزا محمد تقي المامقاني قدس الله روحه، ونور ضريحه، وزاده فضلاً على فضل، في كتابه صحيفة الأبرار، نقلاً عن كتاب أحسن الكبائر للقشيري قال: ((كان أمير المؤمنين عليه السلام قاعداً على سطح بيت يأكل الرطب، وهو إذ ذاك ابن سبع وعشرين، وسلمان قاعد في صحن الدار، يرقع خرقة له، فرماه علي عليه السلام بنواة من رطب.

فقال سلمان: تمازحني يا علي!! وأنا شيخ كبير!! وأنت شاب حدث السن.
فقال علي عليه السلام: يا سلمان حسبت نفسك كبيراً، ورأيتني صغيراً، أنسيت دشت أرزن، ومن خلصك هناك من الأسد.

قال: ولما سمع سلمان ذلك فزع، وقال: أخبرني كيف ذلك؟ فقال علي عليه السلام: إنك كنت واقفاً في وسط الماء، تفزع من الأسد، فعند ذلك رفعت يدك بالدعاء، وسألت الله عز وجل أن ينجيك منه، فاستجيب دعوتك، وقد كنت أنا إذ ذاك أمر في تلك الصحراء، فأنا ذلك الفارس الذي كان درعه على كتفه، والسيف بيده، فجردت السيف، وضربت الأسد، فقسمته نصفين، وخلصتك منه، فقال سلمان: إن لذلك علامة أخرى، قال: فمد أمير المؤمنين عليه السلام يده، وأخرج من كفه طاقة ورد طري، وقال هذه هديتك التي أهديتها لذلك الفارس، في ذلك المكان، قال: فلما رأى سلمان ذلك ازداد تحيراً، وإذ بهاتف يناديه يا شيخ أمض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله واقصص عليه قصتك. قال: فمضى سلمان عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعل يقص عليه قصته ويقول: يا رسول الله إني قرأت نعتك في الإنجيل، ورسخ حبك في قلبي، وتركت جميع الأديان غير دينك، وكنت أخفي ذلك من أبي، ولما وقف على ذلك مني أراد قتلي، لكن منعه عن ذلك إشفاقه على أمي، وكان يدبر الحيلة في قتلي، فكان يكلفني

الأعمال الصعبة، ويأمرني بها، ففررت منه لذلك، إلى أن وقعت في بادية أرزنه، فتمت بها ساعة، وعرض لي إحتلام، ولما انتبهت سرت إلى عين هناك، ونزعت ثيابي، ودخلت الماء لأغتسل من الجنابة، وإذ أنا بأسد قد طلع من ناحية، وجاء حتى وقف على ثيابي، ولما رأيت ذلك فزعت منه، وجعلت أدعو وأتضرع وأسأل النجاة من الأسد، وإذ أنا بفارس قد طلع، فضرب الأسد بسيفه، ففقدته نصفين، فخرجت أنا من الماء، وانكبت على ركابه أقبلها، وكان الفصل فصل الربيع، والصحراء مشتملة على الورد والرياحين، فعمدت إلى طاقة ورد، وأهديتها له، ولما أخذها مني غاب عني، فلم أر منه بعد ذلك عيناً ولا أثراً.

وقد جاءت على هذه الواقعة بضع وثلاثمائة سنة، ولم اقصصها على أحد، وقد أخبرني الآن بذلك ابن عمك علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال رسول الله ﷺ: يا سلمان إنه ليس بعجب من أخي، فإنني قد رأيت منه أعجب من ذلك.

يا سلمان لما أسرى بي إلى السماء، وبلغت سدرة المنتهى، تخلف عني جبرائيل، فعرجت إلى عرش ربي، فبينما يناجيني الله تعالى وأناجيه، وإذ أنا بأسد واقف قدامي، فنظرت وإذا هو علي بن أبي طالب، ولما رجعت إلى الأرض دخل عليّ وسلم، وهنأني بمواهب ربي وعناياته لي، ثم جعل يخبرني بجميع ما جرى بيني وبين ربي من الكلام، اعلم يا سلمان أنه ما ابتلى أحد من الأنبياء والأولياء منذ عهد آدم إلى الآن ببلاء، إلا كان علي هو الذي نجاه من ذلك^(١).

وقد علق آية الله الميرزا محمد تقي المامقاني بعد ذكر هذه الفضيلة بقوله: ((يقول محمد تقي الشريف مصنف هذا الكتاب، إن الضعفاء يستوحشون من أمثال هذا الحديث وما قبله، ولا يكادون يذعنون بها، لقصور أفهامهم عن معرفة أسرار أولياء الله، مع أنهم مذعنون بحكم تواتر الأخبار من الفريقين، بسبق خلق أنوارهم

(١) صحيفة الأبرار لآية الميرزا محمد تقي المامقاني ٢ / ٢١، نفس الرحمن في فضائل سلمان لميرزا حسين النوري الطبرسي ١١٨.

على ساير الخلق بدهور كثيرة، وأنهم هم الذين علموا الملائكة التسبيح والتهليل عند إبتداء خلقهم.

فليت شعري!! ما المانع لمن خلق قبل الخلق أن يظهر فيما شاء من الزمان، لمن شاء، سوى توهم أنه إذ ذاك نطفة في أصلاب الأباء، وأرحام الأمهات، فكيف يظهر مع ذلك رجلاً سوياً، وهو من أقبح التوهيمات عند أصحاب الألباب، إذ أدنى ما يقال في الجواب عن ذلك.

أن الله الذي جعله نطفة في الأصلاب والأرحام، بعد أن كان نوراً تام الخلقة في عالم الأنوار، يسبح الله ويقدهه بالسنة قدسية، أليس بقادر على أن يمثله بشراً سوياً حيث يشاء؟.

فما لكم كيف تحكمون!! على أنا قد قدمنا الإشارة إلى أن أنوارهم الطاهرة لا تقاس لسائر الناس، فإنها فوق الحدود البشرية تلبسوا بها ليكمل الخلق، فلا يمنعهم طور عن طور، وحد عن حد، ومكان عن مكان، لكونهم مهيمين على تلك الحدود، فيظهرون بأي حد شاؤا، في أي حد شاؤا، في أي مكان شاؤا، ولا يشغلهم شأن عن شأن، فهم حال كونهم نطفة في الأصلاب والأرحام إن شاؤا ظهروا في ألف مكان، من غير أن تخلو منهم تلك الأصلاب الطاهرة أو الأرحام المطهرة.

لأن تلك الحدود كلها خلقت من فاضل أنوارهم، فلا يجري عليهم ما هم أجروه، فلا يكونون مأمورين في أسر قيد واحد، بحيث لا يقدر على فكه، لأن جميع القيود ملكهم وبيدهم، لأنهم يد الله الذي بيده ملكوت كل شيء، والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء.

وبالجملة وجودهم ﷺ بالنسبة إلى تلك الحدود، وجود هيولائي غير مقيد بصورة مخصوصة لا يتعدها إلى غيرها، كما هو حال سائر الخلق الواقعين تحت أسر تلك الحدود، ولذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يحضر بعد موته عند جنازته، مع كون السرير غير خالي عنه أيضاً^(١) ومن بديهات العقائد عندنا الإمامية، أنه ما من أحد

يموت من مؤمن أو كافر في المشرق أو في المغرب إلا ويحضره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ورسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام عند موته، فلو مات في لحظة واحدة مليون شخص من مؤمن وكافر، كيف يحضرون عنده وهم شخص واحد.

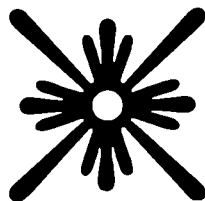
كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً حار همدان بقوله:

يا حار همدان من يموت يرنٍ من مؤمن أو منافق قبلاً

فأجمعت الإمامية الشيعة قاطبة أنه ما من أحد يموت إلا ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، حتى لو أحتضر في لحظة واحدة مليون أو ترليون من الناس يحضرون وهم في مقامهم وجنتهم سلام الله عليهم.

فأمير المؤمنين عليه السلام هو أكبر مظهر لقدرة الله تعالى، وكذا الصديقة فاطمة الزهراء والأئمة عليهم السلام، فهم الآيات العظمى لله تعالى، وهم المقامات والعلامات، التي بها يعرف الله عز وجل.

إلا أنه قد تقتضي المصلحة أن يكفوا عن درء السوء من القتل والظلم، كما جرى على الإمام الحسين عليه السلام من قتله وتمثيله وتسيير رأسه من بلد إلى بلد، وسبي نسائه وأطفاله، من مجلس إلى مجلس، مع قدرته على خلاف ذلك، ولكن صبراً لأمر الله تعالى، وحفظاً للدين سلام الله عليهم أجمعين.



الفصل الخامس

[لابد لوصي النبي من وصي آخر من قبل الله تعالى]

اعلم أن الدليل الذي أثبتنا به أن النبي ﷺ لابد له من الانتقال من هذا العالم إلى عالم آخر، هو الدليل على لزوم ارتحال وصيه وخليفته أيضاً، من دار الدنيا إلى العقبى، لكن لابد له ﷺ من وصي آخر يقوم مقامه في جميع الأمور، التي بها قام الوصي الأول، إذ نبوته ﷺ ممتدة أبد الدهر، فأوصياؤه ﷺ لابد أن يكونوا متعددين لبقاء شريعته ما بقي الدهر ❀.

❀ لا بد لوصي الوصي من الكمال

تقدم الكلام من أن النبي ﷺ يجري عليه الموت لمصالح، منها عدم عبادته من دون الله تعالى، وإن كان إقتضاء كينونته، أعني حقيقته لا تقبل الموت، لكون صفاء قابليته وهو في الدنيا أصفى من أهل الجنة في جنة الخلد، ولا عجب لأن الجنة ما خلقت إلا بفاضل نوره المبارك.

فموت النبي ﷺ يقتضى وجود الوصي، وهذا الوصي يجب أن يكون وارثاً لجميع صفات الكمال التي عند النبي عدا النبوة.

والكلام نفس الكلام في هذا الوصي أيضاً يجري عليه الموت أو القتل، لثلا يعبد من دون الله تعالى، فوجب وجود وصي آخر يقوم مقامه، ويرث جميع صفات الوصي الأول، فالوصاية والخلافة هي إمتداد للنبوة المحمدية ﷺ، لحفظ الوجود

والمكلفين عن الإنحراف والضلال، وإلا بطلت النبوة أصلاً.

أي لولا الوصاية والخلافة من جانب الله تعالى لبطل بعث الأنبياء ﷺ بالكلية، لأن الناس هم نفس الناس في زمن النبي ﷺ، فلو كان الناس يستغنون عن تشريع السماء بعد النبي ﷺ، لاستغنوا عنه قبل النبي ﷺ، وإذا استغنوا عن النبي والأنبياء سقطت حكمة بعثة الأنبياء وهذا خلف، ولكون نبوة نبينا محمد ﷺ ممتدة إلى أن تقوم الساعة، لأنه لا نبي بعده، وجب أن يكون أوصياؤه إلى آخر التكليف، حتى لا يبقى الناس بلا حجة.

ثبوت الوصي بالعقل قبل الشرع

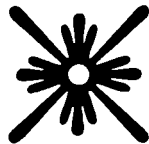
فوجب وصي لرسول الله ﷺ من قبل الله تعالى واجب عقلاً قبل أن يكون واجباً شرعاً، لأنه ليس من الممكن أن يبقى الناس بلا حجة معصومة يرجع إليها الناس في حلالهم وحرامهم، مع استحداث المسائل الشرعية والعقائدية والأخلاقية والاجتماعية.

ومن المسلم أن كل الناس عدا النبي ﷺ غير معصوم، فلو جاز التعبد بغير المعصوم بعد النبي ﷺ، لجاز التعبد قبل النبي ﷺ وإلا يلزم الترجيح بلا مرجح وهذا خلف.

وإذا جاز التعبد قبل النبي بدون معصوم، يكون إرسال الرسل والأنبياء عبثاً والعياذ بالله تعالى، وإذا كان الإرسال عبثاً، وصف الحق تعالى بعدم الحكمة في إرسالهم وهذا خلف.

وهذا مالم يقل به أحد من أصحاب الديانات السابقة واللاحقة مطلقاً.

إذن يجب أن يكون هذا المعصوم كما ذكر من قبل، حائزاً ووارثاً لجميع صفات النبي الكمالية الظاهرية والباطنة عدا النبوة.



ولما كان أوصياؤه جامعين لجميع الكمالات والصفات الكمالية، فعددهم أيضاً لابد أن يكون أشرف الإعداد وأكملها، حتى يكونوا جامعين لمجامع جميع الكمالات، حتى في العدد والكثرة.

والأعداد على ثلاثة أقسام:

عدد تام، وعدد زايد، وعدد ناقص، ولا شك أن العدد الناقص نقص، لا يجوز أن يكون عدد الأوصياء، فلا بد أن يكون جامعاً للعدد التام، وهو العدد الذي يساوي كسور أصله ويطابقه كالسنة، حتى يدل على أن الأوصياء ظاهرهم طبق باطنهم، وقلوبهم وفق لسانهم، تامين في الخلق والخلق، والعلم والعمل، وسائر الأحوال الذاتية ❁.

❁ عدد الأوصياء اثنا عشر

لما كانت الوصاية والخلافة من الله تعالى كالنبوة، وجب أن تتصف بصفات الكمال في كل شيء، لأنها مظهرة للكمال المطلق وهو الله عز وجل، فمن الكمال أن يكون عدد الأوصياء للنبي ﷺ اثني عشر وصياً، لا يزيدون ولا ينقصون.

الأعداد ثلاثة أقسام

العدد التام

العدد التام هو الذي يساوي كسور أصله ويطابقه، مثل عدد السنة، كما قال آية الله المقدس الميرزا علي الإحقاقي رضوان الله عليه ((فإن كسور السنة ثلاثة: نصف وهو الثلاثة، وثلث وهو اثنان، وسدس وهو واحد، ومجموعها أي مجموع الكسور أيضاً ستة، فصار عدداً تاماً، كسوره تساوي نفسه، وليس في الأعداد مثله، يساوي كسوره نفسه، فهي إما زائدة كسورها عليها أو ناقصة عنها))^(١).

(١) تعليق آية الله الميرزا علي الإحقاقي على نفسه الكتاب.

يعني لو جمعت نصف الستة ثلاثة، ثم ثلث اثنان، ثم سدس واحد، يكون مجموع الثلاثة والاثنين والواحد ستة، وهذا عدد فرد نادر في الأعداد كلها من الواحد إلى العشرة إلى ما شاء الله تعالى من الأعداد، لا يوجد مثل عدد الستة، فهو العدد التام لتمام قابليته على تكسيره على جميع الكسور، والمجموع يساوي نفس العدد.

العدد الزائد

إن أول الأعداد الزائدة مجموعها على نفس العدد، هو العدد اثنا عشر، لذا قال المقدس آية الله الميرزا علي الإحقاقي رضوان الله عليه: ((وأول العدد الذي كسوره زائدة عليه، هو العدد اثنا عشر، لأن كسوره نصف وهو الستة، وثلثه وهو أربعة، وربعه وهو ثلاثة، وسدسه وهو اثنان، ومجموع الكسور (١٥) خمسة عشرة، على الأصل (١٢) اثنا عشر))^(١).

أي أن عدد اثني عشر يتكون من النصف وهو الستة، والثلث وهو أربعة، والربع وهو الثلاثة، والسدس وهو ثنان، ومجموع الستة مع الأربعة مع الثلاثة مع الاثنين، يكون المجموع خمسة عشرة زائد ثلاثة.

العدد الناقص

هو العدد ما دون الاثني عشر كما قال المقدس الميرزا علي الأحقاقي رضوان الله عليه:

((إن الأعداد التي قبل الاثني عشر من الأعداد العشرة كلها ناقصة، أي كسورها أقل من عددها إلا الستة، فإنها تامة فقط))^(٢).

فالعدد الناقص على سبيل المثال الثمانية، فإن نصفها أربعة، وربعا اثنان، وثمانها واحد، فإذا جمعت النصف الأربعة، والربع اثنان، والثمان واحد، يكون مجموع الأربعة والاثنين والواحد سبعة، وهكذا بقية الأعداد الناقصة.

(١) تعليق آية الله الميرزا علي الأحقاقي على نفسه الكتاب.

(٢) تعليق آية الله الميرزا علي الأحقاقي على نفسه الكتاب.

ولابد لعددهم أن يكون جامعاً للعدد الزايد أيضاً، إذ لطيفتهم زائدة على ذواتهم، لأنهم يكملون أنفسهم، وزيادة على هذا يكملون الغير أيضاً، كما أن الأشياء قسم منها لطيفته زائدة على ذاته، كالسراج والشمس يضيئان نفسيهما وغير نفسيهما أيضاً، من دون أن ينقص منهما شيء بوجه، وقسم لطيفته مساوية لذاته كالجمرة، تضيء نفسها دون غيرها.

وقسم لطيفته ناقصة عن ذاته، كالأحجار وسائر الأشياء الفاسقة، لا تضيء نفسها فضلاً عن غيرها، فالإمام ووصي الرسول وخليفته لابد أن يكون من قبيل الأول، لا الثالث والثاني، وعددهم أيضاً لابد أن يكون عدداً زائداً، وأول الأعداد التام الستة، وأول العدد من الأعداد الزائدة اثنا عشر^(١) فإذا ثبتت الستة صارت اثني عشر، والتثنية إشارة إلى ثبوت تماميتهم في عالم الغيب والشهادة، وعلم الظاهر والباطن، وعالم الإجمال والتفصيل، فالاثنا عشر جامع للعدد التام، وجامع للعدد الزائد، فعدد أوصياء نبي آخر الزمان، وخاتم النبيين ﷺ، لابد أن يكون اثني عشر بلا زيادة ونقصان، حتى لا يفوتهم كمال من الكمالات ❁

❁ الأشياء ثلاثة أقسام

المؤلف قسم الأشياء إلى ثلاثة أشياء من جهة ظهور الأثر وعدمه.

(١) قال المقدس آية الله المولى الميرزا علي الإحقاقي قدس الله نفسه (إن الأعداد التي قبل الأثني عشر من الأعداد العشرة كلها ناقصة، أي كسورها أقل من عددها إلا الستة فإنها تامة فقط، وأول العدد الذي كسوره زائدة عليه هو العدد اثنا عشر، لأن كسوره نصف وهو الستة، وثلاثه وهو أربعة، وربعه وهو ثلاثة، وسدسه وهو اثنان ومجموع الكسور (١٥) خمسة عشرة، على الأصل وهو (١٢) اثنا عشر.

الأول: القسم الزائد عليه

وهو الشيء الذي نورانيته زائد عليه، أي كامل في نفسه مكمل لغيره، وذلك مثل الشمس هي منيرة لنفسها ومنيرة لغيرها، وكذا المصباح والسراج فهو منير لنفسه ومنير لغيره، من دون أن ينقص من نوره شيء، وهو مثال للأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

الثاني: القسم المساوي لذاته

من الأشياء من نورانيته مساوية له لا يتعداهما، وذلك مثل جمرة النار، فهي مضيئة لنفسها فقط ولا تضيء للآخرين، وهو مثال لأغلب المكلفين المؤمنين.

الثالث: القسم الناقص عن ذاته

هو الذي ليس مضيئاً لنفسه ولا لغيره، وذلك مثل الحجر فإنه غير مضيء لنفسه ولا لغيره، وهو مثال للكافر.

فالإمام والوصي عليهما السلام من القسم الذي لطيفته زائدة على ذاته، فهو كامل في نفسه ومكمل لغيره من الناقصين، ولما كان الإمام عليه السلام كاملاً تاماً، وجب أن يكون عدد الأوصياء تاماً، والعدد التام هو ستة، وإذا ثبنا الستة إلى عالمين، عالم الغيب وعالم الشهادة، وذلك لأن العالم ينقسم إلى قسمين غيب لا نشاهده، وشهادة نراها، فسته للغيب وستة للشهادة يكون المجموع اثنا عشر، والاثنا عشر هو أول الأعداد الزائدة على نفسها كما ذكر من قبل.

وعلى ذلك وجب أن يكون عدد الأوصياء اثني عشر، لكون الاثنى عشر جامعاً للعدد التام وهو الستة، والعدد الزائد وهو اثنا عشر.

ولو كان عددهم غير اثني عشر للزم النقص، والنقص يدل على عدم الحكمة، بيد أن الإمام والوصي حجة الله تعالى بعد النبي صلى الله عليه وآله، وحجة الله تعالى لا تكون ناقصة أبداً.

أوصياء النبي صلى الله عليه وآله اثنا عشر

تقدم الكلام أن عدد أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر، كعدد أسباط بني إسرائيل

كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيطًا ﴿١٦٠﴾﴾ (١).

وكعدد نقيب بني إسرائيل أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٦٢﴾﴾ (٢).

فإجماع الشيعة الإمامية الاثني عشرية، على أن أوصياء رسول الله ﷺ اثنا عشر وصياً، كعدد أوصياء بني إسرائيل، وأسباط بني إسرائيل حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل.

وأما إخواننا السنة فإنهم أيضاً روي في صحاحهم عن النبي ﷺ أن الأوصياء اثنا عشر وصياً، كما في صحيح مسلم قال: حدثنا رفاعة بن الهيثم الواسطي (واللفظ له).

حدثنا خالد (يعني ابن عبد الله الطحان)، عن حصين بن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي علي النبي صلى الله عليه وسلم، فسمعتة يقول: ((إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بكلام خفي علي، قال: فقلت لأبي ما قال، قال: كلهم من قريش)) (٣).

وفي صحيح البخاري قال: ((حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن عبد الملك سمعت جابر بن سمرة، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال أبي، أنه قال: كلهم من قريش)) (٤).

(١) سورة الأعراف آية (١٥٩ - ١٦٠).

(٢) سورة المائدة آية (١٢).

(٣) صحيح مسلم للإمام مسلم النيسابوري ٦ / ٣.

(٤) صحيح البخاري للإمام البخاري ٨ / ١٢٧.

وفي مسند أحمد بن حنبل قال: ((حدثنا عبد الله، حدثني أبي ثنا حماد بن أسامة ثنا مجالد، عن عامر عن جابر بن سمرة لسوائي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع: ((إن هذا الدين لن يزال ظاهراً على من ناواه، ولا يضره مخالف ولا مفارق، حتى يمضي من أمتي اثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي ما قال: قال: كلهم من قريش))^(١).

فمن نظر في الآيتين في اثني عشر نقيباً، واثنتي عشرة أسباطاً، وما ذكره اخواننا السنة في صحاحهم ومسانيدهم لم يبقَ لذي مجال مجالاً، ولا لذي حال حالاً، فإن المسلمين جميعاً أطبقوا وأجمعوا على نزاهة أئمة أهل البيت ﷺ وصلاحهم وإيمانهم ونزاهتهم وعلمهم.

إذن أوصياء رسول الله ﷺ كأوصياء الأنبياء السابقين كموسى ﷺ اثنا عشر خليفة وأميراً كما نص عليه الإمام البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل.

فعدد الأوصياء الاثني عشر جامع للكمالين التمام والزيادة، أما التمام فلتمام خلقتهم ونورانيتهم، وأما الزيادة فلتكميل غيرهم من الناقصين بأوامرهم من نبينهم ﷺ عن الله تعالى.

فهم اثنا عشر لا يزيدون ولا ينقصون أبداً، من أميرهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ إلى خاتمهم الإمام الحجة بن الحسن المهدي المنتظر عجل الله فرجه، وإن شاء الله يأتي الكلام عن المهدي المنتظر من العامة والخاصة.

الفصل السادس

[علي عليه السلام أكمل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله]

لما عرفت الصفات التي لا بد للإمام والخليفة من الاتصاف بها، فانظر الآن بعين البصيرة، وكحلها بنور الإيمان، وانصف نفسك، هل ترى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من هو جامع لهذه الصفات، وحاوي لتلك المقامات، ومتصف بهذه النعوت الحميدة، والأخلاق المحمودة، غير علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام؟ ❀

❀ علي أمير المؤمنين عليه السلام أعلم الصحابة

من تتبع الكتاب والسنة والتاريخ من العامة والخاصة المسلمين وغيرهم، لا يرى كأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جامعاً للصفات الكمالية، والأخلاق المرضية، من ولادة في وسط الكعبة المشرفة، إلى عدم سجوده لصنم قط، إلى فتوحات الإسلام من غزوة بدر الكبرى إلى آخر غزوات النبي صلى الله عليه وآله، وكان النصر للإسلام والمسلمين بسيف علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى أنه لما خلفه النبي صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة في غزوة تبوك ليقوم مقامه، قال المنافقون ما خلف النبي صلى الله عليه وآله ابن عمه علياً عليه السلام إلا لهوانه عليه للنساء والصبيان.

فلما علم علي عليه السلام بذلك أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله في الطريق، وأخبره بمقولة المنافقين، فقال النبي صلى الله عليه وآله مقولته المشهورة التي سجلها الرواة بأجمعهم من العامة

والخاصة، بروايه حديث المنزلة حيث قال له عليه السلام: ((أما ترض أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي))^(١).

فمن قاتل عتبة والوليد وشيبة يوم بدر، وهم أئمة الكفر، وشجعان العرب؟، ومن قاتل مرحباً يوم خيبر؟ ومن قاتل عمرو بن ود العامري يوم الخندق؟ ومن قالع باب خيبر، ورماه أربعين ذراعاً.

لذا لم تقل كلمة (كرم الله وجهه) من الصحابة إلا لعلي ابن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام لأنه لم يسجد لصنم فقط، وأما نسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكما ذكر من قبل النسبه النسبية فهو ابن عمه مباشرة، وأما السببية فهو زوج ابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، من الأولين والآخرين، عليها آلاف صلاة المصلين أبد الأبدين ودهر الدهرين.

(١) مسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل ١ / ١٧٧، صحيح البخاري للإمام البخاري ٥ / ١٢٩، صحيح مسلم للإمام مسلم النيسابوري ٧ / ١٢٠، الكافي للشيخ محمد الكليني ٨ / ١٠٧.

أما في نسبه من رسول الله قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾^(١)، وليس بين المسلمين من هو جامع لهاتين الصفتين: النسبة النسبية، والنسبة السببية، غير ابن عم الرسول، زوج البتول، علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب عليه السلام.

وفي العدول في الآية الشريفة عن التراب إلى التعبير بالماء أسرار عجيبة، والله سبحانه في كل موضع، في مقام خلق البشرياتي بذكر التراب، بخلاف هذا المقام أتى بلفظ الماء، الذي هو أصل للتراب وأبوه، إذ به يفعل لا بغيره، وبإضافته عليه يكون قابلاً للتصور بصور مختلفة، وكل أصل يطلق عليه الماء، ولذا كنى أمير المؤمنين عليه السلام بأبي تراب.

وبالجملة فالكلام في هذا المقام طولاني، وذكرناه في سائر الرسائل مفصلاً، والمهم في المقام إثبات نسبة أمير المؤمنين من رسول الله عليه السلام بالنسبتين المذكورتين.

● شرح آية ﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾

إنه من المعلوم أن جميع بني آدم عليهم السلام كلهم خلقوا من التراب والطين كما قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾^(٢).

نجد أن من البشر من ذرية آدم مخلوق من غير الطين الذي خلق منه البشر، بل مخلوق من جنس آخر وهو الماء، كما قال سبحانه ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾^(٣).

(١) سورة الفرقان آية (٥٤).

(٢) سورة النعام آية (٢).

(٣) سورة الفرقان آية (٥٤).

من المعلوم أن خالق الكائنات هو الله تعالى لا غيره قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) وخلق الله عزَّ وجلَّ الموجودات بالوجود المسمى بالماء، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^(٢) فالماء في هذه الآية المباركة ليس المراد منه الماء المعروف للشرب وغيره، بدليل أن هذا الماء لا يحيي الحجارة ولا الجماد، ولا السماوات ولا الأرضين السبع، ولا الكرسي ولا العرش، ولا الملائكة، لأنهم لا يأكلون ولا يشربون، فالماء الموجود عندنا يحيي الإنسان والحيوان والنبات وكل ذي روح، وما عداه لا يحييه.

بيد أن الآية المباركة فيها عموم لكل الموجودات، بأن الماء يحييه بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ حَيٌّ﴾ فإذا أتت شيء بعد كل تفيد العموم، إذا المراد من هذا الماء هو ماء الوجود، أي أن الله عزَّ وجلَّ جعل من الوجود كل شيء حي، بوجوده من ذي روح وغيره.

وتقرر مما تقدم أن أول الخلائق هو رسول الله ﷺ وأهل بيته، لكون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هو نفس رسول الله ﷺ كما في آية المباهلة: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(٣).

وخلق الموجودات من فاضل أنوارهم ﷺ وفاضل أنوارهم هو وجودات الخلائق الذي هو الوجود، الذي هو الماء كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^(٤).

فهذا الماء الذي هو فاضل أنوارهم هو أصل الموجودات واستقصها وركنها، لكون الموجودات قائمة بالوجود أي الماء، وأصل الماء أي الوجود هم محمد وآل محمد ﷺ كما قال رسول الله لعلي عليهما وآلهما السلام: ((أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة))^(٥).

(١) سورة الرعد آية (١٦).

(٢) سورة الأنبياء آية (٣٠).

(٣) سورة آل عمران آية (٦١).

(٤) سورة الأنبياء آية (٣٠).

(٥) الأمالي للشيخ محمد الصدوق ٤١١، تفسير الألوسي للألوسي ٢٢ / ٣١.

لذا عبر عن خلق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأنه خلق من الماء، لأنه حقيقة الماء والوجود، الذي خلق منه الخلق والأمة.

وهذا يعني أن هذا المخلوق العجيب الفرد الوتر، خلخته ممتازة عن الآخرين، وامتياز خلخته عن غيره إلا أن يكون فيه خاصية لم توجد في غيره، وإلا لزم الترجيح بلا مرجح وهو باطل.

ثم الجليل سبحانه يصف هذا المخلوق بقوله **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾** ^(١) أي إن هذا المخلوق الذي من الماء جعله نسباً وصهرأ، فنسبه من جهة السلالة أعلى النسب، وقوله تعالى وصهرأ، أي جعله تعالى صهرأ ونسبياً لأفضل البيوت علواً وشأناً، من البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فنحن حينما نستقرأ الوجود على حسب ما ورد في كتاب الله تعالى والسنة المطهرة، ونستقرأ التاريخ من بزوغ شمس البشرية على كوكب الأرض ألى أن تقوم الساعة، لا نجد مخلوقاً يستحق هذه الصفات والامتيازات التي ذكرت في هذه الآية المباركة إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أرواحنا لغبار نعليه المباركتين الفداء.

أما من جهة النسب فيلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وآله في جد واحد وهو عبد المطلب، فاسمه الشريف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ورسول الله محمد صلى الله عليه وآله بن عبد الله بن عبد المطلب، ويلتقي مع رسول الله أيضاً مع جدة واحدة وهي أم أبي طالب والد أمير المؤمنين علي عليه السلام وأم عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله اسمها فاطمة بنت عمرو بن عائد بن عمرو بن مخزوم، فعبد الله والد النبي وأبو طالب والد أمير المؤمنين شقيقان من جهة الأب والأم.

وأما من جهة المصاهرة فأعلاها ذروة، وأجودها حبة، حيث صاهر رسول الله سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله بزواجه من سيدة نساء العالمين، من الأولين والآخرين، في الدنيا والآخرة، فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله البتول المباركة، الصديقة الكبرى، الميمونة الزهراء، صاحبة الكساء، الراضية المرضية، سلام الله عليها وعلى أبيها

وبعلها وبنيتها، أفضل الصلاة والسلام، فيها نهاية الشرف، وكمال الاعتدال.

خلق أمير المؤمنين علي عليه السلام من الماء

تقدم الكلام أن المخلوق من الماء، والذي جعله تعالى في أعلى النسب والسبب، هو مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولكن بقي سؤال وهو ما معنى خلقه من الماء دون التراب، الذي خلق منه سائر البشر؟

الجواب:

إنه من المعلوم في روايات المعصومين بلغت حد التواتر، أن محمداً وآل محمد عليهم السلام خلقوا من نور وليس من تراب كبقية الخلائق.

كما في الرواية المشهورة عند العامة والخاصة، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، لما سأل النبي صلى الله عليه وآله عن أول مخلوق قال له رسول الله صلى الله عليه وآله ((نور نبيك يا جابر خلقه الله، ثم خلق منه كل خير...))^(١).

والرواية التي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال ((فأول ما ابتداء من خلق الخلق أن خلق محمداً عليه السلام وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته))^(٢).

فهذا النور الذي خلقوا منه، خلق منه كل شيء كما تقدم عن النبي صلى الله عليه وآله ((ثم خلق منه كل خير)).

أي أن كل خير خلق من فاضل أنوارهم، وكل شر خلق بإدبارهم عنهم كما في حديث النبي لعلي أمير المؤمنين عليه السلام ((حبه إيمان وبغضه كفر))^(٣).

فمادة وصور الخلائق أجمع خلقوا من هذا النور، فمادة الخلائق خلقت من فاضل نور رسول الله صلى الله عليه وآله وخلق صور الخلائق من فاضل نور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) البحار للشيخ المجلسي ٢٥ / ٢١ - ٢٢.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٢٥ / ١٧، حلية الأبرار للسيد هاهم البحراني ١ / ١٢ - ١٧.

(٣) الأمالي للشيخ محمد الصدوق ٦٥.

والصورة كما هو المعروف هي المميزة والمخصصة للمادة، وهي محل الاختلاف فيما بين الخلائق، أي يمتاز الخلائق بصورهم لا بمادتهم.

لذا كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو النبا العظيم، الذي ينبيء عن صور الخلائق من السعادة والشقاوة، أي من توأله خلق سعيداً، ومن خالفه خلق شقيماً، كما في الرواية المتقدمة عن النبي في علي صلى الله عليهما وآلهما السلام ((حبه إيمان وبغضه كفر))^(١) ولأنه قسيم الجنة والنار، ولأنه مع القرآن والقرآن معه، ولأنه مع الحق والحق معه لا يفترقان حتى يردا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحوض يوم القيامة.

فلما كان الاختلاف بين الخلائق بالصور وأمير المؤمنين علي عليه السلام محل اختلاف الصور، من جهة حبه إيمان وبغضه كفر أو نفاق، فالمحدد لصور الخلائق من السعادة والشقاوة، هو أمير المؤمنين علي عليه السلام فمن هذه الجهة يصدق عليه أن أب الصور والتمايز فيما بين الموجودات أي كما أن الأب هو أصل الولد كذلك أمير المؤمنين علي هو أصل وأب صور الخلائق.

وبما أن الخلائق خلقوا جميعاً من التراب كما قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾^(٢).

وأصل الطين من التراب، يعني تمايزهم واختلافهم من محل تكونهم وهو التراب، فإن الماء النازل على الأرض واحد وهو المطر، وإذا نزل المطر على التراب يخرج أصناف النباتات المختلفة، مع العلم أنه يسقى بماء واحد، فالإختلاف في النبات إنما هو من التراب، إذن يحق أن نقول إن التراب هو أب لجميع أنواع النبات، فإن التراب أعني الأرض هي محل صور النباتات المختلفة، فإن أمير المؤمنين علي عليه السلام هو أبو ذلك التراب الذي تخلق منه جميع الموجودات، وذلك لأن صور جميع الخلائق من السعادة والشقاوة إنما وجدت بفاضل نوره المبارك، لأنه ما

(١) الأمايلي للشيخ محمد الصدوق ٦٥.

(٢) سورة الأنعام آية (٢).

تميز المؤمن من الكافر إلا به كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((يا علي لولاك لم يعرف المؤمنون بعدي))^(١).

وقد يطلق أبو تراب علي معنى أعلى من هذا، وهو أن أمير المؤمنين علي عليه السلام هو الماء الذي أشار إليه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^(٢).

والشيء الحي إنما هو بصورته المميزة لا بمادته، والمراد من التراب هي أرض الجرز، أو أرض القابلية وهي الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، أي كما أن الأرض لا تنبت إلا بالماء المطلق خاصة، فلو يصب على الأرض بحار من السوائل غير الماء لا تنبت الأرض بالزرع، فلا يصلح للأرض إلا هذا الماء المطلق، كذلك الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام لا يصلح لها إلا أمير المؤمنين علي عليه السلام لذا روي عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول: ((لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة، ما كان لها كفو على ظهر الأرض من آدم ومن دونه))^(٣) كما أنه القرآن الناطق المنزل في ليلة القدر وليلة القدر هي الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام.

أي لما نزل الماء الخاص من سحب المشيئة وهو أمير المؤمنين عليه السلام على أرض الجرز وأرض الجرز هي التي لا نبت فيها الصالحة للإنبات وهي الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، فأول ما نبت فيها العقل الكلي وهو روح القدس، كما قال مولانا الإمام الحسن العسكري عليه السلام ((فالكليم ألبس حلة الإصطفاء، لما عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في الجنان الصاقورة، ذاق من حدائقنا الباكورة))^(٤) ثم تكونت الخلائق من هذه الروح التي منها التراب وغيره، لذا لقب النبي صلى الله عليه وآله الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بأم أبيها، وهنا معاني لا يسعنا ذكرها في هذا المقام.

(١) الأماشي لشيخ المفيد ٢١٣، الأماشي للشيخ الصدوق ١٥٧.

(٢) سورة الأنبياء آية (٣٠).

(٣) الكافي للشيخ الكليني ١ / ٤٦١، الأماشي للشيخ الصدوق ٦٨٨، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٧ / ٤٧٠، البحار للشيخ المجلسي ١٠٠ / ٣٧٥.

(٤) البحار للشيخ المجلسي ٢٦ / ٢٦٥، الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة (شرح آل كاشف الغطاء) للسيد عبد الله شير ٥٥.

وأما سائر الكمالات من العصمة والطهارة، والعلم والمعرفة، والقدرة والزهد، والورع والكرم، والشجاعة، والفصاحة والبلاغة وغيرها، في حد كمالها فوق قوة البشر، ومرتبة المخلوقين فما ادعى أحد اجتماعها في حق أحد إلا في حق أمير المؤمنين، وأولاده الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، وادعت الشيعة الاثنا عشرية الإجماع على ذلك، وسائر الملل والنحل، وإن أنكروا ذلك لفظاً لكن في عرض كلماتهم، وتأليفاتهم، وأشعارهم وقصائدهم، صرحوا بما ادعت الشيعة، ولم يظهر منهم ما ينافي مدعى الشيعة*.

* كمالية أمير المؤمنين عليه السلام

لا يشك أحد من المسلمين وغيرهم في كمالية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلا معاند منافق، فهو باب مدينة العلم والحكمة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أنا مدينة العلم (الحكمة) وعلي بابها))^(١).

فهو مع الحق والحق معه وهو مع القرآن والقرآن معه، وهو أولهم إسلاماً وأقدمهم إيماناً، وهو المصلي القبليين، الطاعن بالرمحين، المجاهد بالسيفين، المهاجر الهجرتين، المحارب بدر وحنين، وهو أبو الحسين وهو نفس الرسول، وزوج البتول عليهن السلام، ومن مفردات فضائله في الفصاحة والبلاغة، خطبه المجموعة في نهج البلاغة له سلام الله عليه.

خطبته أمير المؤمنين الخالية من الألف

ومن نوادير كلامه عليه السلام في الفصاحة والبلاغة، الخطبة الخالية من الألف،

(١) الأماشي للشيخ محمد الصدوق ٤٢٥ - ٦١٩، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣ / ١٢٦ - ١٢٧، المعجم الكبير للطبراني ١١ / ٥٥، الإستهيعاب لابن عبد البر ٣ / ١١٠٢، الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ١ / ٤١٥.

لإجماع الفصحاء والبلغاء على أنه لا يمكن لأحد أن يأتي بسطر ليس فيه ألف .

فأنشأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خطبة خالية من الألف، إرتجالاً في الحال لما طلب منه ((أن جماعة حضروا لديه وتذاكروا فضل الخط وما فيه فقالوا: ليس في الكلام أكثر من الألف ويتعذر النطق بدونها، فقال لهم في الحال هذه الخطبة، من غير سابق فكرة، ولا تقدم روية، وسردها وليس فيها ألف .

((حمدت من عظمت منته، وسبغت نعمته، وتمت كلمته، ونفذت مشيئته، وبلغت حجته، وعدلت قضيته، وسبقت غضبه رحمته، حمدته حمد مقر بربوبيته، متخضع لعبوديته، متصل من خطيئته، معترف بتوحيده، مستعيز من وعيده، مؤمل من ربه مغفرة تنجيه، يوم يشغل كل عن فصيلته وبنيه، ونستعينه ونسترشده ونؤمن به ونتوكل عليه، وشهدت له شهود عبد مخلص موقن، وفردته تفريد مؤمن متيقن، ووحدته توحيد عبد مدعن، ليس له شريك في ملكه، ولم يكن له ولي في صنعه، جلّ عن مشير ووزير وعون ومعين ونظير، علم فستر، وبطن فخبير، وملك فقهر، وعصي فغفر، وعبد فشكر، وحكم فعدل، وتكرم وتفضل، لن يزول، ولم يزل، ليس كمثله شيء، وهو قبل كل شيء، وبعد كل شيء، رب متفرد بعزته متمكن بقوته، متقدس بعلوه، متكبر بسموه، ليس يدركه بصر، ولم يحط به نظر، قوي منيع بصير سميع، رؤوف رحيم، عجز عن وصفه من وصفه، وضل عن نعته من عرفه، قرب فبعد، وبعد فقرب، يجيب دعوة من يدعوه ويرزقه ويحبوه، ذو لطف خفي، وبطش قوي، ورحمة موسعة، وعقوبة موجعه، رحمته جنة عريضة موقنة، وعقوبته جحيم ممدودة موبقة، وشهدت ببعث محمد عبده ورسوله ونبيه وصفيه وحبيبه وخليله، بعثه في خير عصر وحين فترة وكفر، رحمة لعبيده ومنة لمزيده، ختم به نبوته، ووضحت به حجته، فوعظ ونصح وبلغ وكدح، رؤوف بكل مؤمن، رحيم سخي رضي ولي زكي، عليه رحمة وتسليم، وبركة وتعظيم وتكريم، من رب غفور رحيم، قريب مجيب حلیم .

وصيبتكم معشر من حضر بوصية ربكم وذكركم سنة نبيكم، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم، وخشية تدري دموعكم، وتقية تنجيكم قبل يوم يذهلكم وبيتليكم . يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته، وخف وزن سيئته، وعليكم بمسألة ذل وخضوع، وتملق

وخشوع، وتوبة ونزوع وليغتم كل منكم صحته قبل سقمه، وشيئته قبل هرمه، وسعته قبل فقره، وفرغته قبل شغله، وحضره قبل سفره، وحياته قبل [موته، قبل] يهن ويهرم، ويمرض ويسقم، ويمله طبيبه، ويعرض عنه حبيبه، وينقطع عمره، ويتغير عقله، ثم قيل: هو موعوك وجسمه منهوك، ثم جد في نزع شديد، وحضره كل قريب وبعيد، فشخص ببصره، وطمح بنظره، ورشح جبينه وخطفت عرينه، وجدبت نفسه وبكت عرسه، وحضر رمسه، ويتم منه ولده، وتفرق عنه عدده، وفصم جمعه، وذهب بصره وسمعته، وجرد وغسل، وعري ونشف وسجى، وبسط له وهيئ، ونشر عليه كفته وشد منه ذقنه، وحمل فوق سرير، وصلى عليه بتكبير بغير سجود وتعفير، ونقل من دور مزخرفة، وقصور مشيدة، وفرش منجدة فجعل في ضريح ملحود ضيق مرصود، بلبن منضود، مسقف بجلمود، وهيل عليه عفره، وحشى مدره، وتحقق حذره، ونسي خبره، ورجع عنه وليه ونديمه ونسيبه وحميمه، وتبدل به قرينه وحبيبه، فهو حشو قبر، ورهين حشر، يدب في جسمه دود قبره، ويسيل صديده من منخره، وتسحق تربته لحمه، وينشف دمه، ويرم عضمه، حتى يوم حشره فينشره من قبره، وينفخ في صور، ويدعى لحشر ونشور، فثم بعثت قبور، وحصلت سريرة [في] صدور. وجيء بكل نبي وصديق وشهيد ومنطيق، وقعد لفصل حكمه قدير، بعبده خبير بصير، فكم حسرة تضنيه في موقف مهيل، ومشهد جليل، بين يدي ملك عظيم بكل صغيرة وكبيرة عليم، فحينئذ يلجمه عرقه، ويخفره قلقه، فعبرته غير مرحومة وصرخته غير مسموعة، وبرزت صحيفته، وتبينت جريرته، فنظر في سوء عمله، وشهدت عينه بنظره، ويده ببطشه، ورجله بخطوه، وجلده بلمسه، وفرجه بمسه، ويهدده منكر ونكير، وكشف له حيث يصير، فسلسل جيده، وغلت يده، فسيق يسحب وحده، فورد جهنم بكره شديد، وظل يعذب في جحيم، ويسقى شربة من حميم، تشوي وجهه وتسلخ جلده يستغيث فيعرض عنه خزنة جهنم، ويستصرخ فيلبث حقه بندم، نعوذ برب قدير من شر كل مصير، ونسأله عفو من رضي عنه، ومغفرة من قبل منه وهو ولي مسألتي، ومنجح طلبتي، فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل في جنته بقربه، وخلد في قصور ونعمه، وملك بحور عين وحفدة، وتقلب في نعيم وسقى من

تسليم مختوم بمسك وعنبر يشرب من خمر معذوب شربه، ليس ينزف لبه. هذه منزلة من خشى ربه وحذر نفسه، وتلك عقوبة من عصى منشئه، وسولت له نفسه معصية مبدئه، لهو ذلك قول فصل، وحكم عدل، خير قصص قص، ووعظ به ونص، تنزيل من حكيم حميد^(١).

الخطبة الخالية من النقط

ومن معاجز لسانه قبل بنائه خطبته الخالية من النقط، وهي أعظم من أختها الخالية من الألف، مع جمع البلاغة والفصاحة والموعظة الحسنة، إرتجالاً من دون تروي أو إعداد مسبق كما قال: عليه السلام ((الحمد لله أهل الحمد ومأواه، وله أوكد الحمد وأحلاه، وأسعد الحمد وأسراه، وأطهر الحمد وأسماءه، وأكرم الحمد وأولاه، الواحد الأحد الصمد، لا والد له ولا ولد، سلط الملوك وأعداها، وأهلك العداة وأدحاها، وأوصل المكارم وأسراها، وسمك السماء وعلاها، وسطح المهاد وطحاها، ووطدها ودحاها، ومدها وسواها، ومهدا ووطاها، وأعطاكم ماءها ومرعاها، وأحكم عدد الأمم وأحصاها، وعدل الأعلام وأرساها، ألا له الأول لا معدل له، ولا راد لحكمه، لا إله إلا هو الملك السلام المصور العلام الحاكم الودود، المطهر الطاهر، المحمود أمره، المعمور حرمه، المأمول كرمه، علمكم كلامه، وأراكم أعلامه، وحصل لكم أحكامه، وحلل حلاله وحرم حرامه، وحمل محمداً رساله، رسوله المكرم المسود المسدد الطهر المطهر، أسعد الله الأمه، لعلو محله وسمو سؤدده وسدد أمره وكمال مراده. أظهر ولد آدم مولوداً، وأسطعهم سعوداً وأطولهم عموداً، وأرواهم عوداً وأصحهم عهداً، وأكرمهم مراداً وكهولاً صلاة الله له ولآله الأطهار مسلمه مكرره معدوده، ولآل ودهم الكرام، محصله مردده ما دام للسماء أمر مرسوم، وحد معلوم. أرسله رحمه لكم وطهاره لأعمالكم، وهدوء داركم

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٤ / ص ٣٤٠ - ٣٤٣، مصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) الميرجهاني ١ / ٢٨، مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب ١ / ٣٢٦، المصباح للكفعمي ٧٤١، الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي ١ / ٢٢٢.

ودحور عاركم وصلاح أحوالكم، وطاعه الله ورسله، وعصمه لكم ورحمه، أسمعوا له وراعوا أمره وحللوا ما حلل، وحرموا ما حرم، وأعمدوا رحمكم الله لدوام العمل، وداحروا الحرص، واعدموا الكسل، وادروا السلامه وحراسة الملك وروعها، وهلع الصدور وحلول كلها وهمها. هلك والله أهل الإصرار، وما ولد والد للأسرار، كم مؤمل أمل ما أهلكه، وكم مال وسلاح أعد صار للأعداء عده وعمده. اللهم لك الحمد ودوامه، والملك وكماله، لا إله إلا هو، وسع كل حلم حلمه، وسدد كل حكم حكمه، وחדر كل علم علمه))^(١).

انظر إلى هاتين الخطبتين بعين البصر والبصيرة، هل ترى لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من مشارك أو مماثل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أو هل يستطيع أحد من الصحابة أو غيرهم إلى أن تقوم الساعة، أن يأتي بسطر واحد أو كلمة واحدة مفيدة بهذا الأسلوب، خالية من الألف أو النقطة، ولنعم ما قال صاحب:

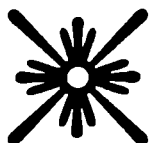
قصيدة الصاحب بن عباد ت ٣٨٥

قلت الوصي الذي أربى على رجل	قالت فمن بعده تصفى الولاء له
فقلت هل هضبة توفى على جبل	قالت فهل أحد في الفضل يقدمه
فقلت من لم يصر يوما إلى هبل	قالت فمن أول الأقوام صدقة
فقلت أثبت خلق الله في الوهل	قالت فمن بات من فوق الفراش فدى
فقلت من حاز رد الشمس في الطفل	قالت فمن ذا الذي آخاه عن مقة
فقلت أفضل من حافٍ ومنتعل	قالت فمن زوج الزهراء فاطمة
فقلت سابق أهل السبق في مهل	قالت فمن والد السبطين إذ فزعا
فقلت أضرب خلق الله في القلل	قالت فمن فاز في بدر بمعجزها

(١) مستدرك سفينة البحار للشيخ علي التمازي الشهرودي ٣ / ١١٧، البحار ٤٠ / ١٦٣، مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب ١ / ٣٢٦، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ - محمد الريشهري - ١٠ / ٢٨٤ - ٢٨٥.

فقلت من نالهم بأسا ولم يهل
فقلت قاتل عمرو الضيفم البطل
فقلت سايق أهل الكفر في غفل
فقلت حاصد أهل الشرك في عجل
فقلت من صين عن ختل وعن ذعل
فقلت من حيط عن عمش وعن نعل
فقلت أقرب مرضي ومنتحل
فقلت أفضل مكسو ومشتمل
فقلت من كان للاسلام خير ولي
فقلت أبذل أهل الأرض للنفل
فقلت أطعنهم مذ كان بالأسل
فقلت من رأيه أزكى من الشعل
فقلت من لم يحل يوما ولم يزل
فقلت تاليه في حل ومرتحل
فقلت من سألوه وهو لم يسأل
فقلت تفسيره في وقعة الجمل
فقلت صفين تبدي صفحة العمل
فقلت معناه يوم النهروان جلي
فقلت من بيته في أشرف الحلل
فقلت من لم يكن في الروع بالوجل
فقلت كل الذي قد قلت في رجل
فقلت ذاك أمير المؤمنين علي

قالت فمن ساد يوم الروع في أحد
قالت فمن أسد الأحزاب يفرسها
قالت فخبير من ذا هد معقلها
قالت فيوم حنين من قرا وبرأ
قالت براءة من أدى قوارعها
قالت فمن صاحب الرايات يحملها
قالت فمن ذا دعي للطير يأكله
قالت فمن تلوه يوم الكساء أجب
قالت فمن سادني يوم الغدير ابن
قالت ففي من أتى في هل أتى شرف
قالت فمن راع زكى بخاتمة
قالت فمن ذا قسيم النار يسهمها
قالت فمن باهل الطهر النبي به
قالت فمن شبه هارون لنعرفه
قالت فمن ذا غدا باب المدينة قل
قالت فمن قاتل الأقبام إذ نكثوا
قالت فمن حارب الأرجاس إذ قسطوا
قالت فمن قارع الأنجاس إذ مرقوا
قالت فمن صاحب الحوض الشريف غدا
قالت فمن ذا لواء الحمد يحمله
قالت أكل الذي قد قلت في رجل
قالت فمن هو هذا الفرد سمه لنا



وغير الشيعة لا يشترطون في أئمتهم العصمة، وقد عرفت وجوبها فيه ولا نص الرسول في حقهم من جانب الله سبحانه في خلافتهم ● .

● إجماع الأمة على عدم عصمة الصحابة

تقدم الكلام أنه لا بد للوصي والحاكم بعد النبي ﷺ من العصمة من الله تعالى، كالنبي حتى لا يزيغ عن الحق، ويتبع الباطل، ويضل ويضل الغير. وقد ثبت عندنا الإمامية الاثنا عشرية عصمة أوصياء النبي ﷺ بالنص من الكتاب، كآية التطهير، والسنة، علي مع الحق والحق مع علي ﷺ كما تقدم. وغير المعصوم لا يمكن له أن يقوم مقام النبي ﷺ لملازمته المعصية، لكونه غير معصوم.

ومن نظر إلى التاريخ بعد النبي ﷺ من الخلفاء الذين قتلوا النفس، وشربوا الخمر، وأحلوا المحارم، وعطلوا الحدود وأقاموا البدع، وأظهروا الفساد مع تسميهم بأمر المؤمنين وخليفة سيد المرسلين ﷺ، كيزيد بن معاوية الذي حكم بعد أبيه معاوية ثلاث سنوات، في السنة الأولى قتل سيد شباب أهل الجنة ابن بنت رسول الله ﷺ الإمام الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ومثل به، وأمر الخيل بوطء ظهره وصدره بعد قتله، وقطع رأسه وسير رأسه في البلدان من بلد إلى بلد، وسبيت نساؤه وأطفاله من مجلس إلى مجلس، إلى أن وصلوا إلى دمشق.

وفي السنة الثانية أباح المدينة المنورة، مدينة رسول الله ﷺ لجيشه من النهب والقتل وهتك العرض، حتى أفتض جيش يزيد بنات المدينة وأنجبوا آلاف من أولاد الزنا من جيش يزيد، حتى أنه بعد هذه الحادثة، التي تسمى بواقعة الحرة، إذا جاء رجل يخطب امرأة من أهالي المدينة المنورة، يقول له والدها: لا أضمن لك البكارة.

و في السنة الثالثة رمى الكعبة المشرفة بالمنجنيق، فيزيد لعنه الله تعالى مما يسمى نفسه بأمر المؤمنين وينصب نفسه خليفة رسول الله ﷺ.

ومن تصفح التاريخ يرى العجب العجاب، من الفساد والظلم والقتل والزنا واللواط وتعطيل الأحكام، وإقامة البدع عند جميع المؤرخين من العامة والخاصة المسلمين وغيرهم.

وإذا نصب أحد نفسه أمير المؤمنين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله كيزيد بن معاوية وأشباهه على الإسلام السلام.

وأما الشيعة فهم متفقون على نص الرسول في حق أمير المؤمنين بوصايته وخلافته، والمخالفون رووا حديث غدیر خم بطرق كثيرة مختلفة متواترة، وليس إنكارهم إلا العناد والكذب على الله ورسوله.

الحاصل لا حاجة لنا إلى تطويل الكلام، في المقصود والمرام، بل نقول إن خليفة رسول الله ﷺ لا بد أن يكون موصوفاً بصفات مخصوصة، إذا اختل أحدها بطلت خلافته، كما ذكرنا بعض تلك الصفات. ❁

❁ إجماع الشيعة على ولاية علي عليه السلام

أجمعت الشيعة قاطبة على أن الوصي بعد النبي ﷺ هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي أول القوم إسلاماً، وأقدمهم إيماناً، الذي هو نفس رسول الله ﷺ إلا النبوة، وهو مع الحق والحق معه لا يفارقه.

ويكفي حديث الغدير الذي رواه العامة والخاصة في صحاحهم ومسانيدهم وكتبهم يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، في السنة العاشرة للهجرة حيث قال: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث ما دار))^(١) فوضح هذا الحديث ما وراء عبادان قرية، ما بعد وضوحه ووضوح بعد الإقرار بصدوره عن النبي ﷺ.

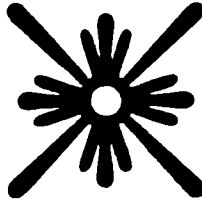
لذا قال الإمام الرازي في تفسيره في تفسير آية التبليغ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢) ((نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)).

(١) الكامل لعبد الله بن عدي ٦ / ٨٢، أسد الغابة لابن الأثير ٣ / ١٩٢، المقنعة للشيخ المفيد

فلقيه عمر رضي الله عنه، فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة^(١).

فبعد ما ذكر الفخر الرازي هذه الرواية وإسنادها إلى ابن عباس، والبراء بن عازب، ومحمد بن علي قال: ((واعلم أن هذه الروايات، وإن كثرت إلا أن الأولى حملة على أنه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى))^(٢).

انظر إلى التعصب مع العلم بتواتر الروايات، في نزول آية التبليغ في فضل علي عليه السلام، إلا أنه يحملها على غيره، فهذا التعصب كافٍ في إثبات الحق من الباطل والله ولي التوفيق والسداد.



(١) تفسير الرازي للفخر الرازي ١٢ / ٤٩ .

(٢) نفس المصدر .

ونحن نرى أن الأشخاص الذين يعتقد في حقهم غير الشيعة أنهم خلفاء، ليسوا متصفين بأكثر تلك الصفات المذكورة، بإقرارهم أي التابعين منهم والمتبوعين.

والذي تعتقده الشيعة أن خليفة رسول الله ﷺ يعتقدون في حقه، أنه متصف بتلك الصفات المذكورة بل أزيد منها، والمخالفون لم يتمكنوا من عدم إثباتها في حقه ﷺ، فالأمر حينئذ لا يخلو من أن الأشخاص الذين تدعي في حقهم الشيعة أنهم خلفاء رسول الله، إما موصوفون بالصفات المذكورة وهي موجودة مجتمعة فيهم أم لا، فان كان الأمر كما يقولون يعني الشيعة فهو المطلوب، وإن لم يكن كما يقولون فنحن لم نسمع ولم نر أحداً غيرهم ﷺ يدعي في حقهم اجتماع تلك الصفات ووجودها فيهم.

فيلزم إذا أن الله سبحانه جعل الخلق في التيه والضلالة، ولم يظهر لهم خليفة رسوله ﷺ مع شدة احتياج الخلق، وهو قبيح منه تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

فظهر أن الذي تدعي الشيعة اجتماع تلك الصفات فيه وهو في الواقع موصوف بها، هو خليفة رسول الله ﷺ وإلا لأظهر الله سبحانه كذبه كما أظهر كذب سائر من ادعى الخلافة، كما قال في كلامه الحميد المجيد:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ﴾^(١)

وقال تعالى أيضا: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾^(٢)، ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾^(٣)،

(١) سورة التوبة آية (١١٥).

(٢) سورة الليل آية (١٢).

(٣) سورة النحل آية (٩).

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْ بِقُرْآنِهِ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩) ﴿١﴾

• الإمامة ضرورية في التكليف

تقدم الكلام أن الإمام والوصي لا بد أن يكون معصوماً متصفاً بجميع صفات الكمال، فلا يمكن أن يكون حجة الله تعالى وخليفة النبي صلى الله عليه وآله ساجداً لصنم، ووائداً البنات، وشارباً الخمر.

وفعل الفواحش قبل الإسلام، لأنه حجة والحجة لا تكون ناقصة.

وثانياً يكون للخلق على الله تعالى الحجة، بأن يقولوا أنت تعذبنا بمعاصينا، وخليفتك وحجتك قد عصى وإن تاب، فنحن إذا عصينا لسنا حجة، أما الحجة إذا عصى فيلزم النقص على المرسل والعياذ بالله تعالى.

أما مقولة الإسلام يجب ما قبله هذا صحيح في الرعية، أما خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وحجته على عباده لا يكون ذلك، لا عقلاً ولا شرعاً كما ذكر من قبل، لذا يقبل من الرعية أمور ما لا تقبل من الرؤساء في أمور الدنيا الفانية، فكيف بسفارة الله عز وجل.

فذكر المؤلف استدلال على وجوب اتصاف الولي والوصي بعد النبي صلى الله عليه وآله بالصفات الكمالية، بأن الأمر لا يخلو في أوصياء النبي صلى الله عليه وآله في كمالهم وعدمه، أما أن يكون هؤلاء الأوصياء متصرفون بهذه الصفات الكمالية أولاً؟

فإن قلنا بنعم لزم المطلوب، وإن قلنا لا.

فإن التاريخ والمؤرخين لم يدعوا أحداً من الصحابة، اتصف بهذه الصفات الكمالية من العصمة والعلم بكل شيء بتعليم النبي صلى الله عليه وآله وغيرها.

فإذا لم يكن الأوصياء كما تقول الشيعة، ولم يثبت الغير أحداً من الصحابة بهذه

الصفات الكمالية، يلزم أن يكون الخلق في التيه والضلال، لعدم وجود دليل معصوم إلى الله تعالى، وهذا قبيح صدوره من الحكيم عزَّ وجلَّ.

فلما لم يكن أحد غير أهل البيت عليهم السلام متصفاً بهذه الصفات، وادعت الشيعة ثبوت هذه الصفات لأوصياء النبي صلى الله عليه وآله أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم الوصي الثاني عشر هو المهدي عجل الله فرجه عليه السلام، هم الأوصياء الحق بعد النبي صلى الله عليه وآله لاتصافهم بصفات الكمال من العصمة والعلم وبقية صفات الكمال، فلما أجمع المسلمون بطهارة أهل البيت عليهم السلام وحيازتهم جمع صفات الكمال، وجب كونهم أوصياء، فلو لم يكن أهل البيت عليهم السلام بهذه الصفة من الكمال لأظهر الله تعالى والعياذ بالله كذبهم وحاشاهم، كما أظهر كذب من ادعى النبوة بعد النبي صلى الله عليه وآله كمسيلمة وغيره.

وحاشا لله عزَّ وجلَّ أن يجعل خلقه في حيره، خصوصاً أن هذه الأمة ستفترق نيف وسبعين فرقة، كلها هالكة إلا واحدة.

فلازم ذلك أن الأوصياء هم أهل بيت النبي أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم مهدي هذه الأمة عليهم السلام ففي الآيات الأخير معاني ومعاني لا نستطيع ذكرها والله ولي التوفيق.

الفصل السابع

[إن الخليفة بعد النبي بلا فصل هو علي عليه السلام]

قد ظهر وتحقق أن خليفة رسول الله ﷺ بلا فصل هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لاختصاصه برسول الله ﷺ، ومزيد اعتناؤه ﷺ بشأنه عليه السلام، وليس أحد من المسلمين ينكر ذلك، وسبقته في الإسلام، وعدم سجوده لصنم قط، وعدم عبادته لغير الله أبداً، وكونه من أشرف وأكابر قريش، واختيار رسول الله ﷺ له لنفسه أخاً، وكونه نفس رسول الله في آية المباهلة ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(١) بإجماع المفسرين، وسبقته في الجهاد مع الكفار، وعدم فراره في المحاربات حتى سمي: (كرار غير فرار)^(٢) وعدم مخالفته لرسول الله ﷺ في حال من الأحوال بالاتفاق، وكونه زوج البتول سيدة نساء العالمين، التي قال في حقها رسول الله ﷺ (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)^(٣).

(١) سورة آل عمران (٦١).

(٢) قال رسول الله ﷺ يوم خيبر لعلي عليه السلام (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه) البحار للشيخ المجلسي ٣١ / ٢٦٠.

(٣) الأماي للشيخ الصدوق ١٦٥، علل الشرائع للشيخ الصدوق ١ / ١٨٦، الأماي للشيخ المفيد ٢٦٠، ذخائر العقبى لأحمد عبد الله الطبري ٣٧، الأماي للشيخ الطوسي ٢٤.

وهذا مذكور في البخاري، وعدم خطاه في حكم، وعدم عجزه في مسألة، وعدم صدور معصية منه أبداً، وصدقه في مقاله في كل مقام، وهو الصادق الحقيقي الذي أمر الله سبحانه بإطاعته وإتباعه والانقياد له: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١).

وكذا أولاده الأحد عشر عليه السلام مشتركون معه في الأوصاف وجامعون لها، وما ينسب أحد من المخالف والمؤالف خلاف هذه الأوصاف إليه، وإلى أولاده الأحد عشر، فوجب أن يكون أوصياء الرسول كما ذكرنا اثني عشر، جامعين لتلك الصفات على كمال ما ينبغي، وهم أولوا القربى الذين أمر الله سبحانه بمحبتهم،

وأولوا الأمر الذين أوجب الله طاعتهم، وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فلو لم تكن هذه الصفات موجودة فيهم، لوجب على الله لطفاً أن يظهر جامع هذه الصفات، ويبين كذبهم العياذ بالله، ولما لم يفعل علمنا بالقطع واليقين أنهم أئمة الهدى، وأوصياء الرسول عليه السلام.

أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وبعده ابنه الحسن بن علي، وبعده أخوه الحسين بن علي، وبعده ابنه علي بن الحسين، وبعده ابنه محمد بن علي، وبعده ابنه جعفر بن محمد، وبعده ابنه موسى بن جعفر، وبعده ابنه علي بن موسى الرضا، وبعده ابنه محمد بن علي، وبعده علي بن محمد، وبعده ابنه الحسن بن علي، وبعده ابنه محمد المهدي بن الحسن

صلوات الله عليهم أجمعين ❁

❁ أسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام

أنه روي من العامة والخاصة عن النبي ﷺ أن الأمراء والأوصياء والخلفاء من بعده اثنا عشر أميراً وخليفة، فلا تخلو الأرض من أمير وخليفة إلى أن تقوم الساعة، لثلاث تبقى الأرض بغير حجة من الله تعالى، كما روي في صحيح مسلم مسنداً عن حصين بن جابر بن سمرة، قال: دخلت مع أبي علي النبي صلى الله عليه وسلم، فسمعتة يقول: ((إن هذا الأمر لا ينقضي، حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بكلام خفي علي، قال: فقلت لأبي ما قال: قال: كلهم من قريش))^(١).

وفي صحيح البخاري مسنداً عن جبار بن سمرة، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((يكون اثنا عشر أميراً، فقال أبي أنه قال: كلهم من قريش))^(٢).

وفي مسند أحمد بن حنبل، مسنداً عن جابر بن سمرة لسوائي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حجة الوداع: ((إن هذا الدين لن يزال ظاهراً على من ناواه، ولا يضره مخالف لا مفارق، حتى يمضي من أمتي اثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي ما قال: قال: كلهم من قريش))^(٣) فلو فتشنا التاريخ بعد وفاة النبي ﷺ، لم نجد أئمة اثني عشر كلهم من قريش غير أئمة الهدى، وأصحاب الكساء، وأهل القربى، الذين مودتهم وحبهم أجر الرسالة ﴿قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٤).

(١) صحيح مسلم للإمام مسلم النيسابوري ٦ / ٣.

(٢) صحيح البخاري للإمام البخاري ٨ / ١٢٧.

(٣) مسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل ٥ / ٨٧.

(٤) سورة الشورى آية (٢٤).

وأهل البيت الذين طهرهم الله تعالى تطهيراً من كل رجس وعيب ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

ومنهم نفس رسول الله ﷺ وأخوه، وابن عمه وزوج ابنته سيدة نساء العالمين، من الأولين والآخرين، فاطمة بنت رسول الله محمد ﷺ، والذين منهم سيدنا شباب أهل الجنة، والذين هما إمامان قاما أم قعدا.

الذين لم يعصوا الله تعالى طرفة عين أبداً، لأن الله طهرهم من المعصية والخطأ، والزلل والغفلة، والسهو والنسيان، وعلمهم القرآن الذي فيه بيان كل شيء، كما قال تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢).

والذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما قال تعالى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه الإمام الذي أحصى فيه كل شيء، بقوله سبحانه ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٣) ولا عجب لأنه باب مدينة علم رسول الله ﷺ، وحديث النبي ﷺ ((أنا مدينة العلم وعلي بابها))^(٤)، وحديث المنزلة حيث قال رسول الله ﷺ ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))^(٥) إلى عشرات بل مئات بل آلاف الأحاديث في فضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهم سلام الله عليهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم ابنه الإمام الحسن الزكي، ثم أخوه الإمام الحسين الشهيد، ثم ابنه الإمام علي بن الحسين السجاد، ثم ابنه محمد بن علي الباقر، ثم ابنه جعفر بن محمد الصادق، ثم ابنه موسى بن جعفر الكاظم، ثم ابنه علي بن موسى الرضا، ثم ابنه محمد بن علي الجواد، ثم ابنه علي

(١) سورة الأحزاب آية (٣٣).

(٢) سورة الرعد آية (٤٣).

(٣) سورة يس آية (١٢).

(٤) الأمالي للشيخ الصدوق ٤٢٥، التوحيد للشيخ الصدوق ٣٠٧، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٨١ / ٣.

(٥) الاختصاص للشيخ محمد المفيد ٢٢٢، الكافي للشيخ محمد الكليني ١٠٧ / ٨، مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٧٠.

بن محمد الهادي، ثم ابنه الحسن بن علي العسكري، ثم ابنه الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام وكلهم من قريش.

ولنعن ما قال الفرزدق رضي الله عنه في حقهم

قصيدة الفرزدق .

من معشر حبهـم دين وبغـضهـم
يستدفع السوء والبلوى بحبهـم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهـم
إن عد أهل التقى كانوا أئمهـم
لا يستطيع جواد بعد غايتهـم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم
لا ينقص العسر قسطاً في أكفهـم
كفر وقربهم منجى ومعتصم
ويسترب به الإحسان والنعـم
في كل يوم ومختوم به الكلم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
ولا يدانيهـم قوم وإن كرموا
خيم كريم وأيد بالندی هضم
سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا

ومعنى الفرزدق من قوله: ((مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * في كل يوم ومختوم به الكلم)).

أنه ما من مسلم أياً كان مذهبه وعقيدته، لا بد له في صلاة الفرائض الخمس، في التشهد بعد الشهادة لله تعالى، بأنه وحده لا شريك له والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي على محمد وعلى آل محمد عليهم السلام كما في التشهد الأخير عند أخواننا السنة يقولون: ((اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد))^(١).

لذا روى الإمام البخاري قال: حدثنا قيس بن حفص وموسى بن إسماعيل قالا: حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا أبو فروة مسلم بن سالم الهمداني، قال: حدثني عبد الله بن عيسى سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال لقيني كعب بن عجرة فقال:

(١) منهج التوحيد والفقہ للصف الثاني الابتدائي للبنين ٦٢ .

ألا أهدي إليك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت بلى فأهدها لي، فقال: سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا يا رسول الله: كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم.

قال: ((قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد))^(١).

وآل محمد رسول الله ﷺ بإجماع المسلمين هم علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ وعندنا الشيعة الإمامية والتسعة المعصومين من ذرية الإمام الحسين ﷺ، فعددهم اثنا عشر إماماً كعدد نساء بني إسرائيل وأسباط بني إسرائيل كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا أُمَّةً ۗ﴾^(٢).

وكعدد نساء بني إسرائيل أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾^(٣).

فإجماع الشيعة الإمامية الاثني عشرية، على أن أوصياء رسول الله ﷺ اثنا عشر وصياً، كعدد أوصياء بني إسرائيل، وأسباط بني إسرائيل حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل، فكل مسلم لا يصلي على آل محمد ﷺ في صلاته فصلاته باطلة بإجماع، ولم يذكر التاريخ والسنة والكتاب مطلقاً ذكر غير آل محمد ﷺ في الصلاة مطلقاً.

(١) صحيح البخاري للإمام البخاري ٤ / ١١٨ - ١١٩، وفي معنى معنى الرواية واختلاف في

بعض طرق السند روي عن فتح الباري لابن حجر ١١ / ١٣٤، وسنن النسائي ٣ / ٤٧، السنن

الكبرى للبيهقي ٢ / ١٤٧.

(٢) سورة الأعراف آية (١٥٩ - ١٦٠).

(٣) سورة المائدة آية (١٢).

الفصل الثامن

[إن الإمام الثاني عشر هو الإمام المهدي (عجل)]

الإمام الثاني عشر الآن حي وموجود، لكن غائب عن الأبصار، يفيض على الخلق ويمدهم من وراء الحجاب كالشمس إذا جلتها السحاب، حتى يأمره الله تعالى بالخروج، وإظهار نفسه الشريفة، وليس بعده إمام، وإلا لم يكن عددهم كاملاً، ولزم خلوهم من صفة من الصفات الكمالية وهو محال عليهم ❀.

❀ الإمام المهدي (عج)

تقدم الكلام بالعقل والنقل أنه لا بد من وصي وحاكم بعد رسول الله ﷺ معصوم عن الخطأ والمعصية قبل وبعد، عالم بكل المسائل، قادر قوي لا يخاف في الله لومة لائم، ولا عذر عاذر، يصدع بالأمر، ويقول الحق ظاهره كباطنه.

يكون وجوده الوسطة بين الله تعالى والخلق كالنبي ﷺ، وإلا لخرب العالم، وعطلت الأحكام، واستبيحت المحارم، وهتكت الأعراض، وعصي الله تعالى في أرضه بغير حجة، يدلهم إلى الحق ويمنعهم عن الباطل، وهذا مخالف لحكمة الباري جلّ جلاله، أن يترك الحق بلا حجة.

وذكرنا الأحاديث من العامة على أن أمراء وخلفاء النبي ﷺ اثنا عشر أميراً وخليفة، ولا شك أن الإمام الحادي عشر، وهو الإمام الحسن بن علي

العسكري عليه السلام، قد استشهد مسموماً على يد حاكم زمانه المعتمد العباسي المتسمي بأمر المؤمنين، والمنصب نفسه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ستين ومائتين للهجرة النبوية. وبعد الإمام الحسن العسكري عليه السلام الإمام الثاني عشر، الإمام الحجة بن الحسن اسمه كاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته ككنيته.

ذكر الإمام المهدي عند الخاصة والعامة

لذا تواترت الروايات من العامة والخاصة على إمامة المهدي، بأنه يخرج رجل في آخر الزمان اسمه كاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لو لم يبق من الدنيا إلا ساعة واحدة لطول الله تلك الساعة، حتى يخرج رجل من ذريتي، اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً))^(١).

وأما من طرق اخواننا السنة فحدث ولا حرج، فكتبهم مملوءة بذكره ووصفه، منها عن أبي يعلي الموصلي قال: ((حدثنا أبو يعلي أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، حدثنا زهير، حدثنا يحيى بن سعيد، عن عوف، حدثنا الصديق، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل من أهل بيتي أو قال: من عترتي فيملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً))^(٢).

وروى الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يخرج رجل من أمتي يقول بسنتي ينزل له القطر من السماء، وتخرج له الأرض بركتها، تملأ الأرض منه قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس))^(٣).

(١) النكت الاعتقادية للشيخ المفيد ٤٣.

(٢) مسند أبي يعلي لأبي يعلي الموصلي ٢ / ٢٧٤ - ٢٧٥، وفي معنى هذا الحديث روي في كتاب صحيح ابن حبان ١٥ / ٢٣٦، والجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ٢ / ٤٠٢، وكتر العمال للمنتهي الهندي ١٤ / ٢٦٢.

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ٢ / ١٥.

فأكثر الروايات من طرق اخواننا السنة، أن هذا الرجل من ذريتي أو من عترتي، يدل دلالة واضحة أنه هو الإمام الثاني عشر من أئمة الهدى، الذي تقول به الشيعة الاثنا عشرية لا غير.

غيبه الإمام المهدي (عج) لا تضر بالحجبة

تقدم الكلام أن الإمام والحاكم والوصي لرسول الله ﷺ واجب في الحكمة، كوجوب إرسال الرسل، لئلا تخلو الأرض من حجة، إما ظاهر أو غائب وهو يمدهم ويرشدهم، وآخر الأئمة الاثني عشر هو إمامنا الإمام الحجة المهدي، محمد بن الحسن عجل الله فرجه وسهل مخرجه الشريف، الذي بخروجه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

ولعل بعض المخالفين يقول: إذا كان الإمام الحجة هو الإمام والوصي لرسول الله ﷺ، لماذا لا يظهر للعيان كما ظهر آباؤه وأجداده؟.

الجواب:

إن غيبه الإمام وحضوره، كغيبه النبي وحضوره، فلا فرق بين الغيبة والحضور بالنسبة للنبي والوصي في الحجية على الرعية، لأن قدرة وعلم الوصي بتعليم النبي صلى الله عليهما وآلهما يفعل في غيبته نفس ما يفعل في حضرته لا فرق بينهما، المهم والواجب وجود الحجة من نبي أو وصي، أما رؤيته أم عدم رؤيته فلا تشترط في حجيته، وإلا لزم خلو بعض مناطق الأرض من حجة.

هاك رسول الله ﷺ هو نبي ورسول إلى جميع العالمين مطلقاً، بيد أنه ساكن ومقيم في المدينة المنورة، فالمسلمون الموجودون في مكة والطائف واليمن وأنحاء الجزيرة العربية، والذين في قارة أفريقيا في الحبشة، فالمسلمون المنتشرون في أرجاء الجزيرة العربية في الصحراء وغيرها، كل هؤلاء لا يرون النبي ﷺ ولا يسمعون كلامه، وقد البعض آمن به حتى مات ولم ير النبي ﷺ ويسمع مشافهة منه، فعلى رأي بعض المخالفين يكون النبي ﷺ حجة ورسول لمن يراه فقط في المدينة، والذي لم ير

النبي ﷺ لا يكون حجة عليه، وهذا مما لم يقل به أحد من المسلمين والعقلاء مطلقاً.

فكذلك الوصي ليس بالضرورة رؤيته بالعين وسماع صوته بالأذن، بل هو حي موجود يسمع الكلام ويرى الناس، ويحل مشاكلهم، ويجيب على مسائلهم، ويقضي حوائجهم وهم لا يعرفونه، كالنبي ﷺ حينما يقضي حوائج المسلمين البعيدين، ويجيب على مسائلهم، ويقرأ القرآن عليهم وهم لم يروه مطلقاً.

فلو كان عجل الله فرجه ظاهراً موجوداً لقصده الأعداء بالقتل، كما قتلوا أجداده الطاهرين، فلو قاتلهم بقوته لقتلهم جميعاً، ولزم حينئذ محذوران:

الأول: إن في الأصلاب الخبيثة نطفاً طيبة، وفي الأصلاب الطاهرة نطفاً خبيثة، فلو قتل الكفار والمخالفين جميعاً لانقطع فيض الوجود من النطف الطيبة، وجرى فيهم الظلم، وكان لهم الحجة على الله سبحانه يوم القيامة وهو محال.

الثاني: لزوم الإلجاء في التكليف، فلو قاتلهم يعني الكفار بقوته وسطوته وحاربهم، لآمنوا خوفاً من سيفه وقتله باللسان، وأنكروا وناقفوا في قلوبهم، فإن ماتوا بهذه الحالة، وانتقلوا من الدنيا، ولم يتمكنوا من إظهار ما في قلوبهم، ومع ذلك عاقبهم الله سبحانه، كان لهم حجة على الله سبحانه.

وهذا خلاف المقصود من بعثة الأنبياء. قال تعالى ﴿لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(١) وقال أيضاً ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢) فظهر أن الإمام لو كان ظاهراً، وقصد الأعداء قتله، فلا بد أن لا يقاتلهم ولا يحاربهم، وإن قتلوه كما قتلوا أجداده الطاهرين خلى العالم من حجة الله تعالى، ولا بد في الأرض من الحجة، وإلا لانقلبت وخرب العالم.

وقبيح على الله أن يجعل الخلق في الضلالة، ولم ينصب لهم علم الهداية، مع أننا أثبتنا بالأدلة العقلية والنقلية، أن الإمام واسطة فيض جميع

(١) سورة النساء آية (١٦٥).

(٢) سورة البقرة آية (٢٥٦).

الذرات الوجودية، فعند فقدانه لزم اضمحلال العالم، وهلاك كل الموجودات، وفناء العالم قبل الوقت المقرر قبيح عند الله سبحانه.

فوجب أن يغيب عجل الله فرجه مدة من الزمان عن الأبصار، حتى تضمحل الدولة الباطلة، وتخلو الأصلاب من النطف الطيبة والخبيثة، فعند ذلك يظهر بسيف قاطع، ويهلك الباطل ويظهر الحق، عجل الله فرجه وسهل مخرجه، وجعلنا من أعوانه وأنصاره، بحق النبي الأكرم وآله الكرام عليهم صلوات الملك العلام، مادام نور وظلام ❀.

❀ مصلحة غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه

أنه لو فرض أن الإمام الثاني عشر حاضر، كحضور آبائه بين الناس، لجرى عليه ما جرى عليهم من القتل، لأنه ليس إمام من الأئمة الأحد عشر إما مقتول أو مسموم، حسداً وكفراً بالله وبرسوله ﷺ فلو كان حاضراً لقتل كما قتل آباؤه من قبل، وإذا قتل وهو آخر الأوصياء خلت الأرض من حجة، وهذا منافي للحكمة الإلهية، حيث أول ما خلق الله تعالى خلق الحجة وهو آدم على نبينا وآله وعلينا، ثم خلقت حواء وأبناؤهما من المحجوجين.

أو إذا أرادوا قتله يحاربهم بقوته الإلهية، وإذا قاتلهم بقوته الإلهية من عند الله تعالى كالاسم الأعظم وغيرها قتلهم جميعاً، وإذا قتلهم جميعاً يلزم محذوران هما:

المحذور الأول

إن في الأصلاب الخبيثة نطفاً طيبة وكذا العكس، فإذا قتل الكفار والمخالفين وفي أصلابهم نطف طيبة، حصل الظلم لهم بأن منعوا من دخول الجنة، ولهم على الله عز وجل الحجة في ذلك يوم القيامة وهذا محال، لأنه عادل غير ظالم تعالى، وكذا العكس لو يمنع الكافرين من كفرهم وهذا خلاف الاختيار.

المحذور الثاني

أنه إذا حاربهم بقوته الإلهية يدخل البعض في الإسلام كرهاً، وقلبه كافر منافق، فإذا ماتوا على هذه الحالة ولم يظهروا الكفر والنفاق، لا يستحقون دخول الجنة ولا النار، فلا يستحقون دخول الجنة لأن باطنهم وقلوبهم مخالف للطاعة، ولا يدخلون النار لأنهم لم يعملوا عملاً طالحاً سيئاً يدخلهم النار.

فيكون لهم على الله عزَّ وجلَّ الحجة في عدم إدخالهم الجنة وحققتهم كافرة أو منافقة، وحاشا لله عزَّ وجلَّ عن ذلك، وقال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(١).

إذاً وجب أن يغيب الإمام الحجة المهدي عجل الله فرجه عن الأبصار ليحفظ نفسه المباركة من القتل، لئلا تخلو الأرض من حجة، لأنه السبب المتصل بين الأرض والسماء، فيمد الخلائق كما تمد الشمس الأرض إذا جللها السحاب، فيغيب إلى أن تنتهي دولة الباطل، ويأمر الله تعالى بدولة الحق ليحيى من حيى عن بينة، ويموت من مات عن بينة.

وإذا أمر بالخروج حينها يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، جعلنا الله وإياكم من أنصاره وأعوانه في غيبته وحضوره آمين آمين.

الفصل التاسع

[إن غير أهل البيت عبدوا الأصنام مدة وفروا من الحروب]

إن الذين يقول الناس فيهم أنهم أحق من غيرهم، عبدوا الأصنام مدة من السنين، وبعد ذلك كانوا يفرون في الحروب والغزوات، ويقول الله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ ۗ الْأَذْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤَلِّمَهُ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءٌ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾^(١) وفرارهم من الزحف في الغزوات والحروب ثابت بالتواتر كما ذكره المؤرخون:

وما أنسى لا أنسى اللذين تقدما

وفرهما والفرقد علما حوب

وأما كون زوجات النبي ﷺ فغير خفي، من أن زوجة فرعون كانت آسية بنت مزاحم مؤمنة، وبالعكس زوجة النبي نوح ﷺ كانت كافرة، كزوجة النبي لوط ﷺ وآبائهم وأمهاتهم كانوا كفارا وآية: ﴿الْحَيْثُ لِلْحَيْثِينَ﴾^(٢) ليست دليلا على ذلك يقيناً، لأن الله عز وجل أيضاً ذكر في

(٢) سورة النور آية (٢٦).

(١) سورة الأنفال آية (١٥ - ١٦).

الفصل التاسع [إن غير أهل البيت عبدوا الأصنام مدة وفروا من الحروب] ٣٠١

كلامه الحميد قصة زوجتي نوح ولوط ولو (ومع) أنهما كانتا كافرتين، لم ينفعهما صحبة النبيين، والتناقض في قول الله عز وجل محال. والحديث المتفق عليه بين المسلمين معروف من أن النبي ﷺ قال (لتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، حتى أنه لو دخل أحدكم جحر ضب لدخلتموه)^(١).

هذا وأن فاطمة الزهراء صلوات الله عليها التي أذيتها أذية رسول الله ﷺ، وأذية رسول الله؟؟ ﷺ أذية الله، وأذية الله موجبة للعن والفضيحة في الدنيا والعقبى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(٢) وأمثال هذه الأمور الضرورية المتواترة بين المسلمين كثيرة لا تخفى على الإنسان المتبصر.

فأي عاقل بل أي سفيه بعد ملاحظة ومشاهدة هذه الصفات وأمثالها، يقدم هؤلاء الأشخاص على الأئمة ﷺ، أولئك المنزهون المبرءون من جميع الصفات الذميمة، والأوصاف القبيحة بالاتفاق، على أن تعظيم واحترام أهل البيت ﷺ من ضروريات الدين، من تكلم عليهم بما لا يليق فقد كفر وخرج عن دين محمد ﷺ لا والله العظيم، العاقل لا يرضى بهذا الاستبدال ﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾^(٣) ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٤).

(١) الإقتصاد للشيخ الطوسي ٢١٣، الملاحم والفتن للسيد ابن طاووس ٢٦٢، البحار للشيخ المجلسي ٥٣ / ١٢٧، المستدرک للحاکم النيسابوري ١ / ٣٧، عمدة القاري للعيني ١٦ / ٤٣، قال رسول الله ﷺ ((سيكون في أمتي كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو أن أحدكم دخل جحر ضب لدخلتموه)).

(٢) سورة الأحزاب آية (٥٧).

(٣) سورة البقرة آية (٦١).

(٤) سورة الحج آية (٤٦).

الباب الخامس
في المعاد وحشر الأرواح

وفيه ثلاث عشر فصلاً

الفصل الأول

[وعد الله تعالى للحشر يوم القيامة للمطيع والعاصي]

لا شك ولا ريب أن الدنيا دار محن وآلام، واختلاف وتغير، وتبدل وزوال وانتقال، وليس لحال من الأحوال كالخير والشر، والنفع والضرر، والنعمة والنقمة، والتعب والراحة، والصحة والسقم، دوام واستمرار أبداً.

ولا شك أن الله سبحانه خلق الخلق وكلفهم بتكاليف، وفيها أمر ونهي ووعد ووعيد، وفي امثال تلك التكاليف وعدهم بالأجر والثواب، وفي تركها ومخالفتها العقاب، والله سبحانه أجل وأعظم من أن يخلف وعده، ولا يأتي بما وعده، لعدم تمكنه واقتداره.

ونحن نرى أن جماعة عملوا بما أمر وأطاعوه، وأتوا بحق عبادته بمقتضى مقامهم، وجماعة عصوه وما قصرُوا في مخالفتهم دقيقة واحدة، لا هؤلاء كافأهم الله بسوء أعمالهم وابتلاهم، ولا الطائفة الأولى أعطاهم الأجر والثواب بحسب وعده، الذي لا يكون فيه خلف أبداً، حتى ماتوا وارتحلوا من دار الدنيا، فان لم يكن ﴿لَهُمْ﴾ دار أخرى، وعالم ومحل آخر للجزاء والمكافآت، لزم الظلم وخلف الوعد، وتساوى المطيع

٣٠٦.....شرح أصول العقائد (ج ٣)

والعاصي، وهذا محال على الله تعالى، فوجب أن يعود جميع المخلوقين
والمكلفين في عالم ومحل آخر، حتى يستوفوا حقوقهم.

الفصل الثاني في كيفية المعاد

وهي أن الخلق إذا ماتوا تكون أرواحهم على ثلاثة أقسام:

[القسم الأول]

ما حض الإيمان، وهذا القسم أرواحهم بعد موتهم تصير إلى جنة الدنيا وتتنعم هناك، فإذا كان يوم الجمعة ويوم العيد، عند طلوع الصبح الصادق، تأتي إليهم الملائكة بنوق من نور، على كل ناقة قبة من ياقوت وزمرد وزبرجد ودر، فتركبها فتطير بهم الملائكة ما بين السماء والأرض، فتأتي بها إلى (وادي السلام) خلف الكوفة، فتبقى الأرواح هناك إلى زوال الشمس، فتستأذن من الملك الموكل بهم لزيارة قبورهم وأهاليهم، إلى أن يصير الظل من كل شيء مثله، فعند ذلك يصيح بهم الملك ويناديهم، فيجتمعون ويركبون النوق، وتطير بهم الملائكة حتى يصلوا إلى غرفات الجنان فيتنعمون هناك، ويبقون بهذا الطريق إلى رجعة آل محمد عليهم السلام، فعند ذلك يحيون ويرجعون إلى الدنيا ❁.

❁ ما حض الإيمان

معنى ما حض الإيمان هو من عرف أمير المؤمنين والمعصومين عليهم السلام بالمعرفة

النورانية، بأنهم مظهرون أمر الله ونهيه، وكلمته التامة، وآياته العليا، وهم المظهرون لصفاته من العلم والسمع والبصر والقدرة وغيرها، فلو لاهم ما عرف الله تعالى، ولو لاهم ما عبد الله تعالى كما تقدم في الفصول السابقة.

لذا في الزيارة الجامعة الكبيرة عن الإمام علي الهادي عليه السلام يقول ((فبحقهم الذي أوجبت لهم أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم، وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم إنك أرحم الراحمين))^(١).

فالعارف بهم بالمعرفة النورانية يتنعم في جنان الدنيا ثم بعد موته يرجع مع المعصومين عليهم السلام روي في تفسير علي بن إبراهيم قال حدثني أبي قال: حدثني ابن عمير، عن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ((ويوم نحشر من كل أمة فوجاً)) قال: ((ليس أحد من المؤمنين قتل إلا يرجع حتى يموت، ولا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً))^(٢) زادنا الله تعالى وإياكم بمعرفتهم ومحبتهم في الدنيا والآخرة.

ووادي السلام هو النجف الأشرف مرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فيه تأوي جميع أرواح المؤمنين إلى هناك.

(١) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٥٣ / ٥٣.

فمن خرج من الدنيا شهيداً، عاش في الرجعة مقدار عمره في الدنيا مرتين ثم يموت، ومن خرج من الدنيا ميتاً حتف أنفه، استشهد في الرجعة ونال درجة الشهادة ❁.

❁ المؤمن يكر في الرجعة

العارف بمحمد آل محمد ﷺ بالمعرفة النورانية له خير الدنيا والآخرة، فإن مات في الدنيا شهيداً تحت راية الإمام ﷺ عاش في الرجعة ضعف عمره، والذي يموت موة طبيعية، ينال الشهادة في الرجعة تحت راية المعصومين ﷺ ويأتي التفصيل عن الرجعة فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وبعد انتهاء دولة الحق، وتمام مدة الرجعة، يرفع الله سبحانه محمداً وأهل بيته الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين إلى السماء، فتبقى الأرض خالية عنهم ﷺ، ويبقى الناس أربعين يوماً في هرج ومرج * .

* الرجعة نهاية عالم التكليف

لما يظهر الإمام الحجة بن الحسن أرواحنا له الفداء، يخرج من قرية يقال لها كربة من اليمن كما في كتاب الكفاية عن علي صلوات الله عليه قال: قال رسول الله ﷺ بعد عد الأئمة ﷺ: (ثم يغيب عنهم إمامهم ما شاء الله، ويكون له غيبتان إحداهما أطول من الأخرى، ثم التفت إلنا رسول الله فقال رافعاً صوته: الحذر الحذر إذا فقد الخامس من ولد السابع من ولدي).

فقال علي: فقلت يا رسول الله فما يكون حاله عند غيبته؟ قال: يصبر حتى يأذن الله له بالخروج، فيخرج من اليمن من قرية يقال لها كربة^(١) يحكم الأرض سبع سنين، كما في غيبة الطوسي رضوان الله عليه: الفضل، عن عبد الله بن القاسم الحضرمي، عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: كم يملك القائم؟ قال: ((سبع سنين يكون سبعين سنة من سنينكم هذه))^(٢) ثم يستشهد روجي فداه على يد امرأة يقال لها سعيدة التميمية، لها لحية كلحية الرجال، تضربه بجاون من صخر من الأعلى على رأسه فيستشهد، ثم يرجع الإمام الحسين ﷺ إلى الدنيا فيقوم بتجهيزه وتغسيله، لأن الإمام لا يغسله إلى إمام، ثم بعد ذلك يرجع جميع الأئمة ﷺ وممن محض الإيمان وممن محض الكفر إلى الدنيا، روي في تفسير علي بن إبراهيم قال حدثني أبي قال: حدثني ابن عمير، عن المفضل، عن أبي عبد الله ﷺ في قوله ((ويوم نحشر من كل أمة فوجاً)) قال: ((ليس أحد من المؤمنين قتل إلا يرجع حتى يموت، ولا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر

(١) البحار للشيخ المجلسي ٥٢ / ٣٨٠.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٥٢ / ٢٩١.

محضاً))^(١) وفي الرجعة يحكم جميع الأئمة المعصومين عليهم السلام حتى أنه يحكم الإمام الحسين خمسين خمسين ألف سنة، وإذا أراد الله تعالى خراب العالم رفع محمداً وآل محمد عليهم السلام من الأرض إلى السماء، فيكون الناس في هرج ومرج لا يعلمون من هم ولا يفقهون شيئاً، وإن شاء الله تأتي التفصيل عن الرجعة فيما بعد.

(١) البحار للشيخ المجلسي ٥٣ / ٥٣ .

ثم ينفخ إسرائيل في صوره نفخة الصور ❁

❁ ما هو الصور؟

هو شبه القرن له طرفان طرف نحو السماء وطرف نحو الأرض، كما روي في تفسير الصافي عن النبي ﷺ في معنى الصور ((الصور قرن من نور التقمه إسرائيل))^(١).

فأول من يموت من الخلائق أهل الأرض ثم أهل السموات، فلا يبقى أحد من الخلائق إلا ويموت، ويبقى إسرائيل فيقول الله عزَّ وجلَّ له مت فيموت، فلا يبقى أحد إلا وجه عزَّ وجل، فينادي وجه الله سبحانه وتعالى ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾^(٢) فيجيب نفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٣).

ثم ينفخ النفخة الثانية وهي نفخة الدفع، فتحيى الخلائق من جديد ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٤).

كيفية نفخة الجذب والدفع

قد البعض يتصور أن النفختين متشابهتان بعضها نفس الآخر، ولكن الواقع غير ذلك كما ذكر الشيخ الأوحى الشيخ أحمد بن زين الدين أعلى الله مقامه بقوله: ((وأما على التحقيق فهو كلام من لا يتصور ذلك، فإن النفختين مختلفتان في الإنبعاث، وذلك لأن نفخة الصعق نفخة جذب، بأن يجذب النفس - بفتح الفاء - إلى الجوف، وإسرائيل ﷺ ينفخ في نفخة الصعق، وهي النفخة الأولى نفخة جذب، فتنجذب الأرواح إلى الصور، وتدخل كل روح في ثقبها، وتتفكك أركانها، وتبطل تركيبها،

(١) تفسير الصافي للفيض الكاشاني ٢ / ١٣٠.

(٢) سورة غافر آية (١٦).

(٣) سورة غافر آية (١٦).

(٤) سورة الزمر آية (٦٨).

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأعرابي، في وصف النفس الحيوانية، ونفخة الفزع والبعث نفخة دفع، بأن يدفع النفس من الجوف إلى الفضاء.

فإذا نفخ إسرائيل عليه السلام نفخة الدفع، وهي النفخة الثانية، فتمر الحقيقة الأولى، التي هي حقيقة العبد من ربه، وهي النور والفؤاد، والوجود الذي هو المادة على العقل في خزائنه، وهو نائم تحت ظل الشجرة البيضاء فيتعلق بها، ثم على النفس وهي نائمة تحت ظل الشجرة الخضراء فتتعلق بها، ثم على الطبيعة وهي نائمة تحت قبة الياقوت فتتعلق بها، ثم على الهباء الجوهرى، وهو نائم في هواء الجعل، فيتعلق بها، ثم على الصورة في الأظلة الشبحية، فتتعلق بها، فتنزّل بما تعلق بها إلى طينة الشخص المستديرة في قبره، وهي مادة جسده الذي كان في الدنيا، المصورة بمقتضى صور أعماله، فتلبسها ثم ينشق التراب من قبره ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(١) ^(٢).

معنى قول الشيخ أحمد الأحسائي رضوان الله عليه، في معنى نفخة الدفع النفخة الثانية، فتمر الحقيقة الأولى وهي جهة العبد من ربه، وهي النور والفؤاد، على العقل وهو نائم تحت الشجرة البيضاء، ثم على النفس وهي نائمة تحت ظل الشجرة الخضراء. معنى كلامه أن حقيقة الإنسان وهي جهته من ربه وهي الفؤاد، تستجمع موادها من العقل في الشجرة البيضاء أي عالم العقول، وسميت شجرة لتشعب العقول فيها بالمعنى، وسميت بيضاء لأن العقل نوره نور البساطة والبياض.

وكذا النفس سميت شجرة لتشعب النفوس، وخضراء لكثرتها أي ظهور الكثرة والاختلاف في عالم النفوس الملكوت.

ثم على الطبيعة أي عالم الطبيعة، وهي الكسر الأول على اعتبار، وهي قبر للنفس مثل قبر الدنيا هو قبر للجسد.

ثم الهباء وهو المادة الكلية، التي يتشكل بها الشيء بأشكال مختلفة، ثم في

(١) سورة الزمر آية (٦٨).

(٢) شرح العرشية للشيخ أحمد الأحسائي ٣ / ٨ - ٩.

الصورة الشبحية وهي عالم المثال، ثم يلبس الطينة الأصلية المستديرة في القبر، وهي جسده الدنياوي إلى أن يقوم وينفض رأسه للحساب.

فرأي الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي رحمته الله، واضح في البعث والمعاد يوم القيامة، هو نفس الجسد الموجود في الدنيا، بعد تصفيته من الشوائب والأعراض، مثل الشعر والأظافر طوال حياته، فإنها عشرات الأمتار لو تعاد يوم القيامة، فالشعر الزائد الذي يزيله الحلاق منذ بداية حياته إلى مائة سنة مثلاً هذا لا يعود، وكذا أظافره منذ أول حياته إلى مائة سنة لا تعود، لأنها تعد زائدة عن الجسد.

وكذا لو كان عبد الله مثلاً وزنه أربعون كيلو غرام، ثم سمن وأصبح وزنه مائة وأربعين كيلو غرام، وكذا العكس من مائة وأربعين إلى أربعين، فإن عبد الله هو عبد الله لا يتغير، وإن تغير جسمه من السمن إلى الهزل.

هذا ما يقول الشيخ في المعاد، بأن الإنسان يعاد يوم القيامة بجسده وروحه وصورته الموجود في الدنيا، ولكن بعد التصفية من الأعراض.

لذا قال الشيخ الأوحى رضوان الله عليه في المعاد يوم القيامة ((فتقوم تلك الأجساد التي كانت في الدنيا، لابساً صور أعمالها أحياء تعود أرواحها إليها، التي خرجت منها في دار الدنيا، لأن هذه الأجساد عاملة مع أرواحها، فهي المعادة للثواب والعقاب))^(١).

وهذا خلاف ما قال الملا صدرا الشيرازي في كتابه العرشية من أن المعاد يوم القيامة هي الصور فقط، وأما المواد فتفنى أي الجسد الدنياوي الذي عمل الصالحات وعمل المعاصي لا يعاد لأنه يفنى كما قال في العرشية ((فتقوم تلك الصور أحياء ناطقة، فمن ناطق الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، ومن ناطق بقول ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾^(٢) وكل ينطق بحسب عمله وحاله))^(٣).

(١) شرح العرشية للشيخ أحمد الأحسائي ٣ / ١٧.

(٢) سورة يس آية (٥٢).

(٣) العرشية للملا صدرا الشيرازي ٦٧.

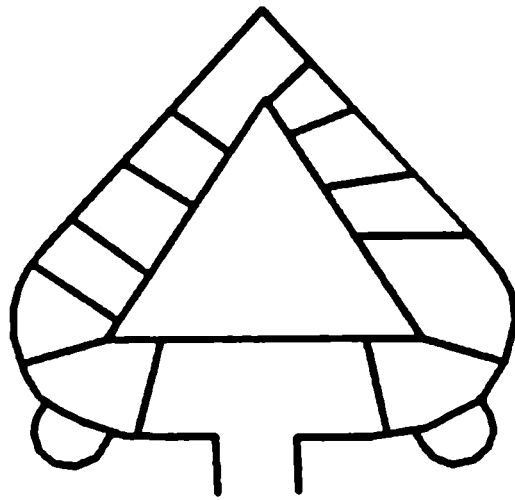
فقال الشيخ أحمد الأحسائي في شرحه على العرشية على هذه الفقرة بقوله: ((مبني على مذهبه، من أن المعاد إنما هو الصور، وأما المواد فإنها تفتنى))^(١).

فمن أراد التوسع في رأي الشيخ أحمد الأحسائي في معنى المعاد، من عود الأجساد الدنياوية عينها يوم القيامة فليراجع كتاب إحقاق الحق لآية الله المقدس الميرزا موسى الأحقائي رضوان الله عليه ففيه الكفاية لمن يطلب الدراية وكتاب شرح العرشية للشيخ أحمد الأحسائي، والله ولي التوفيق والسداد.

شكل الصور

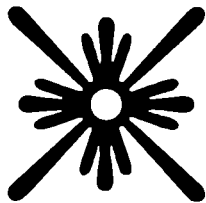
شكل الصور وهيئته الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام شكل قلب الإنسان، وذلك لأن حياة الإنسان بقلبه الصنوبري أي المتكون من اللحم.

كذلك حياة العالم الكبير بالصور اتكبير للعالم الكبير، كما قال الشيخ الأوحدي أحمد بن زين الدين ((وثبت أن الصور بسكون الواو، قلب الإنسان الكبير، دل على أن هيئته كهيئة قلب الإنسان الصغير، لأنه في كل شيء مثله، فيكون الصور كالجسم الصنوبري الذي في صدر الإنسان هكذا.



... وأما الثقبان فهما الأذنان، أي أذنا القلب اليمنى إلى جهة أهل السماوات وأهل الحجب، واليسرى إلى جهة أهل الأرض، ويبتدئ خروج الصوت في نفخة الجذب من الأيسر الذي يلي الأرض، لأنه في النفخة الأولى قبل الدنيا في نفخة البدء، كما أن العليا قبل السفلى، لأنه نفخة الجذب في العود، فتكون بعكس الترتيب في ذلك فافهم.

وكذلك في النفخة الثانية نفخة البعث، الابتداء بالعليا قبل السفلى، لأنها وإن كانت من العود إلا أنها بالنسبة إلى نفخة الصعق كالبدء^(١) فأول من يموت أهل الأرض، ثم أهل السماء حتى يموت إسرائيل عليه السلام.



فتبطل الأرواح، وتسكن الحركات، ويفنى جميع من في السماوات والارضين، فلا يبقى حس ولا محسوس إلى أربعمائة سنة ❁.

❁ بطلان الأرواح

من المعلوم أن الروح بما هي هي لا تبطل ولا تفنى بقدره الله تعالى، لذا إذا مات المكلف تخرج روحه من جسده أما إلى النعيم أو إلى الجحيم.

ومعنى بطلان الروح أو الأرواح عند نفخة الجذب الصعق، تفكك أجزائها كل جزء يكون على حده، كما قال شيخ المتألهين، وأستاذ المتفلسفين، الشيخ أحمد بن زين الدين قدس سره ((وأعلم أنه إذا نفخ في الصور نفخة الصعق، انجذبت كل روح إلى ثقبها، كما أشرنا إليه، وفي الثقب ست مخازن، ومنها أخذت أركان الروح.

فأول مخزن تلقي فيه: صورتها المثالية وشبحها.

وفي الثاني: حصتها الهبائية، وهي كالحصاة المأخوذة من الخشب لعمل السرير قبل تقديره.

وفي الثالث: طبيعتها.

وفي الرابع: صورتها الجوهرية.

وفي الخامس: رقيقها الروحية.

وفي السادس: معناها العقلي، فإذا نفخ نفخة الأحياء والنشور تركبت كما تفككت^(١).

فإذا نفخ إسرافيل عليه السلام في الصور نفخة الجذب الصعق، انجذب كل جزء من أجزاء الروح إلى ثقبه الخاص به، وهذه الثقوب عبارة عن الإنسان الكامل من عقله إلى صورتها المثالية وشبحها إلخ.

(١) شرح العرشية للشيخ أحمد الأحساني ٣ / ١٥ - ١٦.

وإذا دخل كل شيء في ثقبه الخاص تفككت الروح، وإذا تفككت بطلت وبطل عملها، وذلك مثال جهاز الحاسب الآلي (الكمبيوتر) إذا فككته أجزاء وقطع بطل الجهاز وفعله، وإذا استرجعته على ما كان رجع إلى عمله، كذلك الروح في نفخة الجذب ونفخة الدفع.

أي إذا نفخ إسرافيل نفخة الدفع، التي تميت كل ما سوى الله تعالى إلا وجهه، كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾^(١) بطلت الروح ولكن ما هو وجه الله؟.

وجه الله تعالى

وجه الله تعالى ليس كوجوه الخلق، له رأس وعينان وأنف وفم وخذ وغير ذلك من التجسيم جلا وعلا، لأن كل مجسم مركب، وكل مركب محتاج، وكل محتاج مخلوق، والله تعالى غير محتاج ولا مركب، بل ليس كمثله شيء.

فوجه الله تعالى مخلوق خلقه الله تعالى ونسبه إلى نفسه، وقال هذا وجهي، أي من أراد التوجه إليّ ويعرفني فلينظر إلى هذا الوجه، لكون هذا الوجه معرفة الله تعالى.

كما أن السماوات والأرضين ومن فيهما كلها معرفات لله تعالى، وأنت أيها الإنسان معرف لله تعالى، لكن وجه الله عز وجل مستجمع جميع صفات الكمال لله تعالى، ومظهر لأفعاله وصفاته الجلالية والجمالية الذاتية والفعلية جميعاً.

فمن عرف هذا الوجه فقد عرف الله تعالى، ومن أنكره وجحدته، فقد أنكر وجحد الله تعالى، لأنه علم مما تقدم أن ذات الحق سبحانه لا تدرك ولا تتصور ولا ترى، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأن الذات تعالى غير الخلق من كل شيء.

فهذا الوجه الباقي المنسوب إلى الله تعالى، يجب أن يكون أفضل وأكرم وأول وأشرف وأعبد وأتقى وأورع وأعلم وأقدر خلقه مطلقاً، ولا يوجد مخلوق خلقه الله تعالى أفضل وأشرف وأعلى وأقدر من محمد وآل محمد ﷺ.

فهم وجه الله عزَّ وجلَّ الذي من أراد أن يعرف الله تعالى فليُنظر إليهم، ويأخذ منهم، ويهتدي بهديهم، لأنهم مع الحق والحق معهم ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَأَلْكَرُ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١).

لذا روي في بصائر الدرجات، قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن بن أبي نصر، عن محمد بن حمران، عن أسود بن سعيد، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول: أبتدأ من غير أن يسأل ((نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده))^(٢).

كما أن الله تعالى جعل الكعبة المشرفة بيته وقال تعالى: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾^(٣) مع أنه تعالى لا يحل في شيء لا في الكعبة ولا غيرها، بل هو في كل مكان، فلا تحويه الكعبة ولا غيرها.

مع العلم أنه روي عن النبي صلى الله عليه وآله من اخواننا السنة والشيعة سيان على أن المؤمن إذا عبد الله تعالى، يكون هذا الإنسان هو سمع الله وبصره ويده ولسانه، كما روي في صحيح البخاري قال: حدثني محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إن الله قال من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه))^(٤).

(١) سورة يونس آية (٣٥).

(٢) بصائر الدرجات للشيخ محمد بن الحسن الصفار ٨١، الكافي ١ / ١٤٥، البحار ٢٥ / ٣٨٤، المحتضر للحسن بن سليمان الحلبي ٢٢٦، الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي ١ / ٢٨٨.

(٣) سورة الحج آية (٢٦).

(٤) صحيح البخاري للإمام البخاري ٧ / ١٩٠، السنن الكبرى للبيهقي ٣ / ٣٤٦، شرح مسلم للنووي ١٥ / ١٥١، عمدة القاري للعيني ١٦ / ١٧٦.

٣٢٠..... شرح أصول العقائد (جـ ٣)

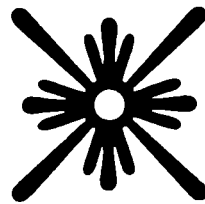
فإذا كان العبد المؤمن العادي يكون سمع الله تعالى وبصره ويده، وكل مسألة يسأل من الله تعالى يعطيه، فكيف بسادات الوجود وأول الخلائق محمد وآل محمد ﷺ؟ .

والأجساد تتلاشى في القبور، وتتفرق أجزاؤها، وتبقى في القبور مستديرة كسحالة الذهب في دكان الصائغ ❁.

❁ بقاء الطينة مستديرة كسحالة الذهب في القبر

أنه إذا مات الإنسان ووضع في قبره وتحلل إلى تراب، تبقى طينته الأصلية في القبر كل جزء عند نفس الجزء الذي موجود في الدنيا، فجزء الرأس عند الرأس، واليد عند اليد، كما قال آية الله المقدس الميرزا علي الأحقائي رضوان الله عليه: ((وأما بدنه أي جسده، فإنه يبقى في قبره كسحالة الذهب مستديراً، بعد فناء عوارضه الدنياوية اللاحقة له، ومعنى كونه مستديراً، أنه تكون أجزاء الرأس في مقام الرأس، وأجزاء الرقبة في محل الرقبة، وأجزاء الصدر في محل الصدر، لكنها متفككة الأجزاء، فلا تكون أجزاء الرأس في مقام الرقبة، ولا أجزاء الرقبة في مقام الرأس أو موضع الصدر، وذلك بقدره الله تبارك وتعالى))^(١).

قوله مثل سحالة الذهب في دكان الصائغ أي أجزاء الذهب الصغار بعضها على بعض مثل الدائرة.



(١) الكلمات المحكمات لآية الله المقدس الميرزا علي الأحقائي ١٢٦.

وأما القسم الثاني :

فهو ما حض للكفر، إذا مات حشرت روحه عند مطلع الشمس، فتعذب هناك بحرارة الشمس، فإذا قرب غروبها، حشرت في برهوت وادي حضرموت وعذبت هناك إلى الصباح، فعند ذلك ملائكة العذاب تسوقها إلى مطلع الشمس، وهكذا يفعل بها إلى نفخة الصور، وعند ذلك تبطل. وأما أجسادهم فتبقى في قبورهم، فيدخل إليها دخان وشرار نار جهنم، التي في المشرق إلى وقت نفخة الصور ❁.

ما حض الكفر

هو من نصب العداوة لأmir المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيت النبوة وبالخصوص الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام وذلك لأن مودتهم أجر رسالة النبي صلى الله عليه وآله كما قال تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١) وكما قال صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام ((حُب علي إيمان وبغضه كفر))^(٢).

وأما من السنة فأجمع المسلمون من العامة والخاصة عن النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: ((علي مع الحق، والحق مع علي، يدور معه حيثما دار))^(٣) وقال صلى الله عليه وآله: ((علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))^(٤) وقال سبحانه في

(١) سورة الشورى آية (٢٣).

(٢) الأماي للشيخ الصدوق ٦٥.

(٣) المسائل الصاغانية للشيخ المفيد ١٠٩، الأماي للشيخ الصدوق ١٥٠، الخصال للشيخ الصدوق ٤٩٦، البحار للشيخ المجلسي ١٠ / ٤٣٢، ينابيع المودة لذي القربى للقندوزي ١ / ١٧٣، الجمع بين الصلاتين لعبد اللطيف البغدادي ٢١٢.

(٤) الأماي للشيخ محمد الطوسي ٤٦٠، المستدرک للحاكم النيسابوري ٣ / ١٢٤، المعجم الأوسط للطبراني ٥ / ١٣٥، الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي ٢ / ١٧٧، البحار للشيخ =

تطهيرهم وتزكيتهم وعصمتهم ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١).

فالمعادي لأهل البيت عليهم السلام هو ممن محض الكفر ومحضاً، فإذا مات تحشر روحه عند مطلع الشمس يعذب بحرارتها إلى وقت الغروب، وإذا غربت الشمس يحشر روحه إلى وادي، يسمى بوادي حضرموت في اليمن كما هو منطوق روايات أهل العصمة عليهم السلام فيعذب من حين موته إلى وقت النفخ في الصور، أجازنا الله منها بمحمد وآل محمد عليهم السلام وعند النفخ في الصور تبطل الأرواح، كل جزء يدخل في ثقبه المخصص له كما ذكر من قبل.

فإذا عذبوا بحرارة الشمس بالنهار، وفي الليل في وادي برهوت، يصل إلى أجسادهم التي في قبورهم شرر النار التي في المشرق إلى وقت النفخ في الصور أجازنا الله منها بحب أهل البيت عليهم السلام.

= المجلسي ٢٢ / ٢٢٣، كنز العمال للمقتفى الهندي ١١ / ٦٠٣ فيض القدير شرح الجامع الصغير للنماوي ٤ / ٤٧٠، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف للسد ابن طاووس ١٠٣ .
(١) سورة الأحزاب آية (٣٣).

وأما القسم الثالث :

وهو المستضعف الذي لا هو محض الإيمان، ولا محض الكفر،
فتبقى أرواحهم مع أجسادهم إلى يوم القيامة، ملقاة في قبورهم ❀ .

❀ المستضعفون في القبر

المستضعفون كما ذكر من قبل هم الذين لا يعلمون الحق من الباطل، وما يراد
منهم وما يريدون؟ .

فهم مع القوم يا شقري كما في المثل، فهؤلاء إذا ماتوا يلهون في قبورهم،
أرواحهم مع أجسادهم في القبر، مثل النائم إلى يوم القيامة، لا ينعمون مثل محضي
الإيمان، ولا يعذبون مثل محضي الكفر، إلى أن يلقي عليهم التكليف يوم القيامة،
إما إلى النعيم أو إلى الجحيم والعياذ بالله .

الحاصل فإذا مضى بين النفختين مقدار أربعمئة سنة، يمطر من تحت العرش من بحر صاد مطر رائحته رائحة المنى، أربعين صباحاً، حتى يكون وجه الأرض بحراً واحداً موجاً، فتجتمع أجزاء كل جسد في قبره، فينبت اللحم في مقدار أربعين يوماً، ثم يبعث الله إسرافيل ويأمره، فينفخ نفخة النشور والبعث، فتطير الأرواح فتدخل في أجسادها، كل روح في جسدها الذي كانت فيه في دار الدنيا، فينفض كل أحد التراب من قبل رأسه، ويخرج من قبره، ويأتي إلى المحشر، وتقوم القيامة، وهذا معنى المعاد، يعني عود الأرواح إلى أجسادها الدنيوية ❁ .

❁ تطاير الأرواح إلى أجسادها الدنيوية

ذكر من قبل أن إسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور نفخة الجذب فتجذب كل روح، فتبطل الأرواح ويفنى كل شيء إلا وجهه تعالى، فيبقى العالم بعد نفخة الجذب أربع مئة سنة كما في بعض الروايات خراب لا حس ولا محسوس، هنذاك يخاطب الله سبحانه العالم ولا مجيب إلا هو، كما قال في كتابه حاكياً هذا اليوم ﴿لَمِنَ الْمَلَكِ الْيَوْمِ﴾^(١) فيجيب نفسه ﴿لِلَّهِ الْوَجْدِ الْقَهَّارِ﴾^(٢) .

فالمتكلم هو الله تعالى ولكن عن طريق وجهه الباقي، كما أنه هو تعالى المتكلم بالقرآن الكريم، حيث إنه كلام الله وحده لا شريك له، ولكن عن طريق رسوله محمد عليه السلام فإذا مضت أربع مئة سنة يأمر الله عز وجل أن يمطر من تحت العرش من بحر صاد، رائحة هذا المطر كرائحة المنى إلى أربعين يوماً، حتى يعم هذا المطر جميع وجه الأرض.

حينذاك تجتمع كل جزء من الجسد في قبره، فتنبت اللحوم في مقدار أربعين

(١) سورة غافر آية (١٦).

(٢) سورة غافر آية (١٦).

يوماً، فإذا نبتت اللحوم كاملة تامة، حينها ينفخ إسرافيل النفخة الثاني وهي نفخة الدفع والنشور والبعث وتعود الأراح إلى أجسادها الدنيوية.

فتحى الخلائق من جديد ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(١).

يساقون إما إلى الجنة أو إلى النار.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾^(١٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَنُفِئُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٥٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٥٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَنُفِئُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُورٍ ﴿١٥٨﴾^(٢).

(١) سورة الزمر آية (٦٨).

(٢) سورة هود ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧.

ويجب على كل أحد الإيمان بهذا المعاد، إذ هو ممكن والله قادر على كل ممكن، والله سبحانه ورسوله والأئمة الصادقون أخبروا عن ذلك فهو حق، وأيضا هذا المعاد ثمرة العدل والفضل، ويوم جزاء الأعمال، وعدم وجود منافي الفضل في إعطاء الثواب، ومنافي العدل في وقوع العقاب، وأيضا هذا المعاد لطف على المكلفين، حيث يعينهم على الطاعة، ويمنعهم عن المعصية، فوجب بمقتضى الحكمة.

وأیضا إن جميع المسلمين أجمعوا واتفقوا على وقوعه، وأنه أصل من أصول الإسلام، فلا يتحقق الإسلام بدون اعتقاد وقوعه، وأن منكره كافر، فظهر أن وقوعه حق.

وأیضا إن الله كلف العباد وأمرهم بالطاعة، ووعدهم بالوفاء بعهده الحق، وامتنال أمره حسن الثواب، ونهاهم عن المعصية، وخوفهم عن نقض العهد، ومخالفة النهي بالعقاب، والتكليف (والجزاء) لم يقع، وأخبرهم الله سبحانه بتأخيره إلى يوم القيامة، فقال: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (١).

وقال أيضا ﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٢).

والآيات في هذا المعنى كثيرة ووقوعه حق وثابت بلاشك وارتباب ❁.

❁ المعاد من أصول الدين

الإيمان بالمعاد أي عود الأجساد الدنياوية يوم القيامة عينها، بعد التصفية من

(١) سورة إبراهيم آية (٤٢).

(٢) سورة الحج آية (٤٧).

الغرائب كالشعر والأظافر من أول حياته إلى مماته، لأنهما زائده عنه، وكذا السمنة والأوساخ من المخاط واللعاب والبصاق، والوسخ الخارج من البدن، كل ذلك لا يعود يوم القيامة لأنه خارجي عن الجسم.

والإلا لزم عود الإنسان يوم القيامة، وعليه جبل من الشعر، وأظافره عشرات الأمتار، وكذا فضلاته أعزكم الله تعالى من البول والغائط وغيرها، فما من عاقل يقول بعود كل ذلك.

بل المعاد يوم القيامة هو نفس جسد عبد الله الموجود في الدنيا لكن بعد التصفية، لذا قال المؤلف السيد كاظم الرشتي رحمته الله ((وهذا معنى المعاد، يعني عود الأرواح إلى أجسادها الدنيوية)).

وعلى وضوح كلمات الشيخ أحمد الأحسائي، وكذا تلميذه السيد كاظم الرشتي وكذا تلامذتهم رضوان الله عليهم، إلا أن البعض يشكك في عقيدة الشيخ أحمد وتلامذته في الإعتقاد بالمعاد، أي عود الأجساد الدنيوية عينها يوم القيامة مع التصفية، والتفصيل موكول إلى كتاب إحقاق الحق لآية الله الميرزا موسى الأحقائي رحمته الله.

فإجماع المسلمين على أن المعاد أصل من أصول الدين وأن منكروه كافر، لأن المعاد ثمرة التكليف من الخير والشر، فالذي أطاع ثمرته الجنة، والذي عصى ثمرة معصيته النار والعياذ بالله منها.

وليس هناك مانع يمنع الفضل في إدخال الجنة، ومنافي للعدل في إدخال الكافر النار، لأن الله عز وجل هو القادر على كل شيء، وهو الحكيم وهو العادل الذي لا يجور، وكل ما سواه فقير محتاج إليه لا راد لقضائه، ولا مانع لكرمه سبحانه سبحانه. أضف إلى أن المعاد أي البشارة للجنة لمن أطاع، والتحذير بالنار لمن عصى، هذا حافز للمكلفين للطاعة وابتعادهم عن المعصية، ولما كان المعاد هكذا وجب في الحكمة وجوده وتشريعه، لأن الحق عز وجل لا يخل بواجب.

والله عز وجل وعد المطيع بالجنة ووعد العاصي بالنار في القنيا، فالعامل

للطاعة مات ولم يحصل على الجزاء وهي الجنة وهو في الدنيا، وكذا العاصي عصى ولم يحصل على العقاب وهو في الدنيا، والله تعالى لا يخلف الميعاد قال تعالى: ﴿وَسْتَعْلِمُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (١).

فالكتاب والسنة والإجماع والعقل يوجب المعاد، للأجساد الدنياوية يوم القيامة للحساب، وخلافه خلاف الحكمة والوعد.

وللشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي رحمته الله رسالة مفصلة في إثبات المعاد يوم القيامة عن طريق العقل خاصة، فإن دل هذه إنما يدل على غزارة علمه، وتمكن قدرته على تصغير الكبير، وتكبير الصغير، لأن المعاد ممن غرق فيه من غرق، وضل فيه من ضل.

الفصل الثالث [الحشر عام لكل ناطق وصامت]

لما كان الحشر للمخلوقات حتى يتم مقتضى عدل الحق سبحانه،
وجب إعادة كل ذي روح، حتى يجازى بعمله من الخير والشر، وأخذ حق
المظلوم من الظالم.

وهذه الأصول الثلاثة يعني مجازات المكلف بعمله من الخير والشر،
وأخذ حق المظلوم من ظالمه، تشمل كل ذي روح، من جميع الحيوانات،
من الإنس والجن، وسائر الشياطين، والحيوانات بأنواعها، إلا أن مجازاة
كل شيء بحسبه ومقدار قابليته واستعداده، بل يراعى هذا الحكم في نوع
واحد أيضاً قال الله سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾^(١).

✽ الأصول الثلاثة للحشر

تقدم الكلام أن الحشر والمعاد هو ثمرة التكليف، وكل مخلوق مكلف، لأنه من
لا يكلف لا يوجد، لأن التكليف كما تقدم في الفصول الماضية ينقسم إلى قسمين:
تكليف وجودي، وتكليف شرعي.

والعقل يمنع تكليف من لا يشعر بحسبه، لأنه يخالف الحكمة أن يكلف من لا
يفقه التكليف، فعلى ذلك وجب حشر كل مكلف على حسبه، إما في الدنيا كما

(١) سورة الأنعام آية (١٣٢).

سيأتي البيان عليه أو في الآخرة، وعلى ذلك يكون أصول الحشر ثلاثة وهي:

الأصل الأول

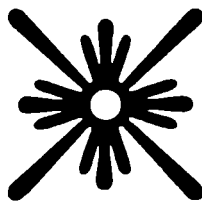
الحشر لكل مكلف مطلقاً على حسبه، لأنه مقتضى وثمرة العدل، والله عز وجل لا يخل بالحكمة سبحانه، سواء أكان ذلك المكلف إنساناً أو غيره، من أنواع الموجودات الحيوانية والنباتية والجمادية.

الأصل الثاني

مجازات المكلفين بأعمالهم من الخير والشر، إما إلى النعيم أو إلى الجحيم كل على حسبه.

الأصل الثالث

أخذ حق المظلوم من الظالم على حسبه، إما في الدنيا أو في الآخرة، بل الإنسان بما هو إنسان كل فرد منه يحاسب على حسبه، فمحاسبة العالم غير الجاهل، وكذا العالم درجات والجاهل درجات، وهم في نفس رتبة الإنسانية قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾^(١) فكل مخلوق مكلف، وكل مكلف محاسب على قدره ومقامه، سواء من الناطقين أو الصامتين.



والدليل على عموم الحساب والحشر على كل حيوان ناطق وصامت، قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (١)، ويدل قول النبي ﷺ: (يقتص للجماء من القرآن) (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يظَلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٣) في التأويل أن الله سبحانه يأخذ الحق لصاحبه، وإن كان من الناطقين للصامتين، ومن الصامتين للناطقين، بل يحشر الجمادات كالأحجار المعبودة بغير حق، والأشجار وغيرها، ويقتص منهم لرضائهم بالعبودية، قال تعالى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (٤).

إن قلت: كيف ترضى الأحجار والأشجار بالعبودية، وليس لها عقل وشعور؟ قلت: لها شعور لكن بحسب مقامها في الوجود، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَٰءَ إِلَٰهَةً مَا وَرَدُوهُآ﴾ (٥) والشاهد قوله: (ما وردوها) أتى بصيغة الجمع المذكر العاقل، فلو لم يكن لها شعور لكان المناسب (ماوردتها)، لا ماوردوها، ومثلها في الدلالة على شعور الجمادات قوله تعالى: (فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين) (٦) ولم يقل: طائعات.

(١) سورة الأنعام آية (٣٨).

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٦١ / ٤، روي عن أبي ذر (٩) قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ انتطحت عنزان، فقال النبي ﷺ: أتدرون فيما انتطحا؟ فقالوا لا ندري، قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما، وعلى هذا فإنما جعلت أمثالنا في الحشر والقصاص) البحار للشيخ المجلسي ٧ / ٢٥٦.

(٣) سورة الكهف آية (٤٩).

(٤) سورة الأنبياء آية (٩٨).

(٥) سورة الأنبياء آية (٩٩).

(٦) سورة فصلت آية (١١).

وبالجملة شعور النباتات والجمادات قريب من ضروريات المذهب، بل في هذه الأوقات لو أراد أحد أن يدعي الضرورة لأمكنه، إذ عرض ولاية آل محمد صلوات الله عليهم على الأشجار والأحجار، والأنهار والبحار، والبراري والجبال،

والإعراض والجواهر، وصل إلى حد التواتر المعنوي، ومنكره مكابر مكابد، وحملها على المجاز بعيد عن طريق العقلاء، بل مواضع في الأخبار حملها على المجاز يبطل المدعى، ويستلزم الكذب العياذ بالله.

وشرحنا هذا المطلب في سائر رسائلنا وأجوبة المسائل، وهذا المقام مما نلاحظ فيه الاختصار، خوفاً من الملل والكلال. ❀

❀ كل مخلوق محاسب

تقدم الكلام أن كل مخلوق مكلف، وكل مكلف محاسب على قدره، سواء الناطقين أم الصامتين، والدليل ما أورده المؤلف في أن كل دابة تدب على الأرض، من ناطقة كالإنسان أو غير ناطقة كالحيوان وغيره، إن هي إلا أمة مثلنا في التكليف، لكن كل بحسبه كما سيأتي عليه الكلام إن شاء الله تعالى.

والدليل الثاني مخاطبة الله عزَّ وجلَّ للأصنام وغيرها المعبودة من دون الله تعالى بخطاب العقلاء، ومن المعلوم أن صيغة جمع المذكر السالم، كقولك جاء المهندسون ورأيت المهندسين وحظيت بالمهندسين، يرفع بالواو ويخفض وينصب بالياء للعقلاء.

وكذا واو الجماعة للذكور لا تضاف في الفعل إلا لجماعة العقلاء خاصة، كقولك الأطباء حضروا القاعة، وكقولك في الأفعال الخمسة الطلاب يكتبون الدرس إلى آخرها، وكذا في نون النسوة إذا اضيفت إلى الفعل المضارع، كقولك الفتيات يطبخن الطعام، وهكذا بقية الضمائر الدالة على العقلاء.

أما غير العقلاء لا تضاف واو الجماعة، وكذا نون النسوة، وكذا الاسم لا يجمع جمع مذكر سالم، كقولك الأبل حضرت لا حضروا، وكذا البقر جلست لا جلسن بالنسوة، بيد أن الله عزَّ وجلَّ أضاف واو الجماعة للذكور العقلاء للأصنام، المصنوعة من الحجارة الجماد كقوله تعالى:

﴿لَوْ كَانَتْ هَتُؤُلَاءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهُمَا﴾^(١).

وكذا لما أجابت الأرض والسماء بالطاعة، عبر سبحانه عنهما بطاعة العقلاء وهو قوله سبحانه: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٢).

وأعرابها هو

أتينا: أتى فعل ماضي مبني على السكون، ونا ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

طائعين: حال منصوب وعلامة نصبه الياء، لأنه جمع مذكر سالم.

فمن المعلوم أن الأرض والسماء عند الأكثر لا يعدها من العقلاء، وكذا الأصنام المصنوعة من الحجارة لا تعد من العقلاء، والله سبحانه وتعالى خاطبها بخطاب العقلاء، وهذا دليل على أنها مكلفة، فليست الأصنام والسماء والأرض مكلفة فقط، بل كل شيء مكلف وله تسبيح كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٣) قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

أي ما من شيء أطلق عليه اسم الشيثية إلا وهو يسبح الله تعالى على حسبه، ولا يقال إن هنا في كل شيء، إنما هو تسبيح تكويني، بل هو تشريعي أيضاً، كما قال آية الله المقدس الميرزا علي الإحقاقي قدس الله نفسه المباركة: ((فمن يقول إن للجماد شعوراً لا يقول إن شعوره وحسه كشعور الحيوان والإنسان وحسهما، بل يقول

(١) سورة الأنبياء آية (٩٩).

(٢) سورة فصلت آية (١١).

(٣) سورة الإسراء آية (٤٤).

بشعوره وحسه من عالمه، وبحسب مقامه ورتبته، فكما أن للحياة والنور مراتب كثيرة، فكذلك الشعور له مراتب، فأخر مراتبه وأضعفها يكون في الجماد، لكونه في أقصى مراتب السلسلة الطولية نزولاً، وبحسب شعوره يكون مكلفاً، ويكون له تسبيح وعبادة، هذا بدليل الحكمة، حيث إن الأثر يشابه صفة مؤثره كما ذكرنا، وكلما قرب الأثر قوي شبهه، وكلما بعد ضعف شبهه، لكنه غير فاقد للشبه ولو ضعيفاً.

وأما بحسب النقل، أي الآيات والأخبار فكثيرة في ذلك، قال تعالى: ﴿وَلِإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا لَيْسَ بِحِجِّبٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَلَكِنَّ لَّا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١).

ولفظ الشيء نكرة في سياق النفي يفيد العموم، أي كلما يطلق عليه شيء، من أي مرتبة كان فهو يسبح.

والتسبيح عبادة لا يكون إلا بتكليف، ولا يكلف إلا بشعور، وهذا التسبيح ليس تسبيحاً كونياً، كما زعم البعض، إن من باب دلالة الأثر على المؤثر، بمعنى أن كل شيء يدل على أن له خالقاً وصانعاً، لأن هذه الدلالة ليست مما لا تفقه، بل هي دلالة واضحة لكل أحد، ويفقه كل ملتفت، فقوله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أوضح شاهد على أن هذا التسبيح هو تسبيح تشريعي تكليفي، وتسبيح خاص، بشعور وإخلاص، ولكن لا يفقهونه لا تسبيح كوني حالي.

وقد قال تعالى في سورة الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾^(٢).

وقد أثبت للشمس والقمر والجبال والجماد كلها، وللشجر والدواب سجوداً، والسجود عبادة ولا تكون إلا بتكليف، ولا يكون التكليف إلا بالشعور، ولولا أن الأشياء المذكورة لها إدراك وشعور من عالمها وفي رتبته لما صح نسبة السجود إليها.

والقول بأن هذا السجود هو السجود التكويني، أي دلالتها على المؤثر، وكونها

(١) سورة الإسراء آية (٤٤).

(٢) سورة الحج آية (١٨).

آية للصانع، وليس بسجود تشريعي، قول خالٍ عن الصواب والتحقيق، لأن قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ يدفع هذا القول، لأن الناس كافة حتى الكافر والمشرك يدل على وجوده وعلى صانعه وعلى المؤثر، فكلهم خاضعون تكويناً لربهم لا كثير منهم فقط، فقوله سبحانه: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ ثم تعقيبه بقوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ أقوى حجة لما قلنا.

لأن معنى قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ أي لم يسجدوا لله ولم يخضعوا له، وضلوا عن طريق العبادة، أنهم لم يأتوا بالعبادة التشريعية، والسجود التكليفي العبادي، فلذا حق عليهم العذاب، والسجود التكويني مساوق لوجود كل مخلوق، فجميع الخلق فضلاً عن جميع الناس بلا إستثناء، وجودهم يدل على صانعهم وخالقهم، وعلى مؤثر وموجدهم، مؤمنين كانوا أو كفاراً أو مشركين، وكلهم خاضعون ومسبحون تكويناً وإلا لما دخلوا في عرصة الكون، ولما صاروا موجودين، وكلهم متساوون في حكم التكوين، بحكم قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(١) وبقوله تعالى: ﴿أَنبِئْنَا طَائِفِينَ﴾^(٢) وإنما اختلفوا وكانوا شيعاً في الحكم التشريعي لقوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ﴾^(٤) فهذه الآية أي آية السجدة المذكورة حجة قاطعة لإثبات الإدراك والشعور للمذكورات فيها، من النبات والجماد والدواب، بحكم إثبات العبادة التشريعية لها.

وقال أيضاً عزٌّ من قائل في آخر سورة الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾^(٥).

فالعرض على السماوات والأرض والجبال، وإباؤها من حملها وإشفاقها منها، لا تكون إلا للشاعر المدرك، ثم الإتيان بنون الجمع المؤنث العاقل في قوله:

(١) سورة البقرة آية (٢١٣).

(٢) سورة فصلت آية (١١).

(٣) سورة يونس آية (١٩).

(٤) سورة البقرة آية (٢١٣).

(٥) سورة الأحزاب آية (٧٢).

﴿فَأَبْتِ﴾ ولم يقل فأبت، وقوله: ﴿أَنْ يَحْمِلَنَهَا﴾ ولم يقل أن تحملها واشفقت منها، دليل الشعور والإحساس من عالمها ورتبتها من الوجود، فيكون تكليفها بحسبها، وعبادتها بحسبها.

وقال تعالى أيضاً: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾^(١).

ولا شك أن الطوع ضد الكره، وكلاهما لا يكونان إلا بإرادة وعلم وشعور، ثم إتيانه بلفظ ﴿طَائِعِينَ﴾ بالياء والنون اللذين هما علامة جمع الغائب العاقل، وما قال: طائعات أو طائعة، دليل على حسهما وشعورهما، ولو تدبرت كلام الله المجيد، لرأيته مشحوناً بما يدل على المراد والمطلوب، كقوله تعالى في سورة ياسين: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٢).

أي وكل من الشمس والقمر في فلك يسبحون ((بالواو والنون)) ولم يقل سابعة أو تسبح، وكذلك قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٣).

بالياء والنون، ولم يقل ساجدة إلى غير ذلك، وكذا الأخبار ففيها مما يدل على حس الجمادات وشعورها ما لا يحصي كثرة، كتسبيح الحصى في كف النبي ﷺ، وحنين الجذع اليابس، وبكاء الحجارة وجريان الدموع منها كما ((عن معجزات النبي ﷺ أنه لما غزا بتبوك كان معه من المسلمين خمسة وعشرون ألفاً سوى خدمهم، فمر في مسيره بجبل يرشح الماء من أعلاه إلى أسفله من غير سيلان، فقالوا: ما أعجب رشح هذا الجبل!! فقال: إنه يبكي، قالوا: والجبل يبكي؟ قال: أتحبون أن تعلموا ذلك؟ قالو نعم، قال: أيها الجبل مم بكائك؟ فأجابه الجبل - وقد سمعه - بلسان فصيح: يا رسول الله مر بي عيسى بن مريم وهو يتلو: نار وقودها الناس

(١) سورة فصلت آية (١١).

(٢) سورة يس آية (٤٠).

(٣) سورة يوسف آية (٤).

والحجارة، فأنا أبكي من ذلك اليوم خوفاً من أن أكون من تلك الحجارة، فقال: اسكن مكانك فلست منها، إنما تلك الحجارة الكبريت، فجف ذلك الرشح من الجبل في الوقت، حتى لم ير شيء من ذلك الرشح ومن تلك الرطوبة التي كانت^(١) وكذا تكلم الحصيات الثلاث لداود عليه السلام حين مضيه إلى طالوت لقتال جالوت، إلى غير ذلك مما يجدها المتبع كثيراً.

حتى الحمى التي هي من الأعراض أيضاً لها حس وشعور، لما خاطبها إمامنا الحسين عليه السلام في عيادته لعبد الله بن شداد بن الهاد الليثي بقوله (يا كباسة) فسمع الحاضرون الصوت، وما رأوا الشخص بقول ((ليبك)) فقال عليه السلام لها ((أليس أمير المؤمنين أمرك أن لا تقربي إلا عدواً، أو مذنباً لكي تكوني كفارة لذنوبه؟ فما بال هذا؟))^(٢) فالخطاب لا يصلح إلا لما يعقل ويحس، والجواب لا يمكن إلا ممن يحس ويشعر^(٣) نقلنا الكلام بطوله للفائدة والاستفادة للجميع، وأيضاً روي عن المعصومين عليهم السلام على عرض ولايتهم على كل شيء، من الصامتين والناطقين، كما في خبر قبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام في قصة البطيخة المرة قال له عليه السلام ((إن الله تبارك وتعالى عرض ولايتنا على أهل السماوات والأرض، من الجن والإنس والثمر، وغير ذلك، فما قبل منه ولايتنا طاب وطهر وعذب، وما لم يقبل منه خبث وردئ ونتاج))^(٤) قول أمير المؤمنين عليه السلام (وغير ذلك) يشمل الكل من الخلائق من الناطقين والصامتين.

(١) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٤٤ / ١٨٣ .

(٣) الكلمات المحكمات لآية الله المقدس الميرزا علي الأحقائي ١٢٩ - ١٣٣ .

(٤) الإختصاص للشيخ المفيد ٢٤٩، البحار ٢٧ / ٢٨٢، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ١ /

٤٢٠، مستدرک الوسائل الميرزا النوري ١٦ / ٤١٢ - ٤١٣ .

الفصل الرابع

[القصاص للجمادات والأشجار في الدنيا]

القصاص من الجمادات والأشجار يكون في دار الدنيا، كما تدل عليه الأخبار الكثيرة، كخبر افتخار ماء زمزم على الفرات، فأجرى الله سبحانه فيه عيناً من الصبر المر. كما روي في الكافي قال: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دعا رجل بعض بني هاشم إلى البراز فأبى أن يبارزه، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: (ما منعك أن تبارزه؟ قال: كان فارس العرب، وخشيت أن يغلبني، فقال له أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فإنه بغى عليك، ولو بارزته لغلبته، ولو بغى جيل على جيل لهد الباغي)^(١)، ونحوها.

وأما وجه قصاص الجمادات والأشجار في دار الدنيا، فهو أنه ليس لها اختيار كلي قوي، حتى ينتظر إلى يوم القيامة بل اختيارها جزئي بحيث لا يحسن، وليس لإدراك الجزئي رتبة من نوع الآخرة.

(١) الكافي للشيخ الكليني ٥ / ٣٥، ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ٢٧٥، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦ / ١٦٩.

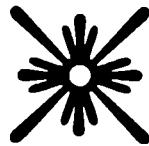
وأما عقوبة الأجسام (الأصنام) وإن كانت جزئية أيضاً مع ذلك أخرجت إلى يوم القيامة، لخذلان من عبدها وافتضحهم، وإتمام الحجة عليهم ❀.

❀ قصاص الصامتات في الدنيا

تقدم الكلام أن المعاد هو ثمرة التكليف، ولكن تارة يكون القصاص في الآخرة كما في العقلاء والكاملين، وتارة تكون القصاص في الدنيا، وذلك لعدم كمال المكلف ونضجه مثل الجمادات والأشجار، فيعجل حسابها في الدنيا، كما زمزم في المحاسن عنه، عن أبي فضال، عن علي بن عقبة، عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((كانت زمزم أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من الشهد، وكانت سائحة، فبغت على المياه، فأغارها الله، وأجرى عليها عيناً من صبر))^(١).

فعجل عقابها في الدنيا لأن إدراكها جزئي، لا كلي حتى يؤخر إلى الآخرة، فالإدراك الجزئي ليس له مكان في الآخرة، لأن الآخرة هي عبارة عن كمال المكلفين من الطرفين، الإيمان والكفر أما إلى النعيم خلود، أو إلى الجحيم خلود أجازنا الله تعالى وإياكم منها بحق السادة الأطهار محمد وآله عليهم السلام.

وأما تأخير الأصنام عقابها إلى الآخرة، مع أنها جماد كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُؤَلَاءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾^(٢) ذلك للتنكيل والخذلان لمن عبدها من دون الله عز وجل، وإتمام الحجة عليهم، الموجود في الأصل بدل الأصنام الأجسام، وهذا سهو من النساخ.



(١) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ٢ / ٥٧٣، الكافي ٦ / ٣٨٦، علل الشرائع للشيخ محمد الصدوق ٢ / ٤١٥، البحار للشيخ المجلسي ٩٦ / ٢٤٢.
(٢) سورة الأنبياء، آية (٩٨ - ٩٩).

الفصل الخامس [نطق الجوارح يوم القيامة]

من جملة الأمور التي يجب الاعتقاد بها، نطق الجوارح، حتى تشهد على أصحابها من المكلفين بما عملوا بها، قال تعالى ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) والأخبار الكثيرة واردة في أن البقاع والأرضين، تشهد يوم المحشر، بما عملوا عليها، والأيام والساعات والشهور والسنين تشهد بما عملوا فيها، والعقل السليم الصحيح مؤيد لهذا المدعى، فإذا طابق العقل والنقل في ثبوت أمر وجب الإعتقاد بثبوته ❁.

❁ كل شيء يشهد على المكلف له وعليه

في تفسير الإمام العسكري: قال رسول الله ﷺ: ((أما إن الله عز وجل كما أمركم أن تحتاطوا لأنفسكم وأديانكم وأموالكم، باستشهاد الشهود العدول عليكم، فكذاك قد احتاط على عباده ولكم في استشهاد الشهود عليهم، فله عز وجل على كل عبد رقباء، من كل خلقه ومعقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، ويحفظون عليه ما يكون منه من أعماله وأقواله وألفاظه وألحاظه، والبقاع التي تشتمل عليه شهود ربه له أو عليه، والليالي والأيام والشهور، شهوده عليه أو له، وسائر عباد

(١) سورة النور آية (٢٤).

الله المؤمنين شهوده عليه أو له، وحفظته الكاتبون أعماله شهود له أو عليه، فكم يكون يوم القيامة من سعيد بشهادتها له، وكم يكونوا يوم القيامة من شقي بشهادتها عليه، إن الله عزَّ وجلَّ يبعث يوم القيامة عباده أجمعين وإمامه فيجمعهم في سعيد واحد، ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي، ويحشر الليالي والأيام، ويستشهد البقاع والشهور، على أعمال العباد، فمن عمل صالحاً شهدت له جوارحه وبقاعه وشهوره وأعوامه وساعاته وأيامه وليالي الجُمع، وساعاتها وأيامها فيسعد بذلك سعادة الأبد، ومن عمل سوءاً شهدت عليه جوارحه وبقاعه وشهوره وأعوامه وساعاته وليالي الجُمع، وساعاتها وأيامها، فيشقى بذلك شقاء الأبد، فاعملوا ليوم القيامة وأعدوا الزاد ليوم الجمع - يوم التناد - وتجنبوا المعاصي فبتقوى الله يرجى الخلاص^(١).

فنحن حينما نطل اطلالة سريعة على ما وصل إليه العلم الحديث نجد العجب العجاب من تخزين ترليونات المعلومات في شريحة لا تتجاوز السانتيات فقط من صوت وصورة، بل تصوير ما تحت الأرض من آبار البترول والمعادن النفيسة إلى مئات الأمتار، فكيف بقدرة الله العزيز الجبار؟.

الفصل السادس [تطائر الكتب يوم القيامة]

ومن جملة ما يجب إعتقاده تطاير الكتب، وكيفيته أن الإنسان إذا مات ووضع في قبره ولحده، دخل عليه ملك يسمى رومان، قبل مجيء منكر ونكير، ويجلس ذلك الميت ويقول له: اكتب عملك فيقول الميت: قد نسيت أعمالتي. فيقول الملك أنا أذكرك. ويقول الميت: ليس عندي قرطاس أكتب عليه، فيقول الملك: بعض كفنك قرطاسك، يقول الميت: ليس لي دواة، فيقول الملك ريق فمك، يقول الميت: ليس لي قلم، فيقول الملك: اصبعك، فيملي الملك عليه جميع ما عمله من الأعمال الكبيرة والصغيرة، ثم يجعل تلك القطعة كالقلادة في عنق الميت، فيكون أثقل عليه من جبل أحد، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١).

فإذا كان يوم القيامة طارت تلك الكتب، فمن كان عمله حسناً يأتيه كتابه من قدامه بيده اليمنى، ومن كان عمله سيئاً يأتيه كتابه من خلفه، ويثقبه ويخرج من صدره، ويكون بيده اليسرى، فتقف الخلائق جميعاً صفوفاً بين يدي كتاب الله الناطق، وإمامه صلوات الله عليه، وهو كتاب من تعرض عليه أعمال الخلائق.

(١) سورة الإسراء آية (١٣).

ثم ينطق عليهم كتاب الله الناطق بكلام واحد، فينظر كل واحد منهم إلى كتابه الذي بيده، ويرون أعمالهم التي يقرؤها عليهم، لا تزيد ولا تنقص، وليس فيها خلاف بوجه، والحال أن ذلك القول واحد، كما قال تعالى ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾^(١)، ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾^(٢) فالمراد من الكتاب في الآية الشريفة، هو أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وأعمال الخلائق في دار الدنيا، في كل يوم بعد رسول الله ﷺ تعرض عليه، ويوم القيامة إذا حمل لواء الحمد، الذي هو مخصوص برسول الله ﷺ ينطق بكلام واحد، بإذن رسول الله ﷺ .

✽ أمير المؤمنين الكتاب الناطق

أجمع المسلمون قاطبة على أن المحاسب للخلائق يوم القيامة هو الله عز وجل لا شريك له، وأجمعت الشيعة الاثنا عشرية أن الله عز وجل لا يدرك ولا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة، فيكون المحاسب عن الله تعالى من خلقه وأكرم خلقه وهم محمد وآل محمد ﷺ .

والمتولي للحساب يوم القيامة بإذن الله ورسوله ﷺ هو ميزان الأعمال، الذي حبه إيمان وبغضه كفر، وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ كتاب الله الناطق، الذي عناه عز وجل في كتابه الحكيم ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾^(٣) وهذا الكتاب استنسخ فيه أعمال الخلائق أجمع من الخير والشر.

لذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ((هذا كتاب الله الصامت، وأنا

(١) سورة الجاثية آية (٢٨).

(٢) سورة الجاثية آية (٢٩).

(٣) سورة الجاثية آية (٢٩).

كتاب الله الناطق))^(١).

وقالت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام: ((وبقية استخلفها عليكم كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق))^(٢) هو الذي تعرض عليه أعمال الخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم للمعصومين الأئمة الأحد عشر عليهم السلام إمام بعد إمام إلى إمام العصر مولانا صاحب العصر والزمان أرواحنا فداه.

فقوله تعالى: ﴿وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

المعني من المؤمنين في هذه الآية هم الأئمة عليهم السلام كما روي في بصائر الدرجات، قال حدثنا أحمد بن موسى، عن الحسن بن علي الخشاب، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قوله ﴿وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

قال: ((هم الأئمة تعرض عليهم أعمال العباد كل يوم إلى يوم القيامة))^(٤).

فكل إمام من أئمة الهدى الاثنى عشر عليهم السلام تعرض عليه أعمال أمته، إلى مولانا صاحب العصر والزمان الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه.

كما روي في البصائر، قال حدثنا إبراهيم بن هاشم، عن القاسم بن محمد الزيات، عن عبد الله بن أبان الزيات، وكان يكنى عبد الرضا، قال: قلت للرضا عليه السلام ادع لي ولأهل بيتي قال: ((أولست أفعل، والله إن أعمالكم لتعرض علي في كل يوم وليلة)) فاستعصمت ذلك فقال: ((أما تقرأ كتاب الله ﴿وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾))^(٥).

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) للحر العاملي ٢٧ / ٣٤، مستدرک سفینه البحار للشيخ علي التمازي الشاهرودي ٩ / ٢٩.

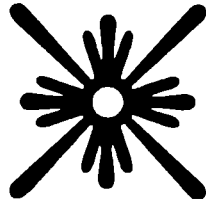
(٢) الإحتجاج للشيخ الطبرسي ١ / ١٣٤.

(٣) سورة التوبة، آية (١٠٥).

(٤) بصائر الدرجات للشيخ محمد بن الحسن الصفار ٤٤٧.

(٥) بصائر الدرجات للشيخ محمد بن الحسن الصفار ٤٤٩.

فيحاسب الإمام كتاب الله الناطق ﷺ يوم القيامة جميع الخلائق بخطاب واحد،
والكل ينظر في كتابه طبق ما يقوله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، لا
يخالف حرف حرفاً بقدره الله تعالى.



الفصل السابع

[الإعتقاد بالميزان يوم القيامة]

ومن جملة الأمور التي يجب الاعتقاد بها، إعتقاد الميزان لأعمال الخلائق، واختلف في حقيقته، لاختلاف الأخبار، وأقوال العلماء الأخيار، فالمروي في بعض الأخبار: إن الميزان هو الكفتان كالميزان المتعارف، وفي بعضها: ولاية آل محمد ﷺ، وفي بعضها: هو عدل الله سبحانه، لأنه هو العالم بمقادير الأعمال والاستحقاقات الراجعة والمرجوحة.

والحق هو عدم التنافي بينها، إذ الميزان صاحب الكفتين، كفة الحسنات وكفة السيئات، وهما عين ولاية آل محمد ﷺ، وهما بعينه عدل الله سبحانه، وليس هذه الرسالة محل وجه الجمع والدليل، فالذي يجب الإعتقاد به، أن يوم القيامة تنصب الموازين لامتياز أعمال الخلائق، وأما تعيينه فليس بواجب، وهو راجع إلى كمال المعرفة.

والدليل على وجود الميزان قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(١) ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ

(١) سورة الأنبياء آية (٤٧).

فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ (١) .

• ما هو الميزان؟

من الإعتقادات الواجبة على كل مكلف، الإعتقاد بوجود الميزان يوم القيامة، الذي يوزن به أعمال الخلائق من الصالحة والطالحة.

فقد روي عن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في تفسير الآية المباركة ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ (٢).

((فهو ميزان العدل يؤخذ به الخلائق يوم القيامة، يدين الله تبارك وتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين)) (٣).

وقال الشيخ الطبرسي في تفسيره للآية المباركة ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ (٤).

((على المعنى الثاني قال: وثانيها أن الله ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيامة، فتوزن به أعمال العباد)) (٥).

وروي في روايات عدة أن ولاية أمير المؤمنين والصديقة فاطمة الزهراء وأبناهما الأئمة المعصومين عليهم السلام هم الميزان كما وروي في زيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ((السلام على أبي الأئمة، ومعدن النبوة، والمخصوص بالأخوة، السلام على يعسوب الإيمان، وكلمة الرحمن، وكهف الأنام، وسلام على ميزان الأعمال، ومقلب الأحوال، وسيف ذي الجلال)) (٦).

روي عن النبي صلى الله عليه وآله ((حب علي بن أبي طالب حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة)) (٧) وروي مسنداً عن محمد بن زيد بن علي، عن أبيه قال:

ابن المشهدي ١٨٥، البحار للشيخ

المجلسي ٩٧ / ٢٨٧، شجرة طوبى للشيخ

محمد مهدي الحائري ١ / ٥٣.

(٧) البحار للشيخ المجلسي ٣٩ / ٢٤٨،

فضائل شاذان بن جبرائيل القمي ٩٦،

كتاب الأربعين للماحوزي ١٠٥.

(١) سورة الأعراف آية (٨ - ٩).

(٢) سورة الأنبياء آية (٤٧).

(٣) البحار للشيخ المجلسي ٧ / ٢٥٠.

(٤) سورة الأعراف آية (٨).

(٥) البحار للشيخ المجلسي ٧ / ٢٤٣.

(٦) المزار للشهيد الأول ٤٦، المزار لمحمد

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ((دخل أبو عبد الله الجدلي على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: ((يا عبد الله ألا أخبرك بقول الله عز وجل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ إلى قوله: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ قال: بلى جعلت فداك، قال: ((الحسنة حينا أهل البيت، والسيئة بغضنا))^(١).

فولايتهم عليهم السلام هي النعيم المسؤل عنه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لِنُسَلِّنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٢).

روى العباس بإسناده في حديث طويل قال: ((سأل أبو حنيفة أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية ﴿ثُمَّ لِنُسَلِّنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ فقال عليه السلام له: ما النعيم عندك يا نعمان؟.

قال: القوت من الطعام والماء البارد، فقال عليه السلام: لئن أوقفك الله بين يديه يوم القيامة حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها، أو شربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه، قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال: نحن أهل البيت النعيم، الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا أتلفوا بعدما كانوا مختلفين، وبنا ألفت الله بين قلوبهم، فجعلهم أخواناً بعد أن كانوا أعداءً، وبنا هداهم الله للإسلام، وهو النعمة التي لا تنقطع، والله سألهم عن حق النعيم الذي أنعم به عليهم، وهو النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام)^(٣).

وعلى اختلاف معنى الميزان إلا أنه يجمعهم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فهو العدل، والعاذل لله تعالى، وهو الذي حبه كفة الحسنات وبغضه كفة السيئات، فلا يقبل عمل إلا بولايته وولاية المعصومين الأئمة عليهم السلام، وأيضاً وجود ميزان ذو كفتين، كفة للحسنات وكفة للسيئات كما قال تعالى.

﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ^(٤) ولكن كلها تدور حول ولاية محمد وآل محمد عليهم السلام.

(١) البحار للشيخ المجلسي ٧ / ١٥٤.

(٢) سورة التكاثر آية (٨).

(٣) البحار للشيخ المجلسي ٧ / ٢٥٨.

(٤) سورة المؤمنون آية (١٠٢ - ١٠٣).

الفصل الثامن

[الإعتقاد بوجود الصراط يوم القيامة]

ومن جملة الأمور التي يجب إعتقادها وجود الصراط، وهو الجسر المنصوب على متن جهنم، صعوده ألف سنة، ونزوله ألف سنة، وخطاه ألف سنة، وفي خطاه خمسون عقبة، وفي كل عقبة تقف الخلائق ألف سنة^(١)، وهو أحد من السيف وأدق من الشعر، ويعرض ويتسع للمطيع ما بين السماء والأرض، ويضيق للعاصي ويكون أدق من الشعر، وتمر الخلائق عليه بحسب أعمالهم، متفاوتي المراتب، بعضهم يمر عليه كالبرق الخاطف، وبعضهم كعدو الفرس، وبعضهم كالماشي بلا راحلة، وبعضهم على الركب يجرون أنفسهم، وبعضهم معلقين تأخذ النار شيئاً منهم، وبعضهم متروكين.

والذي يجب على المكلف إعتقاده هو وجود الصراط يوم القيامة، وأنه أحد من السيف وأدق من الشعر، وأنه جسر منصوب ممدود على جهنم، وأن جميع المكلفين يمرون عليه، وأما معرفة كيفية الصراط، ومعنى الصعود والنزول، والمراد من هذه المراتب، فليست بواجبة، والدليل على

(١) الحذال والحُذال: مستدار ذيل القميص، فحذال الصراط هي الجهة العليا المستديرة.

ما ذكر الأخبار المتواترة معنى من الفريقين، وإجماع المسلمين ❁

❁ الصراط يوم القيامة

الكتاب والسنة والإجماع والعقل، يثبتون الصراط يوم القيامة قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ (١).

وروي في أمالي الشيخ محمد الصدوق رضوان الله عليه، عن ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن محمد البرقي، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: ((الناس يمرون على الصراط طبقات، والصراط أدق من الشعر، ومن حد السيف، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبواً، ومنهم من يمر مشياً، ومنهم من يمر متعلقاً، قد تأخذ النار منه شيئاً، وتترك شيئاً)) (٢).

وأن الصراط جسر ممدود على جهنم، له هبوط وصعود وحذال، كما روي في مناقب ابن شهر آشوب عن محمد بن الصباح الزعفراني، عن المزني، عن الشافعي، عن مالك، عن حميد، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ (٣).

((إن فوق الصراط عقبة كؤوداً طولها ثلاثة آلاف عام، ألف عام هبوط، وألف عام شوك وحسك وعقارب وحيات، وألف عام صعود، أنا أول من يقطع تلك العقبة، وثاني من يقطع تلك العقبة علي بن أبي طالب عليه السلام وقال بعد كلام ((لا يقطعها في غير مشقة إلا محمد وأهل بيته)) (٤).

فلا يجوز أحد على الصراط إلا بجواز من أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) سورة الفجر آية (١٤).

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ٦٥.

(٣) سورة البلد آية (١١).

(٤) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ٦٧.

طالب عليه السلام، كما في أمالي الشيخ محمد الطوسي، مسنداً عن ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((إذا كان يوم القيامة، ونصب الصراط على جهنم، لم يجز عليه إلا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام)) وذلك قوله: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّمَا مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤) ^(١) يعني عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ^(٢).

وهذا الحديث روي أيضاً بطرق أخواننا السنة، كما في بشارة المصطفى للشيخ محمد بن علي الطبري قال: حدثنا مالك بن أنس، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إذا كان يوم القيامة، ونصب الصراط على ظهراي جهنم، فلا يجوزها ولا يقطعها إلا من كان معه جواز بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام)) ^(٣).

فقد تضافرت الروايات من الفريقين، على أنه لا يجوز أحد الصراط إلا بصك من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

شفاعة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام على الصراط

إن شاء الله تعالى يأتي فصل الشفاعة يوم القيامة لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن كما قال آية الله الإمام المصلح، والعبد الصالح، الميرزا حسن الأحقائي: ((إن صاحبة الشفاعة يوم القيامة هي الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنه كل المصائب مصائبها، من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وما جرى عليه قبل وبعد، وما جرى على بعليها أمير المؤمنين، وولديها الإمام الحسن والحسين، والأئمة من ذرية الحسين عليه السلام)) ^(٤).

روي في تفسير الإمام العسكري عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: ((إن الله تعالى إذا

(١) سورة الصافات آية (٢٤).

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي ٢٩٠، البحار للشيخ المجلسي ٨ / ٦٨.

(٣) بشارة المصطفى للشيخ محمد بن علي الطبري ٣٠٩، ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي ١ /

(٤) من خطب آية الله الإمام المصلح الميرزا حسن الأحقائي.

بعث الخلائق من الأولين والآخرين، نادى منادي ربنا من تحت عرشه: يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم، لتجوز فاطمة بنت محمد، سيدة نساء العالمين على الصراط، فتغض الخلائق كلهم أبصارهم، فتجوز فاطمة على الصراط، لا يبقى أحد في القيامة إلا غض بصره عنها، إلا محمد وعلي والحسن والحسين والطاهرين من أولادهم، فإنهم أولادها، فإذا دخلت الجنة بقي مرطها ممدوداً على الصراط، طرف منه بيدها وهي في الجنة، وطرف في عرصات القيامة.

فينادي منادي ربنا: يا أيها المحبون لفاطمة!! يعلقوا بأهداب مرط فاطمة سيدة نساء العالمين، فلا يبقى محب لفاطمة إلا تعلق بهدبة من أهداب مرطها، حتى يتعلق بها أكثر من ألف فئام وألف فئام!

قالوا: وكم فئام واحد؟، قال: ألف ألف ينجون بها من النار^(١).

نفعنا الله بحبها في الدنيا وشفاعتها في الآخرة، وثبتنا على ولائها وأبيها وبعلمها وبنيتها في الدنيا والآخرة، ورزقنا رضاها وإدخال السرور عليها، قدمنا شفاعته الصديقة فاطمة الزهراء أرواحنا لها الفداء، على فصل الشفاعة كما سيأتي فيما بعد إن شاء الله، لكون شفاعته الصديقة فاطمة عليها السلام يخص فصل الصراط، سلام الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها.

الفصل التاسع

[الإعتقاد بحوض الكوثر والشفاعة يوم القيامة]

ومن جملة الأمور التي يجب إعتقادها وجود حوض الكوثر في عرصة يوم القيامة، ويصب فيه الماء من نهر الكوثر، وساقيه مولانا وإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام، يسقي المؤمنين ويروي عطاشهم منه يوم القيامة، اللهم ارزقنا ❁.

❁ صفة الحوض وساقيه

من الأمور المجمع عليها عند المسلمين قاطبة الحوض يوم القيامة، وصفته كما روي عن أمالي الشيخ محمد المفيد رضوان الله عليه، عن علي بن محمد مسنداً إلى الأصبح بن نباتة، عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ سئل عن الحوض فقال: ((أما إذا سألتموني عنه فأخبركم، إن الحوض أكرمني الله به، وفضلني على من كان قبلي من الأنبياء، وهو ما بين إيلة وصنعاء، فيه من الآنية عدد نجوم السماء، يسيل فيه خليجان من الماء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، حصاه الزمرد والياقوت، بطحاؤه مسك أذفر، شرط مشروط من ربي لا يرده أحد من أمتي إلا النقية قلوبهم، الصحيحة نياتهم، المسلمون لوصي من بعدي، الذين يعطون ما عليهم في يسر، ولا يأخذون ما عليهم في عسر، يذود عنه يوم القيامة من ليس من شيعته، كما

يذود الرجل البعير الأجرى من إبله، من شرب منه لم يظماً أبداً))^(١).

وأن الساقى عليه هو مولانا أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما روي في أمالي الصدوق عليه السلام، مسنداً عن محمد بن سنان، عن المفضل، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من أراد أن يتخلص من هول القيامة فليتلول وليّ، وليتبع وصيّ وخليفتي من بعدي، علي بن أبي طالب، فإنه صاحب حوضي، يذود عنه أعداءه، يسقي أوليائه، فمن لم يسق منه لم يزل عطشاناً ولم يروّ أبداً، ومن سقى منه شربة، لم يشقّ ولم يظماً أبداً))^(٢).

فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا في جميع غزواته، وفي الآخرة هو أيضاً صاحب لوائه لواء الحمد، وكذلك هو صاحب حوضه عليه السلام أي الساقى عليه ثبتنا الله على ولايته والبراءة من أعدائه، والشراب من نهر الكوثر من كفه عليه السلام المبارك آمين رب العالمين.

(١) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ٢٢ .

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ١٩ .

ومن جملة تلك الأمور أيضاً الشفاعة، وهي شفاعته رسول الله ﷺ لأهل المعاصي الكبائر من أمته، كما قال (ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)^(١).

والأخبار بهذا المعنى متواترة متظافرة متكاثرة، أو شفاعته النبي ﷺ للأنبياء وأهل بيته، ثم الأنبياء يشفعون لمن آمنوا بهم من أممهم، والأئمة يشفعون لشيعتهم، وشيعتهم يشفعون لمحبيهم.

والذي يجب إعتقاده هو ثبوت شفاعته محمد ﷺ للمذنبين من أمته، وأما التفصيل والترتيب فلا يجب، وإنما هو وإقامة الدليل عليه من متمامات الإيمان ومكملات المعرفة *.

* شفاعته النبي وأهل بيته ﷺ

من الأمور المجمع عليها عند المسلمين شفاعته رسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ يوم القيامة للعصاة من أمته المتبعين له ولأوصيائه ﷺ روي في أمالي الشيخ محمد الصدوق رحمه الله، مسنداً عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((إذا قمت المقام المحمود تشفعت في أصحاب الكبائر من أمتي فيشفعني الله فيهم، والله لا تشفعت فيمن آذى ذريتي))^(٢).

الشفيعه هي الصديقه فاطمه الزهراء ع

قال مولانا آية الله الإمام المصلح، والعبد الصالح الميرزا حسن الإحقائي رضوان الله عليه: ((صاحبة الشفاعة يوم القيامة هي الصديقه فاطمه الزهراء ع))^(٣).

(١) النكت في مقدمات الأصول للشيخ المفيد ٥٤.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٣٧ / ٨.

(٣) من خطب آية الله الإمام المصلح الميرزا حسن الإحقائي.

أي كما أن حوض الكوثر لرسول الله ﷺ والساقى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ، وكذا لواء الحمد لرسول الله ﷺ وحامله أمير المؤمنين ؑ كذلك الشفاعة لرسول الله ﷺ، وصاحبته ومظهرتها وحقيقتها، هي الصديقة فاطمة الزهراء ؑ أم أبيها، التي هي روحه التي بين جنبيه .

روى في تفسير فرات بن إبراهيم بإسناده عن الصادق ؑ قال : قال جابر لأبي جعفر ؑ : جعلت فداك يا بن رسول الله ، حدثني بحديث في فضل جدتك فاطمة ، إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك ، قال أبو جعفر ؑ : ((في يوم القيامة فيقول الله تبارك وتعالى : يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟ ، فيقول محمد وعلي والحسن والحسين : لله الواحد القهار ، فيقول الله تعالى : يا أهل الجمع ، إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة ، يا أهل الجمع طأطؤا الرؤوس ، وغضوا الأبصار ، فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة ، فيأتيها جبرائيل بناقة من نوق الجنة ، مدبجة الجنين ، خطامها من اللؤلؤ الرطب ، عليها رحل المرجان ، فتناخ بين يديها فتركبها ، فيبعث الله مائة ألف ملك ليسيروا عن يمينها ، وبعث إليها مائة ألف ملك ليسيروا عن يسارها ، وبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم ، حتى يصيروها على باب الجنة ، فإذا صارت عند باب الجنة تلفت .

فيقول الله : يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي؟ ، فتقول : يا رب أحببت أن يعرف قدرتي في مثل هذا اليوم ، فيقول الله : يا بنت حبيبي أرجعي فانظري من كان في قلبه حُب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده فادخله الجنة .

قال أبو جعفر ؑ : والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها ، كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء ، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة ، يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا ، فإذا التفتوا يقول الله : يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ ، فيقولون : يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم ، فيقول الله : يا أحبائي أرجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة ، وانظروا من أطعمكم لحب فاطمة ، انظروا من كساكم لحب فاطمة ، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة ، انظروا من رد عندكم غيبة في حب فاطمة ، فخذوا بيده وأدخلوه الجنة ،

قال أبو جعفر عليه السلام: والله لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق^(١).
 فإذا كان المؤمن من شيعتها سلام الله عليها له شفاعته، فكيف بحقيقة الشفاعته أم
 أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وروحه التي بين جنبيه، التي يرضى الله لرضاها ويغضب
 لغضبها.

وإذا أعلنت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام الشفاعته، يشفع الأئمة
 المعصومون عليهم السلام للموالين لهم من الشيعة، ثم يشفع الأنبياء في أممهم، حتى أن
 المؤمن كما عن الإمام الباقر عليه السلام يقول: ((إن المؤمن يشفع في مثل ربيعة ومضر))^(٢)
 وقبيلة ربيعة ومضر من أكثر قبائل العرب آنذاك.

شفاعة الحمزة عم النبي صلى الله عليه وآله

الحمزة عم رسول الله صلى الله عليه وآله أسد الله، وأسد رسوله صلى الله عليه وآله، من الشافعين يوم القيامة
 كما في تفسير الإمام العسكري عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((إنه ليرى يوم القيامة إلى
 جانب الصراط، عالم كثير من الناس لا يعرف عددهم إلا الله تعالى، هم كانوا محبي
 حمزة، وكثير منهم أصحاب الذنوب والآثام، فتحول حيطان بينهم وبين سلوك
 الصراط والعبور إلى الجنة، فيقولون: يا حمزة قد ترى ما نحن فيه، فيقول حمزة
 لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولعلي بن أبي طالب عليه السلام: قد تريان أوليائي يستغيثون بي، فيقول
 محمد رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي ولي الله: يا علي أعن عمك على إغاثة أوليائه واستنقاذهم
 من النار، فيأتي علي بن أبي طالب عليه السلام بالرمح، الذي كان يقاتل به حمزة أعداء الله
 في الدنيا، فيناوله إياه ويقول: يا عم رسول الله، وعم أخي رسول الله، ذد الجحيم
 عن أولئك برمحك هذا، كما كنت تذود به عن أولياء الله في الدنيا أعداء الله، فيتناول
 حمزة الرمح بيده، فيضع زجة في حيطان النار الحائلة بين أوليائه وبين العبور إلى
 الجنة على الصراط، ويدفعها دفعة فينحيتها مسيرة خمس مائة عام، ثم يقول لأوليائه
 والمحبين الذين كانوا له في الدنيا، أعبروا، فيعبرون على الصراط آمنين سالمين،

(١) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ٥٢ .

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ٢٨ .

قد انزاحت عنهم النيران، وبعدت عنهم الأهوال، ويردون الجنة غانمين ظافرين^(١)
رزقنا الله تعالى زيارته وزيادة حبه في الدنيا، وشفاعته في الآخرة أمين يا رب
العالمين.

الفصل العاشر

[الإعتقاد بالجنة وطبقاتها الثمان]

ومن جملة الأمور التي يجب إعتقادها وجود الجنة، وما فيها من النعيم الدائم، وإنها ثمانية كما تصرح بها الأخبار، وينطق بها القرآن المجيد، ووجود جنة الدنيا، وهي التي تجتمع فيها أرواح المؤمنين بعد مفارقتها من الأبدان، وتستقر فيها إلى نفخ الصور.

والله عزَّ وجلَّ ذكر كلتي الجنتين، الدنيا والآخرة في كلامه المجيد:

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعَدُّهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾^(١) هذه جنة الدنيا إذ جنة الآخرة ليست فيها بكرة ولا عشية. وبعد هذه الآية بلا فاصلة قوله تعالى ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾^(٢).

هذه جنة الآخرة.

واعلم أن لها ثمان طبقات.

الأولى: جنة الفردوس. الثانية: الجنة العالية.

(١) سورة مريم آية (٦١ - ٦٢).

(٢) سورة مريم آية (٦٣).

الثالثة: جنة النعيم. الرابعة: جنة عدن.

الخامسة: جنة دار السلام. السادسة: جنة دار الخلد.

السابعة: جنة المأوى. الثامنة: جنة دار المقام.*

* الجنة ثمرة الطاعة

قام الكتاب والسنة والإجماع والعقل على ضرورة وجود الجنة للمطيعين لأنها ثمرة إعتقادهم وأعمالهم في دار الدنيا حيث إن الدنيا مزرعة الآخرة كما قال رسول الله ﷺ ((الدنيا مزرعة الآخرة))^(١).

والجنة للمطيعين جنتان هما:

جنة الدنيا

وهي الجنة التي يسكنها المطيعون الموالون لمحمد وآل محمد ﷺ بعد الموت في عالم البرزخ، عالم القبر كما قال رسول الله ﷺ ((القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران))^(٢).

وهذه الجنة التي يأوي إليها المؤمنون بعد الموت، هي الجنة التي سكنها آدم وحواء على نبينا وآله وعليها السلام، ثم خرجا منها بأكلهم للشجرة المنهي عنها، كما ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز.

فالموالي لمحمد وآل محمد ﷺ بعد الموت يتنعم في هذه الجنة، في قصورها وحوورها وأنهارها وأشجارها، كما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ مع سلمان الفارسي رضوان الله عليه، حينما أراه جنة الدنيا التي تأوي إليها أرواح الموالين لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

(١) عوالي اللآلئ للشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي / ١ / ٢٦٧.

(٢) البحار للشيخ المجلسي / ٦ / ٢٧٥.

روى السيد المحدث الجزائري في الأنوار، بإسناده إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه، أنه قال يوماً لأمير المؤمنين عليه السلام بعد موت عمر بن الخطاب: ((يا أمير المؤمنين! إني حزين من فوت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذا اليوم، وأريد أن تروحني هذا اليوم، وتريني من كراماتك على ما يزيل عني هذا الغم، فقال عليه السلام: عليّ بالبغلتين اللتين من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أتى بهما ركب هو واحدة، وركب سلمان الأخرى، قال سلمان: فلما خرجنا من المدينة فإذا لكل بغلة جناحان، فطارا في الهواء وارتفعا، فتعجبت غاية التعجب فقال (لي): يا سلمان! (انظر) هل ترى المدينة؟ فقلت: أما المدينة فلا، ولكن أرى آثار الأرض، فأشار إلى البغلتين فارتفعتا في الجو لحظة، فنظرت ولم أر شيئاً في الأرض، وإذا أنا أسمع أصوات التسبيح والتهليل، فقلت: يا أمير المؤمنين! الله أكبر إن ههنا لبلاد قد وصلنا إليها؟، فقال: يا سلمان! هذه أصوات الملائكة بالتسبيح والتهليل، وهذه هي السماء الدنيا فقد وصلنا إليها، فأشار إلى البغلتين وحرك شفتيه، فانحطتا طائرتين نحو الأرض، فكان وقوعهما على بحر عريض، كثير الأمواج، كأن أمواجه الجبال، فنظر إلى ذلك البحر مولينا أمير المؤمنين، فسكنت أمواجه، فنزل عليه السلام ومشى على وجه الماء ونزلت أنا، والبغلتان تمشيان خلفنا، فلما خرجنا من ذلك البحر، فإذا هو تتلاطم أمواجه كهيئة الأولى، فقلت: (سيدي) يا أمير المؤمنين! ما هذا البحر؟، فقال عليه السلام: هذا (هو) البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه، فهو يضطرب خوفاً من الله تعالى من ذلك اليوم إلى يوم القيامة، فلما نظرتُ إليه خاف مني فسكن، وها هو رجع إلى حالته الأولى، قال سلمان: فلما خرجنا من ذلك البحر ومشينا، رأيت جداراً أبيض مرتفعاً في الهواء، ليس يدرك أوله ولا آخره، فلما قربنا إليه وإذا هو جدار من ياقوت أو نحوه، فإذا باب عظيم، فلما دنا منه أمير المؤمنين عليه السلام انفتح، فدخلنا فرأيت أشجاراً وانهاراً وبيوتاً ومنازل عليه فوقها غرف، وإذا في تلك البستان أنهار من خمر وأنهار من لبن وأنهار من عسل، وإذا فيها أولاد وبنات، وكلما وصفه الله تعالى في الجنة، على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم رأيت فيها، فرأيت أولاداً وبناتاً أقبلوا إلى أمير المؤمنين، يقبلون أياديه وأقدامه، فجلس على كرسي، ووقف الأولاد والبنات نحوه، فقالوا: يا أمير المؤمنين! ما هذا الهجران الذي

هجرتنا، هذه سبعة أيام ما رأيك فيها يا أمير المؤمنين؟، فقلت: يا أمير المؤمنين! ما هذه المنازل في هذا المكان؟، فقال ﷺ: يا سلمان! هذه منازل شيعتنا بعد الموت، تريد يا سلمان أن تنظر إلى منزلك؟، فقلت: نعم، فأمر واحداً وأخذ بي إلى منزل عالٍ مبني من الياقوت والزبرجد واللؤلؤ، وفيه كلما تشتهيهِ الأنفس، فأخذت رمانة من ثماره وأتيت إليه، فقلت: يا أمير المؤمنين! هذا منزلي ولا أخرج منه، فقال ﷺ: يا سلمان! هذا منزلك بعد الموت، وهذه منازل شيعتنا بعد الموت، وهذه جنة الدنيا تأتي إليها شيعتنا بعد الموت، فيتنعمون بها إلى يوم القيامة، حتى ينتقلوا عنها إلى جنة الآخرة، فقال ﷺ: يا سلمان! تعال حتى نخرج، فلما خرج ودعه أهل تلك الجنة، فخرجنا فانطلق الباب فمشينا))^(١).

رزقنا الله تعالى إياها بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب والصديقة فاطمة الزهراء وأبنائهما الطيبين الطاهرين سلام عليهم أبد الأبدين، ودهر الدهارين، ثبتنا الله تعالى على ولايتهم والبراءة من أعدائهم في الدنيا والآخرة آمين رب العالمين.

قال تعالى في وصف هذه الجنة أعني جنة الدنيا: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٢) لأن جنة الآخرة ليس فيها بكرة نهار ولا عشياً أي ليل.

جنة الآخرة

وأما جنة الآخرة فهي الجنة التي لا زوال لها ولا فناء، فهي أبد الأبد ودهر السرمد، فالساكن فيها مخلد، لا يخرج أبداً، رزقنا الله إياها بمحمد وآل محمد ﷺ، آمين رب العالمين، ثبتنا الله تعالى على ولاية أمير المؤمنين والأئمة المعصومين ﷺ والبراءة من أعدائه في الدنيا والآخرة، لأن حقيقة الجنة هي ولاية محمد وآل محمد ﷺ، والبراءة من أعدائهم في الدنيا والآخرة.

كما روي في المحاسن، عنه، عن عمر بن عبد العزيز، عن أبي داود الحداد،

(١) نفس الرحمن في فضائل سلمان لميرزا حسين النوري الطبرسي ٣٤٥ - ٣٤٧، صحيفة الأبرار لآية الله الميرزا محمد تقي المامقاني ٥٦ / ٢.

(٢) سورة مريم آية (٦١).

عن موسى بن بكير، قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال رجل في المجلس: أسأل الله الجنة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ((أنتم في الجنة فاسئلوا الله أن لا يخرجكم منها، فقلنا: جعلنا فداك نحن في الدنيا، فقال: أستم تقرون بإمامتنا؟، قالوا: نعم، فقال: هذا معنى الجنة، الذي من أقربه كان في الجنة، فاسألوا الله أن لا يسلبكم))^(١).

فجنان الآخرة ثمان كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لليهوديين لما سألاه عن الثمانية قال: ((ثمانية أبواب الجنة))^(٢).

كل باب جنة من الجنان، كما ذكرها المؤلف السيد رضوان الله عليه، جنة الفردوس، والنعيم ودار السلام، والمأوى، والعالية، وعدن، ودار الخلد، ودار المقام.

صفة جنة الخلد للمؤمنين

يجدر بنا هنا أن نذكر ما يلقي المؤمن بمحمد وآل محمد عليهم السلام في الجنة، من النعيم المقيم والرخاء والسرور والملك العظيم، كما روي في الكافي للشيخ محمد الكليني رضوان الله عليه، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن محمد بن إسحاق المدني، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾^(٣) فقال: ((يا علي إن الوفد لا يكون إلا ركبانا، أولئك رجال اتقوا الله فأحبهم الله واختصهم ورضي أعمالهم فسامهم المتقين، ثم قال له: يا علي أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنهم ليخرجون من قبورهم، وإن الملائكة لتستقبلهم بنوق من نوق العز، عليها رحائل الذهب مكللة بالدر والياقوت، وجلائلها الإستبرق والسندس، وخطمها جدل الأرجوان، تطير بهم إلى المحشر مع كل رجل منهم ألف ملك، من قدامه وعن يمينه وعن شماله، يزفونهم زفاً حتى ينتهوا بهم إلى باب الجنة الأعظم،

(١) المحاسن لأحمد بن محمد البرقي ١ / ١٦١، البحار ٦٥ / ١٠٢.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ١٢٨.

(٣) سورة مريم آية (٨٥).

وعلى باب الجنة شجرة، إن الورقة منها ليستظل تحتها ألف رجل من الناس، وعن يمين الشجرة عين مطهرة مزكية قال: فيسقون منها شربة فيطهر الله بها قلوبهم من الحسد، ويسقط من أبشارهم الشعر، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾^(١) من تلك العين المطهرة، قال: ثم ينصرفون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة، فيغتسلون فيها وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً، قال: ثم يوقف بهم قدام العرش، وقد سلموا من الآفات والاسقام والحر والبرد أبداً، قال: فيقول الجبار جل ذكره للملائكة الذين معهم: احشروا أوليائي إلى الجنة، ولا توقفوهم مع الخلائق، فقد سبق رضاي عنهم ووجبت رحمتي لهم، وكيف أريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيئات، قال: فتسوقهم الملائكة إلى الجنة، فإذا انتهوا بهم إلى باب الجنة الأعظم، ضرب الملائكة الحلقة ضربة فتصر صريراً، يبلغ صوت صريرها كل حوراء أعدها الله عز وجل لأوليائه في الجنان، فيتباشرون بهم إذا سمعوا صرير الحلقة، فيقول بعضهن لبعض: قد جاءنا أولياء الله، فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنة، وتشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميين، فيقلن: مرحباً بكم فما كان أشد شوقنا إليكم، ويقول لهن أولياء الله مثل ذلك.

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أخبرنا عن قول الله عز وجل:

﴿عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّيْنَةٌ﴾^(٢) بماذا بنيت يا رسول الله؟ فقال: يا علي تلك غرف بناها الله عز وجل لأوليائه بالدر والياقوت والزبرجد، سقوفها الذهب محبوكة بالفضة، لكل غرفة منها ألف باب من ذهب، على كل باب منها ملك موكل به، فيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض، من الحرير والديباج بألوان مختلفة، وحشوها المسك والكافور والعنبر، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾^(٣).

إذا ادخل المؤمن إلى منزله في الجنة، ووضع على رأسه تاج الملك والكرامة،

(١) سورة الإنسان آية (٢١).

(٢) سورة الزمر، آية (٢٠).

(٣) سورة الواقعة آية (٣٤).

ألبس حلل الذهب والفضة والياقوت والدر المنظوم في الإكليل تحت التاج، قال:
وألبس سبعين حلة حرير بألوان مختلفة وضروب مختلفة، منسوجة بالذهب والفضة
واللؤلؤ والياقوت الأحمر، فذلك قوله عز وجل: ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا
وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(١).

فإذا جلس المؤمن على سريرته اهتز سريرته فرحاً، فإذا استقر لولي الله عز وجل
منازله في الجنان، استأذن عليه الملك الموكل بجنانه، ليهنئه بكرامة الله عز وجل
إياه، فيقول له خدام المؤمن من الوصفاء والوصائف: مكانك فإن ولي الله قد اتكأ
على أريكته، وزوجته الحوراء تهيأ له، فاصبر لولي الله، قال: فتخرج عليه زوجته
الحوراء من خيمة لها، تمشي مقبلة وحولها وصائفها، وعليها سبعون حلة منسوجة
بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد، وهي من مسك وعنبر، وعلى رأسها تاج الكرامة،
وعليها نعلان من ذهب مكللتان بالياقوت واللؤلؤ، شراكها ياقوت أحمر، فإذا دنت
من ولي الله فهم أن يقوم إليها شوقاً، فتقول له: يا ولي الله ليس هذا يوم تعب ولا
نصب فلا تقم أنا لك وأنت لي، قال: فيعتنقان مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا
لا يملها ولا تمله، قال: فإذا فتر بعض الفتور من غير ملالة نظر إلى عنقها، فإذا عليها
قلائد من قصب من ياقوت أحمر، وسطها لوح صفحته درة مكتوب فيها: أنت يا ولي
الله حبيبي وأنا الحوراء حبيبتك، إليك تناهت نفسي وإلي تناهت نفسك، ثم يبعث الله
إليه ألف ملك يهنئونه بالجنة ويزوجونه بالحوراء، قال: فينتهون إلى أول باب من
جنانه، فيقولون للملك الموكل بأبواب جنانه: استأذن لنا على ولي الله فإن الله بعثنا
إليه نهنئه، فيقول لهم الملك: حتى أقول للحاجب فيعلمه بمكانكم قال: فيدخل
الملك إلى الحاجب وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان حتى ينتهي إلى أول باب، فيقول
للحاجب: إن على باب العرصة ألف ملك أرسلهم رب العالمين تبارك وتعالى ليهنئوا
ولي الله، وقد سألوني أن آذن لهم عليه، فيقول الحاجب: إنه ليعظم عليّ أن أستأذن
لأحد على ولي الله وهو مع زوجته الحوراء، قال: وبين الحاجب وبين ولي الله

جنتان، قال: فيدخل الحاجب إلى القيم فيقول له: إن على باب العرصة ألف ملك، أرسلهم رب العزة يهنتون ولي الله، فاستأذن لهم فيتقدم القيم إلى الخدام فيقول لهم: إن رسل الجبار على باب العرصة وهم ألف ملك أرسلهم الله يهنتون ولي الله فأعلموه مكانهم قال: فيعلمونه فيؤذن للملائكة، فيدخلون على ولي الله وهو في الغرفة، ولها ألف باب وعلى كل باب من أبوابها ملك موكل به، فإذا أذن للملائكة بالدخول على ولي الله فتح كل ملك باب الموكل به، قال: فيدخل القيم كل ملك من باب من أبواب الغرفة قال: فيبلغونه رسالة الجبار جلَّ وعزَّ وذلك قول الله تعالى:

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (من أبواب الغرفة) ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾^(١) إلى آخر الآية.

قال: وذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نِعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾^(٢) يعني بذلك ولي الله وما هو فيه من الكرامة والنعيم والمُلْك العظيم الكبير، إن الملائكة من رسل الله عزَّ ذكره يستأذنون [في الدخول] عليه فلا يدخلون عليه إلا بإذنه فلذلك الملك العظيم الكبير، قال: والأنهار تجري من تحت مساكنهم وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾^(٣) والثمار دانية منهم وهو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾^(٤).

من قربها منهم يتناول المؤمن من النوع الذي يشتهي من الثمار بفيه وهو متكئ، وإن الأنواع من الفاكهة ليقلن لولي الله: يا ولي الله كلني قبل أن تأكل هذا قبلي، قال: وليس من مؤمن في الجنة إلا وله جنان كثيرة، معروشات وغير معروشات، وأنهار من خمر وأنهار من ماء وأنهار من لبن وأنهار من عسل، فإذا دعا ولي الله بغذائه أتى بما تشتهي نفسه عند طلبه الغذاء من غير أن يسمى شهوته.

(١) سورة الرعد آية (٢٣ - ٢٤).

(٢) سورة الإنسان آية (٢٠).

(٣) سورة الأعراف آية (٤٣).

(٤) سورة الإنسان (١٤).

قال: ثم يتخلى مع إخوانه، ويزور بعضهم بعضاً ويتنعمون في جناتهم، في ظل ممدود في مثل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وأطيب من ذلك لكل مؤمن سبعون زوجة حوراء، وأربع نسوة من الآدميين، والمؤمن ساعة مع الحوراء، وساعة مع الآدمية، وساعة يخلو بنفسه على الأرائك متكئاً ينظر بعضهم إلى بعض، وإن المؤمن ليغشاه شعاع نور، وهو على أريكته ويقول لخدامه: ما هذا الشعاع اللامع لعلَّ الجبار لحظني، فيقول له خدامه: قدوس قدوس جلَّ جلال الله، بل هذه حوراء من نسائك ممن لم تدخل بها بعد قد أشرفت عليك من خيمتها شوقاً إليك، وقد تعرضت لك وأحبت لقاءك، فلما أن رأتك متكئاً على سريرك تبسمت نحوك شوقاً إليك، فالشعاع الذي رأيت والنور الذي غشيك هو من بياض ثغرها وصفائه ونقاؤه ورقته، قال: فيقول ولي الله: ائذنوا لها فتنزل إلي فيبتدر إليها ألف وصيف وألف وصيفة يبشرونها بذلك، فتنزل إليه من خيمتها، وعليها سبعون حلة منسوجة بالذهب والفضة، مكللة بالدر والياقوت والزبرجد، صبغهن المسك والعنبر بألوان مختلفة، يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة، طولها سبعون ذراعاً، وعرض ما بين منكبيها عشرة أذرع، فإذا دنت من ولي الله أقبل الخدام بصحائف الذهب والفضة، فيها الدر والياقوت والزبرجد فيثرونها عليها، ثم يعانقها وتعانقه فلا يمل ولا تمل.

قال: ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أما الجنان المذكورة في الكتاب، فإنهن جنة عدن وجنة الفردوس وجنة نعيم وجنة المأوى، قال: وإن لله عزَّ وجلَّ جناناً محفوفة بهذه الجنان، وإن المؤمن ليكون له من الجنان ما أحب واشتهى، يتنعم فيهن كيف [ي] شاء وإذا أراد المؤمن شيئاً أو اشتهى، إنما دعواه فيها إذا أراد أن يقول: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾.

فإذا قالها تبادرت إليه الخدم بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم أو أمر به، وذلك قول الله عز وجل: ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾^(١) يعني الخدام قال: ﴿وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) يعني بذلك عند ما يقضون من

(١) سورة يونس آية (١٠).

(٢) نفس الآية.

لذاتهم من الجماع والطعام والشراب، يحمدون الله عزَّ وجلَّ عند فراغتهم وأما قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾^(١) قال: يعلمه الخدام فيأتون به أولياء الله قبل أن يسألوهم إياه وأما قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَرَكَةٌ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾^(٢) قال: فإنهم لا يشتهون شيئاً في الجنة إلا أكرموا به^(٣).

فانظر أيها المؤمن بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام، ما أعد الله لكم من النعيم والكرامة، والملك العظيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال، اللهم زدنا في حبهم ونعيمهم في الدنيا والآخرة، آمين يارب العالمين.

(١) سورة الصافات آية (٤١).

(٢) سورة الصافات آية (٤٢).

(٣) الكافي للشيخ الكليني ٨ / ٩٥ - ١٠٠، البحار للشيخ المجلسي ٨ / ١٥٧.

وكل جنة منها لها حضيرة، يعني لكل جنة من هذه الجنان الأصلية ظل كالشمس وأشعتها، ونسبة هذه الحضائر إلى الجنان الأصلية كالأشعة إلى الشمس، ونعيم كل حضيرة منسوب إلى أصلها ومنه.

والحضائر سبع، إذ جنة عدن ليس لها ظل، لصفاتها وغاية لطفها، أما ترى الشمس إذا أشرقت إلى المرآة لها شعاع ونور مشعشع يخرج منها وينعكس، وإن أشرقت إلى جسم أطف من المرآة لم يظهر منه نور.

فطبقات الجنة في الآخرة تكون خمسة عشر، ثمانية منها أصلية، كل جنة فوق سماء، والطبقة الثامنة فوق الكرسي، وسبعة منها فروع وحضائر، وهي تحت الجنان الثمانية، ونعيمها أقل من نعيم أصولها، وفي الخبر أنه يسكنها ثلاثة طوائف من الخلائق.

الأولى: مؤمنوا الجن.

الثانية: أولاد الزنا الذين آمنوا وعملوا صالحاً، وأولاد أولادهم إلى سبعة أبطن.

الثالثة: المجانين الذين ماجرى عليهم التكليف، ولم يشفع لهم أحد من أقاربهم، حتى يلحقوا بهم.

وأسماء الحضائر هي أسماء الجنان الأصلية كالشمس، هي في السماء الرابعة ونورها في الأرض، يسمى باسمها في السماء. فالواجب وجوب إعتقاد الجنة ونعيمها.

وأما التفصيل المذكور فلا يجب، والدليل على وجودها القرآن،

والأخبار المتواترة، وإجماع المسلمين •

• جنان الحضائر

الحضائر جمع الحضيرة، والحضيرة هي ((الجماعة ليست بالكثيرة))^(١)، فكل جنة من الجنان الثمان عدا جنة عدن لها حضيرة، وهي أثر أو ظل للأصلية، مثل الشمس هي مؤثرة وأثرها الأشعة، فالجنان السبع لها حضيرة وظل أو شعاع أو أثر يعكس جنة الأصل، إلا جنة عدن، وذلك لأنها جنة محمد وآل محمد ﷺ، وهي فوق الكرسي، والجنان السبع كل جنة فوق سماء من السماوات السبع.

كما روي في إكمال الدين للشيخ الصدوق رضوان الله عليه، بإسناده عن أبي الطفيل، عن علي بن أبي طالب في أجوبته ﷺ عن مسائل اليهودي، إلى أن قال: ((وأما منزلة محمد ﷺ من الجنة في جنة عدن، وهي وسط الجنان، وأقربها من عرش الرحمن جل جلاله، والذين يسكنون معه في الجنة هؤلاء الأئمة الاثنا عشر ﷺ))^(٢).

وعدم كون حضيرة لجنة عدن لصفاتها وغاية لطفها، وذلك مثل الشمس تظهر في المرأة، ولا تظهر في الهواء الناعم اللطيف، وعدم ظهور الشمس في الهواء للطفاته الشديدة، الذي ليس له ظل يرى، وكيف لا تكون جنة عدن صافية ولطيفة وليس لها ظل، وهم ﷺ في الدنيا الكثيفة ليس لهم ظل، ولا عجب لأنه ما خلقت الجنة إلا بفاضل أنوارهم ﷺ، فمحمد وآل محمد ﷺ هم الذين جعلوا الجنة جنة، لأنهم هم حقيقة الجنة الحقيقية في الدنيا والآخرة، اللهم ثبتنا على ولايتهم والبراءة من أعدائهم في الدنيا والآخرة.

فالذين يسكنون الحضائر كما ذكر المؤلف وكذا أستاذه الشيخ أحمد الأحسائي رحمهما الله تعالى، هم مؤمن الجن وأولاد الزنا وأولاد أولادهم إلى سبعة أبطن من المؤمنين، والمجانين من أول إدراكهم إذا لم يشفع لهم أحد أقاربهم، فكل حضيرة أسمها باسم الجنة الأصلية التي ترجع إليها.

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ محمد الصدوق ٢٩٦، البحار للشيخ المجلسي ٨ / ١٨٩.

الفصل الحادي عشر [الإعتقاد بوجود النار وطبقاتها السبع]

ومن جملة ما يجب إعتقاده على المكلفين وجود جهنم، وما فيها من العذاب الأليم، وهي سبع طبقات في الآخرة، وسبع طبقات في الدنيا. وجهنم الدنيا عند مطلع الشمس، والقرآن ناطق به في مواضع عديدة، قال سبحانه: ﴿وَحَاقَ بِهَا فِرْعَوْنُ سَوْءَ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾^(١) ولا شك أن هذه نار جهنم الدنيا، إذ الآخرة كما ذكرنا ليس لها غدو وصبح وعشاء، وقال سبحانه بعد هذه الآية الشريفة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾^(٢) ولا شك أن عذاب يوم القيامة غير عذاب الدنيا ❀.

❀ عذاب العصاة

كما أن الجنة هي ثمرة المطيعين، النار العياذ بالله جزاء العاصين الكافرين، الناصبين العداوة لمحمد وآل محمد ﷺ، وإن عذاب الله تعالى للعصاة الكافرين عذابان هما:

(١) سورة غافر آية (٤٥ - ٤٦).

(٢) سورة غافر آية (٤٦).

عذاب الدنيا

وهو أن العصاة الكافرين والنواصب، إذا ماتوا تحول قبرهم إلى حفرة من حفر النيران أعادنا الله منها بمحمد وآله عليهم السلام، فعذاب ما حض الكفر في الدنيا في النهار والليل، كما قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، والمعروف أن في الآخرة ليس فيها ليل ونهار، أما في الجنة فظل ممدود، وأما في النار العياذ بالله ففيها سموم وحميم ونيران، فمأحض الكفر كما قال المؤلف من قبل: ((حشرت روحه عند مطلع الشمس، فتعذب هناك بحرارة الشمس، فإذا قرب غروبها، حشرت في برهوت وادي حضر موت وعذبت هناك إلى الصباح، فعند ذلك ملائكة العذاب تسوقها إلى مطلع الشمس، وهكذا يفعل بها إلى نفخة الصور))^(١).

عذاب الآخرة

وإذا قامت القيامة وأقبلت الآخرة، حشر الكفار زمراً إلى النار وبئس القرار، خالدن فيها أبداً والعياذ بالله تعالى.

لذا في سورة غافر الله سبحانه أتى بذكر النارين، نار الدنيا ونار الآخرة، لفرعون وآله لعنهم الله تعالى حيث قال: ﴿وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾^(٢)، فالمدخول في النار هم فرعون وآله في المرة الأولى غدواً وعشياً، أي نهاراً وليلاً في الدنيا، في المرة الثانية قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٣) أي في نار الآخرة.

لذا قال الشيخ الأوحى أحمد بن زين الدين الأحسائي: ((وقد أتفق علماء التفسير والقراء على الوقف على الساعة وللإبتداء بـ ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾))^(٤).

(١) راجع الفصل الثاني في المعاد.

(٢) سورة غافر آية (٤٥ - ٤٦).

(٣) سورة غافر آية (٤٦).

(٤) شرح حياة النفس للحقير الشارح.

والوقف لا يكون إلا لمعنى جديد غير المعنى الأول، لأن المعنى الأول عرف بإدخال آل فرعون في النهار والليل، وتكرار ادخلوا مرة ثانية دليل على أنه عذاب الثاني غير الأول وهو نار الآخرة، لذا قال سبحانه أشد العذاب .

واعلم أن القرآن، وأخبار أهل العصمة، وإجماع المسلمين، متفقة على وجود جهنم بقول مطلق، لكن اختلفوا في کیفیتها، هل هي موجودة بالفعل أو بالقوة؟ أو أن كليات العذاب والجحيم موجودة، وأما جزئياتها فليست بموجودة بالفعل، وإنما توجد بالتدرج؟ .

والحق أن هذا الاختلاف باطل، والاعتقاد الصحيح هو أن نار الدنيا وجهنمها، وجهنم الآخرة ونارها موجودة بالفعل، كما أن القرآن والأخبار، لا سيما أخبار المعراج تدل عليه صريحاً، والنبى ﷺ دخلها وشاهد المعذبين فيها.

والذي يجب إعتقاده وجود جهنم وعذابها، ويجب أيضاً إعتقاد أن عذاب جهنم الآخرة أبدي دائم لا انقطاع له، ولا انتهاء بوجه من الوجوه، بل كلما طال مكثهم فيها زاد عذابها واشتد ألمها، كما يدل عليه القرآن، وأخبار أهل العصمة صريحاً، ودليل العقل حاكم به كما ذكر في محله ❁ .

❁ الجنة والنار موجودتان الآن

أنه بعد ما أجمع المسلمون على وجود الجنة والنار، وأنهما من ضروريات الإسلام، وأن منكرهما خارج عن الدين، اختلفوا فيهما هل جنة ونار الخلد يوم القيامة موجودتان الآن، أم بعد لم تخلقا لعدم سكون أصحابها إلا يوم القيامة، ويوم القيامة لم يأت بعد؟ .

فالحق المبين والصراط المستقيم، ما ذكره المؤلف السيد كاظم وأستاذه الشيخ أحمد الأحسائي وجمع غفير من المسلمين الموحدين، بوجود جنة ونار الآخرة الآن، بأدلة كثيرة منها:

ما روي في التوحيد والآمالي للشيخ الصدوق، وفي البحار، الهمداني عن علي، عن أبيه، عن الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: أخبرني عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان؟، فقال: ((نعم، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنة، ورأى النار لما عرج به إلى السماء، قال: فقلت له: فإن قوماً يقولون: إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين، فقال عليه السلام: ما أولئك منا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي صلى الله عليه وآله وكذبنا، وليس من ولا يتنا على شيء، وخلد في نار جهنم، قال الله عز وجل: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾﴾^(١).

فالمؤمن حين إيمانه روحه دائماً في الجنة، والكافر حين كفره روحه دائماً في النار، لذا بمجرد موت المؤمن يدخل الجنة فيكون قبره روضة، وبمجرد موت الكافر يدخل النار ويكون قبره حفرة من حفر النيران، وفي رواية الإمام الرضا عليه السلام المتقدمة في قوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ﴾ فالإشارة لا تكون إلا للشيء المحسوس المخلوق، وقوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾﴾ فيها تجسيم لسكانها في الطواف فيها، وهذا لا يكون إلا للمخلوق المحسوس.

لذا في الخصال للشيخ محمد الصدوق عليه السلام، قال ابن الوليد، عن الصفار، عن أبي ابن الخطاب، عن محمد بن عبد الله ابن هلال، عن العلا، عن محمد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((والله ما خلت الجنة من أرواح المؤمنين منذ خلقها الله، ولا خلت النار من أرواح الكفار والعصاة منذ خلقها عز وجل))^(٢).

فمواد لذائد الجنة من الحور والقصور والأشجار والأنهار، ومواد عذاب النار من العقارب والحيات والنيران والسلاسل والأغلال، على درجاتها كل ذلك من الدنيا، فعلى حسب عمل العبد في الدنيا يبني له في الجنة أو النار.

ورد في تفسير علي بن إبراهيم قال: أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن

(١) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ٢٨٤، الآمالي للشيخ محمد الصدوق ٥٤٦، التوحيد للشيخ الصدوق ١١٨، سورة الرحمن، آية (٤٣ - ٤٤).

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ٢٨٤، الخصال للشيخ محمد الصدوق ٣٥٩.

أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ((لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة، فرأيت فيها ملائكة يبنون، لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما أمسكوا، فقلت لهم: مالكم ربما بنيتم وربما أمسكتم؟، فقالوا: حتى تجيئنا النفقة، فقلت لهم: وما نفقتكم؟، فقالوا: قول المؤمن في الدنيا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإذا قال، بنينا، وإذا أمسك أمسكنا))^(١).

وكذا فعل العاصي الكافر يتحول إلى نار وأغلال كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٢) فأكمل أموال اليتامى ظلماً في الدنيا، يتحول في برزخ الدنيا والآخرة إلى نار وعذاب، أعاذنا الله وعصمنا بمحمد وآله عليهم السلام.

لذة الجنة وألم النار حسي

من المعلوم عند المسلمين قاطبة أن نعيم الجنة، وكذا أليم النار هو حسي، أي يحس به البدن الذي عمل في الدنيا، ويحس به العقل والروح والنفس، بل كل مشاعره تحس به، فكما أنه في الدنيا يحس ببدنه في الملذات، ويحس بالآلام ببدنه وعقله وروحه ونفسه، كذلك في الآخرة يحس ببدنه وروحه وعقله وجميع مشاعره مع الزيادة في اللذة في الجنة، والألم في النار العياذ بالله تعالى، قال تعالى في لذة أجسام أهل الجنة: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾^(٣) أي تعرف في وجوه أهل الجنة آثار النعيم، وذلك مثل بعض أثرياء الدنيا ترى عليهم آثار الغنى والنعيم بخلاف الفقراء.

وقال تعالى في ألم أجساد أهل النار: ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(٤) فنضج الجلود دليل على التألم الحسي، وعلى تصريح الكتاب

(١) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ١٢٣، تفسير القمي للشيخ علي بن إبراهيم القمي ١ / ٢١.

(٢) سورة النساء آية (١٠).

(٣) سورة المطففين آية (٢٤).

(٤) سورة النساء آية (٥٦).

والسنة على إثبات لذة النعيم في الجنة بالجسد والعقل والروح والنفس، وألم الجحيم في النار على الجسد وعلى مشاعر العبد، تجد بعض المتفلسفين ينكرون لذة النعيم في الجنة، وألم الجحيم على البدن والجسد، وينسبون اللذات إلى اللذات العقلية فقط بدون الجسد، كما قال التفتازاني في كتابه شرح المقاصد في علم الكلام: ((في تقرير مذهب الحكماء في الجنة والنار، والثواب والعقاب، وأما القائلون بعالم المثل فيقولون بالجنة والنار، وسائر ما ورد به الشرع من التفاصيل، ولكن في عالم المثل لا من جنسي المحسوسات المحضة على ما يقول به الإسلاميون، وأما الأكثرون فيجعلون ذلك من قبيل اللذات والآلام العقلية))^(١).

لذا قال الشيخ محمد باقر المجلسي رحمته الله قبل ذكره للتفتازاني قال: ((أقول: بعد إتضاح الحق لديك فيما ورد من الآيات المتظافرة، والاختلاف المتواترة من أحوال الجنة والنار، وخصوصياتهما فلنشر إلى بعض ما قاله من ذلك، الفرقة المخالفة للدين من الحكماء والمتفلسفين، لتعرف معاندتهم للحق المبين، ومعارضتهم لشرائع المرسلين))^(٢).

فكل من ابتعد عن وصف السماء يكون كلامه وعقيدته هكذا وأزيد، عصمنا الله من الزلل ووفقنا للعمل لما يحب ويرضى.

(١) شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني ٢ / ٢٢٤، البحار للشيخ المجلسي ٨ / ٣٢٦.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ٣٢٦.

واعلم أن جهنم الآخرة أربعة عشر طبقة، سبعة منها أصلي:

الأولى: جحيم وهي أعلاها مرتبة.

الثانية: لظى.

الثالثة: سقر.

الرابعة: حطمة.

الخامسة: هاوية.

السادسة: سعير.

السابعة: جهنم.

وهي لها ثلاث طبقات: الأولى: الفلق وهو بئر فيه توأبيت.

الثانية: الصعود وهو جبل من صفر من نار في وسط جهنم.

الثالثة: الآثام وهو واد من الحديد الذائب الجاري في أطراف الجبل.

وأما حضائر ظل النيران، فيعذب فيها من ارتكب المعاصي الكبيرة من

الشيعة، الذين لم تنلهم الشفاعة، فاستحقوا جهنم*.

✽ طبقات جهنم الآخرة

طبقات النار يوم القيامة سبع، طبقات أصلية وهي الجحيم ولظى وسقر والحطمة والهاوية وسعير وجهنم كما ذكر المؤلف.

روي في تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ

لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ (١).

((إن الله جعلها سبع دركات: أعلاها الجحيم، يقوم أهلها على الصفا منها، تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها.

والثانية: لظى نزاعة للشوى، تدعو من أدبر وتولى، وأجمع فأوعى.

والثالثة: سقر لا تبقي ولا تذر، لواحة للبشر، عليها تسعة عشر.

والرابعة: الحطمة، ومنها يثور شرر كالقصر، كأنه جمالات صفر، تدق كل من

صار إليها مثل الكحل، فلا تموت الروح، كلما صاروا مثل الكحل عادوا.

والخامسة: الهاوية فيها ملأ يدعون يا مالك أغثنا، فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من

صفر من نار، فيه صديد ماء يسيل من جلودهم كأنه مهل، فإذا رفعوه ليشربوا منه،

تساقط لهم وجوههم فيها من شدة حرها، وهو قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَفِيثُوا يُفَاثُوا

بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(١) ومن هوى فيها هوى سبعين

عاماً في النار، كلما أحترق جلده بدل جلدأ غيره.

والسادسة: هي السعير فيها ثلاث مائة سرادق من نار، في كل سرادق ثلاث مائة

قصر من نار، في كل قصر ثلاث مائة بيت من نار، في كل بيت ثلاث مائة لون من

عذاب النار، فيها حيات من نار، وعقارب من نار، وجوامع من نار، وسلاسل من

نار، وأغلال من نار، وهو الذي يقول الله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا

وَسَعِيرًا﴾^(٢).

والسابعة: جهنم، وفيها الفلق، وهو جب في جهنم، إذا فتح أسعر النار سعراً،

وهو أشد النار عذاباً.

وأما صعود فجب من صفر من نار وسط جهنم، وأما آثام فهو وادٍ من صفر

مذاب يجري حول الجبل، فهو أشد النار عذاباً^(٣) أجارنا الله تعالى منها بمحمد

وآله الطيبين الطاهرين.

(١) سورة الكهف آية (٢٩).

(٢) سورة الإنسان آية (٤).

(٣) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ٢٩٠.

حضائر النيران

الحضائر جمع حضيرة وهي ((الجماعة ليس بالكثيرة))^(١) وهي سبع على عدد أصول طبقات النار والعياذ بالله تعالى، لكن الداخل فيها أجارنا الله منها لا يخلد فيها، بل يعذب فيها فترة ثم يخرج ويدخل الجنة.

وهذه الحضائر النارية لمن أحب أهل البيت محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام وتبرأ من أعدائهم وقاتليهم، ولكنه أتى بذنوب كبيرة كثيرة، ولم يتب في الدنيا من ذنوبه، ولم يعمل عملاً يستحق الشفاعة من محمد وآل محمد عليهم السلام.

فهذا العبد المذنب يعذب سنين من الآخرة في الحضائر، ثم يخرج إلى الجنة بشفاعة محمد وآل محمد عليهم السلام بعد التصفية من الذنوب في هذه الحضائر النارية، يلهم بالتوسل بمحمد وأهل بيته عليهم السلام، لأنه يحبهم ويعادي ويبرأ من عدوهم، لأن حبهم حسنة وبغضهم سيئة، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((حب علي بن أبي طالب حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة))^(٢).

ذكر الشيخ محمد الصدوق رحمته الله في أماليه قال: أبي، عن محمد العطار، عن الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن العباس بن عامر، عن أحمد بن رزق، عن يحيى بن أبي العلاء، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((إن عبداً مكث في النار سبعين خريفاً، والخريف سبعون سنة، قال: ثم إنه سأل الله عز وجل: بحق محمد وأهل بيته لما رحمتني، قال: فأوحى الله جل جلاله إلى جبرئيل عليه السلام، أن أهبط إلى عبدي فأخرجه، قال: يا رب وكيف لي بالهبوط في النار؟.

قال: إني قد أمرتها أن تكون عليك برداً وسلاماً، قال: يا رب فما علمي بموضعه؟، قال: إنه في جب من سجين، قال: فهبط في النار، فوجده وهو معقول على وجهه فأخرجه.

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٣٩ / ٢٤٨، فضائل شاذان بن جبرئيل القمي ٩٦، كتاب الأربعين للشيخ الماحوزي ١٠٥.

فقال عز وجل: يا عبدي كم لبثت تناشدني في النار؟.

قال: ما أحصيه يا رب.

قال: أما وعزتي لولا ما سألتني به، لأطلت هوانك في النار، ولكنه حتم على نفسي أن لا يسألني عبد بحق محمد وأهل بيته إلا غفرت له، ما كان بيني وبينه وقد غفرت لك اليوم))^(١).

أما الكفار وغيرهم فهم كما قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾^(٢) ثبتنا الله على ولاية محمد وآل محمد ﷺ في الدنيا والآخرة، وزادنا في محبتهم ومودتهم ومعرفتهم.

حيث إن محبتهم الجنة وبغضهم النار، كما قال رسول الله ﷺ لعلي أمير المؤمنين ﷺ ((حب علي إيمان وبغضه كفر))^(٣).

وروي من طرق اخواننا السنة عن النبي ﷺ ((علي باب علمي، ومبين لأمتي، وما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان، وبغضه نفاق))^(٤).

وكيف لا يكون حبه إيمان وبغضه كفر ونفاق، وهو قسيم الجنة والنار، كما روي عن النبي ﷺ: ((علي قسيم الجنة والنار))^(٥) وقال ﷺ: ((إنما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجي، ومن تخلف عنها غرق))^(٦) وغير وغير من الروايات المتظافرة على أن الحق مع علي وعلي معه سلام الله عليه وآله وسلم.

(١) البحار للشيخ المجلسي ٨ / ٢٨٢.

(٢) سورة البقرة آية (١٦٢).

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ١٥٠.

(٤) ينابيع المودة لذوي القربى للشيخ القندوزي ٢ / ٢٤٠، كنز العمال للشيخ المتقي الهندي ١١ / ٦١٥.

(٥) ينابيع المودة للقندوزي ١ / ١٧٣.

(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢ / ٩٠.

الفصل الثاني عشر [دوام نعيم الجنة للمؤمنين ودوم عذاب جهنم للكافرين]

يجب أن يعتقد أن أهل الجنة دائماً مخلدون في الجنة، ويتنعمون دائماً، والله سبحانه أكرمهم بعطاء وكرامة لا انقطاع لها، ونعيمها دائم بدوام أمر الله تعالى، ليست لها غاية ولا نهاية، ولا يخرجون منها أبد الآبدين في نعمة وسرور، وراحة وعزة وكرامة، ويشهد له الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، والشاك فيه كافر.

ويجب الاعتقاد بان أهل جهنم مخلدون في النار، ودائماً معذبون، ولا يخفف عنهم العذاب، ولا يموتون حتى يستريحوا.

قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (١٦٢) ﴿١﴾.

وقال أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ (٣٦) ﴿٢﴾.

(١) سورة البقرة آة (١٦٢).

(٢) سورة غاطر آية (٣٦).

وقال أيضاً: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(١).
 ويشهد على هذا المعنى كتاب الله، وسنة رسوله والأئمة الطاهرون،
 وإجماع المسلمين، ولا اعتناء بمخالفة بعض الصوفية، وبعض الآراء.
 المنحرفة، ولا الالتفات باقوالهم الباطلة، بعد شهادة كتاب الله وسنة
 رسوله، المجمع عليها وتصريحها بذلك، ونحن أقمنا الأدلة القطعية
 العقلية الجلية عليه في بعض أجوبة مسائلنا ❀.

❀ إعتقاد الصوفية في عذاب أهل النار

قال ابن عربي في كتابه فصوص الحكم ((وأما أهل النار، فمآلهم إلى النعيم،
 لكن في النار أزلاً، إذ لا بد لصورة النار، بعد انتهاء مدة العقاب أن يكون برداً
 وسلاماً، على من فيها، وهذا نعيمهم))^(٢).

وقال الملا صدرا الشيرازي تبعاً لأبن عربي وملقبه بالعارف المحقق ما نصه
 ((أما أهل النار فلا شبهه في تجدد أحوالهم، وتبدل جلودهم، واستحالة أبدانهم،
 وتقلبها من صورة إلى صورة، لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا
 لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(٣).

كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، وذلك لان
 طبائعهم من القوى الجسمانية المادية، لما مر أن دار الجحيم من جنس هذه الدار،
 وقد سبق أن أفاعيل القوى المادية وانفعالاتها متناهية، فلا بد فيها من انقطاع وتبدل،
 ثم لا بد في تبدل الأبدان، واستحالة المواد من حركة دورية صادرة عن أجسام
 سماوية محيطة بأجسام ذوات جهات متباعدة كائنة فاسدة، فيكون الحكم في أهل النار

(١) سورة النساء آية (٥٦).

(٢) شرح فصوص الحكم لمحمد بن داوود القيصري الرومي ٩٨٤.

(٣) سورة النساء آية (٥٦).

بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي، بما أودعه من القوة المحركة في الجرم الأقصى الجابرة إياه على حركاته، والكواكب الثابتة في سياحة الدراري السبعة المطموسة الأنوار، كلها يوم الآخرة، فهي كواكب لكنها ليست بثواقب ولا مضيئه، ولها تأثيرات في خلق أهل النار بفنون من العذاب، وصنوف من العقاب، بحسب ما يقتضيه سوابق أعمالهم ومبادئ أفعالهم واعتقاداتهم ونياتهم، ولهذا حكم أهل المعرفة والشهود، بأن حكم النار وأهلها قريب من حكم الدنيا وأهلها، ولهذا ليس لأهل النار، الذين هم من أهلها بعد استيفاء مدة العذاب، وانقضاء زمان العقاب، نعيم خالص ولا عذاب خالص، وحالهم بين الحياة والممات، كما قال تعالى ((لا يموت فيها ولا يحيى)) وهذا بعينه حال أهل الدنيا، فإن نعيم الدنيا ممزوجة بالمحنة والبلاء، وحياتها مشوبة بالموت، والسبب في ذلك أنه بقي فيهم ما أودع الله فيهم من آثار حركات الأفلاك، ولم يقع لهم توفيق الخروج من حكم الطبيعة وتأثيرها، فلا جرم لم ينبج من عذاب النار، وإن تغيرت منهم الصورة وتبدلت لهم النشأة، على قدر ما تغير وتبدل من صور الأفلاك والكواكب، من التبديل والطمس والإنكدار، كما قال تعالى ((فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض الا ما شاء ربك)) واما أصحاب الجنة فليس لهم هذا التبديل والاستحالة، والكون والفساد، لارتفاع نشأتهم عن نشأة الطبيعة واحكامها، فحركاتهم وأفاعيلهم نوع آخر ليس فيها نصب ولا تعب، ولا في أعمالهم من لغوب، لأن حركاتهم وأعمالهم ليست بدنية، بل هي كخطرات الوهم، ولحظات الضمير منا هاهنا، حيث لا تعب ولا كلال ولا نصب ولا فتور يعتريها، لأن السماوات وحركاتها مطوية في حقهم، لأنهم من أصحاب اليمين، ولهم مقام فيه يكون طي الزمان والمكان، فزمانهم زمان يجتمع فيه الماضي والمستقبل من هذا الزمان، ومكانهم مكان يحضر في خدمته جميع ما تسعه السماوات والأرض، ومع ذلك يكون جنة الأعمال ونعيمها من المحسوسات بلا شبهة، إلا أنها وإن كانت محسوسة، لكنها ليست طبيعية مادية، بل صورها صور إدراكية، وجودها العيني عين محسوسيتها، وكل ما فيها نفساني الوجود مجرد عن نشأة الدنيا، والطبيعة والهيولي

المستحيلة الكائنة الفاسدة، ومع ذلك يقع في عالم الجنان التجددات في تكوين الصور الجنانية، لا من أسباب مادية بل جهات فاعليه نفسانية وشؤونات إلهية، بحكم كل يوم هو في شأن، وقد ثبت أن أصل التغيرات في الآفاق إنما نشأت من عالم الأنفس، ونشأة الجنان نشأة النفوس، ففيها الأكوان النفسانية.

قال العارف المحقق في الفتوحات المكية في الباب السابع والأربعين منها ((فلا تزال الآخرة دائمة التكوين، فإنهم يقولون في الجنان للشيء الذي يريدونه كن فيكون، فلا يتمنون فيها أمراً، ولا يخطر لهم خاطر في تكوين أمر إلا ويتكون بين أيديهم، وكذلك أهل النار لا يخطر لهم خاطر خوفاً من عذاب أكبر مما هم عليه، إلا ويكون فيهم ذلك العذاب، وهو خطور الخاطر، فإن الدار الآخرة تقتضي تكوين الأشياء حساً، بمجرد حصول الخاطر والهم والإرادة والشهوة، كل ذلك محسوس وليس ذلك في الدنيا، أعني الفعل بمجرد الهمة لكل أحد))^(١) انتهى.

كلامه ومن عرف كيفية قدره الله في صنع الخيال وما تجده النفس بل توجده بإذن الله من صور الأجرام، العظيمة والأفلاك الجسمية الساكنة والمتحركة، والبلاد الكثيرة وخلاتها وأحوالها وصفاتها في طرفة عين، هان عليه التصديق))^(٢).

انظر إلى قوله (ولهذا ليس لأهل النار، الذين هم من أهلها بعد استيفاء مدة العذاب، وانقضاء زمان العقاب، نعيم خالص ولا عذاب خالص، وحالهم بين الحياة والممات) فعلى رأيه ليس لأهل النار بعد استيفاء مدة المعصية التي عصى بها في الدنيا مثلاً ٧٠ سنة، بعد ٧٠ سنة في النار، ليس له عذاب دائم وخالص.

والبعض من فلاسفتنا يدافع عن ابن عربي، ويقول إنه من الشيعة، وليس من المخالفين لمذهب أهل البيت عليهم السلام ولم يلتفتوا إلى ما يقول ابن عربي في قتلة أهل البيت عليهم السلام أنهم الأقطاب والأولياء كيزيد بن معاوية وغيرهم كما قال محي الدين ابن عربي في الفتوحات المكية ما نصه ((... فمنهم رضي الله عنهم الأقطاب، وهم

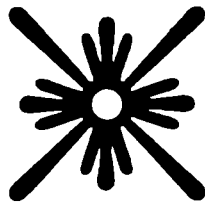
(١) الفتوحات المكية لمحي الدين ابن عربي / ١ / ٢٥٩.

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة / ٥ / ٣٨٠.

الجامعون للأحوال، والمقامات بالأصالة أو بالنيابة كما ذكرنا، وقد يتوسعون في هذا الإطلاق فيسمون قطباً، كل من دار عليه مقام ما من المقامات، وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه، وقد يسمى رجل البلد قطب ذلك البلد، وشيخ الجماعة قطب تلك الجماعة، ولكن الأقطاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقاً من غير إضافة، لا يكون منهم في الزمان إلا واحد وهو الغوث أيضاً، وهو من المقربين، وهو سيد الجماعة في زمانه، ومنهم من يكون ظاهر الحكم، ويجوز الخلافة الظاهرة، كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية، وابنه يزيد، وعمر بن عبد العزيز، والمتوكل) (١).

أخي القاريء الكريم انظر إلى كلام هؤلاء وإلى كلام الجليل سبحانه، وكلام محمد وآل محمد ﷺ، هذا جانب، والجانب الآخر كيف بعض الفلاسفة المحسوبين على مذهب أهل البيت يبجلون أعلام أئمة الصوفية كابن عربي، ويلقبه بالعارف المحقق، بأهل المعرفة والشهود؟ ويترك الثقلين كتاب الله والعترة الطاهرة ﷺ.

أخي فانظر بعين البصيرة والشرع هل ترى فيما قالوا صلة بالدين؟ والحق يقول بأوضح بيان في الرد على الكافرين بقوله ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَمْ نَفُؤُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠) (٢) وقال تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (١٦٢) (٣).



(١) الفتوحات المكية لمحي الدين ابن عربي ٢ / ٦ .

(٢) سورة البقرة آية (٨٠).

(٣) سورة البقرة آية (١٦٢).

الفصل الثالث عشر

[وجوب الإعتقاد بجميع ما جاء به النبي الأكرم]

يجب الإعتقاد بجميع ما نطق به القرآن المجيد، وأتى به خاتم النبيين، وسيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ للخلق، من علم القيامة، وسؤال منكر ونكير، من ما حض الإيمان وما حض الكفر في القبر، والحشر والنشر، في المرصاد وهو قنطرة من الصراط، تؤدي فيها مظالم العباد، وكذا الختم على الأفواه، ونطق الجوارح، والجنة وما فيها من الأكل والشرب والنكاح وأقسام النعيم، ومن أحوال جهنم وعذابها وغلها وسلاسلها وسراويلها ومقامها من حديد، والحميم والزقوم، وغسلين وغير ذلك، وأن القيامة تقوم قطعاً لا شك فيه، والله سبحانه يحيي كل من في القبور للحساب والجزاء. ❁

❁ خلاصة الإعتقاد

هنا خلاصة الإعتقاد من الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبأهل البيت ، والقبر ومسائلة منكر ونكير وعالم البرزخ، والحشر يوم القيامة وما فيها من الحساب والعقاب، والميزان والصراط والحوض والشفاعة، ونعيم أهل الجنة خلود، وعذاب أهل النار خلود كما تقدم، أجارنا الله منها بحب أهل البيت  والمرصاد وهو قنطرة

الفصل الثالث عشر [وجوب الإعتقاد بجميع ما جاء به النبي الأكرم] ٣٨٩

على الصراط، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((المرصاد قنطرة على الصراط، لا يجوزها عبد بمظلمة عبد))^(١) والإيمان كل ما جاء به الأنبياء والمرسلون عليهم السلام من عند الله تعالى.

(١) البحار للشيخ محمد باقر المجلسي ٧٢ / ٣٢٣، تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ١٠ /

خاتمة

وفيها فصول

الفصل الأول

[ذكر العلامات قبل قيام القائم (عج)]

من الأمور التي لا بد للمؤمن أن يدين بها الإعتقاد برجعة محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام أجمعين .

ومختصر المقام : أن سنة خروج الحجة بقية الله عجل الله فرجه وظهوره، يقع فيها قحط شديد، وتمطر في عشرين من جمادى الأولى مطر شديد، بحيث لم يقع مثله من يوم آدم إلى ذلك الوقت، ويتصل المطر من عشرين جمادى الأولى إلى أول رجب، فتتمو لحوم أشخاص، يحييهم الله سبحانه، ويرجعهم إلى الدنيا، فيتصل بعضها ببعض ويتم الجسد .

وفي اليوم العاشر من رجب، يخرج الدجال من أصفهان، والسفياني عثمان بن عنبسة، أبوه من ذرية عتبة بن أبي سفيان، وأمه من ذرية يزيد بن معاوية، يخرج من الرملة في الوادي اليابس، ويظهر في شهر رجب في قرص الشمس جسد مطهر أمير المؤمنين عليه السلام، بحيث يعرفه كل أحد، وينادي شخص في السماء باسم ذلك المعصوم المبارك المطهر، وفي أواخر شهر رمضان ينخسف القمر، وفي نصفه تنكسف الشمس، وفي أول الصبح من ثلاثة وعشرين من شهر رمضان ينادي جبرائيل في السماء (ألا

إن الحق مع علي وشيعته)، وفي آخر الشهر ينادى من الأرض (ألا إن الحق مع عثمان الشهيد وشيعته) ❁.

❁ الصيحة باسم الإمام الحجة عجل الله فرجه

الصيحة باسم الإمام الحجة عجل الله فرجة من المحتوم حتى يحيى من حي عن بينة، ويموت من يموت عن بينة كما روى يحيى بن أبي طالب، عن علي بن عاصم، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله؟: ((لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي من ولدي، ولا يخرج المهدي حتى يخرج ستون كذابا كلهم يقول: أنا نبي)).

الفضل بن شاذان، عن رواه، عن أبي حمزة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: خروج السفيناني من المحتوم؟ قال: ((نعم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من مغربها محتوم، واختلاف بني العباس في الدولة محتوم، وقتل النفس الزكية محتوم، وخروج القائم من آل محمد محتوم، قلت له: وكيف يكون النداء؟ قال: «ينادي مناد من السماء أول النهار: ألا إن الحق مع علي وشيعته، ثم ينادي إبليس في آخر النهار من الأرض: ألا إن الحق مع عثمان وشيعته، فعند ذلك يرتاب المبطلون»^(١).

ولا يثبت إلا من كتبت له السعادة في عالم الذر، ثبتنا الله عز وجل بالقول الثابت بمحمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

ويسمع الخلائق الصوتين، يفهم كل بلغته، فحينئذ تتقوى شبهة أهل الباطل، فإذا كان يوم خمس وعشرين من ذي الحجة تقتل فيه النفس الزكية، اسمه محمد بن الحسن بين الركن والمقام، بظلم وجور. وفي يوم الجمعة عاشر محرم يظهر نور الله الأكبر، صاحب الزمان عجل الله فرجه، ويدخل المسجد الحرام، وبين يديه ثماني عنيزات عجاف يسوقها، ويقتل الخطيب على المنبر. ❀.

❀ علامات الظهور

علامات ظهور الإمام بقية الله الحجة بن الحسن أرواحنا لغبار نعليه المباركتين الفداء، كبرى وهي كما موجودة في المتن، وعلامات صغرى وهي كثيرة منها. كما في جامع الأخبار: روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع فلما قضى النبي ﷺ ما افترض عليه من الحج أتى مودع الكعبة فلزم حلقة الباب.

ونادى برفع صوته: ((أيها الناس! فاجتمع أهل المسجد وأهل السوق، فقال: اسمعوا! إني قائل ما هو بعدي كائن فليبلغ شاهدكم غائبكم ثم بكى رسول الله ﷺ حتى بكى لبكائه الناس أجمعين فلما سكت من بكائه قال: اعلموا رحمكم الله أن مثلكم في هذا اليوم كمثل ورق لا شوك فيه إلى أربعين ومائة سنة، ثم يأتي من بعد ذلك شوك وورق إلى مائتي سنة، ثم يأتي من بعد ذلك شوك لا ورق فيه، حتى لا يرى فيه إلا سلطان جائر، أو غني بخيل، أو عالم مراغب في المال، أو فقير كذاب، أو شيخ فاجر، أو صبي وقح، أو امرأة رعناء، ثم بكى رسول الله ﷺ. فقام إليه سلمان الفارسي وقال: يا رسول الله أخبرنا متى يكون ذلك؟ فقال ﷺ: يا سلمان إذا قلت علماءكم، وذهبت قراؤكم، وقطعتم زكاتكم وأظهرتم منكراتكم، وعلت أصواتكم في مساجدكم، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم والعلم تحت أقدامكم،

والكذب حديثكم، والغيبة فاكهتكم، والحرام غنيمتكم، ولا يرحم كبيركم صغيركم، ولا يوقر صغيركم كبيركم. فعند ذلك تنزل اللعنة عليكم، ويجعل بأسكم بينكم، وبقي الدين بينكم لفظاً بالسنتكم. فإذا أوتيتم هذه الخصال توقعوا الريح الحمراء، أو مسخاً أو قذفاً بالحجارة، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بِأَسِّ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصِرْتُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾^(١) فقام إليه جماعة من الصحابة، فقالوا: يا رسول الله أخبرنا متى يكون ذلك؟ فقال ﷺ: عند تأخير الصلوات، واتباع الشهوات، وشرب القهوة، وشتم الآباء والأمهات. حتى ترون الحرام مغنماً، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته، وجفا جاره، وقطع رحمه، وذمبت رحمة الأكابر، وقل حياء الأصاغر، وشيدوا البنيان وظلموا العبيد والإماء، وشهدوا بالهوى، وحكموا بالجور، ويسب الرجل أباه، ويحسد الرجل أخاه، ويعامل الشركاء بالخيانة، وقل الوفاء، وشاع الزنا، وتزين الرجال بثياب النساء، وسلب عنهن قناع الحياء، ودب الكبر في القلوب كدبيب السم في الأبدان، وقل المعروف، وظهرت الجرائم، وهونت العظام، وطلبوا المدح بالمال، وأنفقوا المال للغناء، وشغلوا بالدنيا عن الآخرة، وقل الورع، وكثر الطمع، والهرج والمرج، وأصبح المؤمن ذليلاً، والمنافق عزيزاً، مساجدهم معمورة بالأذان، وقلوبهم خالية من الإيمان، واستخفوا بالقرآن، وبلغ المؤمن عنهم كل هوان. فعند ذلك ترى وجوههم وجوه الأدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، كلامهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الحنظل، فهم ذئاب، وعليهم ثياب، ما من يوم إلا يقول الله تبارك وتعالى: أفبي تغترون؟ أم علي تجترون؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾^(٢) فو عزتي وجلالي، لولا من يعبدني مخلصاً ما أمهلت من يعصيني طرفة عين، ولولا ورع الورعين من عبادي لما أنزلت من السماء قطرة، ولا أنبت ورقة خضراء، فوا عجباه

(١) سورة الأنعام آية (٦٥).

(٢) سورة المؤمنون آية (١١٥).

الفصل الأول [ذكر العلامات قبل قيام القائم (عج)] ٣٩٧

لقوم ألهتهم أموالهم، وطالت آمالهم، وقصرت آجالهم، وهم يطمعون في مجاورة مولاهم، ولا يصلون إلى ذلك إلا بالعمل، ولا يتم العمل إلا بالعقل))^(١).

وهناك روايات كثيرة في العلامات الصغرى لكن أهمها ما ذكر في هذه الرواية

النبوية ﷺ.

(١) للشيخ محمد باقر المجلسي ٥٢ / ٢٦٢ - ٢٦٤.

الفصل الثاني

[أحداث الإمام الحجّة (عجل) في مكة وسائر البلاد]

فإذا قتل الخطيب غاب عن الناس، ودخل الكعبة، فإذا كان الليل صعد على سطحها، ونادى أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشر، فاجتمعوا عنده في أقل مدة، من المشرق والمغرب.

وإذا كان صبح يوم السبت دعا الناس لبيعته، فأول من يبايعه طائر أبيض هو جبرائيل، ويبقى في مكة إلى أن يجتمع عنده عشرة آلاف نفر، والسفياني يرسل عسكريين: أحدهما إلى الكوفة، والآخر إلى المدينة، فيدخل عسكريه الميشوم إلى المدينة، ويخربون القبر الشريف المطهر، وتروث بغالهم وخيلهم في مسجد رسول الله ﷺ.

ثم يرسل عسكرياً آخر إلى مكة المشرفة لهدم الكعبة، فإذا وصل إلى البيداء، التي قريب مكة، خسفت بهم الأرض وهلكوا جميعاً، ولا ينجوا منهم إلا اثنين: بشير ونذير.

يمضي النذير إلى السفياني، ويخبره بهلاك عسكريه، والبشير إلى القائم عجل الله فرجه، ويبشره بهلاك العسكري.

ثم يتوجه روجي فداه إلى المدينة، ويخرج الجبت وطاغوت هذه الأمة

من قبريهما ويصلبهما، ثم يلتفت ويعطف عنان عزمه إلى العراق وسائر البلدان، ويقتل الدجال، ويلاقي السفيناني، فيبايعه السفيناني، ثم تلومه أصحابه وأقرباؤه على بيعته وإسلامه، ويقولون له: إنا لا نوافقك على هذا الأمر أبداً، ويغوونه متصلاً، حتى يخرج عليه عجل الله فرجه.

ثانياً: فيقتله روجي فداه، ويقتل عسكره ويفرقهم، ثم يوجه العساكر إلى الأقطار والأطراف، إلى أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

الفصل الثالث

[عاصمة دولة الإمام المهدي (عجل) الكوفة]

ثم يستقر رُوحِي فداه في الكوفة، ويكون محل عياله وحرمه وأهله (في مسجد السهلة)، ومحل حكمه وقضائه مسجد الكوفة، ومدة ملكه سبع سنوات، لكن يطول (الله سبحانه) الليل والنهار، حتى تكون كل سنة بقدر عشر سنين، إذ يأمر الله سبحانه الفلك ببطء السير، وعدم السرعة في أيام ملكه، حتى تكون مدة ملكه سبعين سنة، من هذه السنين.

فإذا مضى من مدة حكومته وسلطنته تسع وخمسون سنة، خرج مولانا وسيدنا الحسين عليه السلام مع اثنين وسبعين شهداء كربلاء أصحابه، وملائكة نصرته، الذين هم شعث غُبر عند قبره المطهر وحوله.


فإذا انقضت مدة ملك القائم عجل الله فرجه سبعون سنة، واستشهد - رُوحِي فداه - وقتلته امرأة من بني تميم، اسمها سعيدة، ولها لحية كلحية الرجال، بجاون من صخر، لما يمر عليها، وهي على سطح دارها، فتضربه بذلك الجاون وتقتله، قام بالأمر مولانا الحسين عليه السلام، وجهازه رُوحِي فداه.

ثم يحشر يزيد بن معاوية، وعبيدالله بن زياد، وعمر بن سعد، ومن

كان معهم في عرصة كربلاء، ومن رضي بأفعالهم القبيحة، من الأولين والآخرين، فيقتلهم جميعاً الحسين عليه السلام، ويقتصر منهم، ويقتل المنافقين ومحبيهم، حتى تجتمع عليه الأشرار والكفار من الأطراف من كل جهة، ويغلبونه ويحصرونه في بيت الله الحرام.

فإذا اشتد الأمر به، خرج عند ذلك السفاح أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، مع الملائكة لنصرة ولده العزيز، فيقتل مع الملائكة أعداء الدين.

ورؤساء المنافقين، ثم يبقى ويمكث مع ولده مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين مدة ملك لبث أصحاب الكهف، ثم يضرب على قرنه ويقتل لعن الله قاتله ^(١).

ويقوم الحسين عليه السلام بدين الله وأمره، ومدة ملكه خمسون ألف سنة حتى يشد حاجبيه الشريفين بعصابة من شدة الكبر .

ويبقى أمير المؤمنين عليه السلام بعد موته أربعة آلاف، أو ستة آلاف، أو عشرة آلاف سنة، على اختلاف الروايات.

✽ مسكن الإمام الحجة ودولة الإمام الحسين عليه السلام

يملك الإمام الحجة عجل الله فرجه سبع سنين، بقدر سبعين سنة، كما روى عبد الكريم الخثعمي قال: قلت لأبي عبد الله: كم يملك القائم؟ فقال سبع سنين، يطول

(١) هذه الفقرة ساقطة من المتن، وموجودة في كتاب حياة النفس للشيخ أحمد الأحساني قدست نفسه، ولا يستقيم المعنى إلا بها، لأن المؤلف بعد ذلك يقول: ((ويبقى أمير المؤمنين عليه السلام بعد موته)) ولم يذكر القتل له عليه السلام لعن الله قاتله والراضي له.

الأيام والليالي حتى تكون السنة من سنه مقدار عشر سنين من سنيتكم، فيكون [سنو] مائة سبعين سنة من سنيتكم هذه.

وإذا آن قيامه، مطر الناس جمادى الآخر، وعشرة أيام من رجب، ومطراً لم تر الخلائق مثله، فینبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم، وكأنني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب))^(١).

يكون سكنه في الكوفة وتكون الكوفة مسكن المؤمنين، كما روي بإسناده عن الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((إذا قام القائم ودخل الكوفة لم يبق مؤمن إلا وهو بها))^(٢) وروي أيضاً عن كتاب الفضل بن شاذان رفعه، عن سعد، عن أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام قال: ((لموضع الرجل في الكوفة أحب إلي من دار في المدينة))^(٣).

وفي زمن دولة الإمام الحسين عليه السلام يتنعم المؤمن بكل لذة من اللذائد الظاهرية والباطنية، كما روي في مختصر بصائر الدرجات والبحار الخرائج: سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن ابن فضل، عن سعد الجلاب عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل: ((إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا بني إنك ستساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين، وهي أرض تدعى عمورا، وإنك تستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد، وتلا: «قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم» يكون الحرب بردا وسلاما عليك وعليهم. فأبشروا فوالله لئن قتلونا فانا نرد على نبينا.

قال: ثم أمكث ما شاء الله فأكون أول من ينشق الأرض عنه، فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجة أمير المؤمنين، وقيام قائمنا (وحياة رسول الله صلى الله عليه وآله) ثم لينزلن علي وفد من السماء من عند الله، لم ينزلوا إلى الأرض قط، ولينزلن إلي جبرئيل

(١) البحار للشيخ المجلسي ٥٢ / ٣٣٧.

(٢) البحار للشيخ المجلسي ٥٢ / ٣٨٥.

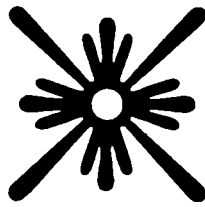
(٣) البحار للشيخ المجلسي ٥٢ / ٣٨٦.

وميكائيل وإسرافيل، وجنود من الملائكة، ولينزلن محمد وعلي وأنا وأخي وجميع من من الله عليه في حمولات من حمولات الرب: جمال من نور لم يركبها مخلوق ثم ليهزن محمد ﷺ وسلم لواءه، وليدفعه إلى قائمنا مع سيفه ثم إنا نمكث من بعد ذلك ما شاء الله ثم إن الله يخرج من مسجد الكوفة عينا، من دهن، وعينا من ماء، وعينا من لبن.

ثم إن أمير المؤمنين يدفع إلي سيف رسول الله ﷺ ويبعثني إلى المشرق والمغرب، فلا آتي على عدو لله إلا أهرقت دمه، ولا أدع صنما إلا أحرقت، حتى أقع إلى الهند فأفتحها، وإن دانيال ويوشع يخرجان إلى أمير المؤمنين ﷺ يقولان: صدق الله ورسوله، ويبعث معهما إلى البصرة سبعين رجلا فيقتلون مقاتليهم، ويبعث بعثا إلى الروم، فيفتح الله لهم. ثم لأقتلن كل دابة حرم الله لحمها، حتى لا يكون على وجه الأرض إلا الطيب، وأعرض على اليهود والنصارى وسائر الملل، ولأخيرنهم بين الإسلام والسيف، فمن أسلم مننت عليه، ومن كره الإسلام أهرق الله دمه، ولا يبقى رجل من شيعتنا إلا أنزل الله إليه ملكا يمسح عن وجهه التراب، ويعرفه أزواجه ومنزلته في الجنة، ولا يبقى على وجه الأرض أعمى، ولا مقعد، ولا مبتلى إلا كشف الله عنه بلاءه بنا أهل البيت ولينزلن البركة من السماء إلى الأرض حتى أن الشجرة لتقصف بما يزيد الله فيها من الثمرة، ولتأكلن ثمرة الشتاء في الصيف، وثمره الصيف في الشتاء، وذلك قوله عز وجل: «ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون». ثم إن الله ليهب لشيعتنا كرامة لا يخفى عليهم شيء في الأرض وما كان فيها حتى أن الرجل منهم يريد أن يعلم علم أهل بيته فيخبرهم بعلم ما يعملون»^(١).

فالإمام الحسين ﷺ هو أول المعصومين ﷺ في زمن الرجعة يرجع، جعلنا الله تعالى بالحسين وجده وأبيه وأمه وأخيه والأئمة من ذريته وبنيه أن يكرنا في رجعتهم

كما قال مولانا الإمام علي بن محمد الهادي في الزيارة الجامعة الكبيرة (وجعلني ممن يقتصر آثاركم، ويسلك سبيلكم، ويهتدي بهداكم، ويحشر في زمركم، ويكر في رجعتكم، ويملك في دولتكم، ويشرف في عافيتكم، ويمكن في أيامكم، وتقر عينه غداً برؤيتكم)^(١) آمين رب العالمين.



الفصل الرابع

[رجعة أهل البيت عليهم السلام إلى الدنيا]

ثم يرجع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الدنيا مع جميع شيعته، لأنه سلام الله عليه يقتل مرتين، ويحيى مرتين كما قال: (أنا الذي أقتل مرتين، وأحيى مرتين، ولي الكرة بعد الكرة، والرجعة بعد الرجعة)^(١).

والأئمة أيضاً كلهم سلام الله عليهم حتى القائم روعي فداه يرجعون إلى الدنيا، لأن لكل مؤمن قتلة وموتة، وهو عجل الله فرجه لما استشهد يرجع حتى يجري عليه حكم الموت.

ويجتمع إبليس وجميع أتباعه ويقتلون في الروحاء^(٢) قريباً من الفرات فيرجع المؤمنون القهقري في الروحاء قريب الفرات، وتقع المحاربة بين الطرفين، فيغلب جند إبليس أصحاب أمير المؤمنين عليهم السلام^(٣) ويرجعون

(١) إلزام الناصب في اثبات الحجة الغائب للشيخ علي اليزدي ٢ / ١٤٦، مشارق أنوار اليقين للشيخ الحافظ رجب البرسي ٢٠٧، الإيقاظ من اللهجة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي ٣٤٦.

(٢) الروحاء قرية من قرى بغداد على نهر عيسى قرب السندية، معجم البلدان.

(٣) الموجود في حياة النفس للشيخ أحمد الأحساني ((ويجتمع إبليس مع جميع أتباعه، ويقتلون عند الروحاء قريباً من الفرات، فيرجع المؤمنون القهقري)) وهنا لم يذكر، فيغلب جند إبليس أصحاب أمير المؤمنين عليهم السلام. والظاهر أن الصواب ما هو موجود في حياة النفس، ولعل =

القهقري حتى يقع منهم جمع كثير في الفرات ويغرقون، فعند ذلك يظهر تأويل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٢١٠) ^(١) فينزل [رسول الله] ﷺ وبيده حربة من نار، ولما يراه إبليس يشق الصفوف ويفر منهزماً، ويقول: له أصحابه إلى أين تفر ولنا النصر؟ فيقول: إني أرى ما لا ترون.؟.

فيضربه ﷺ في ظهره بتلك الحربة، فتخرج من صدره ويقع ميتاً، ثم يقتل المؤمنون جميع أصحابه وأتباعه حتى لا يبقى منهم واحد، فعند ذلك يعبد الله سبحانه وتعالى في وجه الأرض، ولم يجعل له شريك أبداً.

[ويعيش المؤمن لا يموت حتى يولد له ألف ولد ذكر] ^(٢)، والثياب التي ألبسوه عند ولادته تنمو مع الطفل، كلما كبر طالت الثياب معه، ولون الثياب بميله وإرادته، أي لون شاء ينقلب تلك الساعة بذلك اللون ^(٣).

= الموجود هنا سهو من الناسخ، لأنه فيما تقدم قبل أسطر ليس فيه ذكر خصوصيه لأمير المؤمنين ﷺ، وبعد ذلك يقول يخرج رسول الله ﷺ.

(١) سورة البقرة آية (٢١٠).

(٢) الموجود في كتاب أصول العقائد (ويعيش المؤمن ولا يموت حتى يرى من صلبه ألف ذكر، ويولد له ألف ذكر) والصحيح ما هو مذكور في كتاب حياة النفس لأستاذه الشيخ أحمد الإحسائي ما نصه (ويعيش المؤمن لا يموت حتى يولد له ألف ولد ذكر) بينما ما هو موجود في أصول العقائد فيه تكرار لا حظ العبارتين.

(٣) روى المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله يقول: ((إن قائمنا إذا قام أشرفت الأرض بنور ربها، واستغنى الناس عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة، ويعمر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ذكر، ولا تولد فيهم أنثى، وتظهر الأرض كنوزها، حتى تراها الناس على وجهها، ويطلب الرجل منكم من يصله بماله، ويأخذ من زكاته، لا يوجد أحد يقبل منه ذلك، استغنى الناس بما رزقهم الله من فضله)) البحار للشيخ المجلسي ٥٢ / ٣٣٧.

وتظهر بركات الأرض، ويأكلون فواكه الصيف في الشتاء، وفواكه الشتاء في الصيف، وإذا وقعت ثمرة من الشجرة إلى الأرض تنبت دفعة في محلها ثمرة أخرى، وتظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وحولها.

فإذا أراد سبحانه إنفاذ حكمه في خراب العالم، رفع رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصيائه الطيبين الطاهرين من بين الخلق إلى السماء، فيبقى الخلائق بعد رفعهم من بينهم أربعين يوماً في هرج ومرج، كالمجانين ولا يفقهون شيئاً، إلى أن ينفخ اسرافيل في صورته، وما ذكرناه من أحوال الظهور، والرجعة مستفاد من جملة من الأخبار.

ولابد للمؤمن من إعتقاد رجعتهم إلى الدنيا، ولا يشك فيه من آمن بتلك الأخبار، والوجه في عدم قولنا بالوجوب، خلاف بعض العلماء، حيث حكموا بأن المراد من الرجعة رجوع دولة وقيام القائم عجل الله فرجه، لا رجوع الأشخاص بعد الموت، والحق الواقع أن رجعتهم حق بنص الأخبار المتكثرة، ولو لم يكن في المقام دليل غير إنكار المخالفين لكفانا وحده في حقيقة المراد، إذ الرشد والحق في خلافهم^(١).

(١) للشيخ الأرحم الشيخ أحمد بن زين الدين رضوان الله عليه كتاب مستقل اسمه الرجعة، من أراد التفصيل وليراجع.

الفصل الخامس

من جملة ما يلحق بأصول الدين

الكلام في الآجال والأرزاق والأسعار [الآجال]

أما الأجل فاعلم أنه عبارة عن وقت حدوث الشيء، وأجل الموت عبارة عن انتهاء مدة البقاء في الدنيا، وانتهاء ماقرره الله من الرزق والحياة وسائر التقديرات، ويحصل هذا الأجل بالموت والقتل.

أما الموت فهو على قسمين: طبيعي، وغير طبيعي.

أما الموت الطبيعي فهو مائة سنة، أو ثمانون سنة، أو مائة وعشرون سنة، بناء على اختلاف الإحتمالات في الفصول الإنسانية، فصل الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء، إذ يحتمل أن يكون فصل ربيع الإنسان عشرين سنة، أو خمسة وعشرين سنة، أو ثلاثين سنة، ولكل منها قائل وكذا سائر الفصول ❁.

❁ الموت الطبيعي

إن عمر الإنسان مثل عمر الأشجار بأنواعها، تتأثر بالفصول الأربعة: الربيع، الصيف، الخريف، الشتاء.

فمثلاً شجرة الليمون المعروفة لها أربعة فصول في السنة الواحدة، فصل الربيع ثلاثة شهور تورق وتخضر، وفي فصل الصيف تشتد وتحمل باليمون، وفصل الخريف تساقط أوراقها وتيبس، وفي فصل الشتاء تجمد وتجف إلى ثلاثة أشهر.

فكل فصل من الفصول الأربعة، له ثلاثة شهور من السنة، فيكون مجموع الشهور على الفصول الأربعة اثنا عشر شهراً، كل فصل ثلاثة شهور.

لكن بعض الأشجار في بعض البلدان يكون الربيع لها أكثر من ثلاثة أشهر، إلى أربعة أشهر أو خمسة أشهر أو ستة أشهر، حيثما تكون غالباً نضرة مورقة، ثم فصل الصيف فصل الثمرة والتاج، ثم فصل الخريف تساقط الورق، والشتاء جموده ويبسه كما هو المعروف في بعض البلدان المعتدلة جوها، مثل بلاد الشام، وبعض دول أوروبا، وشمال أفريقيا وجنوبها وشمال الهند وبعض جزر قارة آسيا، حتى أن بعض البلاد في العالم يكون الربيع طوال السنة، إلا ما شاء الله تعالى كبعض دول شرق آسيا والشام وإيران وغيرها من البلاد كما هو المعروف عند بعض من زارها.

فالإنسان هكذا له فصول توافق قابليته وتركيبته، في الاعتدال والقوة والنشاط، أو في الضعف والهزل وكثرة الأمراض والبلغم لأسباب عدة.

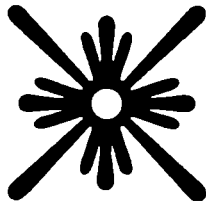
فبعض الناس يكون ربيعهم عشرين سنة، أي قوته من الطفولة إلى عشرين سنة، ثم شدته وقوته وعمله ونشاطه عشرين سنة، ثم ذبوله وضعفه عشرين سنة، ثم ظهور عليه الأمراض ويبس جلده وترهله إلى عشرين سنة، فيكون عمره ثمانون سنة.

قال أستاذ الفقهاء، وعمدة الحكماء، وعلم العرفاء شيخ المتألهين، الشيخ أحمد بن زين الدين رضوان الله عليه في فصول الإنسان الأربعة ((إن فيه الفصول الأربعة في طبائعه، وفي كل فصل ثلاثة بروج، باعتبار أوله وأوسطه وآخره، في مدة بقائه الفصول الأربعة، فصل الربيع من الطفولية إلى العشرين السنة، أو إلى ما زاد عليها إلى الثلاثين، وفصل الصيف من العشرين إلى الأربعين، أو مما زاد على الثلاثين إلى الستين، وفصل الخريف، أو فصل الشتاء على الخلاف، من أن الشتاء في العالم الصغير مقدم على الخريف، بعكس العالم الكبير، لأن الخريف فصل الموت في الصغير، وآخر العالم الكبير أقوى من أوله، أو أن الصغير كالكبير في تقدم

فصل الخريف، وفصل الخريف في الصغير من الأربعين إلى الستين، أو من الستين إلى التسعين، وفصل الشتاء من الستين إلى الثمانين، أو من التسعين إلى مائة وعشرين، أو ما دون ذلك على الإحتمالات^(١).

فكل فصل من فصول الإنسان الأربعة له مدة معينة، على حسب إعتداله وقابليته، واعتدال مكانه وزمانه كما هو المعروف أن بعض البلدان، وبالأخص في شرق آسيا، وشمال الشرق الأوسط، أكثر أعماراً من غيرهم.

أضف إلى أن طول العمر وقصره يرجع إلى عمل العبد من الطاعات والسيئات، كما روي أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام تطيل الأعمار، بل زيارته لا تحسب من عمره الطبيعي، أي لا تخصم من عمره، وكذا صلة الأرحام، وكذا العكس قطع الرحم العام وهم الأقارب، والرحم الخاصة وهم محمد وآل محمد عليهم السلام تقصف الأعمار، بيد أن صلتهم وبرهم تطيل الأعمار، ولو كان عمره من الفصول القصيرة، كرامة لمحمد وآل محمد عليهم السلام.



فالأجل يظهر عند انتهاء ماجرى به القلم الأعلى، في اللوح المحفوظ من مدة بقائه في الدنيا، ومن مدة أرزاق وإمدادات الدنيا، وبالنسبة إلى الشخص من أنواع الأرزاق بحسب القابليات، كالأكل، والشرب، واللباس، والعلم والفهم ❁.

فالشخص إن كان من ماحض الإيمان، أو ماحض الكفر، يبقى له مما قدر له في الدنيا في اللوح المحفوظ، بقدر ما قدر له لبقائه عند قيام القائم عليه السلام مع الرجعة ❁❁.

❁ إنتهاء الأجل

فإذا انتهى أجل المكلف، أي انتهى ما كتب له وعليه في اللوح المحفوظ، وهو الإمام أرواحنا له الفداء، وهو في هذا الزمان إمامنا صاحب العصر بقية الله الحجة بن الحسن أرواحنا لغبار نعليه المباركتين الفداء، من المطاعم والمشارب والمراتب والمسكن، والعلم والفهم والإمدادات في الدنيا كل على حسبه، يأتيه الخريف أو الشتاء وهو الموت أعاننا الله على الموت وما بعد الموت بمحمد وآله الطيبين الطاهرين، قال تعالى ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾^(١).

❁❁ أجل ماحض الإيمان والكفر

إن أجل ماحض الإيمان وماحض الكفر دون غيرهما، يبقى لهما أجل في اللوح عند خروج القائم عجل الله فرجه وفي الرجعة، كما قال الشيخ أحمد الأحسائي: ((ثم إن كان ممن محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، بقي له من ذلك في اللوح المحفوظ، ما قدر له مدة بقائه عند قيام القائم عليه السلام، أو رجعه النبي صلى الله عليه وآله،

(١) سورة الأعراف آية (٣٤).

والأئمة عليهم السلام)^(١) يعني إذا كان الإنسان ماحض للإيمان، أو ماحض للكفر يبقى لهما أجل وعمر، عند خروج قائم آل محمد عليه السلام الإمام الحجة عجل الله فرجه، وعند رجوع أهل البيت عليهم السلام فيخرجان معاً ماحض الكفر والإيمان.

أما ماحض الإيمان فيخرج من قبره، ليكون من أنصار مولانا صاحب العصر والزمان أرواحنا لغبار نعليه المباركتين الفداء وأعوانه، جعلنا منهم ومن المستشهدين بين يديه بفاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها عليها السلام.

لذا في دعاء العهد المروي عن مولانا الإمام الحجة عجل الله فرجه: ((اللهم إن حال بيني وبينه الموت، الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً، فأخرجني من قبري مؤتزرأً كفني، شاهراً سيفي، مجرداً قناتي، ملبياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي، اللهم أرني الطلعة الرشيدة، والغرة الحميدة، واكحل ناظري بنظرة مني إليه))^(٢).

فماحض الإيمان يخرج مع مولانا الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه، ليكون من أنصاره ويعيش في دولته المباركة الإلهية، ودولة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام في الرجعة، ليكمل بقية عمره من اللوح المحفوظ.

وماحض الكفر أيضاً يخرج من قبره عند قيام آل محمد عليهم السلام ليقتص منه، ويخرج في رجعة المعصومين عليهم السلام ليرى ذل الحياة، كما رأى عزها في الكفر والسلطة على المؤمنين في الدنيا.

ماحض الإيمان

المراد من ماحض الإيمان، هو من عرف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والصديقة فاطمة الزهراء وأبناءهما عليهم السلام بالنورانية، بأنهم مظهر أمر الله ونهيه، وكلمته العليا، وآيته الكبرى، والنبأ العظيم، وأنهم عين الله الناظرة، ويده الباسطة، وإذنه

(١) حياة النفس للشيخ أحمد الأحساني ٢١٩.

(٢) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.

السامعة، ويده الباطشة، ولسانه المعبر عنه، وصراطه السوي، وجنبه العلي، ووجهه المضيء، كما في زيارته سلام الله عليه، والزيارة الجامعة الكبيرة.

ماحض الكفر

المراد منه من نصب العداوة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب والصديقة فاطمة الزهراء وأبناءهما عليهما السلام، بالقول والفعل والقلب، كمن أعلن سبهم والبراءة منهم لأنهم سلام الله عليه حبه إيمان وبغضهم كفر ونفاق.

والأجل الذي يحصل بموت غير طبيعي، فهو بحسب سبب يقتضي موته، لأن المعصية قد تكون تمحو ما كتب للإنسان من الرزق والأجل، فيموت فلا يبقى له من الأمور التي قدرت له، إلا ما قدر لبقائه عند قيام القائم عجل الله فرجه، إن كان محض الإيمان، أو محض الكفر.

وأما الأجل الحاصل باعتبار القتل فأختلفوا فيه، منهم من يقول يموت بأجله والقتل مطابق معه، ومنهم من قال يموت قبل أجله بأربعين يوماً، يعني لو لم يكن القتل لعاش أربعين يوماً، ومنهم من قال إن الأمر مجهول لنا لا نعلم أنه لو لم يكن القتل هل كان يعيش أو لا؟ ومنهم من قال غيرها.

والمستفاد من أخبار آل محمد عليهم السلام، أنه يموت قبل أجله، ولو لم يقتل لعاش في الدنيا مقدار سنتين ونصف يعني ثلاثين شهراً •.

❁ الموت غير الطبيعي

الموت الغير طبيعي له سببان هما:

السبب الأول

وهو أن الإنسان قدر له في اللوح المحفوظ أن يعيش سبعين سنة، ولكن إذا زنا والعياذ بالله تعالى، أو قطع الرحم، ينقص من عمره ثلاثون سنة في الدنيا، فيكون عمره في الدنيا أربعون سنة، وإن كان محضاً للإيمان أو الكفر، يبقى له عمر عند قيام آل محمد عجل الله فرجه.

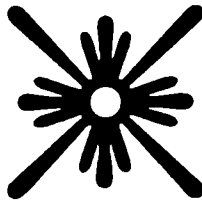
وفي رجعة المعصومين عليهم السلام وإلا فلا، يعني من لم يمحص الإيمان ولا الكفر يلهى في قبره إلى قيام الساعة.

السبب الثاني

ما يكون بالقتل، أو وقوع من شامت أو بالحرق أو بحادث سيارة أو طيارة أو غيرها من حوادث الدنيا، أجارنا وحفظنا الله وإياكم منها بمحمد وآله الطيبين الطاهرين عليهم السلام، فهذا المقتول هل هو مات بأجله أو بغير أجله، فمنهم من قال مات بأجله والقتل مطابق معه.

قال الشيخ أحمد الأحسائي رضوان الله عليه: ((وما كان بالقتل، فقيل: يموت بأجله، وقيل: قبل أجله، ثم اختلف القائلون الذين قالوا بأن أجله مخترم، وأنه قبل الأجل، ولولا ذلك لما أستحق الدية من القاتل))^(١).

والأصوب في هذا الخلاف ما ذهب إليه المؤلف السيد كاظم مع أستاذه الشيخ أحمد الأحسائي رحمهما الله تعالى، على حسب ما أختاراه من روايات المعصومين عليهم السلام، أنه قد مات قبل أجله، ولو لم يقتل لعاش سنتين ونصف يعني ثلاثين شهراً، فيعيشها مع خروج قائم آل محمد عليه السلام.



(١) حياة النفس للشيخ أحمد الأحسائي ٢٢٠.

[الأرزاق]

وأما الرزق فهو خير ينتفع به صاحب الحياة في حياته، وليس لغير الله سبحانه، وغير رسول الله وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين، أن يمنع الرزق من شخص صاحب الحياة.

فعلى هذا الحرام ليس برزق إذ ليس بخير، والدليل عليه أخبار المعصومين الأئمة الطاهرين، والقرآن العظيم قال تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١) فمدحهم الله سبحانه لإنفاقهم من الرزق، فلو كان الرزق حراماً لذمهم على إنفاقهم منه، إذ هو تصرف في مال الغير بغير إذنه.*

❁ الحرام ليس برزق

أفق علماء الشيعة على أن الحرام من أموال السرقة والبغاء والغصب وغيرها ليس برزق، بل هو حرام في حرام، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

فالله سبحانه وتعالى مدحهم على الإنفاق من الرزق، فلو كان الحرام رزقاً، للزم منه عزٌّ وجلٌّ مدحهم على اكتساب الحرام وهذا باطل، فالمقدم مثله، وهو كون الحرام رزق.

(١) سورة البقرة آية (٣).

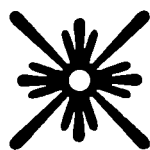
وذهب أكثر أخواننا السنة على أن الحرام رزق، أي كما أن الحلال رزق، كذلك الحرام رزق عندهم، كما ذهب إلى ذلك الشيخ العيني في عمدة القارئ بقوله: ((وقال أهل السنة الحرام رزق، لأنه في أصل اللغة الحظ والنصيب كما ذكرنا، فمن انتفع بالحرام صار حظاً له ونصيباً، فوجب أن يكون رزقاً له، وأيضاً قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(١).

وقد يعيش الرجل طول عمره لا يأكل إلا من السرقة، فوجب أن يقال طول عمره لم يأكل من رزقه شيئاً^(٢).

وقال الألوسي في تفسيره بنفس الآية المذكورة ((واحتج أهل السنة بالآية على أن الحرام رزق، وإلا فمن لم يأكل طول عمره إلا من الحرام، يلزم أن لا يكون مرزوقاً^(٣).

وقال الثعلبي في تفسيره ((وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٤)) الطيب هنا يجمع الحلال المستلذ، والآية تشير بتبعض [من] إلى أن الحرام رزق^(٥).

فلو كان الحرام رزقاً كما ذكر العامة، لزمهم الله تعالى عليه كما ذكره المؤلف، وأما إذا مدحهم على إنفاق الرزق، والرزق حسب الفرض حرام، لزم تعطيل الأحكام والحدود، بأن يقول السارق إنني سرقت من الحرام، والحرام رزقي، والله مدحني عليه، ولازم ذلك عدم إقامة حد السرقة من قطع اليد وهذا خلف.



(١) سورة هود آية (٦).

(٢) عمدة القارئ للعيني ٢ / ٢٦٨.

(٣) تفسير الألوسي للألوسي ٢١ / ٣.

(٤) سورة البقرة، آية (١٧٢).

(٥) تفسير الثعلبي للإمام الثعلبي ١ / ٣٥٦.

[الأسعار]

وأما الأسعار:

فالرخص عبارة عن نزول قيمة الشيء عن السعر الذي جرت العادة عليه، في وقت مخصوص ومكان مخصوص.

والغلاء: عبارة عن صعود الأقيام، عما جرت العادة عليه، في وقت مخصوص ومكان مخصوص.

وقال بعض: إن الرخص والغلاء قد يكونان من جانب الله سبحانه، يقلل الأمتعة، ويكثر رغبة الناس إليها، فيكون الغلاء، وقد يكون بالعكس فيكون رخص.

وقد يكونان من جانب الخلق، كما إذا منع السلطان التجار جلب الأمتعة ومن شرائها فتغلو، أو يرخصهم لذلك ويمنع الإحتكار فترخص، ويكون حينئذ وبال ما يرد على الخلق من الآلام والهموم [من] على الظالم ❁.

❁ فرض الغلاء والرخص من الخلق

الإحتمال الثاني للغلاء والرخص يكون من الخلق، بأن الحاكم أو الأمير أو

الملك أو السلطان للبلد يمنع دخول الرز مثلاً إلى البلد، إلا لنفسه بأن يحتكره فيغلى سعر الرز إلى أضعاف كثيرة، فيحصل الغلاء في البلد.

وفي حالة الرخص من الخلق، بأن الحاكم والسلطان للبلد يستورد جميع أنواع الرز من جميع العالم، وترفع الضريبة عن التجار بأن تدخل مجاناً، ويكثر الرز في البلد بأنواعه فيرخص كثيراً.

ففي حالة الغلاء يكون المستفيد الحاكم والسلطان وأعوانه بمنعه واحتكاره، والضرر والآلام والهموم والأموال المضاعفة، التي يدفعها الناس بسبب الظالم وهو الحاكم، وهذا واضح في أكثر البلاد أن المتضرر الأول والآخر هم الرعية.

والحق في المسألة: أن الرخص والغلاء كليهما بتقدير الله سبحانه، وبحسب أعمال الخلق، وبيانه أن الله سبحانه قد يكون يقلل الأمتعة، أو أسباب وجودها، كتقليل الأمطار، وسبب هذا التقليل يكون أحد أمور ثلاثة:

الأول: العقوبة لبعض أهل المعاصي، بما كسبوا فتناهم العقوبة مع من معهم، وإن لم يكونوا عصاة فتناهم أيضاً، بسبب أنهم كانوا مع أهل العقوبة، قال الله سبحانه: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ (١).

الثاني: الاختبار والامتحان كما قال تعالى حكاية عن سليمان ﴿لِيَلْبُوْنِي ۚ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (٢) وكما قال أيضاً: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (٣).

الثالث: هو رفع درجة الشاكرين على الرخاء والرخص، ودرجة الصابرين على البلاء والغلاء، إذ الدنيا سجن المؤمن.

والذي ذكرنا من تقليل أسباب وجود المتاع، مرادي منه أسباب قابلية وجوده ككثرة الطالب، وإيجاد من يشتري المتاع، ويحتكره ويحبسه حتى يبيعه بقيمة زائدة على المعتاد، ومنع الأمطار، وخوف الطرق، وزيادة قطاع الطريق وأمثالها من الأمور، حيث إن الله سبحانه يخلي ونفسه من يخالف محبته، حتى تصدر منه أسباب المنع من المعاصي وظلم العباد وغيرهما، وكل ما كان سبباً للغلاء علته التقصير في حق المعبود، [إذ] إن

(١) سورة النساء آية (١٤٠).

(٢) سورة النمل آية (٤٠).

(٣) سورة البقرة آية (١٥٥).

مقتضى كرم الله سبحانه الرخاء والرخص، وخلاف للمقتضى علته وجود الموانع من تقصير قوايل المكلفين.

الحاصل إن قلت إن الرخص والغلاء من جانب الله سبحانه، معناه أنه قدر أسبابه بتقصيرات المكلفين في الغلاء، وبأعمال العباد في الرخص. بعبارة أخرى عامل الله سبحانه مع الخلق بعدله في الغلاء، وبفضله وتجاوزه عن تقصيراتهم في الرخص، فقد أصبت الحق، واخترت طريق الصواب ❁.

فالواجب على جميع العباد وعلينا الشكر له على جميع نعمائه، والحمد على كرمه وآلائه، والرضا في كل حال بقدره وقضاه، إنه ولي الحسنات والمتجاوز عن السيئات، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، أباد الأبدين، ودهر الدهرين.

قد فرغ من الترجمة محرره، في الساعة الرابعة، من الليلة الثامنة عشر من شهر ربيع الثاني، سنة ألف وثلاثمائة وسبع وثلاثين من الهجرة، على هاجرها ألف صلاة وتحية.

❁ كل شر سببه المكلف

أن كل ما يصدر من الله وبالله عز وجل كل خير ورخاء وفضل، بشرط استقامة العباد على الطاعات وترك المحرمات، فلو استقام المكلفون على أمر الله تعالى واجتناب نواهيه، لأكلوا من فوقهم ومن تحتهم، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيبَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مَّتَطْمِئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنعْرِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١١٢).

أي أذاقها الله عِزًّا وجلًّا الجوع والخوف بسبب كفرهم وعصيانهم، وقال تعالى: ﴿وَالْوِاسْتَقْمَاءَ عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (١).

أي لو استقام الخلائق على ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والصديقة فاطمة الزهراء وأبنائهما المعصومين عليهم السلام والقيام بالواجبات وترك المحرمات لما خلق الله ناراً أصلاً، ولا حصل لهم عسر ولا خوف ولا جوع ولا شر أبداً.

قال الشيخ الصدوق رضوان الله عليه، قال حدثنا محمد بن أحمد السناني رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي، عن عمه الحسين بن يزيد، عن علي بن سالم، عن أبيه، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله جلّ جلاله: ((لو اجتمع الناس كلهم على ولاية علي ما خلقت النار)) (٢).

فلا عجب لأن ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الحصن الحصين في الدنيا والآخرة، كما روي في حديث السلسلة، المروي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام كما في أمالي الشيخ محمد الصدوق والبحار وغيره من كتب الأحاديث، عن علي بن موسى الرضا، عن موسى بن جعفر، عن جعفر بن محمد، عن محمد بن علي، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، عن جبرائيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللوح، عن القلم، قال: يقول الله عزّ وجلّ: ((ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي)) (٣).

وآية الله الإمام المصلح، والعبد الصالح، الميرزا حسن الأحقافي قدس الله

(١) سورة الجن آية (١٦).

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ٧٥٥، الجواهر السنية للحر العاملي ٢٣٦، البحار للشيخ المجلسي ٢٤٧ / ٣٩.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ٣٠٦، عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ١ / ١٤٦، معاني الأخبار للشيخ الصدوق ٢٧١، البحار للشيخ المجلسي ٢٤٦ / ٣٩.

نفسه، إذا قرأ حديث السلسلة، ووصل إلى الإمام الحسين بن علي، يسلم على الصديقة فاطمة الزهراء، وعلى الإمام الحسن المجتبي عليه السلام وختامه مسك في مسك . انتهى الحقيير الجاني، الراجي عفوره، العبد الذليل، عبد الجليل علي حسن الأمير من شرح كتاب أصول العقائد، لمؤلفه العالم العالم، واللوذعي الباسل، ذو المناقب والمطالب، السيد الأجل، والعلم الأشم، أستاذ العلماء، وقدوة الفقهاء، البحر المتلاطم، والقائد المتعاضم، أعني السيد كاظم، بن السيد قاسم الحسيني الرشتي، في ليلة ميلاد وصي الرسول، وزوج البتول، والد السبطين، والمصلي القبلتين، وفارس بدر وحنين، الإمام الطالب، والفتى الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه آلاف التحية والثناء، ما دامت أرض وسماء .

عبد الجليل علي حسن الأمير

١٣ / ٧ / ١٤٣١ هـ

المقالة الناصحة الزاجرة

بقلم آية الله العظمى المقدس حجة الإسلام

المولى الميرزا علي الحائري الأسكوئي قدس الله نفسه

بسم الله الرحمن الرحيم مقالة ناصحة زاجرة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على محمد المصطفى وأهل بيته
الطيبين الطاهرين الشرفاء .

وبعد . فيقول الحقير الفاني (علي بن موسى الحائري) : أيها المسلمون
المؤمنون ؛ الذين يعتقدون بالبرزخ والمعاد ، والسؤال والحساب ، والميزان
والصراط ، والذين يصدقون كلام الله تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَتِيدٌ ﴾^(١) ويعتقدون بكلامه عزَّ من قائل ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا
نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٢) ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمَكُرُونَ ﴾^(٣) .

هذا كتاب (أصول العقائد) للعلامة السيد كاظم الرشتي ((أعلى الله
مقامه)) الذي ترجمه والدي المقدس ((أعلى الله مقامه)) إلى العربية في

(١) سورة ق آية (١٨) .

(٢) سورة الجاثية آية (٢٩) .

(٣) سورة يونس آية (٢١) .

الأصول الخمسة، ونظيره (حياة النفس) لأستاذه الأوحد الشيخ احمد بن زين الدين الأحسائي ((أعلى الله مقامه)) أيضا في الأصول الخمسة، طالعوا هذين المؤلفين، وانظروا ودققوا هل ترون فيهما ما يخالف عقيدة المسلمين ولو بكلمة؟ أو ينافي ما يعتقدونه المؤمنون ولو بشعرة؟ وأيم الله ما تجدون فيهما إلا ما يوافق الكتاب والسنة، وأخبر به ساداتنا الأئمة عليهم السلام، واتفقت عليه كلمات علمائنا الحققة الإمامية.

وهذان التأليفان كلما ذكر فيهما، كلها من المحكمات ليس فيها شيء من المتشابهات، فارجعوا البصر فيهما هل ترون فيهما من فطور، ثم ارجعوا البصر كرتين أو كرات سيرجع البصر خاسئا وهو حسير؟ وهذان المؤلفان عدا المؤلفات الأخر، كلاهما يحكيان عن ضمير مؤلفيهما، وينطقان عن سريرتهما ومعتقداتهما، وحق باطنهما وخالص جنانهما، فمن كان يدين الله بدين الإسلام، وفيه عرق الإيمان، وخوف من الله تعالى، حجز نفسه عن الكلام فيهما أو في أتباعهما بما لا يليق، ويكف يراعه وينزه تأريخه فيهما، أو في أتباعهما، ما لا يناسب ولا ينسب إليهما والى أتباعهما غير الحق والصواب، ولا يسجل إلا الذي يرى في تأليفاتهما بعينه الباصرة، ولا يلتفت إلى ما يسمعه من الأجانب بإذنه السامعة، ولا يتبع الهوى فيما يحزر، ولا يصنع إلى ما يتفوه الجاهلون، أو يستمع ما يتداوله المفرضون، من النسب والافتراء الخارجة عن حدود الإسلام، فليعلم أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا، ولو وجد أحد شيئا من المتشابهات في تأليفاتهما، فعليه أن يرده إلى محكمات كلامهما، ولا يتجاسر بالكلام الباطل والرمي بالغلو والكفر العاقل، هذا طريق الإيمان، ودستور الإسلام، مع إننا لم نجد في

تأليفاتها ولا في تصانيف تلامذتها كلها ما يخالف عقائد الإسلام، أو ينافي طريق الحق والإيمان، في الأصول والفروع، مع تصفحنا كتبهم وتأليفاتهم شديداً، بالأخص تصانيف الشيخ الأوحى أعلى الله مقامه، تفحصناها ورقة ورقة، صفحة صفحة، ما وجدنا شيئاً من الباطل، وخلاف الحق أبداً، دونك إياها تتبعها وقلبها ظهراً لبطن، مع جعل الإنصاف أمامك، والخشية من الله تعالى، وعذابه بين عينيك.

هذا مضافاً إلى أنه ما رأينا أحداً من علماء عصره، وأساطين زمانه، ممن عاشروه وباشروه، أن يخذش في تصانيفه، أو أن يطعن أو يتجاسر إلى مقامه، بل كلهم عظموه ومجدوه، وأجازوه واعترفوا بجلالته وعلمه وتقاه، انظر إلى ترجمة ولد صلبه، الشيخ عبد الله، ثالث أولاده، وإلى ترجمة تلميذه الأرشيد السيد كاظم الرشتي أعلى الله مقامه في كتابه (دليل المتحيرين)، قد فصل كاملاً ترجمة أستاذه، وأتى بما فوق المراد، وكذا صاحب روضات الجنات، العلامة البهائية الميرزا محمد باقر بن الحاج ميرزا زين العابدين الموسوي، أتى في ترجمته بما لا مزيد عليه، وأخيراً العلامة الحجة المرحوم، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه الآيات البيئات ص / ١٨ .

قال في ترجمته مانصه ((كان العارف الشهير، الشيخ أحمد الأحمدي، في أوائل القرن الثالث عشر، وحضر على السيد بحر العلوم، وكاشف الغطاء، وله منهما إجازة تدل على علو مقامه عندهم، وعند سائر علماء ذلك العصر، والحق أنه رجل من أكابر علماء الإمامية وعرفائهم، وكان على غاية الورع والزهد، والاجتهاد في العبادة، كما سمعناه ممن نثق به ممن عاصره ورآه، نعم له كلمات في مؤلفاته مجملة متشابهة، لا

يجوز من أجلها التهجم والجرأة على تفكيره)). انتهى ترجمته قدس الله روحه).

ونظيره في الإطراء على مدحه كلام العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه (أعلام الشيعة) ج ٢ / ص ٨٨ وفي الذريعة ج ٤ ص ٨٩ / وكفى في علو شأنه، وسمو فضله، إجازات أساطين علماء عصره، إجازة السيد بحر العلوم، وإجازة كاشف الغطاء، وإجازة السيد الميرزا مهدي الشهرستاني، وإجازة العلامة الشيخ حسين آل عصفور، قال في إجازته ((وهو في الحقيقة حقيق بأن يجيز ولا يجاز))، وإجازة السيد صاحب الرياض، حتى ذكر في إجازته ((فسألني بل أمرني))، وإجازة غيرهم من علماء الإسلام والحكماء الفخام، واتفاق علماء عصره، من علماء مشهد الرضا عليه السلام، وعلماء طهران، وعلماء أصفهان، وعلماء يزد وكرمانشاه، وعلماء العراق، وعلماء الكاظمية عامة، وعلماء كربلاء، وعلماء النجف الأشراف، كلهم اتفقوا على جلالته وعظم شأنه، وقدموه في موارد التقديم، من الدرس والتدريس، وصلاة الجماعة، وصلاة الميت.

ففي كل مقام من موارد العبادة إذا حضر معهم قدموه، ومن أراد التفصيل كاملاً فليراجع دليل المتحيرين، لتلميذه الأرشد الأمجد، السيد كاظم الرشتي، الذي كان في خدمة أستاذه في الأسفار، وملازماً له أينما توجه وسار.

وإذا كان مثل العلامة صاحب الرياض، يخاطبه بالعالم الرباني، ويلهج بذكره، ويذكر في إجازته ((فسألني بل أمرني)) فإذا لا يعبا بمن جاء بعده، من أولاده، كالفاضل السيد مهدي عليه السلام، فإنه يحمل على الاشتباه،

وتدليس بعض المدلسين عليه، لأنه ﷺ كان كفيف البصر، وأتوا إليه بعبارات مقطوعة الأول والآخر، فشبها عليه الأمر، وصدر منه ما صدر.

وكذا إذا كان مثل السيد الميرزا مهدي الشهرستاني قدس سره، أجازته بتلك الإجازة المطنطنة، والمدح والإطراء، فلا يعبأ ولا يعتنى بمن أتى بعده من أولاده، كالفاضل العلامة الميرزا محمد حسين الشهرستاني، في رسالته تريباق الفاروق الفارسية، فانه يحمل على عدم الأنس، وعدم المعرفة بمطالبه، وعدم الإحاطة خبراً باصطلاحاته أعلى الله مقامه.

وقد بين خطاه وعدم معرفته، والذي الماجد أعلى الله مقامه في كتاب (إحقاق الحق) العربي، وتنزيه الحق الفارسي بما لا مزيد عليه، راجع الكتابين كي لا يخفى عليك الحق الواضح، والواقع اللائح.

وقد جاء بعده من بعض ذراريه، من ينتحل الفضل والثقافة، وهو في جانب عنهما بمراحل، بشهادة مقالته التي كلها قاصرة عن الحق، وبعيدة عن الصدق، افتراءً بلا مدرك، وتغيير بعض العبارات بلا امتراء، ودعايات باطلة ليس لها أصل ولا مدرك، لا حاجة إلى ذكرها، وتضبيع العمر والوقت بالتعرض لها، وقد رد عليه من أولادنا الفاضلان الحاج ميرزا صالح في رسالته (نقد وإيقاظ)، والحاج ميرزا عبدالرسول في رسالته (الحجة البالغة)، وكفى رداً عليه وعلى من قبله، إجازة جدهم الأكبر المذكور، وهو أبصر وأعلم وأتقى منهم، قد جالس واجتمع مع شخص الأوحد أعلى الله مقامه، وعرف مقامه وجلالته، وعلمه وتقاه، ومنزلته والثقافة، من شرطها الإنصاف والتورع، في نسبة فعل أو قول أو اعتقاد إلى أحد، والتثبت فيما يحكى عن الغير بالتحقيق واليقين لا بالظن والتخمين.

والذي يحرر التاريخ فمن الحق اللازم عليه، أن يحكم تاريخه ويجيده بالتحقيق، ويتفحص تأليف ذلك المترجم، إن كان له تأليف، أو يتفحص عنه من تلاميذه، أو يسأل من أصدقائه والملازمين له، أو من علماء عصره المطلعين على أحواله، أو من أهل بلاده وأهل خزائنه وجيرته، حتى يكون تاريخه وترجمته قيماً صحيحاً موثقاً به يعتمد عليه، لا أنه يترجم حاله من المقابلين له والأضداد، أو الأجانب عن اصطلاحاته وتأليفاته، أو يأخذ ترجمته من ألسن الناس وأهواء البعداء عنه، أو يترجم حاله من أهل الغرض والمرض، فإن كل ذلك يكون بعيداً عن الصواب، ولا يقع على ما هو عليه المترجم، فمن أراد أن يذكر أحوال وسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لابد وأن يفحص أحواله من أهل المدينة (يثرب)، أو من خبراء أهل الكوفة المنصفين، حتى يقع على الحقيقة وواقع الأمر، لا أنه يسأل أحواله من أهل الشام، الذين هم أشاعوا عليه عليه السلام كل غي وباطل.

ولا يسأل حال يهودي إلا من اليهود المطلعين عليه، لا من المسيحي أو المسيحيين، وكذا لا يترجم حال المسيحي إلا من المسيحيين، المطلعين على أخلاقه وسيرته، لا من اليهود.

وهكذا حتى لا يكون نقله وترجمته إلا عن مدرك صحيح، ومورد وثيق، يكون عليه الاعتماد، ولا يلام عند أولي الحجى والإنصاف، وإلا فيخطيء كثيراً، ويكون غالباً في طرف عن الحق والصواب.

فيا لله والإسلام أيجمل من صاحب المنجد المسيحي، الذي مبلغه من العلم فقط اللغة، وبعض الأدبيات، أن يتداخل في علماء الإسلام، ويتعرض لمثل الأوحاد الأحسائي، حيث ذكر في مادة أحمد بقوله

الاحسائي (أحمد)، مؤسس فرقة الشيخية، وكان من أتباع الفيلسوف الملا صدرا ومن الشيعة الحلولية... الخ.

وذكر الأمور الثلاثة: أنه مؤسس الفرقة الشيخية، وأنه من أتباع الملا صدرا، وأنه من الشيعة الحلولية، وقد أخطأ الصواب في هذه الثلاثة كلها.

أما الأول: فانه - أعلى الله مقامه - ما اخترع طريقة حتى يكون مؤسساً لمن اتخذها، نعم كان من أكبر العلماء الحققة، فتبعه ثلة من أهل عصره، وثلة من الآخرين، لخالص توحيده، ونزاهة حكمته، فانتسبوا إليه من هذه الجهة فقط.

وأما الثاني: فانه من المقطوع المتيقن والمشهور، والمعروف الذي لا يعتريه أي ريب وشك، أنه أعلى الله مقامه رد على الملا صدرا، وشنع عليه في شرحه، على العرشية وعلى المشاعر، ومنكر عليه أشد الإنكار فيهما، وأن حكمته على خلاف حكمة الملا صدرا، كيف يقول صاحب المنجد. أنه من أتباع الملا صدرا؟.

وأما الثالث: وهو أنه من الشيعة الحلولية، فإن معنى الحلول أن الله تعالى حل في أحد من البشر، فيكون هو الله، مع العلم بأننا ما رضينا بما اعتقدوه في المسيح، أنه ثالث ثلاثة، أو أنه ابن الله، وهو نبي من أولي العزم، فكيف يرضى الشيخ الأوحده، أن يكون واحد من البشر حل فيه ذات الله؟.

ما أدري هذا الكلام من صاحب المنجد، أخذه من أي فم طاهر، أو اقتبسه من أي يراع عفيف، أو سجله من أي مصدر سخيف؟! .

أهكذا سنة التاريخ، أو شرع الترجمات، يسجل ما ليس له أصل وأساس، أو يحزر ما يقتبس من أهواء الناس.

أقول ليس من العجب أن يصدر مثل هذا الكلام، من الأجنبي البعيد من جميع الجهات عن الحق والمنهج، ولا عجب أيضاً ما صدر من ملا رضا الهمداني في هدية النملة، ما نسب إلى الأوحده، لأن حاله معلوم، وأنه ذو غرض بدت البغضاء من يراعه، وما يخفي جوفه أكبر وأعظم، وعلم حاله لدى عامة الفضلاء الأعلام، حيث قابلوا ما نسب إلى الشيخ الأوحده مع رسائله، فما وجدوا كلمة حق، مما نسب وثبت عندهم، أنه كلما ذكر ونسب في حقه كذب وافتراء.

لكن العجب كل العجب ممن عد نفسه مؤرخاً ببحاثاً، كيف يسجل في تاريخه ما لا يليق، ويحزر من غير أصل ولا مدرك ولا تحقيق؟ كالفاضل العلامة، السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة، في ترجمة أحمد بن زين الدين، ذكر أموراً كلها مخدوشة باطلة، تعرضنا لها في ترجمة حال المولى الشيخ علي نقى ابن الأوحده، وزيفناها كلها، واحداً واحداً، كلمة كلمة، فليراجع حتى يعرف حال بعض المترجمين.

وحذا حذوه، بل أخذ من أتى بعده أو عاصره، كالفاضل الشيخ عبد الله نعمة، في كتابه فلاسفة الشيعة، أتى بعين عبارة أعيان الشيعة، وبيننا في ترجمة الشيخ علي نقى (قدس الله سره) خطأه واشتباهه، في ترجمة أحوال الأوحده، واشتباهه أيضاً فيما ذكر في حق تلميذه السيد الأمجد، السيد كاظم الرشتي فلا نعيده.

فيا سبحان الله كل حامل يراع ومؤرخ في هذا العصر إلا قليل، لا

يخلو من جرأة وجسارة على الشيخ الأوحى وتابعة، بلا سبب ولا مسوغ، وبعض المؤرخين في هذه الأعصر الأخيرة، نسوا أصول التاريخ، وأهملوا يراعهم يسجلون في تاريخهم كل مسموع، ويقيدون في طومارهم ما ليس بثابت، ولا من أصل منقول، ولا يراجعون المدارك الصحيحة، والموارد المحققة الأصيلة، ويعتمدون في تاريخهم على كل ناقد، من غير تمييز بين العالم بالأحوال، والجاهل.

هذا الفاضل الأستاذ السيد عبد الرزاق الحسنى، في تاريخ سنة وفاة الأوحى أعلى الله مقامه، ذكر أنه سنة ١٢٤٣ هـ تبعاً للسيد الأمين، وقد عرفت خلافه، وأن وفاته سنة ١٢٤١ هـ، ولم يكتف بذلك، حتى قال في كتابه (البابيون والبهاثيون في حاضرهم وماضيهم) إن فكرة الشيخية، وليدة الفكرة الباطنية، وليست الفكرة الباطنية وليدة تعاليم الإسلام... الخ.

أقول: إن الباطنية قد ظهرت في القرن الثاني الهجري، والشيخية ظهوروا في القرن الثالث عشر، وبين الطائفتين فاصلة مدة عشر قرون من الهجرة، ومن أين صارت الطائفة الأخيرة، وليدة الطائفة الأولى؟ أوتدري أيها الفاضل ما معنى الباطنية؟ هم الذين يعملون بالباطن، ويتركون الظاهر، مثلاً يقولون إن الصلاة حقيقة ولاية آل محمد عليه السلام، ويهملون هذه الصلاة الظاهرية، ذات ركوع وسجود وهكذا، يقولون في الحج هو قصد البيت المعنوي الباطني، ويتركون الطواف على البيت الظاهري.

وهكذا سائر العبادات، وحق أن يقال إنهم ليسوا وليدة الإسلام، وقد قال إمامنا الصادق عليه وعلى آبائه وأبنائه أفضل الصلاة والسلام (يا هيثم التميمي إن قوما آمنوا بالظاهر، وكفروا بالباطن، فلم يك ينفعهم شيء،

وجاء قوم من بعدهم، فأمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر، فلم ينفعهم ذلك شيء، ولا إيمان بظاهر إلا بباطن، ولا باطن إلا بظاهر^(١).

أو ما تعلم أيها الفاضل الحسنی، أن الشيخية هم أحسن عملاً بالأعمال الظاهرية من غيرهم، وأقوى يقيناً بالأمور الباطنية على من سواهم، وهؤلاء هم الذين يملأون المساجد والجماعات أحسن من غيرهم، ويقصدون العتبات العاليات والحج وسائر النوافل والعبادات خيراً ممن سواهم، ويخرجون الأخماس والزكوات والصدقات أرغب وأشوق ممن عداهم، وأعمالهم لا تنكر، وعقائدهم في حق مواليتهم وساداتهم لا تخفى ولا تستر، وقد اشتهروا في ذلك أجلى من الشمس في رابعة النهار، حتى رموا بالغلو والتفويض، وحاشاهم ثم حاشاهم من ذلك، بل هم النمط الأوسط بين من غلا وأفرط، ومن قلى وفرط.

فيا أيها الفاضل الحسنی، من أين أتيت بهذا التفسير، إن فكرة الشيخية وليدة الفكرة الباطنية؟ هل نزل إليك في ذلك وحي، أو سول لك قرين مقبض؟ ما هذا التهافت في التحرير، والجسارة في التفسير والتعبير، أما تعلمون أنكم مسئولون عن كل قول وفعل وتحرير، حتى من كل صغير وحقير؟.

وأعجب كل العجب من هؤلاء كلهم، الفاضل البحائثة الآغا بزرك الطهراني، وهو الذي مر مدحه باطرائه في حق الأوحى أعلى الله مقامه، المنقول من كتاب أعلام الشيعة ج ٢ ص ٥٨ ومن الذريعة ج ٤ ص ٨٩

(١) مختصر بصائر الدرجات للشخ حین بن سلیمان الحلبي ٧٨، البحار للشيخ المجلسي ٦٩/

بمدح فائق، وتمجيد لائق، حيث قال في ج ٥ من الذريعة ص ٧٩١ مانصه جواب سؤال أحمد السمناني عن التأويل والظاهر للسيد كاظم الرشتي، خليفة الشيخ أحمد الأحسائي، في رئاسة فرقة الشيخية الغلاة، القائلين بالنيابة الخاصة.

وقال أيضا في ص ١٧٢ جواب الشيخ أحمد القطيفي عن النية في العبادات عن للشيخ أحمد الاحسائي، مؤسس الانقلابات الدينية الأخيرة، إلى أن قال له تأليفات كثيرة، غير جوامع الكلم المشتمل على اثنين وتسعين رسالة، في مجلدين وأكثرها جوابات عن اعتراضات، كانت ترد على آرائه العرفانية، وتأويلاته للأخبار... الخ.

أقول: ما معنى أن السيد كاظم خليفة الشيخ.. الخ، إن كان من جهة أنه تلميذ الشيخ، فله تلاميذ كثيرون مجازون من أستاذهم، وكل منهم مرجع في بلده، كالعلامة الميرزا حسن كوهر في كربلاء، بعد السيد الرشتي، وحجة الإسلام الأخوند الملا محمد الممقاني في تبريز، والعلامة الميرزا عبدالرحيم في قره باغ، والعلامة الأخوند آغا علي في أورد باد، وفي سمنان مثله، وفي طهران كذلك وغير، وغير، فلم جعلت السيد كاظم خليفة للشيخ دون غيره، هل رأيت من الشيخ الأوحد نصاً في ذلك، ولم نره نحن ولا سائر الناس؟ أو أن السيد بنفسه قد ادعى أنه خليفة، ولم نسمع نحن ذلك، ثم بعد ذلك ذكرت الشيخية الغلاة القائلين بالنيابة الخاصة الخ.

أقول أيها الفاضل الطهراني، هب أن الشيخية معروفون ومتهمون بالغلو، وهو ليس كذلك، لكن من أين حكمت أنهم قائلون بالنيابة

الخاصة، ومن أين أتيت بهذه النسبة، التي اقتصت أنت بذكرها من دون العالم؟ من أي مدرك حكمت؟ ومن أي أصل اقتبستها؟ ومن أي فم طاهر تلقيتها؟ أو من أي هوى من هوى المفرضين اكتسبتها؟.

ثم قولك في جواب القطيفي، الشيخ أحمد الاحسائي مؤسس الانقلابات الدينية الاخيرة.. الخ.

ليت شعري أي انقلاب ديني أسسه الشيخ الاحسائي، فإن تأليفاته كلها موجودة عندك وعند غيرك، تفحص أنت وغيرك، هل ترى فيها تغييراً في حكم شرعي؟ أو تبديلاً في شيء من السنة المحمدية؟ أو مدعياً دعوى خارجة من دعوى العلم والدين؟ حتى يكون مؤسساً للانقلاب الديني، أو سالكاً غير طريق شرعي، وإن كان حصل في زمانه أو بعد زمانه، ذوا جهل باصطلاحه، أو ذوا غرض، أو حسد آخرين، حتى كتبوا عليه ما كتبوا، وهم الذين حصل منهم الانقلاب، والتشويش في خواطر العوام، فما ذنبه هو (أعلى الله مقامه) حتى ينسب إليه ما يقولون.

ثم قولك له تأليفات كثيرة غير جوامع الكلم، المشتمل على اثنين وتسعين رسالة في مجلدين، وأكثرها جوابات عن اعتراضات كانت تورد على آرائه العرفانية، وتأويلاته للأخبار الخ.

أقول لو تفحص المرء في المجلدين المذكورين وغيرهما، رأى كلها رسائل مستقلة، ليس فيها جواب اعتراض قط، أول رسالة جوامع الكلم، حياة النفس في الأصول الخمسة، ثم رسالة العصمة والرجعة، في رجعة الأئمة عليهم السلام، وعصمتهم، ثم الرسالة التوبلية في الأسماء الحسنى، ثم الرسالة القطيفية في جوابات سؤالات شتى، ثم سؤالات الشاه، والشاه

زاده، وتفسير آية النور، وتفسير قل هو الله أحد مرتين، والرسالة العملية، ومباحث الألفاظ، ورسالة في أقسام الإجماع، ورسالة في شرح رسالة ذي الراسين لكاشف الغطاء، وليس فيها جواب اعتراض كما زعم الفاضل الطهراني، وكذلك الجزء الثاني من جوامع الكلم، أكثره مسائل فقهية، والرسالة الصوفية، الحيدرية العملية، وآخره قصائد الاثني عشر في رثاء الإمام الشهيد سلام الله عليه، والخطب له (أعلى الله مقامه) وشرح حديث كميل.

نعم ربما يوجد في مجموع المجلدين، جواب سؤال أو سؤالين عن الاعتراض عليه، أو سؤال في حل بعض مطالبه، فكيف تقول أيها الفاضل إن أكثرها جوابات عن اعتراضات كانت تورد؟ الخ.

وأيضاً قال الفاضل الطهراني في ترجمة الشيخ المولى حسن القزاجه داغي الشهير بكوهر، في كتابه طبقات أعلام الشيعة ج ٢ ص ٣٤ كان أي القزاجه داغي، من تلاميذ الشيخ أحمد بن زين الدين، وتلميذ السيد كاظم الرشتي الحائري، المتوفي سنة ١٢٥٩ ولكن لا يمكن القول بأنه من الشيخية، لمجرد تلمذه على المذكورين فقد كان المترجم من المشرعة ويعتقد موافقة أستاذه الأحسائي أستاذه للمشرعة الخ.

أقول عفى الله عنك أيها الفاضل الطهراني، وأحسنت ثم أجملت، في أمثال هذه الترجمة.

أولاً إن المولى حسن القزاجه داغي لم يكن من تلامذة السيد كاظم الرشتي يقينا، لكن كان يعظمه ويبجله ويقدمه على نفسه، إذا اجتمعا ويخاطبه سيدي أستاذي، احتراماً وتادباً وإنصافاً منه، لكن لما رجع من

النجف الأشرف إلى كربلاء، بعد ما صار مجازاً من علماء عصره، ومسلماً عندهم في التقى والعلمية، اجتمع مع السيد كاظم أعلى الله مقامه صدفة، وجرى إليه منه مطالب مبتكرة.

قال: من أين لك هذه المطالب ياسيدنا؟ قال: من أستاذنا الشيخ احمد بن زين الدين، قال خذني إليه، فصار السيد واسطة في وصوله إلى خدمة الشيخ وتلمذه عنده، ولم يكن تلميذاً للسيد قدس الله سره، وصلنا هذا التفصيل من والدي أعلى الله مقامه، بواسطة جدنا المتلمذ على يد القراجه داغي المتقرب عنده، والمقدم على سائر تلاميذه، بإجازته لجدنا، والنص عليه، بأنه أعلم وأتقى تلاميذه، أمره بجواب المسائل البحرانية عنه، هذا أولاً.

وثانياً قولك لا يمكن القول بأنه من الشيخية بمجرد تلمذه الخ، اشتباه صرف، بل هو من لب الشيخية وابن أبجدتها، كيف لا يمكن ذلك، وقد قال في رثاء أستاذه أعلى الله مقامه؟ .

يا سماء في لحدود الأرض والترب توسد.

ما سمعنا قبل ذا أن السماء في الأرض تلحد.

أو يوارى الترب جسماً كان روحاً قد تجسد.

أنت ذاك الجوهر الفرد الذي لا زال مفرد.

إلى أن قال في تاريخه.

فسألت الفكر عن تاريخه يوماً فأنشد.

فزت بالفردوس فوزاً يا بن زين الدين احمد.

١٢٤١ - هجرية - .

أفلمثل صاحب هذا المقال يقال في حقه، أنه لا يمكن القول بأنه من الشيخية، ثم قولك إن المترجم كان من المشرعة الخ، هذا كلام أعظم، بل أفصح وأشنع بل أفحش من جميع ما ذكر و سطر، كيف يجعل الشيخية قسيماً للمشرعة؟ أليست الشيخية من أحسن من يعملون بالشرع الشريف، وأحرص المتدينين به؟ أي حلال حرموا، أو أي حرام حللوا، أو أي شرع بدلوا، أو أي سنة غيروها؟ حتى يجعلوا قسيماً للمشرعة، إذا لالوم على الملا رضا الهمداني حيث جعل الشيخية قسيماً للامامية.

والحال أن الشيخية هم الاماميون حقاً، والمشرعون صحيحاً صدقاً، فليستعد للجواب أهل هذه التعبيرات يوم الحساب، بين يدي رب الأرباب، وبين رسول الله ﷺ يوم الحشر الأكبر، ليت شعري ما جوابهم وما عذرهم عند الله وعند رسوله وأوليائه ﷺ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا وأنه عند الله عظيم، وجرمه جسيم، وهي عشرة لا تقال، ولا للعذر عنها محيص ومجال.

إلى ديان يوم الدين نمضي

وعند الله تجتمع الخصوم

هلا عبروا بمثل ما عبروا سابقاً، في أول الاختلاف والافتراق، عصر العلامة السيد كاظم الرشتي، كما سجل في دليل المتحيرين، الشيخية والبالاسرية، أو يعبر بعبارة ترضي الله ورسوله وأوليائه ﷺ الشيخية، وغير الشيخية، ليت شعري هل يحصلون من سوء التعبير والتناز غير الإثم، وتفريق الكلمة والعداوة والبغضاء، والخسران في الدارين، عصمنا الله من زلل الأقدام، وسوء المنقلب والختام.

ثم ما تنقمون من الشيخية غير أنهم يرون الأوحـد الشيخ احمد أعلى الله مقامه من أحد العلماء الحقـة، ولا يرضون بالطعن والقـدح فيه بلا مسوغ، وإلا فإن الشيخية لا يقلدون الشيخ، ولا السيد، لا في الأصول، ولا في الفروع، فإن أصول الدين لا تقلد فيها، وفي الفروع يقلدون العلماء الأحياء المتقين، والمجتهدين العاملين، ما ترى فرقاً بينهم وبين سائر الجعفرية، في مذهبهم ودينهم وعباداتهم وتقليدهم.

فيا أيها القاريء الكريم؛ إنك بعد ما عرفت حال هؤلاء القادحين في الشيخ والشيخية، وتأملت بالدقة والإنصاف فيما ذكرنا في حقهم، وهم فضلاء البحث، فقس عليهم حال غيرهم من أهل القدم كصاحب البارقة الحيدرية وأمثاله، ممن سبقه وعاصره، ولحقه من فضلاء عصرنا، أو من قارب عصرهم، وإن كان معروفاً ومشهوراً في العلم والفضيلة، وهم على أصناف: ما بين من هو غير مانوس بمصطلحات القوم، ولم يعض على العلم بضرر قاطع وهم الأكثر، يرون في المعاد عبارة أن الجسد العنصري لا يعود، ولا يعرفون المقصود منه، مع أنهم شرحوا وبينوا مقصودهم منها، ويرون في المعراج نظير ذلك، ويجهلون مرادهم منه.

وما بين أنهم ياخذون من غير مدرك، ويعتمدون على نقل أمثالهم، ممن يجهل مقصودهم ومرامهم.

وما بين أنهم من أهل الغرض، يتمسكون بالمتشابهات ولا يردونها إلى المحكمات، وما بين أنهم ينقلون ما يسمعون من الأفواه والألسن، من غير مراجعة إلى الأصول والمدارك، فمن اللازم على كل مؤمن معتقد بالمعاد والحساب، أن يراجع بنفسه تأليفات القوم، ولا يتخذ المنقول

والمسموع مسلماً ثابتاً، وإن كان الناقل من أكبر الفضلاء عند الناس، فإنك غير معذور في أخذك الكلام من أهل القدر، من دون مراجعة إلى تأليف المقدوح فيه، فإنه كما قيل (رب مشهور لا أصل له) سيما مع اتفاق علماء عصر الشيخ الأوحى الأحسائي، ممن أجازوه وغيرهم، على علمه وفضله وتقاه وجلالته، وعدم الطعن منهم فيه، وفي مؤلفاته، وهم لمعاصرتهم أعرف وأعلم بأحواله ممن أتى بعدهم، وربما يساء الظن بمن أتى بعدهم، من القادحين من وجوه كثيرة.

ثم إن كثيراً من المعاصرين من فضلاء زماننا، يحاولون الجمع بين شتات فرق الإسلام، والاتحاد بينهم، والتأليف لكل قائل بالشهادتين، وهم بين مجبر، ومجسم، وبين قائل بأن الله يرى إما يقظة أو نوماً، أو في المعاد وغير ذلك.

لكن يدحضون حجتهم، وينقضون عهدهم وقصدهم، بتفريق كلمة الإمامية الجعفرية، الذين تجمعهم كلمة الشهادة الثالثة، مضافاً إلى الشهادتين، مع أن أصولهم واحدة، ومصادر دينهم ومذهبهم واحدة، من الكتب الأربعة، للمحمدين الثلاثة: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه، والكتب الجامعة الأخرى، من البحار، والوافي، والعوالم، ووسائل الشيعة، ومعابدهم ومزاراتهم وعباداتهم ودعواتهم كذلك، لا ترى فرقاً وميزاً في تلك المذكورات، وغيرها بوجه من الوجوه، لا في الكلي ولا في الجزئي، ومع ذلك ترونهم يفرقون كلمة هؤلاء الأقارب من جميع الجهات، ويحاولون جمعها بين الأبعد والأجانب، في غالب المقامات، ليت شعري من أين ساغ لهم هذا وحل لهم ذلك؟ .

فهذه المعاملة منهم، كاشفة عن كون دعوى الاتحاد، لأجل بعض الأغراض، والتقرب إلى بعض الذوات، والشهرة بين الشتات، لا لقصد جمع الكلمة حقيقة، يقولون بافواههم، ويسجلون بأقلامهم، ما ليس في قلوبهم، فنقول يا أمة الإسلام؛ ويا فرقة الجعفرية الإمامية؛ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، فلنجعل كلام الله حكماً، وليعامل بعضنا مع بعض بتعاليم الإسلام، ودستور القرآن، ويعمل بحدود الدين، ولا يفرق بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾^(١) وقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(٢) وقال سبحانه ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(٣) وقال عز وجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾^(٤) وقال سبحانه ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٥) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المضمون. وقال جلّ وعلا ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾^(٦).

فأوجب الاجتناب من الكثير من الظن لأجل البعض، إذ ليس لهم علم بما افتروا أو قدحوا، لأنهم ما رأوا باعينهم في المقدوحين، ولا رأوا شيئاً محكماً في مولفاتهم، بل أكثرهم أوحى بعضهم إلى بعض، ونقل بعضهم

(١) سورة النساء آية (٩٤).

(٢) سورة الأحزاب آية (٥٨).

(٣) سورة الحجرات آية (١٢).

(٤) سورة الحجرات آية (١٠).

(٥) سورة آل عمران آية (١٠٣).

(٦) سورة الحجرات آية (١٢).

من بعض، من غير تحقيق ولا دراية فالقرآن الحكيم ينهانا أن نعمل بالظن،
ويأمرنا للأخذ بالعلم واليقين.

فالواجب أن لا يسمع أحد منا باطلاً في أحد، إلا إذا سمعه منه
شخصاً، ورآه بنفسه منه عينا، أو من صريح كلامه في مؤلفه، وإن رأى
شيئاً من المجمل والمتشابه.

فمن اللازم أن يرده إلى نصه ومحكمه، ولا يغتب بعضنا بعضاً، ولا
تنابزوا بالألقاب، ولا يتهجم على أحد، أو على صاحبه بلا مدرك، ومن
يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه، وسود ديوانه، وخفف ميزانه، وخالف
قرآنه، وارتطم في خسرانه.

والحق والإنصاف، أنه قد ضعف الإعتقاد، وقل الوثوق بالنسبة إلى
تواريخ وتراجم هذا العصر، بعد الذي رأينا من أمثال هؤلاء الفضلاء،
ومدعي البحث والتحقيق، والأسف كل الأسف على ضيعة التاريخ
والترجمة، بل وبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في عصرنا، هذا وما قاربه.

والسلام على من اتبع الهدى، وخشي عواقب الردى، وأطاع الملك
الأعلى، ونهى النفس عن الهوى، وإلى الله المشتكى.

المصادر

- ١ . القرآن الكريم .
- ٢ . البحار للشيخ المجلسي .
- ٣ . التوحيد للشيخ الصدوق .
- ٤ . عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق .
- ٥ . الأماي للشيخ محمد الصدوق .
- ٦ . الاحتجاج للشيخ الطبرسي .
- ٧ . الكافي للشيخ محمد الكليني .
- ٨ . نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري .
- ٩ . اللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري .
- ١٠ . شرح الأسماء الحسنی للملا هادي السبزواري .
- ١١ . شرح الفوائد للشيخ أحمد ابن الشيخ زين الدين الأحسائي .
- ١٢ . كشكول الشيخ أحمد الأحسائي .
- ١٣ . رسائل المرتضى للشريف المرتضى .
- ١٤ . كتاب التعريفات للعلامة علي بن محمد الجرجاني .
- ١٥ . مصباح المتعجد للشيخ محمد الطوسي .
- ١٦ . مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي .

- ١٧ . نهج البلاغة للأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .
- ١٨ . الجواهر السنية للحر العاملي .
- ١٩ . عيون الحكم وألوانها لعلي بن محمد الليثي الواسطي .
- ٢٠ . شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني .
- ٢١ . بصائر الدرجات للشيخ محمد بن الحسن الصفار .
- ٢٢ . تحف العقول للشيخ بن شعبه .
- ٢٣ . الخصال للشيخ محمد الصدوق .
- ٢٤ . مختصر بصائر الدرجات للشيخ الحسن بن سلمان الحلبي .
- ٢٥ . اختيار معرفة الرجال للشيخ محمد الطوسي .
- ٢٦ . مستدرک سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي .
- ٢٧ . مفاتيح الأنوار للشيخ محمد الشيخ حسين أبوخمسين .
- ٢٨ . علل الشرائع للشيخ محمد الصدوق .
- ٢٩ . الأسفار للملا صدرا الشيرازي .
- ٣٠ . المحاسن للشيخ احمد بن محمد البرقي .
- ٣١ . مقاييس اللغة احمد بن فارس .
- ٣٢ . لسان العرب لابن منظور .
- ٣٣ . منطق المظفر للشيخ محمد رضا المظفر .
- ٣٤ . نهاية الحكمة للسيد محمد حسين الطباطبائي .
- ٣٥ . بداية الحكمة للسيد محمد حسين الطباطبائي .
- ٣٦ . شرح المشاعر للشيخ أحمد الأحسائي .
- ٣٧ . جوامع الكلم للشيخ أحمد الأحسائي .
- ٣٨ . الحلقة الثانية للسيد محمد باقر الصدر .

- ٣٩ . رسائل الكركي للمحقق الكركي .
- ٤٠ . عوالي اللالئ لابن أبي جمهور الأحسائي .
- ٤١ . التحفة السنية للسيد عبدالله الجزائري .
- ٤٢ . الهداية للشيخ محمد الصدوق .
- ٤٣ . الفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي .
- ٤٤ . جامع الشتات للخواجوني .
- ٤٥ . روضة الواعظين للفتال النيسابوري .
- ٤٦ . مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني .
- ٤٧ . الخلاف للسيد محمد الطوسي .
- ٤٨ . تذكرة الفقهاء للعلامة الحلبي .
- ٤٩ . الدروس للشهيد الأول .
- ٥٠ . المزار للشيخ المفيد .
- ٥١ . الأمالي للشيخ الطوسي .
- ٥٢ . حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني .
- ٥٣ . الرسائل السعدية للعلامة الحلبي .
- ٥٤ . مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب .
- ٥٥ . الفضائل شاذان بن جبرائيل القمي .
- ٥٦ . مجمع البحرين للشيخ الطبرسي .
- ٥٧ . شرح الزيارة الجامعة الكبيرة للشيخ أحمد الأحسائي .
- ٥٨ . روضة السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين للسيد علي خان مدني .
- ٥٩ . شرح حياة النفس للشيخ عبدالجليل علي الأمير .
- ٦٠ . الإلهيات للشيخ جعفر السبحاني .

- ٦١ . مسند أحمد بن حنبل .
- ٦٢ . المزار لمحمد المشهدي .
- ٦٣ . إقبال الأعمال للسيد بن طاووس .
- ٦٤ . كامل الزيارات للشيخ جعفر بن قولويه .
- ٦٥ . تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي .
- ٦٦ . رسائل الشيعة [آل بيت] للشيخ الحر العاملي .
- ٦٧ . كشف الغطاء للشيخ جعفر كاشف الغطاء .
- ٦٨ . الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام .
- ٦٩ . عيون الحكم والمواعظ للعلي بن محمد الليثي الواسطي .
- ٧٠ . شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام للشيخ ميثم البحراني .
- ٧١ . علل الشرائع للشيخ الصدوق .
- ٧٢ . مستدرک الوسائل للميرزا النوري .
- ٧٣ . الاختصاص للشيخ المفيد .
- ٧٤ . ينابيع المودة للقندوزي .
- ٧٥ . وسائل الشيعة للحر العاملي .
- ٧٦ . الأمالي للشيخ الطوسي .
- ٧٧ . شجرة طوبى للشيخ محمد مهدي الحائري .
- ٧٨ . الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي .
- ٧٩ . الكلمات المحكمات لأية الله الميرزا علي الأحقافي .
- ٨٠ . معاني الأخبار للشيخ الصدوق .
- ٨١ . تصحيح اعتقادات الأمامية للشيخ المفيد .
- ٨٢ . من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق .

- ٨٣ . لب الأثر للجبر والقدر للشيخ جعفر السبحاني .
- ٨٤ . مسند الإمام الرضا عليه السلام للشيخ عزيز الله العطاري .
- ٨٥ . اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي .
- ٨٦ . المخازن واللمعات للمولى الميرزا حسن كوهر .
- ٨٧ . الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي .
- ٨٨ . كتاب ترجمة أية الله العظمى الميرزا محمد علي الشاه ابادي .
- ٨٩ . الكلمات المكنونة للملا محسن الفيض الكاشاني .
- ٩٠ . شرح الرسالة العلمية للشيخ أحمد الأحسائي .
- ٩١ . شرح فصوص الحكم للقيصري .
- ٩٢ . الانتصار للشريف المرتضى .
- ٩٣ . حياة النفس للشيخ أحمد الأحسائي .
- ٩٤ . الغيبة للشيخ الطوسي .
- ٩٥ . الأنوار البهية للشيخ عباس القمي .
- ٩٦ . التبيان للشيخ الطوسي .
- ٩٧ . خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام .
- ٩٨ . الخرائج والجرائح للشيخ قطب الدين الراوندي .
- ٩٩ . تصحيح اعتقادات الإمامية للشيخ الصدوق .
- ١٠٠ . الفضائل والردائل للمظاهري .
- ١٠١ . العلم والحكمة في الكتاب والسنة لمحمد الريشهري .
- ١٠٢ . قرّة العيون للفيض محسن الكاشاني .
- ١٠٣ . مناهج الصالحين للشيخ وحيد الخرساني .
- ١٠٤ . مشكاة الأنوار للشيخ علي الطبرسي .

- ١٠٥ . الدعوات لقطب الدين الراوندي .
- ١٠٦ . المصباح للكفعمي .
- ١٠٧ . موقع شبكة الفصيح لعابر سبيل .
- ١٠٨ . مركز سماكاشي للدراسات والبحوث الكوردية لأحمد بن خليل .
- ١٠٩ . مدخل إلى مناهج المعرفة عند الإسلاميين للسيد كمال الحيدري .
- ١١٠ . مشارق أنوار اليقين للشيخ الحافظ رجب البرسي .
- ١١١ . خطب آية الله الإمام المصلح الميرزا حسن الإحقائي .
- ١١٢ . أجوبة ومسائل لأية الله الميرزا موسى الإحقائي .
- ١١٣ . الفصول المهمة للحر العاملي .
- ١١٤ . جامع السعادات للشيخ محمد مهدي الراقي .
- ١١٥ . مجموعة الرسائل للشيخ لطف الله الصافي .
- ١١٦ . درر الأسرار من مجموعة الرسائل للسيد كاظم الرشتي .
- ١١٧ . المقنعة للشيخ المفيد .
- ١١٨ . مجموع الفوائد للشيخ المحقق الأردبيلي .
- ١١٩ . تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي .
- ١٢٠ . الأسرار الفاطمية للشيخ فاضل المسعودي .
- ١٢١ . الخصال للشيخ الصدوق .
- ١٢٢ . تذكرة آداب الألباب للشيخ داود الأنطاكي .
- ١٢٣ . كنز الفوائد للشيخ أبو الفتح الكراجكي .
- ١٢٤ . جوامع الكلم للشيخ أحمد الأحسائي .
- ١٢٥ . الصحاح للجوهري .
- ١٢٦ . تفسير الصافي للفيض الملا محسن الكاشاني .

- ١٢٧ . الحكايات للشيخ المفيد .
- ١٢٨ . مفتاح الفلاح للشيخ البهائي العالمي .
- ١٢٩ . كتاب التعريفات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني .
- ١٣٠ . مرآة الكمال للشيخ عبد الله المامقاني .
- ١٣١ . من المبدأ إلى المعاد في حوار بين طالبين للشيخ المنتظري .
- ١٣٢ . تفسير القرآن للسيد مصطفى الخميني .
- ١٣٣ . شرح القصيدة لعبد الباقي العمري للسيد كاظم الرشتي .
- ١٣٤ . التعليقه على الفوائد الرضوية للقاضي سعيد القمي .
- ١٣٥ . ميزان الحكمة لمحمد الريشهري .
- ١٣٦ . غاية المرام للسيد هاشم البحراني .
- ١٣٧ . الأنوار النفحانية للسيد نعمة الله الجزائري .
- ١٣٨ . مستطرفات السرائر لابن إدريس الحلبي .
- ١٣٩ . شرح دعاء السمات للسيد كاظم الرشتي .
- ١٤٠ . أحكام الشيعة لآية الله الإمام المصلح الميرزا حسن الأحقافي .
- ١٤١ . أحكام الشريعة لآية الله خادم الشريعة الميرزا عبدالرسول الأحقافي .
- ١٤٢ . صحيفة الأبرار للميرزا محمد تقي المامقاني .
- ١٤٣ . كمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق .
- ١٤٤ . معجم لغة الفقهاء والمصطلحات مركز المعجم الفقهي .
- ١٤٥ . معجم ألفاظ الفقه الجعفري .
- ١٤٦ . العصمة للشيخ أحمد الأحسائي .
- ١٤٧ . الدمعة الساكبة للشيخ المولى محمد باقر البهبهائي .

- ١٤٨ . الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة [شرح كاشف الغطاء] للسيد
عبدالله شبر .
- ١٤٩ . شرح الخطبة التطنجية لأمير المؤمنين علي عليه السلام للسيد كاظم الرشتي .
- ١٥٠ . زبدة البيان للمحقق الأردبيلي .
- ١٥١ . الأعلام لخير الدين الزركلي .
- ١٥٢ . الكامل في التاريخ لابن الأثير .
- ١٥٣ . وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان .
- ١٥٤ . الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي .
- ١٥٥ . معجم المطبوعات العربية لاليان سركيسي .
- ١٥٦ . الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي .
- ١٥٧ . الأنوار البهية للشيخ عباس القمي .
- ١٥٨ . الأقتصاد للشيخ الطوسي .
- ١٥٩ . تفسير القرطبي للقرطبي .
- ١٦٠ . تفسير الفخر الرازي للفخر الرازي .
- ١٦١ . تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .
- ١٦٢ . المراجعات للسيد شرف الدين .
- ١٦٣ . عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر .
- ١٦٤ . مسند أحمد بن حنبل .
- ١٦٥ . أسباب النزول لابن الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري .
- ١٦٦ . عمدة القارئ للإمام العيني .
- ١٦٧ . ينابيع الموده لدى القربى للقندوري .
- ١٦٨ . شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني .

- ١٦٩ . الكامل لعبد الله بن عدى .
- ١٧٠ . المستدرک للحاکم النيسابوري .
- ١٧١ . المعجم الأوسط للطبراني .
- ١٧٢ . الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي .
- ١٧٣ . فتح الباري لابن حجر .
- ١٧٤ . نفس الرحمن في فضائل سلمان لميرزا حسن النوري الطبرسي .
- ١٧٥ . صحيح مسلم للإمام مسلم النيسابوري .
- ١٧٦ . صحيح البخاري للإمام البخاري .
- ١٧٧ . المعجم الكبير للطبراني .
- ١٧٨ . الاستيعاب لابن عبد البر .
- ١٧٩ . مصباح البلاغة [مستدرک نهج البلاغة] الميرجهاني .
- ١٨٠ . أسد الغابة لابن الأثير .
- ١٨١ . منهج التوحيد والفقہ للصف الثاني الابتدائي للبنين .
- ١٨٢ . سنن النسائي للنسائي .
- ١٨٣ . السنن الكبرى للبيهقي .
- ١٨٤ . النكت الاعتقادية للشيخ المفيد .
- ١٨٥ . مسند أبي يعلى لابن يعلى الموصلي .
- ١٨٦ . صحيح ابن حبان .
- ١٨٧ . كنز العمال للمتقي الهندي .
- ١٨٨ . شرح العرشية للشيخ أحمد الأحسائي .
- ١٨٩ . شرح مسلم للنوري .
- ١٩٠ . ثواب الأعمال للشيخ الصدوق .

- ١٩١ . كتاب الأربعين للماحوزي .
- ١٩٢ . المزار للشهيد الأول .
- ١٩٣ . بشارة المصطفى للشيخ محمد بن علي الطبري .
- ١٩٤ . النكت في مقدمات الأصول للشيخ المفيد .
- ١٩٥ . تفسير القمي للشيخ علي بن إبراهيم القمي .
- ١٩٦ . تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي .
- ١٩٧ . معجم البلدان لياقوت الحموي .
- ١٩٨ . الإرشاد للشيخ المفيد .
- ١٩٩ . الزام الناصب في إثبات الحجة الغائب للشيخ علي اليزدي .
- ٢٠٠ . الإيقاظ من الهجعه بالبرهان على الرجعة للحر العاملي .
- ٢٠١ . تفسير الألوسي للألوسي .
- ٢٠٢ . تفسير الثعلبي للإمام الثعلبي .
- ٢٠٣ . معجم أفاض الفقه للجعفري .

المحتويات

الباب الثالث : في النبوة

- ٧ الفصل الأول : [اللَّهُ سبحانه لم يخلق الخلق عبثاً]
- ١٠ علة بعثة الأنبياء
- ١١ الفصل الثاني : [ليس بين الله تعالى وبين الأنبياء نسبة]
- ١٢ لا نسبة بين الله سبحانه والأنبياء
- ١٣ شرح حديث الإمام الرضا عليه السلام
- ١٦ اختيار الأنبياء عليهم السلام بمرجح
- ١٦ معنى الطفرة :
- ١٨ شرح كلام الشيخ أحمد في السفارة
- ٢٢ كل له مقام معلوم
- ٢٤ زخرفة الصوفية في النبوة
- ٢٦ النبوة عند الصوفية بالرياضات
- ٢٩ الأسفار الأربعة
- ٢٩ الأسفار الأربعة عند القوم
- ٣٠ ١ - ((السفر من الخلق إلى الحق))
- ٣٠ ٢ - ((السفر من الحق إلى الحق مع الحق))

٣٠ ((السفر من الحق إلى الخلق مع الحق))
٣١ ((السفر من الخلق إلى الخلق مع الحق))
٣٢ رأي المؤلف في الأسفار الأربعة
٣٣ السفر الأول
٣٤ السفر الثاني
٣٤ السفر الثالث
٣٤ السفر الرابع
٣٧ وأما السفر الرابع
٣٩ مثال لتفاوت درجة النبي بغيره
٣٩ بيان الأمور الأربعة هي :
٤١ الفصل الثالث : [الأنبياء من نوع الإنسان]
٤١ المكلف محتاج إلى الأنبياء في الدنيا
٤٤ لا تصلح الملائكة أنبياء للناس
٤٥ صفة جبرائيل <small>عليه السلام</small>
٤٦ شرح حديث العالم العلوي
٤٦ الفعلية
٤٦ القوية
٤٧ الإستعداد
٥١ الملائكة أرواح مجردة
٥٣ الملائكة لا ترى إلا عند الموت
٥٦ تفسير آية اندكاك الجبل
٥٩ أفضل الموجودات الإنسان
٦١ الفصل الرابع : [الأنبياء أفضل من الملائكة المقربين]

٦٢	الملائكة الكروبيون والعالون
٦٢	معنى الكروبيين
٦٢	المعنى الأول
٦٣	المعنى الثاني
٦٤	إطلاق لفظ الملك للكروبي
٦٨	الملائكة العالون
٧٠	لماذا سميت فاطمة <small>عليها السلام</small> بالزهراء؟
٧٥	سجود الملائكة لآدم <small>عليه السلام</small>
٧٧	الفصل الخامس: [لابد للنبي أن يكون جامعاً للكمالات الحسنة]
٧٨	النبي جامع للكمالات
٧٩	نفي الحرص عن النبي <small>عليه السلام</small>
٧٩	نفي الحسد عن النبي <small>عليه السلام</small>
٨٠	نفي الغضب عن النبي <small>عليه السلام</small>
٨٢	نفي شهوة الحرام عند النبي <small>عليه السلام</small>
١٢٧	عدم صدور المعصية من النبي
١٢٨	عدم صدور السهو والنسيان من النبي
١٢٨	معنى السهو
١٢٨	معنى النسيان
١٣١	الأنبياء معصومون قبل وبعد
١٣٣	المقام النوري للأنبياء <small>عليهم السلام</small>
١٣٤	الفصل السادس: [تنزيه الأنبياء <small>عليهم السلام</small>]
١٣٥	عصمة الأنبياء
١٣٥	العصمة في اللغة

- العصمة الاصطلاحية الخاصة ١٣٨
- رد المتشابه إلى المحكم ١٣٨
- معنى التردد والشك في الولاية ١٤٣
- أكمل الكمال هم محمد وآل محمد عليهم السلام ١٤٨
- المعصية هي ترك الأولى ١٥١
- شرح فقرة دعاء الإمام الحسين عليه السلام ١٥٢
- الفصل السابع: [المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام لم يتركوا الأولى] ١٥٤
- حملت ذنوب الشيعة عليهم عليهم السلام ؟ ١٥٤
- معنى معصية آدم عليه السلام ١٥٧
- الفصل الثامن: [النبوة تثبت بالتنبؤ وخوارق العادات مع التحدي] ١٦٠
- علامة النبي عليه السلام ١٦٠
- العلامة الأولى ١٦٠
- العلامة الثانية ١٦٠
- العلامة الثالثة ١٦١
- لا تكفي المعاجز بدون إدعاء ١٦٢
- إظهار الخوارق مع الإدعاء لا يكفي ١٦٢
- المقنع الخراساني ١٦٢
- ابن المقفع ١٦٤
- الضابط في صدق النبوة ١٦٦
- فضائح المتنبئين ١٦٦
- مسيلة الكذاب ١٦٦
- الفصل التاسع: [نبينا عليه السلام هو الواسطة بين الله تعالى وبين الخلق] ١٦٨

٤٥٧	المحتويات
١٧٠	القرآن أعظم المعاجز
١٧٣	الفصل العاشر: [النبي محمد ﷺ مبعوث إلى جميع ما سوى الله سبحانه] [١٧٣]
١٧٤	نبوة النبي ﷺ عامة
١٧٥	من لا يكلف لا يوجد
١٧٦	الفصل الحادي عشر: [شريعة نبينا محمد ﷺ إلى يوم القيامة] [١٧٦]
١٧٧	شريعة النبي ﷺ روح الشرائع
١٧٨	دليل بالحكمة على الشرائع الست
١٧٩	أصل البحث
١٨١	الفصل الثاني عشر: [نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين] [١٨١]
١٨١	الفتاح هو الخاتم
١٨٢	الأمر الأول: الترجيح بلا مرجح
١٨٣	الأمر الثاني: الطفرة الباطلة
١٨٣	قوس النزول
١٨٤	قوس الصعود
١٨٦	نفس النبي ﷺ أفضل الكائنات
١٨٧	الخاتم أفضل الكل في الكل
١٨٧	لا مساوي لرسول الله ﷺ في الوجود
١٩٠	الخاتم واحد لا متعدد
١٩٠	الوجه الأول
١٩١	الوجه الثاني
١٩١	الوجه الثالث
١٩٣	المبدأ في التكوين هو المبدأ في التشريع

- ١٩٦ علة تأخير نزول النبي إلى الأرض
١٩٧ كنت نبياً وآدم بين الماء والطين
١٩٨ قصيدة الشيخ عبد الله الوايل

الباب الرابع:

في إثبات إمامة الأئمة الاثني عشر وأحكام دولة نواب خير البشر سلام
الله عليهم ما دارت الشمس والقمر

- الفصل الأول: [جسد نبينا محمد ﷺ علة لوجود الأرواح والعقول أجمع] ٢٠٣
٢٠٣ جسد رسول الله ﷺ علة الأرواح
٢٠٦ طهارة وعصمة رسول الله ﷺ
٢١٢ وجود الخلاف والإنقلاب بعد النبي ﷺ
الفصل الثاني: [وصي النبي لا بد أن يكون منصوباً من قبل الله تعالى] .. ٢١٤
٢١٥ تنصيب الوصي كتنصيب النبي
٢١٧ الأمر الأول: علم الوصي
٢١٨ الأمر الثاني: عصمة الوصي
٢٢٠ لا يكون الوصي والحاكم بالإختيار
الفصل الثالث: [ناقشة حديث (لا تجتمع أمي على خطأ)] ٢٢١
٢٢١ حجية الإجماع الصحيح
٢٢٣ الأمر الأول
٢٢٣ الأمر الثاني
٢٢٤ ستفترق أمي
٢٢٥ الأمة تطلق على التابع

٤٥٩	المحتويات
٢٢٧	عدم حجية الإجماع المفروض
٢٢٨	إجماع أهل الحل والعقد
٢٢٨	الجواب
٢٣٠	الفصل الرابع: [آية التبليغ في تنصيب علي <small>عليه السلام</small> ولياً على الخلق]
٢٣١	العناية في آية التبليغ
٢٣٥	الوصي والخليفة هو الكامل
٢٣٨	دعوى عدم قدرته على إيجاد الأكمل
٢٤٠	الوصي هو المنسوب للنبي <small>صلى الله عليه وآله</small>
٢٤٠	النسبة السببية
٢٤١	النسبة النسبية
٢٤٤	الوصي معصوم
٢٤٦	علم الوصي وقدرته
٢٤٨	قصيدة عبد الباقي العمري
٢٥١	فضائل أمير المؤمنين هي قدرة الله تعالى
٢٥٤	فضيلة أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> مع سلمان
٢٥٨	الفصل الخامس: [لابد لوصي النبي من وصي آخر من قبل الله تعالى]
٢٥٨	لا بد لوصي الوصي من الكمال
٢٥٩	ثبوت الوصي بالعقل قبل الشرع
٢٦٠	عدد الأوصياء اثنا عشر
٢٦٠	الأعداد ثلاثة أقسام العدد التام
٢٦١	العدد الزائد
٢٦١	العدد الناقص
٢٦٢	الأشياء ثلاثة أقسام

- ٢٦٣ الأول: القسم الزائد عليه
- ٢٦٣ الثاني: القسم المساوي لذاته
- ٢٦٣ الثالث: القسم الناقص عن ذاته
- ٢٦٣ أوصياء النبي ﷺ اثنا عشر
- ٢٦٦ الفصل السادس: [علي ﷺ أكمل الخلق بعد رسول الله ﷺ]
- ٢٦٦ علي أمير المؤمنين ﷺ أعلم الصحابة
- ٢٦٨ شرح آية ﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾
- ٢٧١ خلق أمير المؤمنين علي ﷺ من الماء
- ٢٧٤ كمالية أمير المؤمنين ﷺ
- ٢٧٤ خطبته أمير المؤمنين الخالية من الألف
- ٢٧٧ الخطبة الخالية من النقط
- ٢٧٨ قصيدة الصحاب بن عبادت ٣٨٥
- ٢٨٠ إجماع الأمة على عدم عصمة الصحابة
- ٢٨٢ إجماع الشيعة على ولاية علي ﷺ
- ٢٨٥ الإمامة ضرورية في التكليف
- ٢٨٧ الفصل السابع: [إن الخليفة بعد النبي بلا فصل هو علي ﷺ]
- ٢٨٩ أسماء الأئمة الاثني عشر ﷺ
- ٢٩٣ الفصل الثامن: [إن الإمام الثاني عشر هو الإمام المهدي (عجل)]
- ٢٩٣ الإمام المهدي (عج)
- ٢٩٤ ذكر الإمام المهدي عند الخاصة والعامة
- ٢٩٥ غيبة الإمام المهدي (عج) لا تضر بالحجبة
- ٢٩٨ مصلحة غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه

المحتويات ٤٦١

المحذور الأول ٢٩٨

المحذور الثاني ٢٩٩

الفصل التاسع: [إن غير أهل البيت عبدوا الأصنام مدة وفروا من الحروب] ٣٠٠

الباب الخامس:

في المعاد وحشر الأرواح

الفصل الأول: [وعد الله تعالى للحشر يوم القيامة للمطيع والعاصي] ٣٠٥

الفصل الثاني: في كيفية المعاد ٣٠٧

[القسم الأول] ٣٠٧

ما حض الإيمان ٣٠٧

المؤمن يكر في الرجعة ٣٠٩

الرجعة نهاية عالم التكليف ٣١٠

ما هو الصور؟ ٣١٢

كيفية نفخة الجذب والدفع ٣١٢

شكل الصور ٣١٥

بطلان الأرواح ٣١٧

وجه الله تعالى ٣١٨

بقاء الطينة مستديرة كسحالة الذهب في القبر ٣٢١

ما حض الكفر ٣٢٢

المستضعفون في القبر ٣٢٤

تطائر الأرواح إلى أجسادها الدنيوية ٣٢٥

المعاد من أصول الدين ٣٢٧

- ٣٣٠ الفصل الثالث: [الحشر عام لكل ناطق وصامت]
- ٣٣٠ الأصول الثلاثة للحشر
- ٣٣١ الأصل الأول
- ٣٣١ الأصل الثاني
- ٣٣١ الأصل الثالث
- ٣٣٣ كل مخلوق محاسب
- ٣٣٩ الفصل الرابع: [القصاص للجمادات والأشجار في الدنيا]
- ٣٤٠ قصاص الصامات في الدنيا
- ٣٤١ الفصل الخامس [نطق الجوارح يوم القيامة]
- ٣٤١ كل شيء يشهد على المكلف له وعليه
- ٣٤٣ الفصل السادس [تطير الكتب يوم القيامة]
- ٣٤٤ أمير المؤمنين الكتاب الناطق
- ٣٤٧ الفصل السابع: [الإعتقاد بالميزان يوم القيامة]
- ٣٤٨ ما هو الميزان؟
- ٣٥٠ الفصل الثامن: [الإعتقاد بوجود الصراط يوم القيامة]
- ٣٥١ الصراط يوم القيامة
- ٣٥٢ شفاعة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام على الصراط
- ٣٥٤ الفصل التاسع: [الإعتقاد بحوض الكوثر والشفاعة يوم القيامة]
- ٣٥٤ صفة الحوض وساقيه
- ٣٥٦ شفاعة النبي وأهل بيته عليهم السلام
- ٣٥٦ الشفيعه هي الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام

٤٦٣	المحتويات
٣٥٨	شفاعة الحمزة عم النبي ﷺ
٣٦٠	الفصل العاشر: [الإعتقاد بالجنة وطبقاتها الثمان]
٣٦١	الجنة ثمرة الطاعة
٣٦١	جنة الدنيا
٣٦٣	جنة الآخرة
٣٦٤	صفة جنة الخلد للمؤمنين
٣٧١	جنان الحضائر
٣٧٢	الفصل الحادي عشر: [الإعتقاد بوجود النار وطبقاتها السبع]
٣٧٢	عذاب العصاة
٣٧٣	عذاب الدنيا
٣٧٣	عذاب الآخرة
٣٧٥	الجنة والنار موجودتان الآن
٣٧٧	لذة الجنة وألم النار حسي
٣٧٩	طبقات جهنم الآخرة
٣٨١	حضائر النيران
٣٨٣	الفصل الثاني عشر: [دوام نعيم الجنة للمؤمنين ودوم عذاب جهنم للكافرين]
٣٨٤	إعتقاد الصوفية في عذاب أهل النار
٣٨٨	الفصل الثالث عشر: [وجوب الإعتقاد بجميع ما جاء به النبي الأكرم]
٣٨٨	خلاصة الإعتقاد

خاتمة

٣	الفصل الأول: [ذكر العلامات قبل قيام القائم (عج)]
---	--

٤٦٤ شرح أصول العقائد (ج ٣)

- ٣٩٤ الصبيحة باسم الإمام الحجة عجل الله فرجه
- ٣٩٥ علامات الظهور
- ٣٩٨ الفصل الثاني: [أحداث الإمام الحجة(عجل) في مكة وسائر البلاد]
- ٤٠٠ الفصل الثالث: [عاصمة دولة الإمام المهدي(عجل) الكوفة]
- ٤٠١ مسكن الإمام الحجة ودولة الإمام الحسين عليه السلام
- ٤٠٥ الفصل الرابع: [رجعة أهل البيت عليهم السلام إلى الدنيا]
- ٤٠٨ الفصل الخامس: من جملة ما يلحق بأصول الدين ..
- ٤٠٨ الموت الطبيعي
- ٤١١ إنتهاء الأجل
- ٤١١ أجل ما حض الإيمان والكفر
- ٤١٢ ما حض الإيمان
- ٤١٣ ما حض الكفر
- ٤١٤ الموت غير الطبيعي
- ٤١٦ [الأرزاق]
- ٤١٦ الحرام ليس برزق
- ٤١٨ [الأسعار]
- ٤١٨ فرض الغلاء والرخص من الخلق
- ٤٢١ كل شر سببه المكلف
- ٤٢٤ المقالة الناصحة الزاجرة
- ٤٤٣ المصادر